الدِّيباجُ الخُسْرُواني

في أخبارِ أعيانِ المخلافِ السُّليماني

المسمى

"الذهب المسبوك فيمن ظهر في المخلاف السليماني من الملوك"

(تاريخ منطقة جازان)

للفترة من ١٢١٧ - ١٢٧٠هـ / ١٨٠٢ - ١٨٥٣م

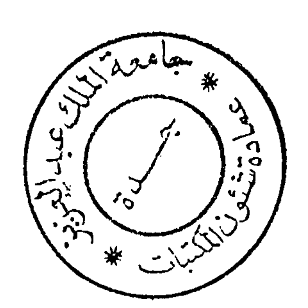
تأليف

الحسن بن أحمد عاكش الضمدي

(١٢١٩ - ١٢٩٠هـ / ١٨٠٤ - ١٨٧٣م)

حققه ودرسه وعلّق عليه

أ.د. إسماعيل بن محمد البشري





تكميل الفصل الثاني

الفصل الثالث من ٢٥٢ إلى آخر

ومؤلف الكتاب هو الحسن بن أحمد عاكش أحد الأفراد الذين عاصروا تلك الأحداث ، إلى جانب أنه قضى أكثر من عشرين عامًا في الدراسة والتكوين العلمي ، والاطلاع على المصادر التاريخية وغيرها والتي ظهر أثرها جليًا في تاريخه هذا.

ولكون الكتاب أحد أهم المصادر التاريخية لمنطقة جازان فقد حرصت دارة الملك عبدالعزيز على نشره في صورة مرضية ومناسبة؛ تمثلت فيما بذله محقق الكتاب من جهد مشكور في نقل النص وتوثيقه والتعليق عليه، واستكمال ملحوظات المحكمين الذين قامت الدارة بتكليفهم بمراجعة الكتاب وتحكيمه.

وإن دارة الملك عبدالعزيز - وهي تضع هذا الكتاب بين أيدي القراء الكرام - لتأمل أن يلقى قبولاً ظاهرًا، وأن يسد بقيمته التاريخية والأدبية فراغًا طويلاً ، وأن تتلوه الدراسات التي تستمد منه وتستفيد مما ورد فيه من أحداث تاريخية وعلمية وأدبية.

دارة الملك عبدالعزيز

مقدمة المحقق

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين. وبعد فإن كتاب «الديباج الخسرواني في أخبار أعيان المخلاف السليماني» للحسن بن أحمد عاكش الضمدي (١٢١٩ - ١٢٩٠هـ / ١٨٠٤ - ١٨٧٣م) يعد من أهم المصادر التاريخية التي تحدثت عن تاريخ جنوب غرب الجزيرة العربية خلال الفترة من (١٢١٧ - ١٢٧٠هـ / ١٨٠٢ - ١٨٥٣م) إن لم يكن أهمها على الإطلاق ، فقد اعتمد عليه كل مؤرخي تلك الفترة بل كل راصدي الحركة الفكرية والأدبية والاجتماعية خلال القرنين الماضيين.

وإنني حينما قمت بهذا العمل العلمي كنت أتطلع إلى استكمال سلسلة التحقيق والدراسة لمخطوطات هذا العالم المؤرخ الكبير حيث سبق لي أن حققت كتاب: (حدائق الزهر في ذكر الأشياخ أعيان الدهر) ونشر عام ١٤١٣هـ، ثم كتاب (عقود الدرر في تراجم أعيان القرن الثالث عشر) والذي صدر في مجلدين عام ١٤١٨هـ، ويأتي كتاب «الديباج» ليكمل الحلقة الخاصة بالكتب المهمة التي ألفها «عاكش» لتضيف جميعها رصيدًا علميًا إلى المكتبة التاريخية السعودية.

وسيجد القارئ الكريم - في طيات هذا السفر - الكثير من المعلومات في مجالات مختلفة تحمل طابع التأليف في ذلك العصر من حيث المنهج والأسلوب ، حيث تمكن المؤلف خلال عرضه ونقله ونقاشه وتحليله وتفسيره واجتهاده في عدد من الموضوعات والقضايا والمناقشات أن يقدم صورة متكاملة عن طبيعة عصره وبيئته ومجتمعه.

لقد عشت مع المخطوط سنوات عدة أعالج جوانب النقص وأستدرك مواقع الخلل وأدرس وأعلق وأجيل قلم التوضيح هنا وهناك ، فإن أصبت فمن الله، والحمد لله، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان، والله المستعان.

وإنني لا أملك في هذا المقام إلا أن أقدم الشكر والتقدر إلى دارة الملك عبدالعزيز على جهودها الكريمة، واهتمامها بنشر هذا السفر العلمي المهم، وأخص بالشكر أمينها العام الدكتور/ فهد السماري ، ومساعده الدكتور/ ناصر الجهيمي ، والأستاذ/ عبدالرحمن السدحان ، كما يجدر بي هنا أن أقدم عبارات شكر للعديد من الزملاء الذين كان لهم كبير الفضل في المساعدة حول بعض القضايا الشرعية والأدبية وهم الدكتور/ محمد الدويش ، والدكتور/ سعيد الغامدي ، والدكتور/ محمد الحازمي ، كما أشكر الشيخ/ زيد بن محمد المدير الذي تفضّل بإهدائي أصل المخطوط كرمًا منه وفضلاً .

آمل أن يحظى هذا الجهد بالقبول وأسأل الله سبحانه وتعالى التوفيق في القول والعمل إنه سميع مجيب.

أ. د. إسماعيل محمد البشري

مدير جامعة الشارقة

مقدمة التحقيق

أولاً :

(أ) الكتاب وأهميته التاريخية .

(ب) المؤلف ومنهجه في الكتابة .

(جـ) وصف المخطوطات المستخدمة في التحقيق .

(د) منهج المحقق .

ثانيًا : توطئة تاريخية .

(أ) الكتاب وأهميته التاريخية :

لم يحظ المخلاف السليماني بتدوين تاريخه وتراجم أعيانه في أي فترة من التاريخ كما حظي بها في القرنين الماضيين . فقد قيض الله له بعض العلماء والأدباء الذين عنوا بكتابة تاريخه، وتراجم رجاله التي تحتوي على إضاءات تاريخية رائعة ، وذلك عبر مؤلفات مختلفة ؛ منها ما زال مخطوطًا ومنها ما تم تحقيقه ، ومن ذلك على سبيل المثال :

١ - **العقد المفصل بالعجائب والغرائب في دولة الشريف أحمد بن غالب** : للشيخ علي بن عبدالرحمن البهكلي ، وهو يؤرخ للفترة (١١٠١ - ١١٠٥هـ / ١٦٨٩ - ١٦٩٣م) ، وقد حققه الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي ونشره .

٢ - **خلاصة العسجد في دولة الشريف محمد بن أحمد** : للقاضي عبدالرحمن بن حسن البهكلي ، وهو يؤرخ للفترة (١١٤١ - ١١٨٤هـ/ ١٧٢٨ - ١٧٧١ م) ، وقد حققه الزميل د . هاني مهنا ، لنيل درجة الدكتوراة من جامعة (Durham) في بريطانيا عام ١٩٨٥م ، ولم ينشر بعد، وقد حققه أيضا كلٌ من : ميشيل توشيرير ، وعدنان درويش ، ونشر عام ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م بدمشق .

٣ - **نزهة الظريف في حوادث دولة أولاد الشريف** : للقاضي عبدالرحمن ابن حسن البهكلي ، ويؤرخ للفترة (١١٨٥ -١٢٠٤هـ/ ١٧٧١ - ١٧٨٩م) ، مخطوط محفوظ في مكتبة العقيلي ، جامعة الملك سعود حاليًا .

٤ - **نفح العود في سيرة دولة الشريف حمود** : للقاضي عبدالرحمن بن أحمد البهكلي ، ويؤرخ للفترة (١٢١٥ - ١٢٢٤هـ / ١٨٠٠ - ١٨٠٩م) ، وقد حققه الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي ونشرته عام ١٤٠٢هـ دارة الملك عبدالعزيز بالرياض .

٥ - **تكملة نفح العود** : للشيخ الحسن بن أحمد عاكش ، ويؤرخ للفترة (١٢١٧ - ١٢٣٣هـ / ١٨٠٢ - ١٨١٨م) ، وقد حققه العقيلي ونشره ضمن كتاب نفح العود .

٦ - **الديباج الخسرواني في أخبار أعيان المخلاف السليماني** : ويسمى أيضًا (الذهب المسبوك فيمن ظهر في المخلاف السليماني من الملوك) ، ويؤرخ للفترة (١٢١٧ - ١٢٧٠هـ / ١٨٠٢ - ١٨٥٣م) ، وهو الذي بين يدي القارئ الكريم .

٧ - **حدائق الزهر في ذكر الأشياخ أعيان الدهر** : للشيخ الحسن بن أحمد عاكش ، ويحتوي على خمسين ترجمة ، وقد حققه ونشره د . إسماعيل بن محمد البشري عام ١٤١٣هـ .

٨ - **عقود الدرر بتراجم علماء القرن الثالث عشر** : للشيخ الحسن بن أحمد عاكش ، ويحتوي على (٢٦٥) ترجمة ، وقد حققه ونشره د . إسماعيل بن محمد البشري عام ١٤١٨هـ .

وتأتي أهمية مخطوط (الديباج الخسرواني) من موقعه المهم ضمن السلسلة التي ذكرتها سابقًا التي تؤرخ لتاريخ المنطقة ، فهو يغطي فترة تاريخية بارزة تمتد لمدة أربعة وخمسين عامًا شهدت خلالها المنطقة ظروفًا سياسية واجتماعية مختلفة ، أبرزها امتداد نفوذ الدولة السعودية الأولى على عسير ، وكذلك تقلب العلاقات مع أئمة اليمن ، ثُمَّ الصراع مع محمد علي باشا وقواته الغازية للمنطقة ، وفي الجوانب الأخرى نجد الكثير من اللفتات الجميلة التي تلقي الضوء على النشاط الأدبي والعلمي والظروف الاجتماعية والأحداث الجغرافية والفلكية وغير ذلك مِمَّا شهدته المنطقة خلال الفترة المذكورة .

ونستطيع التأكيد أن الديباج يعد من أهم المصادر التاريخية التي يجب أن تخرج إلى التداول لعدة أسباب :

١ - لكونه يحوي وصفًا دقيقًا وتفصيليًا لثلاثة عهود رئيسة من الحكم في إمارة « أبو عريش » وهي :

(أ) فترة حكم الشريف حمود بن محمد أبو مسمار وابنه أحمد (١٢١٥ - ١٢٣٥هـ / ١٨٠٠ - ١٨١٩م) .

(ب) فترة حكم الشريف علي بن حيدر الحسني التي تعد فترة سيطرة محمد علي باشا (١٢٣٥ - ١٢٥٤هـ / ١٨١٩ هـ - ١٨٣٨م) على المنطقة .

(جـ) فترة حكم الشريف الحسين بن علي بن حيدر التي مارس فيها السلطة مستقلاً لفترة من الوقت ، ثُمَّ وصول العثمانيين إلى المنطقة (١٢٥٤ - ١٢٦٧هـ / ١٨٣٨ - ١٨٥٠م) .

(د) جزء من فترة الصراع بين الأشراف بعد رحيل الشريف الحسين بن علي بن حيدر ثُمَّ الحملة العثمانية على اليمن بقيادة الشريف محمد بن عون والقائد التركي توفيق باشا .

٢ - أن الديباج يعد المصدر الأول والأساس للفترات المذكورة سابقًا ومعظم كتابات الباحثين عن المنطقة عادت إليه لكونه مصدرًا أساسًا . إلا أن الخروم الموجودة في الكتاب جعلت الاستفادة منه صعبة خاصة لفترة الشريف الحسين بن علي بن حيدر ، ممَّا جعل تحقيقه وإكمال النقص فيه يعد على درجة كبيرة من الأهمية .

٣ - أن المقدمة التي سبقت الكتاب تحتوي على معلومات مكثفة عن الأشراف في المنطقة من القرن العاشر الهجري فما بعد .

وممَّا يزيد في أهمية هذا الكتاب أن مؤلفه الحسن بن أحمد عاكش ظهر من أسرة علمية لها علاقاتها المتعددة مع الشخصيات البارزة في المنطقة ، فقد نشأ في دائرة الأحداث ، ثُمَّ إن المؤلف قضى أكثر من عشرين عامًا في الدراسة والتكوين العلمي من خلال الاطلاع على المصادر العلمية في وقته سواء أكانت سنية أم زيدية أم صوفية ، وتتلمذ على يد علماء من مختلف الاتجاهات العلمية ، العقدية والفقهية ، ممَّا جعله يتمتع برؤية شاملة للواقع وأحداثه المختلفة .

ومن خلال زياراته المتعددة للعديد من مدن المخلاف السليماني واليمن والحرمين الشريفين ، تمكن عاكش من بناء علاقات قوية مع الشخصيات السياسية والعلمية المعروفة آنئذٍ ، حيث كان يتبادل معهم الرسائل ، والقصائد الشعرية ، والزيارات ، حتى أصبح مهيأ أكثر من غيره لتقديم صورة حقيقية عن المنطقة في تلك الفترة ، ولعل قربه الشديد من الأسرة الحاكمة في « أبو عريش » وثقة الشريف الحسين بن علي بن حيدر به بحيث كان يرافقه في معظم أسفاره ، مكنه من الاطلاع على خفايا الأمور ، وجعل أعماله ترقى إلى منزلة عالية من الشمول والمكانة العلمية .

ومن هنا يُمكن القول بأن « الديباج الخسرواني » يعد من أدق وأشمل المصادر العلمية التي تحدثت عن المنطقة خلال الفترة التي تحدث عنها المؤلف .

(ب) المؤلف ومنهجه في الكتاب :

المؤلف هو : الحسن بن أحمد بن عبدالله بن عبدالعزيز الضمدي المعروف بـ « عاكش » ، وقد كتبتُ عنه ترجمة مفصلة شملت نشأته ، وشيوخه ، وحياته العلمية والعملية ، ومذهبه ، ومؤلفاته ، ومنهجه في التأليف ، وأسلوبه ، وطريقته في الكتابة ، وذلك في مقدمة التحقيق لكتاب « حدائق الزهر في ذكر الأشياخ أعيان الدهر » ، الذي قمتُ بتحقيقه ودراسته والتعليق عليه ثُمَّ نشره عام ١٤١٣هـ ، فللمزيد من الاطلاع آمل العودة إلى الكتاب المذكور الذي يعد رقم (١) في سلسلة دراسات في تاريخ عسير وجازان .

إلا أنني سأشير هنا إلى بعض النقاط التي تتعلق بهذا الكتاب :

١ - قام المؤلف بتقسيم كتابه إلى مقدمة وثلاثة فصول ، فالمقدمة تحوي ثلاثة فصول ، هي :

(أ) بداية التأريخ وكيفية تدوينه .

(ب) ماهية علم التاريخ وأهميته .

(جـ) ملخص تاريخي عن المخلاف السليماني حتى بداية عهد الشريف حمود .

أمَّا الفصول الثلاثة الأساسية فهي :

(أ) ذكر الشريف حمود وأيامه (ويدخل ابنه أحمد ضمن هذا الفصل) .

(ب) ذكر الشريف علي بن حيدر .

(جـ) ذكر الشريف الحسين بن علي بن حيدر .

وقد اتبع عاكش منهجين مختلفين في هذا الكتاب :

١ - في المقدمة وخاصة في الفصل الثالث منها سار في تأليفه على طريقة الوحدات السياسية ، فتحدث عن أشراف المخلاف السليماني ، ثُمَّ أشراف مكة ، ثُمَّ أئمة اليمن .

٢ - في الفصول الرئيسة الثلاثة اتبع المنهج التاريخي التسلسلي عبر السنين مبتدئا بعام ١٢١٧هـ ومنتهيًا بعام ١٢٧١هـ .

ومن الملحوظ أن المؤلف قد بذل جهودًا كبيرة في الاطلاع على المصادر المعاصرة وضمّنها كتابه هذا ، حيث تظهر علميته وأمانته في توثيقه للمعلومات من مصادرها المختلفة كتبًا أو نقلاً عن الرجال المعاصرين للحدث .

ومن الملحوظ أيضًا أن المؤلف لم يستطع التغلب على عاطفته تجاه الأشراف « آل خيرات » على الرغم من محاولته أن يكون موضوعيّاً ، ولعل ذلك لأنه كان يؤلف « الديباج » في فترة حكم الشريف الحسين بن علي بن حيدر .

وقد قام المؤلف بتصحيح بعض المعلومات وأشار إلى ذلك في الهامش بتوقيعه أو بلفظ : صح أصل .

وقد وضَّح منهجه في الكتابة قائلاً : (... وأتحرى في ذلك الصدق الذي هو حلية الأخبار ، وأستعمل الإنصاف في إيراد المناقب والإصدار ، وأتجنّب الهوى في المدح والقدح لأن الهوى عار على أهل العلم وأي عار ، والإنسان مسؤول عما جرى به القلم فإنه أحد اللسانين كما ورد ، والعاقل لا يرضى أن يدخل على نفسه ضرراً أخرويًا فيما انتحاه وقصد ، والتزمتُ أن لا أترجم لأحد من العلماء إلا من قد عرفته وانتقل من هذه الدار ، ولا أقلد في الإطراء ولا في ضده لأن ذلك عند جميع العقلاء مذموم في جميع الأعصار ، ولا أترك الاستطراد بما فيه ترويح لذوي الأفهام حتى يأخذ كل مطالع فيه على قدر استعداده ، ويستفيد المتأمل نهاية قصده وغاية مراده ، ولا أورد فيه إلا حاصل القصة وجملتها من غير تفصيل ، وأثبت ما بلغني منها من طريق أرضاه من غير إيجاز مخل ولا تطويل ، ولم أعتن بذكر الشهور والأيام ، بل ألتزم ذكر الأعوام ، وما لم يبلغني فيه من الأعوام شيء من الحوادث لا أذكره ولا أطول بذكره الكلام ، ولا أستعمل التسجيع في جميع الألفاظ ، ولا مراعاة البدائع اللفظية التي هي قيد ألحاظ لأني قد رأيت من استعمل ذلك من أهل التاريخ لا يخلو كتابه من التكلف في ذلك الصنيع ، وقد يسأمه الناظر لما حواه من الوقوف تحت قيد البديع)(١) .

وعلى الرغم من أن المؤلف قد وضع لنفسه هذا المنهج إلا أننا نراه يخرج عنه في بعض المواقف مثل استخدام السجع ، والثناء المفرط على الأشراف وتسويغ أعمالهم ، كما سيراه القارئ في تضاعيف الكتاب .

(١) انظر: ص ٤٢ ، ٤٣.

ومما يلاحظ أيضًا أن الكتاب ليس بين واقعه وعنوانه انسجام ، فهو كما يوحي عنوانه يفترض أنه يختص بتاريخ أعيان ذلك المكان من المخلاف السليماني ، لكن الواقع أن مؤلفه حاطب لكل ما وقع في طريقه ، فهو إن انفتح له باب شعر بالغ فيه ، وإن عنّ له مصطلح أطلق قلمه فيما قيل عنه ، وإن عرض له مصطلح شرعي خاض فيه ، وإن كان ذلك مما لا يدخل في مجال الحديث ولكنه من باب الاستطراد الممل أحيانًا .

والكتاب كتب بنظرة انتقائية ، وليست منطلقة من نظرة علمية : فهو موجه للكتابة بتحيز ظاهر عن بعض العائلات ممن استوطن المخلاف السليماني ممن ذكر المؤلف أنهم من آل البيت النبوي على صاحبه الصلاة والسلام، ومع الإقرار بفضل أولي الفضل والتقى من أولئك إلا أن المؤلف لم يخف تشيعه لهم وتجاوز الحد المقبول في هذا الاتجاه والتحامل على كل من اختلف معهم دون النظر في واقعية الخلاف وأسبابه : ولهذا تضمن ما ساقه من شعر ونثر إطراءً مبالغًا فيه خرج بالكتاب عن التأريخ الواقعي إلى الكتابة العاطفية الانتقائية بل المزاجية أحياناً .

والمؤلف - عفا الله عنه - غير مستقر في أحكامه فمرة تجده يميل للإنصاف وما يلبث أن ينقض ما بناه في الموطن نفسه أو قريبًا أو بعيدًا منه، وهذا واضح تمامًا في موقفه من دعوة الإصلاح التي قام بها الشيخ محمد بن عبدالوهاب وناصرها الأئمة من آل سعود، رحم الله الجميع رحمة واسعة .

والكتاب في بعض مواضعه فيه تحامل شديد على أهل نجد وأصحاب نجد، وصاحب نجد، ويقصد بذلك أنصار الدعوة حتى ولو لم يكونوا ممن عاش في مقرها التي ظهرت فيه، وفي سياق شُبَه مطلقة عن الدعوة وأصحابها وأنصارها، وادعاءات كررها وكررها أعداؤها والمناهضون لها، من تكفير عامة الناس وسلبهم وإباحة دمائهم وأموالهم.

إلى آخر ما يروج له المشوهون للدعوة ولمن ناصرها على الرغم من إشاراته التي تدل على تراجعه عن هذا الموقف.

وهذا ظاهر في مواطن كثيرة وإن كان - من باب الحقيقة - قد ذكر في موطنين ثناءً منصفًا على الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله لكن أفسد هذا بكثير من الكلام وسياق متكرر لما قيل عنها ظلمًا ومخالفة للحقيقة التي هي عليها.

كما يلاحظ أيضًا سياق المؤلف لعديد من القصائد بمدح غير مقبول واطراء غير لائق في حق المعجب بهم وقصائد أخرى فيها بخس واضح للخلفاء الراشدين - رضي الله عنهم وأرضاهم - وادعاء أحقية علي رضي الله عنه بالخلافة بعد رسول الله ﷺ على من تقدمه من الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم جميعًا ، كما يظهر في هذه القصائد خاصة الجفوة في حق معاوية رضي الله عنه وهو ممن له شرف الصحبة. ومهما كان من الخلاف الذي يلزم المسلم أن يمسك عنه وعن الخوض به ويوكل الأمر إلى الله سبحانه وتعالى .

وقد تم التعليق على كثير من هذه المواضع التي ظهرت الحاجة الملحة للتعليق عليها لبيان الحق لأنه يصعب التعليق عليها جميعًا فالمؤلف يكرر الكلام في مغالطات إن تم التعليق عليها جميعًا طال المكتوب وخرج الأمر عن المقصود وإن تركت فتركها لافت للنظر، لذلك تم التعليق على كثير من هذه المواضع التي فيها فكرة جامعة دون تتبع لجميع شطحات المؤلف عفا الله عنه .

أمَّا أسلوب المؤلف وطريقته في الكتابة فقد تمت معالجتها والحديث عنها بالتفصيل في مقدمة المحقق في كتاب « حدائق الزهر » حيث إنَّ أسلوب المؤلف وطريقته في الكتابة واحدة فيمكن الرجوع إليها هناك .

(ج) وصف المخطوطات المستخدمة في التحقيق :

ثلاث مخطوطات استخدمتُ في التحقيق هي :

١ - **الأصل** : وهو محفوظ في المكتبة الخاصة بالسيد / زيد بن محمد المدير ، أحد أحفاد الشريف الحسين بن علي بن حيدر الذي يسكن في قرية « الحمى » بالقرب من مدينة « ضمد » في منطقة جازان ، وقد تكرم مشكوراً بتسليمه إليَّ للاستفادة منه أثناء التحقيق لأنه بخط المؤلف نفسه ، ولكنني فقدته للأسف ضمن مجموعة كبيرة من أوراقي العلمية والوثائق التي حصلت عليها من القاهرة وإستانبول حينما كنت عائدًا على متن الخطوط السعودية من رحلتي العلمية التي زرت فيها منطقة جازان واليمن والقاهرة وإستانبول .

ولحسن الحظ أنني أملك صورة للمخطوط وصورًا فوتوغرافية لها مكنتني من الاستمرار في التحقيق .

وقد أشار المؤلف إلى أنه بدأ الكتابة قبل عام ١٢٦٦هـ / ١٨٤٩م حيث قال : (وهو - يعني الشريف الحسين - إلى حال رقمه يتفيؤ ظلال الإمارة)[١] ، وأشار إلى الشريف محمد بن عون بقوله : (وهو إلى حال هذا التاريخ إمارة مكة إليه)[٢] .

وأصل المخطوط ناقص في بدايته ونهايته ، في البداية ينقصه ثلاث ورقات ، أمَّا النهاية فغير واضح ما فقد منها ، ومن ذلك بدون شك التوثيق الخاص بالمؤلف الذي يأتي في نهاية كل مخطوط موضحًا اسم

---

(١) الديباج ، ص (٣٤) ، وقد عزل الشريف الحسين من منصبه في أواخر (١٢٦٦هـ) حيث غادر « أبو عريش » في طريقه إلى الحجاز في المحرم (١٢٦٧هـ). أنظر : حوادث عام (١٢٦٧هـ) في هذا الكتاب.

(٢) عزل الشريف محمد بن عون من إمارة مكة المكرمة عام (١٢٦٧هـ) ثُمَّ أعيد عام (١٢٧٢هـ) وأنا أرجح أن المؤلف يقصد الفترة الأولى من ولاية الشريف محمد بن عون حيث توقف عند أحداث (١٢٧١هـ) .

الناسخ وزمان النسخ ومكانه ، إلا أننا استطعنا الجزم بأن الأصل بخط المؤلف نفسه بطريقين :

(أ) مقارنة الخط في هذا المخطوط بخط المؤلف في كتبه : « حدائق الزهر » و « فتح المنان » و « الدر الثمين » التي ختمت بتوقيعه .

(ب) هناك بعض الإشارات في هامش المخطوط عبارة عن تصويبات وقّع عليها المؤلف بنفسه كاتبًا اسمه مثل ما ورد في ورقة رقم (٤٠) من المخطوط في الهامش: « ترجمة الوالد محلها هنا وإنَّما غلط الكاتب لأنَّ وفاته سنة اثنتين وعشرين ، يعلم ذلك.. كاتبه حسن بن أحمد».

إضافة إلى استخدامه لفظ : « صح أصل » في كثير من التعليقات والإضافة والتعديلات في هامش المخطوط .

وتحتوي نسخة الأصل على (٢٧٢) ورقة تَمَّ التعامل معها على أساس (أ) للورقة اليمين و (ب) للورقة الشمال فأصبح ترقيم المخطوط (١٣٦) ورقة مزدوجة ، وذلك بصرف النظر عن الأوراق المفقودة التي أضيفت أثناء التحقيق من المخطوطات الأخرى .

وأوراق المخطوط قديمة ومقاسها طولاً (٢١ سم) وعرضًا (١٥سم) تقريباً ، والكتابة الفعلية في كل ورقة تغطي مساحة بطول (١٦ سم) وعرض (١٠ سم) تقريبًا.

ومتوسط عدد الأسطر في كل ورقة حوالي (١٩ سطرًا) ، ولكن في بعض الحالات قد يصل إلى (٢٢ سطرًا) .

وخط المؤلف جميل إلى حد كبير ، وهو أقرب إلى النسخ مع استدارة في بعض الحروف ، ويستخدم المؤلف علامات الترقيم على شكل نقط باللون الأحمر للفصل بين عبارات السجع أو في نهاية العبارات ، وللفصل بين أبيات الشعر .

العناوين والأعوام تكتب بخط كثيف أحمر وتأتي ضمن السياق .

وهناك حالات قليلة تسقط فيها بعض نقط الإعجام في الحروف .

أمَّا الأخطاء الإملائية والنحوية فكثيرة ، وقد تم التعليق عليها بالتفصيل في مقدمة المحقق في كتاب « حدائق الزهر » للمؤلف الذي كتبه المؤلف بخط يده ، وقد أدهشتني كثرة الأخطاء الإملائية والنحوية لدى المؤلف في هذا المخطوط وغيره من المخطوطات التي حققتها التي كتبها بيده شخصيًا .

ومن فائض القول الإشارة إلى أنني قد استخدمتُ هذه النسخة أصلاً أثناء التحقيق ، ويتم الإشارة إليها بكلمة : أصل .

٢ - **مخطوط مكتبة القاضي إسماعيل الأكوع** : هذه النسخة كتب على غلافها الخارجي العنوان الآتي : « هذا المجموع يسمى المخلاف السليماني واستيلاء الملوك عليه » .

ويرجع إليه بعض الباحثين على أنه مؤلف مستقل للمؤلف باسم : المجموع ، وهو في الحقيقة نسخة من الديباج .

وهو محفوظ في مكتبة القاضي إسماعيل الأكوع الخاصة بصنعاء ، وتوجد منه نسخة في مكتبة جامع صنعاء الغربية برقم (٣٢١) مصورة على ميكروفيلم برقم (٥١) ، وتوجد نسخة منه منقولة إلى معهد المخطوطات العربيَّة تَمَّ تصويرها في يوم السبت ١٩ رمضان ١٣٩٤هـ .

وفي صفحة العنوان كتب : « المؤلف لهذا المجموع العلامة القاضي حسن عاكش قاضي أبي عريش » ، ويتوقف في نهاية الورقة رقم (٤٦٩) ، يليه ورقة رقم (٤٧٠) مطموسة ثُمَّ رقم (٤٧١ - ٤٧٣) ورد فيها قصيدة للقاضي أحمد الإبي على لسان الشيخ علي بن يحيى حميدة صاحب باجل

يستنصر بالأمير عائض بن مرعي أمير عسير عليه ، ويذكره بالعهود السابقة ، وقد أهملت لأنها خارج سياق المخطوط .

ولا توجد معلومات في نهاية هذه النسخة توضح اسم الناسخ وزمان النسخ ومكانه ، إلا أن من الملحوظ أن ناسخها كان يدخل الإضافات التي في هامش الأصل إلى موقعها الصحيح ضمن السياق ، ولعلها كتبت بعد وفاة عاكش .

وقد استخدم الناسخ الحبر الأسود في كتابتها بالخط النسخي المعتاد ، وفي حدود ثمانية عشر سطرًا في الورقة الواحدة ، ومقاس هذه النسخة (٢٥ سم) طولاً و (١٨ سم) عرضًا ، وقد كتبت العناوين بالحبر الأحمر ، ولا توجد وقفات في نهاية الفقرات ، فالمخطوط من البداية إلى النهاية على نمط واحد وبكامل الأسطر والورقات .

ويستخدم الناسخ الخط الكثيف لتحديد بداية الأعوام والحوادث .

وأخطاؤها الإملائية والنحوية قليلة نسبيًا ، أمَّا علامات الترقيم فشبه معدومة ، ويكتب الشعر على شكل أسطر متواصلة على عكس النمط المعتاد لكتابته ، وهناك بعض التعليقات في الهامش ، من الناسخ تارة على المؤلف ، وتارة على بعض المعلومات ، وقد استخدمت هذه النسخة نسخة ثانية للمقارنة ورمز إليها بالحرف (ص) .

٣ - **مخطوط مكتبة الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي** : هذه النسخة عرفت تاريخيًا باسم : « الذهب المسبوك في ذكر من ظهر في المخلاف السليماني من الملوك » ، ولها عنوان آخر أيضًا هو : «الذهب المسبوك في سيرة سيد الملوك الحسين بن علي بن حيدر » .

وبعد دراسة عميقة ومتأنية لهذه النسخة وبمقارنتها بالنسختين السابقتين إضافة إلى غيرها من مؤلفات عاكش فإننا نجزم بأنها ليست عملاً مستقلاً للأسباب الآتية :

١ - بمقارنتها بالديباج الخسرواني نجد أنها تتطابق مع ما ورد فيه من معلومات ، بل إن ناسخها يدخل التصحيحات التي كتبها عاكش في هامش الأصل إلى موقعها ضمن السياق .

٢ - من الملحوظ أن أطول الفصول في الديباج هو الفصل الثالث الذي تحدث عن الشريف الحسين بن علي بن حيدر ، وفي ذلك مغزى سنناقشه بعد قليل .

٣ - في « حدائق الزهر » المكتوب بخط المؤلف نفسه - وتوجد صورة المخطوط لدى الباحث - نجد عاكشا يقول في الورقة (٤) : « ... وقد ذكرت تفصيل ذلك في تاريخي المسمى الذهب المسبوك فيمن ظهر في المخلاف السليماني من الملوك » ثُمَّ يقوم المؤلف بشطب : الذهب المسبوك فيمن ظهر في ... ثُمَّ يشطب كلمة : من الملوك . تاركًا كلمة : المخلاف السليماني ، ويكتب التصحيح الآتي : « الديباج الخسرواني في أخبار أعيان المخلاف السليماني » .

ولمزيد من المناقشة والتوضيح فإننا نتوقع أن الديباج الخسرواني ظهر في صورته الأخيرة بعد أن مر بثلاث مراحل على النحو الآتي :

١ - في البداية كان يسمى « الذهب المسبوك في سيرة سيد الملوك ». حيث خصصه المؤلف لسيرة الشريف الحسين بن علي بن حيدر . حيث إنه بدأ كتابته له في أثناء توليه السلطة ، وكما أشرنا في الرقم (٢) من الأسباب الآنفة الذكر أن أطول الفصول هو ذلك المتعلق بسيرة الشريف الحسين .

٢ - بعد أن أضاف إليه الفصول الخاصة بالشريف حمود بن محمد أبو مسمار ، والشريف علي بن حيدر ، قام بتعديل العنوان ليصبح : « الذهب المسبوك في ذكر من ظهر في المخلاف السليماني من الملوك » ، وقد أشار إلى ذلك عرضًا في ص (٨٢) من هذا الكتاب

حيث قال : « فقد انحصر هذا التاريخ على ذكر هؤلاء الثلاثة الملوك » .

٣ - قام المؤلف بعد ذلك بإضافة بعض التراجم الخاصة بالأعيان المشهورين في المخلاف السليماني ، ومن هنا لم يعد الديباج مقتصرًا على الملوك فقط ، ومن ثَمَّ اختار المؤلف له العنوان الأخير وهو : «الديباج الخسرواني في أخبار أعيان المخلاف السليماني» .

وهذه النسخة المعروفة باسم الذهب المسبوك تم استخدامها لتكون نسخة ثالثة للتحقيق ، وقد نسخها عبده بن علي النعمي عام ١٣٥٢هـ / ١٩٣٣م ، بخط نسخي كثيف نسبيًا ، وعدد أوراقها (٢١٤) ورقة ، وتتراوح الأسطر في كل ورقة بين (٢٠ - ٢٦ سطرًا) ، وطول صفحاتها (٢٠ سم) وعرضها حوالي (١٣ سم) ، والكتابة فيها تستغرق حوالي (١٦ سم) طولاً و (٩ سم) عرضًا .

والخط فيها مقروء وواضح إلا أنه غير منظم في بعض الأحيان ، ولا توجد علامات ترقيم أو فواصل على الإطلاق ما عدا النقاط الكبيرة للفصل بين صدر البيت وعجزه في القصائد الشعرية .

وقد ظهر لي أن الناسخ في الفصل الثاني المتعلق بسيرة الشريف علي بن حيدر أصبح أكثر مللاً في النقل ، فأخذ يحذف ويختصر في المعلومات ويشير إلى ذلك بقوله : تركته اختصارًا ، ومن ثَمَّ فقد استخدمت للمقارنة حتى نهاية الفصل الثاني فقط ثُمَّ استبعدت في الفصل الثالث المتعلق بالشريف الحسين بن علي بن حيدر إلا في الحالات الضرورية جداً ، وقد تم الإشارة إليها أثناء التحقيق بحرف (ع) .

(د) منهج التحقيق :

بدون تردد قَدْ جعلتُ الأصل النسخة الأم ، وأشرتُ إليها بلفظ : أصل ، واستخدمتُ نسخة « صنعاء » للمقارنة ورمزتُ إليها بحرف (ص) وكذلك نسخة « العقيلي » وأشرتُ إليها بحرف (ع) . وقد بذلت قصارى جهدي في سبيل إخراج النص في أقرب الصور التي يريدها مؤلفه .

وعلى الرغم من أن المؤلف عالم بارز إلا أنه كان يتهاون في التزام قواعد الكتابة الصحيحة أو حتى قواعد اللغة العربيَّة ، ومن ثَمَّ كان عليَّ أن أجيل يد التعديل في بعض الألفاظ والعبارات التي تتضمن مخالفة صريحة لقواعد اللغة العربيَّة أو قواعد الكتابة الصحيحة لكي يخرج النص في صورة عصرية مناسبة .

كما أنني لم أستعرض تلك الأخطاء الإملائية والنحوية في الحاشية عند ورودها وذلك لكثرتها ، ولكنني أشير من حين إلى آخر إلى شيء من ذلك حتى يطلع القارئ الكريم على بعض ما ورد في المخطوط من أخطاء ، ولكني أثبت الصحيح دائمًا في المتن إلا في بعض الحالات التي أجد للمؤلف فيها وجهة نظر ، أو للدلالة على طريقة المؤلف في الكتابة .

وقد قمتُ خلال تحقيقي لهذا المخطوط بما يأتي :

١ - أدخلتُ إضافات المؤلف الهامشية إلى مكانها الصحيح في المتن وحسب إشارة المؤلف إلى ذلك .

٢ - استكملتُ النقص الموجود في الأصل من نسخة (ص) مقارنة مع نسخة (ع) وأشرتُ إلى ذلك في الحاشية .

٣ - استخدمتُ طريقة الأرقام المزدوجة في ترقيم صفحات الأصل : ١/أ ، ١/ب ؛ ٢/أ ، ٢/ب ، وهكذا ؛ وكتبتها ضمن المتن . أمَّا نسخة (ص) فقد أشير إليها في الهامش ، وتم استبعاد وضع الأرقام لنسخة (ع) لأنها لا تستمر معنا إلى نهاية المخطوط .

٤ - لما كان المؤلف لا يلتزم بأصول الترقيم فقد كان لزامًا عليَّ أن أرقم النص بما يتفق مع قواعد الترقيم المتبعة .

٥ - قمتُ بالتعليق على بعض الأحداث التاريخية ووضحتُ وجه الصواب في بعضها .

٦ - قمتُ بتنظيم المخطوط وفق تقسيم المؤلف إلا أنني جعلتُ كل فصل - سواء فصول المقدمة أو فصول الكتاب - بشكل مستقل .

٧ - جعلتُ الأعوام تطبع بخط كثيف وكذلك بعض الكلمات التي يستخدمها المؤلف لبداية الحدث مثل : وفيها ... : وفي ثاني .. إلخ .

٨ - قمتُ بعزو الآيات القرآنية ذاكرًا السورة ورقم الآية ، كما خرّجتُ الأحاديث النبوية والأمثال والحكم .

٩ - حاولتُ إصلاح بعض أبيات الشعر الواردة بالعودة إلى مظانها ، أو إصلاحها بنفسي إذا لم أجد لها مرجعًا ، معتمدًا على ملكتي المتواضعة ، كما بينت بحور الشعر ، وخرّجتُ القائل بقدر المستطاع .

١٠ - عرّفتُ بالأعلام المهمين وبعض الشخصيات التي أشار إليها المؤلف موضحًا اسم الشخص وأبرز ما اشتهر به وتاريخ الوفاة .

١١ - عرّفتُ بالكتب الواردة خاصة ما يتعلق منها بالمنطقة مشيرًا إلى المطبوع منها قدر المستطاع .

١٢ - التعريف بالأماكن الجغرافية الواردة ، وخاصة الواقعة في المنطقة ، تاركًا المشهور منها وكذلك القبائل والبطون .

١٣ - شرحتُ بعض الألفاظ الغريبة الواردة في الكتاب العامي منها والفصيح .

١٤ - عدتُ إلى بعض الكتب التي نقل منها المؤلف وأشرتُ إلى ذلك في الحاشية .

١٥ - وختامًا صنعتُ له كشّافات للآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ،

والأعلام ، والقوافي ، والأماكن والبلدان ، والفرق والطوائف والأمم والقبائل ، والكتب ، والسنوات .

ثانيا - توطئة تاريخية :

يحتل المخلاف السليماني (منطقة جازان حاليًا) مكانًا مهمًا في تاريخ جنوب غرب الجزيرة العربيَّة لأسباب جغرافية وسياسية واقتصادية .

ويشغل المخلاف السليماني المنطقة الساحلية الواقعة بشكل تقريبي بين خط عرض ١٦ ْ- ١٨ ْوخط الطول ٤٢ ْ - ٤٤ ْ، ويحده شمالاً وادي حلي ابن يعقوب وجبال عسير . وجنوبًا الحدود السعودية اليمنية حاليًا (وقديمًا شرجة حرض) ، وشرقًا جبال السروات ، وغربًا البحر الأحمر ، وبشكل عام يُمكن القول : إنه كان يشغل المنطقة الجنوبية الغربية من المملكة العربيَّة السعودية التي تعرف حاليًا باسم منطقة « جازان »[١].

وكان يمثل حاجزًا سياسيا بين قوتين رئيستين في الجزيرة العربيَّة هما الأشراف في الحجاز والأئمة الزيدية في اليمن ، إضافة إلى كونه من أكثر مناطق الجزيرة العربيَّة خصوبة في الأرض ، ووفرة في المياه . وكثافة في السكان .

وقد أطلق اسم المخلاف السليماني على هذه المنطقة لتمييزه عن غيره بناء على اسم الحاكم المستقل الأول سليمان بن طرف الحكمي الذي قام بتوحيد مخلافي « حكم » و « عثر » تحت سلطانه ، ومارس السلطة بعيدًا عن نفوذ الحاكم الزيادي في اليمن للفترة من ٣٧٣ - ٣٩٣ هـ[٢]، واستمر تاريخ المخلاف السليماني يظهر أحيانًا عبر المراجع والمصادر

(١) العقيلي ، المعجم الجغرافي ، ١٧ .
(٢) الزيلعي ، الأوضاع السياسية ، ١٩ وما بعدها .

المحلية أو تلك التي تناولت تاريخ اليمن بشكل عام ، إلا أنه كان يمثل وحدة سياسية مستقلة وإن تأثرت كغيرها بالأحداث السياسية شمالاً وجنوبًا ، خاصة أنه يمثل معبرًا أساسيًا للقوات الغازية لليمن البرية والبحرية على حد سواء .

وإنه من الضروري للقارئ الكريم أن يتعرف على الأوضاع السياسية في المنطقة للفترة التي سبقت الأحداث التي تحدث عنها مؤلف هذا الكتاب ، أي ما قبل (١٢١٧هـ) وكيفية وصول « آل خيرات » إلى حكم المنطقة.

ففي الفترة ما بين (١٠٩٧ - ١١١٠هـ / ١٦٨٥ - ١٦٩٨م) كانت اليمن رهينة للصراع الطويل بين الأئمة الثمانية الذي انتهى بوصول المهدي محمد بن الحسن إلى سدَّة الحكم إمامًا لليمن(١) ، ثُمَّ ظهر النزاع مرة أخرى بعد وفاته حتى تمكن المنصور حسين بن القاسم من السيطرة على زمام الأمور عام (١١٣٩هـ/ ١٧٢٦م)(٢) .

وخلال هذه الأحداث والصراعات بين مدعيي الإمامة في اليمن كان المخلاف السليماني يتمزق بين عدة قوى محلية مثل الخواجيين في « صبيا » وما جاورها ، وآل قطب الدين في منطقة « بني الحارث » ، وبقية المخلاف من « ميدي » جنوبًا يديره على ضعف والي « اللحية » اليمني .

وفي الحقيقة أن الباحث في تاريخ المخلاف السليماني خلال تلك الفترة يجد صعوبة كبيرة في رسم الصورة الكاملة لمسار الأحداث والأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية ما عدا فترة حكم الشريف

(١) الحداد ، تاريخ اليمن السياسي ٢/٢٢٠ .
(٢) نفسه ٢/٢٢٧ .

أحمد بن غالب الذي تولى إمارة المخلاف خلال الفترة من (١١٠١ - ١١٠٥هـ/ ١٦٨٩ - ١٦٩٣م)(١) .

ويعود تاريخ الأسرة الخيراتية التي حكمت المخلاف السليماني لفترة قرن ونيّف من الزمان إلى قيام أحد أشراف « مكة » وهو خيرات بن شبير بن بشير بن أبي نمي بالاستقرار في « أبو عريش » قادمًا من « مكة المكرمة »(٢) ، وذلك خلال فترة حكم الإمام الزيدي المتوكل إسماعيل (١٠٥٣ - ١١٠٨هـ / ١٦٤٣ - ١٦٩٦م) .

وليس هناك ما يشير إلى الأسباب التي دفعت الشريف خيرات إلى مغادرة « مكة المكرمة » واختيار « أبو عريش » للإقامة والاستقرار الدائم ، ويُمكن حصر اجتهادات المؤرخين في تحليل سبب خروجه من « مكة المكرمة » في ثلاثة آراء رئيسة هي :

١ - أن خروجه من « مكة المكرمة » بسبب ضعف المذهب الزيدي الذي يعد أحد أتباعه ومؤيديه(٣) .

٢ - أن ذلك كان بسبب الاضطرابات السياسية في « مكة المكرمة » وتفاقم الصراع بين الأشراف « ذوي زيد » والأشراف « ذوي بركات » الذي أدى إلى هجرة العديد من الأشراف المرموقين إلى خارج (مكة المكرمة)(٤) .

٣ - أن الشريف خيرات كان يتطلع إلى تحقيق طموحاته السياسية بإقامة إمارة خاصة به في المنطقة(٥) .

(١) لمزيد من المعلومات حول هذه الفترة انظر : علي البهكلي ، العقد المفصل بالعجائب والغرائب في دولة الشريف أحمد بن غالب ، حققه محمد بن أحمد العقيلي ، مطابع دار البلاد ، جدة .
(٢) البهكلي ، خلاصة العسجد ، ١١ .
(٣) نفسه ، ١٢ .
(٤) العقيلي ، المخلاف السليماني ١/٣٨٨ .
(٥) العقيلي ، نفسه ، الصفحة نفسها .

وفي ظل عدم وجود ما يثبت أي من النظريات أو يشد برهان إحداها يُمكن القول : إنّ من الممكن أن تكون كل هذه العوامل قد تضافرت جميعها للتأثير في الشريف خيرات لاتخاذ قراره بالخروج من « مكة المكرمة » والاتجاه إلى المخلاف السليماني والاستقرار في « أبو عريش » .

وبعد وصول الشريف خيرات إلى المخلاف السليماني بفترة قصيرة اتجه إلى « صنعاء » لمقابلة الإمام المتوكل الذي استقبله بكل حفاوة وتقدير(١) ، وبعد عودته إلى « أبو عريش » انصرف إلى الحياة العلمية والفكرية لإثبات قدراته وإمكاناته ، وقام بتدريس علوم اللغة العربيَّة وآدابها وانتفع به كثير من أبناء المنطقة ، وقد حافظ على صلاته الوثيقة مع إمام « صنعاء » وغيره من الشخصيات المهمة في المنطقة حتى تاريخ وفاته(٢) ، ولم نجد في المصادر التي تحدثت عن المنطقة ما يشير إلى تاريخ وفاته .

واعتمادًا على ثروته وقدراته الفطرية إضافة إلى نسبه فإن الشريف خيرات قد استغل الظروف السائدة في اليمن والمخلاف السليماني آنذاك ليضع الأسس التي يُمكن أن تقوم عليها إمارته المستقلة التي ساعدت فيما بعد حفيده أحمد بن محمد بن خيرات ليصبح الحاكم الفعلي في « أبو عريش »(٣) .

ففي عام (١١٤١هـ / ١٧٢٧م) قام الأعيان والتجار المقيمون في « أبو عريش » بمناقشة الأوضاع المتردية في المنطقة بسبب غياب حاكم قوي يمسك بزمام الأمور ، واختاروا الشريف أحمد بن محمد حاكمًا

(١) البهكلي ، المرجع السابق ، ١٢ .

(٢) نفسه .

(٣) نيبور ، رحلات عبر الجزيرة العربيَّة ٥٤/٢ ؛ العقيلي ، المخلاف السليماني ٣٨٩/١ .

للمنطقة(١) ، ومن ثَمَّ بدأت أسرة « آل خيرات » حكمها للمخلاف السليماني الذي استمر قرابة قرن من الزمان .

لقد استمر حكم الشريف أحمد بن محمد حتى عام ١١٥٤هـ/ ١٧٤١م ، وقد تَمَيَّزَ عهده بالكرم والشجاعة والعدل حسب رواية مُؤرِّخه البهكلي في « خلاصة العسجد »(٢) ، وقد أشار الرحالة نيبور إلى أن الشريف أحمد قد ثار ضد الإمام محاولاً الاستقلال التام ، ولكنه فشل في ذلك(٣) .

وقد تولى الإمارة بعد وفاته ابنه الشريف محمد بن أحمد ، وقد تَمَيَّزَ عهده بالكثير من الاضطرابات والاحتجاجات من السكان على سوء إدارته واستغلاله لموارد السكان الاقتصادية خاصة أثناء صراعه مع قبائل « بني الحرث » و « بني مروان » و « بني شعبة » وقبائل « جبل فيفا » ، وذلك لسد الديون الخاصة بقبائل « يام » التي كان يستعين بها لتحقيق أهدافه السياسية ضد معارضيه .

ويُمكن الاطلاع على التفاصيل الخاصة بحكم الشريف محمد بن أحمد في كتاب عبدالرحمن بن حسن البهكلي « خلاصة العسجد في دولة الشريف محمد بن أحمد » الذي حققه الزميل د . هاني مهنا لنيل درجة الدكتوراة من جامعة « درهم » في بريطانيا عام ١٩٨٥ م .

وفي ٢٧ من ذي الحجة عام (١١٨٤هـ / ١٧٧٠م) توفي الشريف محمد بن أحمد بعد أن عهد بالإمارة إلى ابنه الثاني حيدر ، إلا أن أبناءه

(١) البهكلي ، المرجع السابق ، ١٤ ؛ العقيلي ، المخلاف السليماني ، ٣٨٩/١ ، وقد ذكر العقيلي أن اسم مبعوث التجار والأعيان إلى عبده جوهر : علي سيد النعمي ، والصواب ما ذكر في الخلاصة .

(٢) انظر : ص ١٦ - ١٨ .

(٣) مرجع سبق ذكره ٥٤/٢ .

قاموا بمبايعة أخيهم الأكبر أحمد بالإمارة لأنه في نظرهم أولى بذلك[1] ، وقد دخل المخلاف السليماني حقبة سيئة في ظل الصراع الذي نشأ بين أبناء الشريف علي الإمارة حيث تولاها بعضهم مرتين أو ثلاث مرات على النحو الآتي[2] :

١ - أحمد بن محمد .. ثلاث مرات (١١٨٥ هـ ؛ ١١٩٠هـ ؛ ١١٩٣هـ).

٢ - يحيى بن محمد أربع مرات (١١٩٢ هـ ؛ ١١٩٨ هـ ؛ ١٢٠٠ هـ ؛ ١٢٠٤ هـ) .

٣ - علي بن محمد ثلاث مرات (١١٩١ هـ ؛ ١١٩٣ هـ ؛ ١١٩٩ هـ) .

٤ - حيدر بن محمد مرة واحدة (١١٨٦ هـ) .

وقد عانى سكان المخلاف السليماني الأهوال في ظل هذا الصراع نظرًا إلى تدخل عناصر خارجية تهدف إلى الاستيلاء على الأموال عن طريق إعانة أحد الأطراف على الآخر مثل قبائل يام وبكيل وهمدان وقحطان ووادعة وغيرهم ، التي كانت تحصل على مستحقاتها من السكان بالقوة إذا تعذر الحصول عليها من الأشراف.

ولم تستقر الأوضاع نسبيًا في المخلاف السليماني إلا بعد أن أُرهق الإخوة من الصراع فاتفقوا على أن يتولى الإمارة أكبرهم سنًا الشريف يحيى بن محمد ، وكان ذلك عام (١٢٠٤هـ / ١٧٨٩م) . وقد استمر حاكمًا للمخلاف السليماني حتى عُزل عنها سنة (١٢١٤هـ) وأسندت إلى الشريف علي بن حيدر[3] .

وقد قدم لنا البهكلي وصفًا متكاملاً لذلك الصراع في كتابه المخطوط « نزهة الظريف في دولة أولاد الشريف » .

(١) البهكلي ، خلاصة العسجد ، ١٦٩ .
(٢) انظر تفاصيل الصراع في « نزهة الظريف في دولة أولاد الشريف » للبهكلي ، مخطوط .
(٣) انظر : نزهة الظريف أحداث عام ١٢٠٤ هـ ، وجحّاف ، درر نحور الحور العين ، أحداث عام ١٢١٤ هـ .

تزامن ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ووصولها إلى المنطقة مع فترة حكم الشريف علي بن حيدر ، وذلك في عام (١٢١٥هـ / ١٨٠٠م) ، ويجدر بنا في سبيل إكمال صورة الأحداث في المنطقة قبيل الفترة التي يتحدث عنها المؤلف أن نلقي الضوء على وصول الدعوة السلفية إلى المنطقة والصراع الذي نشب بين أنصارها من ناحية وبين إمارة « أبو عريش » من ناحية أخرى وتطور الأوضاع السياسية في أسرة « آل خيرات » ووصول الشريف حمود بن محمد أبو مسمار إلى سدة الحكم .

من المعروف أن أصداء الدعوة السلفية قد وصلت إلى معظم أنحاء الجزيرة العربيَّة خاصة بعد خروج الدعوة من « نجد » وبداية صراعها مع الأمراء الآخرين كالأشراف في الحجاز وبني خالد في الأحساء ، وبذلك أصبحت الدرعية تستقطب الكثير من أبناء المناطق المختلفة الباحثين عن الحق والراغبين في صلاح أحوال العباد والبلاد ، وممن سعى إلى « الدرعية » من أبناء المخلاف السليماني شخصيتان مهمتان كان لهما الأثر الكبير في نشر الدعوة الإصلاحية ومبادئها وهما : أحمد بن حسين الفلقي أحد الأشراف آل الخواجي في «صبيا » ، وعرار بن شار الشعبي شيخ قبائل « بني شعبة » في مطلع القرن الثالث عشر الهجري حيث رحلا إلى « الدرعية » وتتلمذا لعلمائها فترة من الزمن[1] .

وفي عام (١٢١٥هـ / ١٨٠٠م) عاد كل إلى منطقته لنشر الدعوة السلفية ، وحيث إنَّ عرارًا أميرٌ لقبيلته فلم نجد ما يشير إلى أنه حمل معه رسالة من الدرعية مثل تلك التي حملها أحمد بن حسين الفلقي من الإمام عبدالعزيز بن محمد إلى الأمراء والأعيان في المخلاف السليماني ، التي أورد نصها الكامل عبدالرحمن البهكلي في

(١) العقيلي ، المخلاف السليماني ١/ ٤٤٠ - ٤٤٥ .

كتابه « نفح العود » المتضمنة الدعوة إلى المبادئ السلفية والحث على اتباعها ونشرها[١] .

وقد اتخذ الفلقي من قرية « الأثلة » في وادي « بيش » منطلقًا لدعوته نظرًا إلى قبول الأشراف الجعافرة للدعوة[٢] من ناحية ولتجاهل الأشراف « آل خيرات » لرسالة الإمام عبدالعزيز من ناحية أخرى ، ومن ثَمَّ بدأت الدعوة تجد صدى في المناطق المجاورة للجعافرة[٣] ، ممَّا جعل أمراء (أبو عريش) من « آل خيرات » يقررون التصدي لها ، خاصة أنَّ الفلقي ينتمي إلى أسرة « آل الخواجي » التي كانت تحكم في « صبيا » ممَّا يعني ظهور منافس جديد للسلطة .

وفي سبيل تأكيد سلطته على قبائل الجعافرة قام الشريف علي بن حيدر حاكم المخلاف السليماني آنئذٍ بطلب الزكاة منهم فأجابوه بقولهم : « زكاتنا ندفعها إلى إمامنا في الدرعية بواسطة الفلقي »[٤]، وفي هذا إنكار لإمارته دفعه لشن حملة قوية عليهم مستعينًا بقبائل « يام » ، إضافة إلى استنفار عمه الشريف حمود الذي كان منصرفًا عن الأمور السياسية ليكون أبرز قادة جيشه ، وكذلك طلب مشاركة أمير « صبيا » منصور بن ناصر وغيره من الأشراف « آل خيرات »[٥] .

وفي قرية « الحجرين » القريبة من « صبيا » كانت المعركة بين قوات أتباع الدعوة برئاسة الفلقي وقوات إمارة « أبو عريش » بقيادة الشريف علي ابن حيدر والشريف حمود بن محمد والشريف منصور بن ناصر ، وانتهت بهزيمة قاسية للفلقي وأنصار الدعوة من ناحية ، وبروز نجم الشريف

(١) انظر : الرسالة ص ٦٨ - ٨٩ ، وكذلك في الدرر السنية في الأجوبة النجدية لعبدالرحمن ابن قاسم ١٣٢/١ .
(٢) البهكلي ، نفح العود ، ٩٦ .
(٣) العقيلي ، محاضرات في الجامعات ، ١١ .
(٤) البهكلي ، نفح العود ، ٩٨ ؛ العقيلي ، محاضرات ، ١٢ .
(٥) البهكلي ، نفح العود ، ٩٨ .

حمود بن محمد بوصفه قوة لها تأثير مهم في المعركة من ناحية أخرى ، ومن ثَمّ بدأ التنافس بين الشريفين علي بن حيدر وعمه حمود بن محمد الطامح إلى السلطة واستمر لمدة ثمانية أشهر تقريبًا[١] .

على إثر هزيمة الفلقي توجه إلى « الدرعية » طالبًا النجدة حيث وجدت « الدرعية » أن دعاتها أحمد الفلقي وعرار الشعبي في حاجة إلى الدعم العسكري فقامت بإرسال حملة عسكرية بقيادة حزام بن عامر العجماني لنصرة أتباعها في المخلاف وإخضاعه لسلطتها[٢] . وتوجه حزام بقواته إلى المخلاف السليماني حيث انضم إليه أتباع الدعوة هناك ، واتجه إلى « أبو عريش » ، وفي قرية « الحجرين » تَمَّ التفاوض مع الأشراف عن طريق الوفد المكون من الشريف يحيى بن حيدر ، والشريف منصور بن ناصر ، وأحمد الضمدي (والد المؤلف) . وبين القوات السعودية، وانتهت المفاوضات بالاتفاق على « أن يقوم الشريف يحيى بن محمد بالعهد والدعوة في « أبو عريش » ، والشريف منصور بن ناصر في «صبيا» وأمورهما مناطة بأحمد الضمدي »[٣] .

ويذكر البهكلي أيضًا أنه أثناء هذه الأحداث حصل الصلح بين الشريفين علي بن حيدر وحمود[٤] على أن يتنازل علي بن حيدر عن الإمارة لصالح عمه الشريف حمود خاصة ، وأن معظم الأشراف « آل خيرات » كانوا يميلون إلى ذلك ، وكان ذلك أواخر عام (١٢١٥هـ)[٥] .

ومنذ تولي الشريف حمود مقاليد السلطة نجده يتخذ سياسة عدائية ضد الدعوة السلفية وأتباعها متجاهلاً الصلح الذي تم مع حزام العجماني ؛ خاصة أنَّ الشريف منصور بن ناصر قد أيد الدعوة الإصلاحية

(١) نفسه ، ١٠٠ ؛ العقيلي ، محاضرات ، ١٣ .
(٢) عبدالرحيم ، الدولة السعودية الأولى ، ١٧٥ .
(٣) البهكلي ، نفح العود ، ١٠٧ ؛ عبدالرحيم ، الدولة السعودية الأولى ، ١٧٦ - ١٧٧ .
(٤) المصدران السابقان ، الصفحة نفسها .
(٥) العقيلي ، محاضرات ، ١٣ .

وطبقها على رعاياه في إمارة « صبيا » وبذلك أصبح المخلاف السليماني مسرحًا للكثير من العمليات العسكرية بين أتباع الدعوة والشريف حمود كان الظفر فيها للشريف حمود(١) .

ونظرًا إلى ازدياد التوتر في المنطقة وسياسة الشريف حمود العنيفة ضد الدعوة وأتباعها قررت الدرعية إرسال حزام العجماني مرة ثانية في مطلع ربيع الأول عام (١٢١٧هـ / ١٨٠٢م) لنجدة الفلقي وعرار والشريف منصور ضد الشريف حمود ، وتمكنت الحملة من السيطرة على المنطقة الشمالية للمخلاف السليماني ووصلت إلى « ضمد » التي تعد خط الدفاع الرئيس للشريف حمود حيث تعسكر قواته بقيادة الحسن بن خالد الحازمي(٢) .

وفي « ضمد » هُزمت قوات الشريف حمود ، إلا أن حزام العجماني عاد بعد استيلائه عليها ولم يتقدم باتجاه « أبو عريش » لأسباب غير واضحة تاريخيا ، ومن ثَمّ أوكلت الدرعية مهمة المواجهة مع الشريف حمود إلى أمير عسير عبدالوهاب بن عامر أبو نقطة(٣).

وحيث إنَّ معركة « ضمد » تعد بداية سرد الأحداث لدى مؤلف هذا الكتاب فإنني أترك له الحديث عن تطور الأوضاع السياسية والعسكرية في المنطقة حيث بدأها بمعركة ضمد الآنفة الذكر .

---

(١) لمزيد من التفصيل حول الحملات السعودية وحملات الشريف حمود ضد أنصار الدعوة انظر : البهكلي ، نفح العود ، ١١٠ - ١١٨ .

(٢) البهكلي ، نفح العود ، ١١٩ ؛ عبدالرحيم ، الدولة السعودية الأولى ، ١٨٠ .

(٣) العقيلي ، محاضرات ، ١٥ - ١٦ ؛ البهكلي ، نفح العود ، ١٢٣ - ١٢٩ .

اصطلاحات

[ ] : تَمَّ استخدام هاتين الحاصرتين لأرقام الصفحات ، كما استخدمت للإشارة إلى إضافات المحقق المقترحة .

( ) : ما بين هذين القوسين ساقط في الأصل وتم إكماله من (ص) أو (ع) ويستخدم أيضًا لتحديد العبارات المختلفة بين النسخ .

(( )) : تم استخدام هذين القوسين المزدوجين لتحديد إضافات المؤلف الموجودة في هامش الأصل التي أدخلت إلى النص المحقق .

« » : للإشارة إلى الأحاديث النبوية ، والنصوص المنقولة والمخصصة وكذلك الأماكن الجغرافية والقبائل والفرق والكتب .

الأصل : المخطوط الأصلي المكتوب بخط المؤلف نفسه .

ص : نسخة صنعاء .. من مكتبة القاضي إسماعيل الأكوع الخاصة .

ع : نسخة جازان .. من مكتبة الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي الخاصة ، وهي المعروفة باسم : الذهب المسبوك فيمن ظهر في المخلاف السليماني من الملوك ، وهي محفوظة حاليًا في مكتبة جامعة الملك سعود بالرياض .

الديباج الخسرواني
في أخبار أعيان المخلاف السليماني

المسمى

« الذهب المسبوك فيمن ظهر في المخلاف السليماني من الملوك »

تأليف

الحسن بن أحمد « عاكش » الضمدي

(١٢١٩ - ١٢٩٠هـ / ١٨٠٤ - ١٨٧٣م)

[ص١]

/ (١) بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق الليل والنهار ، وجعلهما خلفة لمن أراد أن يتذكر من أولي الأبصار ، وميّز ذوي العقول بالتأمل في ساحة الاعتبار ، بما تجدد من حوادث الأيام في جميع الأعصار ، أحمده على تجدد نعمائه في كل آن ، وأشكره فهو الباقي وما سواه فهو فان ، وله الملك الدائم الذي لا يشوبه خلل فيما سبق ولا فيما غبر ، وبيده نظام الموجودات تجري بحكمته على تصاريف القدر ، قضت حكمته البالغة بانتقال الممالك من جيل إلى جيل ، وعدم استقرارها لفريق معين بل لم يزل يقع فيها التغيير والتبديل . ليُقضى أن الملك الحقيقي إنّما هو الله تعالى ، وأمّا غيره فملكه على سبيل المجاز(٢) ، ومن قدر الله حق قدره مشى على نحو هذا الطراز ، لأجله [نزل] قوله تعالى : ﴿وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾(٣) ، والعاقل من اتبع الحق الواضح في جميع أموره وتجنب مواقع الالتباس ، ولقد صدق من قال :

وإنّما هي أيامٌ مداولة ... إذا انقضت عدداً ضاقت بمتسع(٤)

وهكذا الأمر على (هذا المنوال)(٥) حتى يأذن الله - سبحانه - لهذا العالم الدنيوي بالزوال .

والصلاة والسلام على سيد / الأكوان(٦) ، وصفوة الصفوة من [ص٢]

---

(١) ما بين القوسين من هنا إلى ص (٥٣) مفقود في الأصل وقمت بإكماله من (ص) التي جعلتها أصلاً في هذه المرحلة مع مقارنتها بنسخة (ع) .

(٢) غير واضحة في (ص) ولكنها مكتوبة في الهامش بخط آخر فأثبتناها لموافقتها للسياق .

(٣) سورة آل عمران : ١٤٠ .

(٤) البيت من البسيط .

(٥) انظر : هامش (٢) من هذه الصفحة .

(٦) هو عليه الصلاة والسلام سيد ولد آدم أما سيادة الأكوان فإلى خالقها وهو الله سبحانه وتعالى .

عدنان ، من لولاه لم تخلق الموجودات[1] ، ومن بأيامه تشرفت [الأماكن] والأوقات ، فسيرته هي السيرة المرضية ، وأيامه هي الجارية على مراد رب البرية ، فصلى الله عليه وسلم تسليمًا ، وزاده تشريفًا وتكريمًا وتعظيمًا ، وعلى آله جمال الكتب والسير ، من جاءت[2] بكريم مناقبهم الآيات والسور ، ورضي عن صحابته أهل الرشد والكمال ، ومن ساروا بسيرته في كل تفصيل وإجمال ، وعلى التابعين من أمته بإحسان ، وتابعيهم على مدى الأزمان .

وبعد : فهذا هيكل لطيف ، وموضوع على الروح خفيف ، جامع لأخبار جماعة من أهل هذا الزمان ، ومتهدل من ذكر محاسنهم بأغصان ، حداني على الاعتناء بذلك ، والسلوك في هذه المسالك ، أني رأيت كل علم أقدام العلماء فيه متساوية ، ورتبهم فيه متدانية ، برهان ذلك أن علوم الشريعة التي يتوسل بها إلى السعادة الأبدية في دار السلام ، في جوار القدس[3] عند الملك العلام ، هي ما سأل جبريل عنه نبينا عليهما أفضل الصلاة والسلام[4] ، وأشار[5] بالسؤال عن الإيمان إلى أصول الدين

(١) هذا تعبير غير صحيح فالموجودات خلقت لحكمة أرادها الله سبحانه وتعالى وأشار القرآن الكريم إلى طرف منها في استخلاف آدم عليه السلام في الأرض . ودعوى خلق المخلوقات من أجله عليه الصلاة والسلام ربط للموجودات بحكمة لم يرد بها دليل ، وهي مخالفة للواقع المعقول حيث إن المخلوقات وجدت قبله وبعده عليه الصلاة والسلام.

(٢) ص : جأت .

(٣) كلام المؤلف فيه غموض. وقد يفهم أن القدس منزلة عند الله سبحانه وتعالى ، والحق أن القدس المنصوص عليه في القرآن الكريم في أكثر من موضع هو الله تعالى . انظر تفسير ابن كثير ١/٣٢٢ ، ٣٢٣ ، والقرطبي ٢ (٢٣ ، ٢٤) .

(٤) إشارة إلى حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : بينما نحن جلوس عند رسول الله ... إلخ . ورد عند مسلم في باب الإيمان : ١/٣٦ - ٣٨ ؛ ورواه أيضًا أبو داود والترمذي والنسائي وغيرهم .

(٥) بياض في ص وأثبتناها من ع .

المسمى بالكلام[1] ، بشرط أن لا يتبع الباحث فيه الأهواء والأوهام ، بل يبحث عن قواعد عقائد الإسلام ، وعن الإسلام إلى علم الفقه الباحث عن الحلال والحرام[2] / وعن الإحسان إلى علم التصوف[3] الذي هو ثمرة [ص٣] الإيمان ونتيجة الإسلام ، والمراد (به الجاري)[4] على نهج الكتاب والسنة في كل مقام ، وأمَّا التفسير والحديث فداخلان فيما ذكرناه بلا كلام .

وقد اعتنى بالتأليف في تلك الأنواع علماء الدين ، ووضحوا طرائقها بغاية التنبيه ، حتى صارت محروسة من الخلل والانتقاض ، صحيحة المباني لا دخل فيها لمناقش ولا اعتراض ، وهي جديدة على كرور الأعوام ، وقد يسر الله للعناية بها في كل عصر أقوامًا ، فمن سعى في تلك (الطرائق ، فما يقف)[5] إلا على ما قالوه في جميع الحقائق .

وأمَّا العلوم التي هي آلة لهذه العلوم ، ووصلة إلى منطوقها والمفهوم ، فلها مصنفات مستقلة ومؤلفات كثيرة قد حررها العلماء الجِلَّة[6] ،

(١) هذه التسمية تسمية حادثة . ودعوى أن لها أصلاً في سؤال جبريل عليه السلام للنبي ﷺ تمحل في القول ، خاصة أن حقيقة الايمان شاملة للقول والعمل .

(٢) الناظر في الحديث الشريف المشار إليه يرى أن السؤال عن الإسلام والإجابة عنه تضمن جانبًا من العبادات كما تضمن كذلك توحيد الله تعالى بعبادته وحده وعدم الإشراك به . انظر (البخاري ، كتاب الإيمان ٣٧) .

(٣) هناك فرق بين أصول الدين المتلقاة من الوحي وعلم الكلام المتلقى من عقول البشر ، كما أن هناك فرقًا بين التعبد والزهد الشرعي الذي قد يصل به الإنسان إلى درجة الإحسان ، وعلم التصوف مبني على ذوقيات وكشوفات بشرية ورؤى وأحلام ومنامات قادت إلى طرق صوفية ومناهج بدعية ، كما أن هذا خطأ ظاهر من المؤلف في تأويل الحديث وحمله على غير محمله الظاهر وتكييفه على هيئة مذهبية تخالف نصه المتضمن عبادة الله سبحانه وتعالى والخوف منه ورجاء ما عنده دون ربط المدلول بما ابتدع من مصطلحات تبعتها أفعال لا يصح حمل النص عليها .

(٤) بياض في ص وأثبتناها من ع .

(٥) بياض في ص وأثبتناها من ع .

(٦) الجِلَّة : قوم جلة : أي ذوو أخطار ومشيخة ، والواحد منهم جليل ، انظر : لسان العرب ، مادة : جلل .

وهي بمرأى ومسمع من طالب تلك المعارف ، وأثمارها دانية لكل قاطف ، وقصارى المحقق في هذا الزمان أن يعرف غور موضوعات هذه العلوم على اختلاف أنواعها ، ويتأهل لفهمها على اتساع مواضعها وفنونها ومشارعها .

وإني - بحمد الله تعالى - ممن ضرب في تلك المعارف بسهم ، وجعلتها في باكورة عمري غاية القصد والهم ، و (ألفت في)(١) بعضها مؤلفات ، ومشيت مع أهلها في تلك الاعتبارات ، ما خلا علم التاريخ [ص٤] فلم أحُمْ حول / حماه ، ولم أساجل أهله في أوضاعه ومبناه ، مع أن ثمرته متجددة على كرور الأزمان ، ومن خاض فيه جاء (بما اشتمل)(١) عليه زمانه وما لم يسبقه فيه إنسان ، وهو العمر الثاني على اختلاف المَلَوان(٢).

وقد اتفق في هذا الزمان وجود جماعة من العلماء والملوك والفضلاء ، ولهم محاسن حقها أن تدون ليستفيدها من يأتي بعدهم من النبلاء ، وقد رأيتُ أن أجعل أخبارهم ثمر هذه الأوراق ، وأسيّر ما اتصل بي من أخبارهم على طريقة يقبلها الحُذّاق ، وأتحرى في ذلك الصدق الذي هو حِلْيَة الأخبار ، وأستعمل الإنصاف في إيراد المناقب(٣) والإصدار ، وأتجنّب الهوى في المدح والقدح ؛ لأن الهوى عارٌ على أهل العلم وأي عار ، والإنسان مسؤول عما جرى به القلم ؛ فإنه أحد اللسانين كما ورد ، والعاقل لا يرضى على نفسه ضررًا أخرويًا فيما انتحاه وقصد .

---

(١) بياض في ص وأثبتناها من ع .

(٢) المَلَوَان : الليل والنهار ، وقيل : طرفا النهار ، ويقال : لا أفعله ما اختلف الملوان. انظر : لسان العرب مادة : ملا .

(٣) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ع ، وفي هامش ص : الحكايات .

والتزمت ألا أترجم فيه لأحد من العلماء إلا من قد عرفته وانتقل من هذه الدار ، ولا أقلد في الإطراء ولا في ضده(١) ؛ لأن ذلك عند جميع العقلاء مذموم في جميع الأعصار ، ولا أترك الاستطراد بما فيه ترويح لذوي الأفهام ، حتى يأخذ كل مطالع فيه على قدر استعداده ، ويستفيد المتأمل نهاية قصده وغاية مراده(١) ، ولا أورد فيه إلا حاصل القصة وجملتها من غير تفصيل ، وأثبت ما بلغني منها / من طريق أرضاه [ص٥] من غير إيجاز مخل ولا تطويل .

ولم أعتن بذكر الشهور والأيام(١) بل ألتزم ذكر الأعوام ، وما لم يبلغني فيه من الأعوام شيء من الحوادث لا أذكره ولا أطوِّل بذكره الكلام ، ولا أستعمل التسجيع في جميع الألفاظ . ولا مراعاة البدائع اللفظية التي هي قيد الحافظ : لأني قد رأيت من استعمل ذلك من أهل التاريخ لا يخلو كتابه من التكلف في ذلك الصنيع ، وقد يسأمه الناظر (لما حواه) من الوقوف تحت قيد البديع .

توقى البدور النقص وهي أهلة ... ويدركها النقصانُ وهي كواملُ(٢)

فلهذا تراني لم أتكلف لأكثره سجعًا مطبوعًا ، ولا أحللته(٣) من مساكن التنطع ربوعًا ، بل أخذت العفو في الترتيب والرّفو . ولا أدعي فيه الكمال لاعترافي بالقصور في جميع الحالات ، فليسبل الستر على معايبه من طالعه : فإن الكريم لا يتتبع العثرات ، وإن لاح له سبق قلم أو غلط أو سهو في هذا التسيير ، فليصلحه متفضلاً ولا يبادر باللوم والتنكير .

أصْلِحْ بفضلِكَ ما تلقاهُ مِنْ غَلَطٍ ... واصْفَحْ فإن أجَلَّ الناس مَنْ صَفَحا

---

(١) بياض في ص وأثبتناها من ع .

(٢) البيت من الطويل .

(٣) ص : احللت ، والتصحيح من ع .

ولا تَلُمْ يا خليَّ البـــال مُـغْـتـبِـقـًا
كأسَ الهمُوم على سَهْوٍ ومُصْطَبِحا
واسـتُرْ مـعـايِبَـــهُ يَسْتُرْكَ مُطَّلِعٌ
غَطَّى عُيوبَك أحياناً وما فَضَحا(١)

[ص٦] / وقد رتبته على مقدمة وثلاثة فصول ، وعلى الله - سبحانه - بلوغ الغاية وتمام المأمول ، والله - سبحانه - هو المرجو ألا يجعله من العمل الذي لا يُشكر لديه ، بل يعاملني بإحسانه وفضله ، ويسامحني إن صدر مني ما لا يقربني إليه ، فهو الرب الكريم الجليل ، وأنا العبد العاصي الذليل ، وهو حسبي ونعم الوكيل .

(١) الأبيات من البسيط .

المقدمـــة

وهي مشتملة على ثلاثة فصول

الفصل الأول

اعلم أن مبتدأ التأريخ هو الهجرة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، وقد روى أبو القاسم ابن عساكر[١] بإسناده إلى ابن شهاب[٢] أن النبي ﷺ أمر بالتأريخ يوم قدم « المدينة » ، رواه يعقوب بن سفيان[٣]. وروى بإسناده[٤] عن ابن شهاب أنه قال : التأريخ من يوم قدم النبي ﷺ مهاجرًا ، قال ابن عساكر : هذا صواب .

والمحفوظ أن الآمر بالتأريخ عمر بن الخطاب رضي الله عنه . قال الحافظ السيوطي[٥] : وقفت على ما يعضد الأول فرأيت بخط ابن الشماخ[٦] في مجموع له قال ابن الصلاح[٧] : وقفت على كتاب في الشروط للأستاذ أبي طاهر بن محمش[٨] الزيادي[٩] ذكر فيه : أن

---

(١) علي بن الحسن بن هبة الله المشهور بابن عساكر ، من علماء الحديث المشهورين . (ت/٥٧١هـ)
انظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ٣٧/٢ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٥٥٤/٢٠ - ٥٧١ .

(٢) محمد بن مسلم بن عبيدالله الزهري ، تابعي وفقيه ، (ت/١٢٤هـ) ، انظر : وفيات الأعيان ٣١٧/٣ ؛ القنوجي ، التاج المكلل ١٠٥ .

(٣) يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسي ، محدِّث مشهور ، (ت/٢٧٧هـ) ، انظر : ابن حجر : تهذيب التهذيب ٣٨٥/١١ ؛ ابن الأثير : اللباب ٢١٥/٢ .

(٤) ع : وروى بإسناد آخر .

(٥) عبدالرحمن بن بكر بن محمد الجلال السيوطي ، عالم مصري مشهور ، ألف أكثر من (٣٠٠) كتاب في الحديث والفقه والتفسير والتاريخ ، (ت/٩١١هـ) ، انظر : الشوكاني ، البدر الطالع ٣٢٨/١ ؛ الكواكب السائرة ٢٢٦/١ ؛ التاج المكلل ٣٤٩ .

(٦) الحسن بن أحمد بن محمد الشماخ ، محدِّث ، (ت/٣٧٢هـ) ، انظر : الزركلي : الأعلام ١٩٣/٢ ؛ اللباب ٢٧/٢ .

(٧) عثمان بن عبدالرحمن الكردي الشهرزوري ، من علماء التفسير والحديث ، (ت/٦٤٣هـ) ، انظر : الأعلام ٣٦٩/٤ ؛ وفيات الأعيان ٤٠٨/٢ .

(٨) في ص : محسن ، والصواب من : الشماريخ في علم التاريخ ، هامش المحقق ، ٢٠ .

(٩) محمد بن محمد بن محمش الزيادي ، فقيه نيسابور ، (ت/٤١٠هـ) ، انظر : الأعلام ٢٤٥/٧ ؛ اللباب ٥١٥/١ .

النبي ﷺ أرخ بالهجرة حين كتب الكتاب لنصارى نجران[1] ، وأمر علياً - رضي الله عنه - أن يكتب لخمس من الهجرة ، فالمؤرخ إذن النبي / ﷺ ، وقد يقال : هذا صريح في أنه أرَّخ سنة خمس ، والحديث الأول فيه أنه يوم قدم « المدينة » . [ص٧]

ويجاب بأنه لا منافاة ؛ فإن الظرف ليس متعلقًا بالفعل وهو (أمر) ، بل بالمصدر وهو التأريخ ، أي أمر بأن يؤرخ بذلك اليوم لا أن الأمر في ذلك اليوم ؛ فتأمل فإنه نفيس ، وقد أخرج البخاري في « تاريخه الصغير »[2] بسنده إلى سعيد بن المسيب[3] ، قال : قال عمر : من أين نكتب التأريخ ؟ فقال علي رضي الله عنه : من يوم هاجر النبي ﷺ .

وأخرج ابن عساكر بإسناده عن أبي الزناد[4] قال : استشار عمر رأي الصحابة في التأريخ فأجمعوا على الهجرة ، وأخرج عن ابن المنير[5] قال : أول ما كتب التأريخ عمر لسنتين ونصف من خلافته فكتب (لست عشرة)[6] من المحرم بمشورة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ولا منافاة بينه وبين ما تقدم ؛ لأن هذه أولية نسبية ، فقد عرفت من هذا أن التأريخ مأخوذ عن النبي ﷺ ، وتطابق عليه بعده رأي الصحابة علي

(١) انظر : نص كتاب الرسول ﷺ لنصارى نجران في زاد المعاد لابن القيم ٣/ ٦٣ .
(٢) التاريخ الصغير للبخاري ، حققه محمود إبراهيم زايد ، مطبوع عام ١٣٩٧هـ ، دار التراث بالقاهرة .
(٣) سعيد بن المسيب بن حَزْن بن أبي وهب ، سيد التابعين وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة ، (ت/٩٤هـ) انظر : الأعلام ٣/١٥٥ ، سير أعلام النبلاء ٤/٢١٧ - ٢٤٦، وفيات الأعيان ٢/١١٧ .
(٤) عبدالله بن ذكوان القرشي ، محدِّث وتابعي ، (ت/١٣١هـ) ، انظر : الأعلام ٤/٢١٧ ، سير أعلام النبلاء ٥/٤٤٥ .
(٥) أحمد بن محمد بن منصور ، قاضي الإسكندرية (ت/٦٨٣هـ) ، انظر : فوات الوفيات ١/١٣٢ ؛ التاج المكلل ١٥٨ .
(٦) ص : لستة عشر ، والصواب من ع ؛ انظر أيضاً : الشماريخ في علم التاريخ للسيوطي ٢٣ .

ابن أبي طالب ، وعمر بن الخطاب ، وغيرهما من سائر الصحابة رضي الله عنهم .

وأمَّا نكتة جعل المحرم أول السنة فروى سعيد بن منصور[1] في « سننه » قال : أنبأنا نوح بن قيس[2] ، ثنا عثمان بن حصين[3] ، عن ابن عباس في قوله تعالى / : ﴿ وَالْفَجْرِ ﴾[4] قال : الفجر شهر المحرم فجر السنة[5] ، وأخرجه البيهقي في « الشعب »[6] ، وإسناده حسن . [ص٨]

قال الحافظ ابن حجر[7] في « أماليه »[8] : « بهذا يحصل الجواب عن الحكمة في تأخير التأريخ من ربيع الأول إلى المحرم بعد أن اتفقوا على جعل التأريخ من الهجرة وأنها كانت في ربيع الأول » ، وللحافظ السيوطي - رحمه الله تعالى - مؤلَّف لطيف سمَّاه « الشماريخ في علم التاريخ » من أحبه فليطالعه[9] .

(١) سعيد بن منصور بن شعبة المروزي ، محدِّث ، (ت/٢٢٧هـ) ، انظر : تهذيب التهذيب ٤/٨٩ .
(٢) نوح بن قيس بن رباح الأزدي ، محدِّث ، (ت/١٨٤هـ) ، انظر : تهذيب التهذيب ١٠/٤٨٥ .
(٣) ورد الاسم في المخطوط : محصن ، والصواب ما ذكر ، وهو : عثمان بن عاصم بن حصين ، محدِّث ، انظر : تهذيب التهذيب ٧/١٢٦ .
(٤) سورة الفجر : ١ .
(٥) سنن سعيد بن منصور ١٨ ، ٣٦٦ .
(٦) اسم الكتاب : الجامع لشعب الإيمان ، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت/٤٥٨ هـ) ، تحقيق ودراسة صلاح بن إسماعيل بن أحمد ، الجامعة الإسلاميَّة ، المدينة المنورة ، ١٤٠٦هـ .
(٧) أحمد بن علي بن محمد بن محمد العسقلاني ، من أعلام الحديث والتاريخ ، ولي قضاء مصر عدة مرات (ت/٨٥٢ هـ) ، انظر : البدر الطالع ١/٨٧ ؛ التاج المكلل ٣٦٢ ؛ الضوء اللامع ٢/٣٦ ؛ الأعلام ١/١٧٣ .
(٨) اسم الكتاب : الأمالي الحلبية ، مطبوع بتحقيق حمدي عبدالمجيد السلفي ، لا توجد معلومات عن الطباعة .
(٩) هذا الفصل منقول بالكامل مع تصرف بسيط من المؤلف من كتاب : الشماريخ في علم التاريخ للسيوطي ، انظر ذلك في النسخة التي حققها محمد بن إبراهيم الشيباني ، ١٩ - ٢٥ . ولمزيد من المعلومات عن بداية التأريخ انظر : الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ للسخاوي ، تحقيق وتعليق : فرانز روزنثال ، ١٣٨ - ١٤٦ .

الفصل الثاني

قد ذكر علماء المعقول أنه لا يحسن الخوض في علم من العلوم إلا بعد معرفة حدِّه ، وموضوعه ، والغرض منه ، وبذلك يتسهل للمتطلع ما يروم . وعلم التاريخ علم من العلوم كما عدَّه منها الفاضل الرومي[١] في كتابه « حدود العلوم »[٢] المسمى « مفتاح السعادة » .

فأمَّا حدُّه فهو معرفة أحوال الطوائف ، وبلدانهم ، ورسومهم ، وعاداتهم ، وصنائع الأشخاص الماضية من الأنبياء ، والأولياء . والحكماء . والشعراء ، والملوك ، والسلاطين . وغيرهم .

وأمَّا الغرض منه : فالوقوف على الأحوال الماضية . وفائدته العبرة بتلك الأحوال ، والتنصح على ممر الأيام والليال ، وحصول ملكة التجارب بالوقوف على تقلبات الزمن ، ليتحرز عن أمثال ما نقل من المضار . ويستجلب نظائرها من المنافع / التي تنقدح بها البصائر والأبصار . [ص٩]

وهذا العلم - كما قال بعض الحكماء - عمر آخر للناظرين . وعبرة ينتفع بها جميع المتأملين المتبصرين ، وإذا عرفت ما ذكر عرفت الفائدة منه للنظار ، وأنّ به يستفيد العاقل بتسريح فكره في ساحة الاعتبار ، ويدل حدوث تلك الأمور[٣] على محدث لها أزلي القدم . وينتج أن ما سوى الله - تعالى - وصفه الحدوث والعدم[٤] .

---

(١) أحمد بن مصطفى بن خليل ، عصام الدين طاش كبرى زاده ، مؤرخ تركي الأصل ، مستعرب ، ولي قضاء القسطنطينية ، له مجموعة من الكتب المطبوعة والمخطوطة ، (ت/٩٦٨ هـ) . انظر : الزركلي ، الأعلام ٢٤١/١ .

(٢) مفتاح السعادة ومصباح السيادة ، مطبوع في ثلاثة مجلدات ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ .

(٣) ص : الدهور ، والتعديل من (ع) .

(٤) إلا ما أخبر الله عن عدم انقطاعه كنعيم الجنة الوادر في قوله تعالى : ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ انظر تفسير ابن كثير ٣٥٢/٤.

الفصل الثاني

قد ذكر علماء المعقول أنه لا يحسن الخوض في علم من العلوم إلا بعد معرفة حدِّه ، وموضوعه . والغرض منه . وبذلك يتسهل للمتطلع ما يروم . وعلم التاريخ علم من العلوم كما عدَّه منها الفاضل الرومي(١) في كتابه « حدود العلوم »(٢) المسمى « مفتاح السعادة » .

فأمَّا حدُّه فهو معرفة أحوال الطوائف . وبلدانهم . ورسومهم ، وعاداتهم ، وصنائع الأشخاص الماضية من الأنبياء ، والأولياء . والحكماء . والشعراء ، والملوك ، والسلاطين . وغيرهم .

وأمَّا الغرض منه : فالوقوف على الأحوال الماضية . وفائدته العبرة بتلك الأحوال ، والتنصح على ممر الأيام والليال ، وحصول ملكة التجارب بالوقوف على تقلبات الزمن . ليتحرز عن أمثال ما نقل من المضار . ويستجلب نظائرها من المنافع / التي تتقدح بها البصائر والأبصار . [ص٩]

وهذا العلم - كما قال بعض الحكماء - عمر آخر للناظرين . وعبرة ينتفع بها جميع المتأملين المتبصرين ، وإذا عرفت ما ذكر عرفت الفائدة منه للنظار ، وأنّ به يستفيد العاقل بتسريح فكره في ساحة الاعتبار ، ويدل حدوث تلك الأمور(٣) على محدث لها أزلي القدم . وينتج أن ما سوى الله - تعالى - وصفه الحدوث والعدم(٤) .

---

(١) أحمد بن مصطفى بن خليل ، عصام الدين طاش كبرى زاده ، مؤرخ تركي الأصل ، مستعرب ، ولي قضاء القسطنطينية ، له مجموعة من الكتب المطبوعة والمخطوطة ، (ت/٩٦٨ هـ) . انظر : الزركلي ، الأعلام ٢٤١/١ .

(٢) مفتاح السعادة ومصباح السيادة ، مطبوع في ثلاثة مجلدات ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ .

(٣) ص : الدهور ، والتعديل من (ع) .

(٤) إلا ما أخبر الله عن عدم انقطاعه كنعيم الجنة الوادر في قوله تعالى : ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ انظر تفسير ابن كثير ٣٥٢/٤ .

بيان ذلك أن كل متغير حادث بصحيح البرهان ، وهذه الكلية مستفادة من هذا العلم على حسب تقلب الزمان ، ومن هذه الحيثية لايبعد عدَّه من العلوم النافعة ، ويكون مجرى ذلك ملاحظًا من هذه الطريقة الواسعة .

وقد استنبط بعض أهل العلم من قوله ﷺ « لما مرّوا بجنازة فأثنوا عليها ... » الحديث[١] وهو مذكور في الصحيح وفيه « أنهم شهداء الله في أرضه » فقال : إن في هذا الحديث بدلالة الإيماء والإشارة أصلاً أصيلاً لتراجم العلماء ، والفضلاء من الملوك ، والأولياء ، بما هو المعلوم من أحوالهم الشريفة ، وصفاتهم المنيفة ، وأي شهادة أعظم من ذلك ، [ص١٠] وقال بعضهم : إن في قوله / تعالى : ﴿أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ . . . ﴾[٢] الآية مأخذ لذلك ، وأن المراد به علم التاريخ ، والله أعلم .

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز : باب ثناء الناس على الميت (١٣٦٧) ؛ ومسلم في الجنائز (٩٤٩) .

(٢) سورة الروم : ٩ .

الفصل الثالث

اعلم أن هذا المخلاف السليماني من أحسن مخاليف اليمن[١] ، ونسبته إلى السلطان سليمان بن طرف الحكمي[٢] كما ذكره)[٣] [١/أ] الديبع[٤] وغيره من المؤرخين . وقد كان تسلطن في هذا المخلاف ، وكان رجلاً عظيم الشأن ، ونسبة هذا المخلاف إليه قبل سكون الأشراف فيه ، كما ذكره الوالد العلامة علي بن محمد النعمان[٥] رحمه الله تعالى في « شرح الصادح والباغم »[٦] وحدوده من « حلي »[٧] إلى « شرجة حرض »[٨] كما قاله الديبع[٩] .

(١) يستخدم المؤلف مصطلح اليمن للدلالة على المنطقة الواقعة جنوب الكعبة المشرفة وليس كموقع جغرافي .

(٢) سليمان بن طرف الحكمي ، من آل عبدالجد الحكمي ، وقد تمكن من السيطرة على المنطقة المعروفة لاحقًا باسم : المخلاف السليماني بعد نزاع مع الزياديين عام ٣٧٣ هـ ، واستمر يحكمها حتى عام ٣٩٣ هـ عندما استعاد الزياديون السيطرة عليها مرة أخرى ، ولم أعثر على تاريخ ولادته أو وفاته .
انظر : هاني مهنا ، ص ٣٤ ؛ العقيلي ، المخلاف السليماني ١/٧١ ؛ Smith. The Ayyubids, 53 -

(٣) ما بين القوسين من بداية المخطوط إلى هنا مفقود في الأصل ، وتم إكماله من نسخة ص التي جعلتها أصلاً حيث تمت مقارنتها بنسخة ع .

(٤) عبدالرحمن بن علي بن محمد الزيادي ، مؤرخ يمني (ت/٩٤٤هـ) انظر : الشوكاني ، البدر الطالع ١/٣٣٥ ؛ الكواكب السائرة ٢/١٥٨ ؛ Smith , Ibid , 6.

(٥) لم أعثر له على ترجمة .

(٦) الصادح والباغم : لم أعثر على معلومات بشأنه .

(٧) حلي بن يعقوب : واد مشهور يصب في البحر الأحمر على بعد حوالي ٧٠ كم جنوب القنفذة . انظر : الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ٢٣٢ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ٢/٢٢٧ ؛ الزيلعي ، حوليات جامعة الكويت رقم [٧] .

(٨) شرجة حرض ، وتسمى حرض : بلدة يمنية تبعد حوالي ٢٥ كم شمال شرق ميدي قرب الحدود السعودية اليمنية ، انظر : المقحفي ، معجم المدن والقبائل اليمنية ، ١١٦ ؛ الأكوع ، البلدان اليمانية عند ياقوت الحموي ، ص ٩٤ .

(٩) انظر : الفضل المزيد على بغية المستفيد لعبدالرحمن الديبع ، تحقيق : يوسف شلحد ، ٥٢ .

((وكان استيلاء الأشراف آل موسى الجون[1] على المخلاف السليماني عام ثلاثة وتسعين وثلاثمائة، وكان سلاطينه قبل ذلك الحكميين))[2] وهو مشتمل على أودية عظيمة، ومحاريث جسيمة، ومدن وقرى كثيرة، والساكنون فيه من الأشراف أمم كثيرة: الخواجيون، والذروات، والأمرة، وبنو النعمي، وبنـو المعافى، والحوازمة، والمهادية، وقد تفرعوا إلى بطون كثيرة وفخوذ واسعة، وهم معروفون، وتدريج أنسابهم مدون بأيديهم وأيدي العلماء من أهل جهتهم.

وفي هذا المخلاف من العلماء المحققين، والأدباء المفلقين، والفضلاء، والصالحين، ما لا يأتي عليهم العدّ، وليست مناقبهم غائبة الجنس والفضل حتى أرسمها بحد، وقد تكفل بنشر فضائلهم/ وتعداد [ص١١] محاسنهم، وذكر من صنف منهم، ومن تأهل للتصنيف جماعة من المؤرخين كالقاضي العلامة أحمد بن صالح بن أبي الرجال الصنعاني[3] في تاريخه المسمى « مطلع البدور »[4] والعلامة العامري[5] في تاريخه

(١) موسى الجون بن عبدالله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب، الجد الأعلى لجميع الأشراف الذين حكموا مكة والمخلاف السليماني، انظر: ابن حزم، جمهرة النسب، ٤٦ ؛ الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ٢٩٠.

(٢) ما بين القوسين المزدوجين مكتوب في هامش الأصل بخط المؤلف نفسه مع سهم يشير إلى أنه يريده أن يكون بعد كلمة جسيمة، وبناءً على ذلك قام ناسخ ص بإثباته في صلب المخطوط، إلا أن المؤلف قد وضع إشارة أخرى كتب فيها هذه العبارة بعد كلمة الديبع، وبذلك يستقيم السياق، وقد أخذت بذلك عندما أدخلت هذه العبارة في المخطوط، حيث وجدت تأييداً لذلك في نسخة ع.

(٣) عالم يمني مشهور (ت/١٠٩٢هـ). انظر: الشوكاني، البدر الطالع ١/٥٩ ؛ والمحبي، خلاصة الأثر ١/٢٢٠.

(٤) اسم الكتاب كاملاً: مطلع البدور ومجمع البحور في تراجم علماء الزيدية، مخطوط، انظر: الحبشي، مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن، ٤٤.

(٥) يحيى بن أبي بكر العامري، عالم يمني مشهور عاش في حرض (ت/٨٩٣ هـ). انظر: النعمان، العقيق اليماني، مخطوط، ١٤٠ ؛ السخاوي، الضوء اللامع ١٠/٢٢٤ ؛ الشوكاني، البدر الطالع ٢/٣٢٧ ؛ سيد، مصادر تاريخ اليمن، ١٥٨.

« غربال الزمان »[1] والقاضي العلامة عبدالله بن علي النعمان[2] في تاريخه « العقيق اليماني »[3]، والقاضي أحمد بن المقبول المكنى بأبي الفضائل الأسدي[4] في تاريخه « الجواهر الحسان في تاريخ أبي عريش وجازان »[5]، والعلامة الأديب أحمد بن محمد النمازي[6] في تاريخه[7] وغيرهم.

وفيه قبائل من العرب كثيرون، وأنسابهم صحيحة، وهم ما بين عدنانية وقحطانية، وأغلبهم من قحطان، وفيهم من المروءة والنجدة والشجاعة والكرم ما ليس في غيرهم، ولم يكن فيه من الأخلاط والغرباء والموالي إلا النزر القليل[8].

(١) غربال الزمان في وفيات الأعيان، اختصره المؤلف من كتاب « مرآة الجنان » لليافعي وكتاب « تحفة الزمن » للأهدل، حققه وعلق عليه محمد ناجي، وطبع عام ١٤٠٥هـ بدمشق. انظر: الحبشي، مصادر الفكر العربي الإسلامي، ٤٢٤.

(٢) يذكر الحبشي أن اسمه: مطهر بن عبدالله النعمان الضمدي (ت/١٠٥٠هـ). انظر: مصادر الفكر العربي الإسلامي، ص ٤٣٧.

(٣) اسم الكتاب: العقيق اليماني في حوادث ووفيات المخلاف السليماني، ومؤلفه: عبدالله ابن علي النعمان الشقيري، وقد أورده الحبشي في مصادره تحت اسم المؤلف: مطهر ابن عبدالله بن النعمان الضمدي، وذكر أن اسم الكتاب: الوافي بوفيات الأعيان المكمل لغربال الزمان، وأضاف: ويسمى أيضًا العقيق اليماني في وفيات وحوادث المخلاف السليماني، مخطوط توجد نسخة منه في مكتبة الشعب بالمكلا. وأخرى بمكتبة الجامع الغربية بصنعاء، وثالثة بالمكتبة العقيلية بجازان (حاليًا في مكتبة جامعة الملك سعود). انظر: الحبشي، مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن، ص ٤٣٧.

(٤) قاضي « أبو عريش » خلال الحكم العثماني الأول في اليمن (ت/١٠٢٣هـ). انظر: مهنا، تحقيق « خلاصة العسجد »، ص ٧٩ ؛ سيد، مصادر تاريخ اليمن، ٢١٠ ؛ الحبشي، مصادر الفكر العربي الإسلامي، ص ٤٢٩.

(٥) يذكر الزركلي أن هذا الكتاب في وقائع إقليم جازان وأن مؤلفه ابتدأه من سنة ٩٠١ هـ إلى سنة ٩٦٠ هـ. انظر: الأعلام ١/٢٤٤.

(٦) لم أعثر له على ترجمة.

(٧) اسم الكتاب: السلاف في تاريخ صبيا والمخلاف، مخطوط. انظر: مهنا، تحقيق « خلاصة العسجد »، ص ٨٣.

(٨) هو هنا يحكي واقعًا، وإلا فالتميز والتكريم عند الله سبحانه وتعالى إنما هو بالتقوى والعمل الصالح، دون النظر إلى أي وصف آخر مما شاع في بعض المجتمعات.

وكان في الأزمنة المتقدمة كل جهة من المخلاف له رؤساء من الأشراف [١/ب] فمدينة « صبيا »(١) وما والاها رئاستها إلى الخواجيين، وهي اختطاط جدهم الشريف دريب بن مهارش(٢)، وكان ذلك في عام ثمانية وخمسين وتسعمائة، كما ذكره النمازي في تاريخه، وكان قبل ذلك مساكنهم في أطراف الوادي من غرب، وأول قائم منهم بالأمر بمدينة « صبيا » ومخلافها الشريف أحمد بن حسين(٣)، وكان قيامه بهذه [ص١٢] السهول(٤) في وقت قيام الإمام المجدّد / القاسم بن محمد(٥) في الجبال سنة ست وألف، ووفاته في سنة ثمان وعشرين بعد الألف، وأمّا الإمام القاسم فوفاته سنة تسع وعشرين بعد الألف، ومولد الإمام القاسم فهو سنة سبع وستين وتسعمائة.

وقام بالأمر بعد الشريف أحمد المذكور ولده الشريف حسين بن أحمد(٦)، وفي أيامه كان خروج الباشا قانصوه(٧)، ومع عظيم قهره،

(١) من مدن إمارة جازان، وتقع على بعد حوالي ٤٠ كم شمالها، شهدت الكثير من الأحداث التاريخية منذ عهد الأشراف الذرويين إلى عهد الإدريسي الذي اتخذها عاصمة له. انظر: العقيلي: المعجم الجغرافي، ٢٥١: الهمداني، ٩٨.

(٢) تولى إمارة صبيا بعد وفاة الشريف عيسى بن حسين الخواجي عام ٩٥١هـ (ت/٩٦٤هـ). انظر: النعمان، العقيق اليماني، مخطوط، ص ١٨١، ٢٢٨.

(٣) أحمد بن حسين بن عيسى بن أبي القاسم الخواجي، تولى السلطة في صبيا عام ١٠٠٦هـ (ت/١٠٢٨هـ). انظر: النعمان، العقيق اليماني، مخطوط، ص ٣٤٠، ٣٦٠.

(٤) الأصل: السهال.

(٥) القاسم بن محمد بن علي بن محمد، مؤسس الأسرة القاسمية، تولى الإمارة في اليمن عام ١٠٠٦هـ ودخل في صراع مع الأتراك انتهى بعقد هدنة لمدة ١٠ سنوات، (ت/١٠٢٩هـ).
انظر: الواسعي، تاريخ اليمن، ٢١٧؛ سالم، الفتح العثماني الأول لليمن، ٣٦٢؛ الشوكاني، البدر الطالع ٤٧/٢.

(٦) تولى الإمارة بعد وفاة والده عام ١٠٢٨هـ في مدينة صبيا، (ت/١٠٥٣هـ)، انظر: النعمان، العقيق اليماني، مخطوط، ص ٣٦٠، ٣٩٨.

(٧) أحمد قانصوه باشا، آخر الولاة الجراكسة في اليمن، كانت له جهود كبيرة في سبيل إبقاء السيطرة على الساحل اليمني (ت حوالي/١٠٦٠هـ). انظر: المحبي، خلاصة الأثر ٣/٢٠٧: سالم، الفتح العثماني، ٣٨٤.

ونفاذ حكمه وأمره لم يكن له في بلد الشريف المذكور الوطأة الكلية، وروي أن الباشا حاول قبضه فلم يقدر عليه، وتوفي سنة ثلاث(١) وخمسين وألف.

وقام بالأمر بعده ولده محمد بن حسين، وكانت وفاته في السنة السادسة والسبعين بعد الألف، وفي آخر مدتهم انتهت الإمارة إلى الشريف أبي طالب بن محمد، وصفت مملكته نحو اثنتي عشرة سنة، وكانت وفاته سنة ثلاث ومائة وألف، وبعد امتداد أيدي آل القاسم على هذه الجهات لم يزل العامل منهم حتى آخر أيام الشريف محمد بن أحمد(٢)، كما ذلك معروف.

وأمّا أعلى « وادي صبيا » فهو مسكن بني ذروة بن حسن بن يحيى، وفيهم كانت الرئاسة على أشراف « وادي صبيا » الجميع، ومنهم انتقلت الرئاسة إلى الخواجيين، ومنهم الشريف القاسم بن محمد بن غانم / بن [ص١٣] ذروة ممدوح الأديب القاسم بن علي بن هتيمل(٣) فإنه كان أميرًا كبيرًا مشهورًا فصيحًا، وله تلك القصيدة المشهورة التي طالعها:

مَنْ لِصَبٍّ هَاجَهُ نَشْرُ الصَّبا   لَمْ يَزِدْهُ البَيْنُ إلا نَصَبَا(٤)

[٢/أ] وهي طويلة بديعة، وسبب إنشائه لها قد ذكره ابن أبي الرجال في « مطلع البدور » أيام كان في أسر الملك المظفر الغساني(٥)، والقصة مشهورة.

(١) الأصل: ثلاثة.

(٢) محمد بن أحمد بن محمد بن خيرات، حاكم المخلاف السليماني خلال الفترة من ١١٥٤هـ - ١١٨٤هـ (ت/١١٨٤هـ). انظر: البهكلي، خلاصة العسجد في دولة الشريف محمد بن أحمد؛ العقيلي، المخلاف السليماني ٣٩١/١، ٤٠٨؛ زبارة، نشر العرف ٢٣٠/١.

(٣) شاعر مشهور من ضمد، عاش في القرن السابع الهجري (ت حوالي/٦٩٦هـ)، انظر: العقيلي، ديوان الشاعر القاسم بن هتيمل، ص ٦؛ فروخ، تاريخ الأدب العربي، ٦٩١/٣؛ حجاب الحازمي، القاسم بن علي بن هتيمل - حياته من شعره.

(٤) البيت من الرمل.

(٥) يوسف (المظفر) بن عمر (المنصور) بن علي بن رسول، ثاني ملوك دولة بني رسول في اليمن، وأشار المؤلف إليه بلقب: الغساني لأن بني رسول ينتسبون إلى جبلة بن الأيهم الغساني (ت/٦٩٤هـ). انظر: الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ٨٧ - ٢٣٨؛ الأعلام ٣٢١/٩.

وأمّا « أبو عريش »[1] و « جازان » وما والاهما[2] من الجهات اليمنية فالرؤساء فيها الغوانم ، ونسبتهم إلى الأمير غانم بن يحيى ابن حمزة[3] ، ودامت مدتهم في الإمارة مائة وأربعين سنة كلها صافية إلا أربع سنين[4] منها تزلزلت بأيام الأمير عامر[5] ؛ وأمراؤهم[6] أولهم : خالد بن قطب[7] الدين ، ثُمَّ ابنه دريب[8] ، ثُمَّ ابن ابنه أحمد بن

(١) عاصمة المخلاف السليماني خلال حكم الأشراف آل خيرات ، تبعد حوالي ٣٥ كم شمال شرق جازان ، انظر : العقيلي ، المعجم الجغرافي ، ٥٨ .

(٢) في الأصل : وما والاه .

(٣) أمير جازان (المخلاف السليماني) في النصف الأول من القرن السادس الهجري ، ومن ذريته خرجت مجموعة من الأسر التي حكمت أجزاء من المخلاف السليماني خلال العصر الإسلامي الوسيط ومطلع الحديث مثل : الأشراف الغوانم في جازان ؛ والأشراف أصحاب « باغته » من ذرية وهاس بن منصور بن أحمد بن غانم ؛ والأشراف بني قاسم في « بيش » ، والذرويين في « صبيا » .
انظر : الزيلعي ، الأوضاع السياسية ، ١٠١ ومابعدها ، العقيلي ، المخلاف السليماني ، ٢٠٤/١ .
- Smith, The Tahirids sultans, 55 .

(٤) الأصل : أربع سنة .

(٥) عامر بن عبدالوهاب بن داود بن طاهر ، رابع سلاطين آل طاهر في عدن ويلقب بالظافر الثاني ، قتل في مواجهة الأتراك الجراكسة بقيادة حسين الكردي عام ٩٢٣هـ .
انظر : ابن الديبع ، بغية المستفيد ، ١٧٣ - ٢٧٤ ؛ السخاوي ، الضوء اللامع ١٦/٤ ؛ أحمد حسين شرف الدين، اليمن عبر التاريخ، ٢٣٦ ؛ - Smith, The Tahirid sultans, 55

(٦) الأصل : وأمراهم .

(٧) خالد بن قطب الدين بن محمد بن هاشم ، مؤسس حكم الأسرة القطبية في المخلاف السليماني في النصف الأول من القرن التاسع الهجري (ت/٨٤٢ هـ) .
انظر : النعمان ، العقيق اليماني ، مخطوط ، ص ١٢٨ ؛ الزيلعي ، الأوضاع السياسية ، ١٥٧ .

(٨) دريب بن خالد ، ثاني الأمراء القطبيين ، كانت شهرته أكثر من والده واستطاع إعادة توحيد المخلاف السليماني تحت سيادة الأسرة القطبية ، (ت/٨٩٦ هـ) .
انظر : السخاوي ، الضوء اللامع ، ٢١٨/٣ ؛ الزيلعي ، الأوضاع السياسية ، ١٦٨ - ١٧٢ .

دريب[1] ، ثُمَّ ابنه يوسف العزيز بن أحمد[2] ، ثُمَّ أخوه المهدي بن أحمد[3] ، وهو ممدوح السيد الأديب الجراح بن شاجر الذروي[4] ، وكان ذا شجاعة وعلم وكرم ، ثُمَّ صنوه عز الدين بن أحمد[5] ، ثُمَّ محمد بن يحيى[6] ، ثُمَّ أحمد بن المهدي[7] ، ثُمَّ عامر بن يوسف العزيز

(١) أحمد بن دريب المعروف بأبي الغوائر . دخل في صراع مع شريف مكة محمد بن بركات ، واتصل بالسلطان قايتباي وأكرمه (ت/٩١١هـ) .
انظر : الزيلعي ، الأوضاع السياسية ، ١٧٣ - ١٨٤ ؛ العقيلي . المخلاف السليماني ، ٢٦٢/١ .

(٢) رابع الأمراء القطبيين . لم يحكم طويلاً حيث توفي بالسم بعد حوالي سنة من توليه الحكم (ت/٩١٢هـ) . انظر : الزيلعي . الأوضاع السياسة . ١٨٥ .

(٣) المهدي محمد بن أحمد ، عهد إليه أخوه العزيز بالحكم . وهو من أشهر أمراء المخلاف السليماني لارتباط اسمه بديوان الشاعر الجراح بن شاجر . ولدوره في حملة القائد المملوكي حسين الكردي على اليمن التي قضت على دولة بني طاهر عام ٩٢٣هـ ، ثار عليه أخوه عز الدين ومات مخنوقًا في السجن عام ٩٢٥هـ .
انظر : الزيلعي ، الأوضاع السياسية ، ١٨٦ ؛ العقيلي . المخلاف السليماني ٢٧٠/١ ؛ زبارة ، نشر العرف ٢٣٢/١ .

(٤) شاعر المخلاف السليماني في القرن العاشر بلا منازع . تركز معظم شعره في مدح الأمير القطبي المهدي محمد بن أحمد ، له ديوان شعر حققه وطبعه الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي ؛ انظر أيضًا : العقيلي ، التاريخ الأدبي لمنطقة جازان . ٢٣٠ .

(٥) كان يحكم « حرض » خلال إمارة أخيه المهدي ، ثُمَّ اشترك في حكم زبيد مع برسباي المملوكي حتى عودته إلى جازان عام ٩٢٥هـ . وقيامه بالثورة ضد أخيه واستيلائه على الحكم . قتل أثناء صراعه مع الجراكسة قرب زبيد عام ٩٣٠هـ .
انظر : الكبسي ، اللطائف السنية ، مخطوط ، ص ٧٢ ؛ الزيلعي ، الأوضاع السياسية . ٢٠٦ ؛ النعمان ، العقيق اليماني ، مخطوط ، ١٤٩ ، ١٥٣ .

(٦) محمد بن يحيى بن أحمد بن دريب ، دخل في صراع مع ابني عمه : أحمد بن محمد المهدي وأحمد الطاهر وتمكن من السيطرة على الحكم ، غير أن دسائس ابن عمه الطامع في الإمارة أحمد بن المهدي أدت إلى دخوله في صراع مع الجراكسة في زبيد حتى قتل في معركة القرن عام ٩٣٤هـ .
انظر : الكبسي ، اللطائف السنية ، مخطوط ، ٧٣ ؛ النعمان ، العقيق اليماني . مخطوط ، ١٥٨ - ١٦٠ ؛ الزيلعي ، الأوضاع السياسية ، ٢١١ .

(٧) أحمد بن المهدي محمد بن أحمد ، تولى إمارة المخلاف السليماني بمساعدة حاكم زبيد الجركسي ، قتله سلمان الرومي إثر خلاف دب بينهما عام (٩٣٤هـ) .
انظر : النعمان ، العقيق اليماني ، مخطوط ، ١٦٠ ؛ الكبسي ، اللطائف السنية. مخطوط، ٧٤ ؛ العقيلي ، المخلاف السليماني ١٨٨/١ ، الزيلعي ، الأوضاع السياسية . ٢١٥ .

ابن أحمد بن دريب[1] .

وكان أمراء هذه الجهة قبل القطبيين[2] الأشراف الشطوط - بشين معجمة وطاءين مهملتين مكررتين بينهما واو - وهم أيضًا من ذرية غانم ابن يحيى وتملكوا مدة من الزمان وآخرهم / الأمير الشطي الذي انتقل [ص١٤] منه الأمر إلى الأمير خالد بن قطب الدين اسمه المقلَّم[3] ، بقاف مثناة على زنة اسم المفعول ، وكانت ابنته حليلة للأمير خالد ، وكان مبتدأ إمارة القطبية أول القرن التاسع ، واستكملوه جميعه ، وأخذوا من القرن العاشر أربعة وأربعين عامًا ، وأمراؤهم تسعة[4] أولهم خالد بن قطب الدين وآخرهم عامر بن يوسف .

وأمَّا الحوازمة فمساكنهم بطن « وادي صبيا » ، وقد كان حصل بينهم وبين الأمير القطبي صاحب « جازان » قتل ؛ خرج بسببه الحوازمة إلى « حرض » وأقاموا فيه مدة بجوار السلطان يومئذ ، ثُمَّ اصطلحوا هم والأمير ، وعاد منهم من عاد ، وبقي من بقي ، فحشَّدت العرب « بني سبأ »[5] ، ومسكنهم أعلى « حرض » فغدروا بالحوازمة في [٢/ب] يوم عيد ، وقتلوهم مقتلة عظيمة ، ومن بقي منهم وفد إلى

(١) آخر الأمراء القطبيين ، تولى عام ٩٣٥هـ بطلب من أعيان المنطقة بعد خروج مصطفى بيرم من جازان ، دخل في صراع مع أمير حلي وشريف مكة أبي نمي، أدى إلى خروجه من جازان للبحث عن مساعدة من اليمن ، عاد إلى الحكم مرة أخرى بمساعدة إمام اليمن عن طريق والي صعدة ، ولكنه قتل بعد عودته إلى الحكم عام ٩٤٤هـ ، وبموته انتهى حكم الأسرة القطبية .
انظر : الكبسي ، اللطائف السنية ، مخطوط ، ٧٥ - ٧٧ ؛ العقيلي ، المخلاف السليماني ، ٢٧٥/١ ؛ الزيلعي ، الأوضاع السياسية ، ٢١٩ .

(٢) الأصل : القطبين ، والتصحيح من ع .

(٣) انظر : مناقشة الزيلعي حول اسم المقلَّم ورده على العقيلي ، الأوضاع السياسية ، هامش رقم ٢ ص ١٣٩ .

(٤) الأصل : وأمراهم .

(٥) الأصل : بنو سبأ ، وهم بطن من حمير ، يسكنون أعالي وادي حرض ، وهو يطلق على أكثر من موضع في اليمن . انظر : المقحفي ، معجم المدن والقبائل اليمنية ، ١٩٩ .

جماعتهم بأرض « صبيا » ، فرمى الله « بني سبأ » بالنكال وهلاك الرجال والأطفال ، ووقعت أيضًا بينهم وبين أشراف الوادي حروب طالت أيامها ، ثُمَّ نشبت الحرب بينهم وبين الأشراف الخواجيين يدًا واحدة على الحوازمة .

وأمَّا السادة النعميون فمساكنهم « وادي بيش »[1] و « وادي وساع »[2] ، ولهم / الرئاسة على أهل تلك الجهات ، وجاء منهم علماء [ص١٥] نحارير قد تضمنت تاريخ الجهة تراجمهم ، ولا يخلو منهم العلم والنجدة والكرم والشجاعة ، وإلى حال التاريخ وهم على ما هم عليه .

وأمَّا السادة المهادية فكانوا فيما سلف ساكنين في مدينة « منارة »[3] غربي « وادي بلاج »[4] ، فحصل عليهم من الأمير خالد القطبي ما حصل وانتقلوا إلى « وادي ضمد »[5] ، والقصة مذكورة في « العقيق اليماني » ، ومن يومئذٍ خربت « المنارة » ، وجميع سادات هذا المخلاف نسبهم يرجع إلى موسى الجون بن عبدالله المحض .

أمَّا بنو المعافى والمهادية والخواجية والقطبية والذروات ، فهم يلتقون في أبي الطيب داود بن عبدالرحمن بن أبي الفاتك عبدالله بن داود بن سليمان بن عبدالله الصالح بن موسى الجون بن عبدالله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه : لأن الأمير خالدًا هو ابن قطب الدين بن محمد بن

(١) وادي بيش : وادٍ من أكبر أودية تهامة ومآتيه من جبال السراة ، وعلى ضفافه قرى ومحاريث ومزارع كثيرة . انظر : العقيلي ، المعجم الجغرافي ، ٨٠ ؛ الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ٩٨ .

(٢) وادي وساع : مآتيه من جبال الصهاليل ، ويعد من روافد وادي بيش حيث يلتقيه قرب قرية أبو القعايد شمال صبيا ، انظر : العقيلي ، المعجم الجغرافي ، ٤١٩ .

(٣) منارة : قرية أثرية مطمورة تقع جنوب شرقي قرية الكواملة في منطقة جازان . انظر : العقيلي ، المعجم الجغرافي ، ٤٠٠ .

(٤) وادي بلاج : وادٍ صغير يلتقي وادي جازان جنوب قرية القمري ، انظر : العقيلي ، المعجم الجغرافي ، ٨٠ .

(٥) وادي ضمد : من الأودية المشهورة في منطقة جازان ، مآتيه من جبال فيفا وبني مالك ، انظر : الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ٦٤ ، ٩٨ ؛ العقيلي ، المعجم الجغرافي ، ٢٦٦ .

هاشم بن وهاس بن محمد بن هاشم بن غانم بن يحيى بن حمزة بن وهاس بن أبي الطيب .

وأمَّا الذروات فهم أولاد ذروة بن حسن بن يحيى بن أبي الطيب.

وأمَّا الخواجيون فيرجعون إلى الشريف محمد بن حسين بن أحمد ابن حسين بن عيسى بن أبي القاسم بن أحمد بن علي – وهو الملقب « الخواجي » – بن سليمان بن غانم بن يحيى بن حازم بن[١] [٣/أ] معافى [ص١٦] / ابن يحيى بن أبي الطيب .

وأمَّا بنو المعافى فهم أولاد المعافى بن رديني بن يحيى بن داود بن أبي الطيب .

وأمَّا المهادية فهم أولاد المهدي بن القاسم بن محمد بن حمزة بن قاسم بن عبد الله بن داود بن أبي الطيب .

وأمَّا بنو النعمي فهم أولاد نعمة بن علي بن داود بن سليمان بن عبدالله الصالح بن موسى الجون ؛ فقد اتصل نسبهم جميعاً بالإمام موسى الجون كما عرفت ما خلا السادة الحوازمة ، فنسبهم يرجع إلى أخيه يحيى بن عبدالله[٢] وهو القائم «بالديلم »[٣] ، ومن ولده محمد ابن يحيى وإبراهيم بن يحيى وصالح بن يحيى ، وهم من أولاد محمد بن

(١) مكررة في الأصل واكتفينا بواحدة .

(٢) يحيى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، من كبار الطالبيين في أيام الهادي والرشيد ، ثار ضد العباسيين ، وتنقل ما بين اليمن ومصر والمغرب والعراق وخراسان ثُمَّ أعلن دعوته في بلاد الديلم عام (١٧٥هـ) ، قصته مبسوطة في كتب التاريخ ، مات في حبس الرشيد عام ١٧٥هـ ، وقيل : عام ١٨٠ هـ .
انظر : الأعلام ٩/١٩٠ ؛ الأصفهاني ، مقاتل الطالبيين ، ٤٦٣ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ٢/٦٢ ، ٨٣ .

(٣) الديلم : يطلق على ساكني منطقة طبرستان شمال إيران وجنوبي بحر الخزر . يقول المسعودي : والديلم زعم كثير من الناس من ذوي المعرفة بالأنساب أنهم من ولد باسل بن ضبة بن أدد .
انظر : مروج الذهب ٤/٢١٧ .

يحيى كما سيأتي ذكر ذلك في ترجمة السيد العلامة حسن بن خالد[١] رحمه الله تعالى .

وكان بعض أمراء هذا المخلاف يعتزون[٢] إلى ملوك بني غسان[٣] سلاطين اليمن ، وكان منتهى ملكهم سنة تسع وخمسين وثمانمائة ، ومدة ولايتهم مائتا سنة وأربع وثلاثون سنة ، وكذلك امتدت عليه يد « الجراكسة »[٤] بعد الغسَّانيين[٥] . ومدة ولايتهم اثنتان وعشرون سنة ، ومن آخر أيامهم سنة خمس وأربعين وتسعمائة كان مبتدأ دولة آل عثمان في اليمن ، وامتدت على هذه البلاد ، وكانت مدة ولايتهم مائة سنة وثلاثاً[٦] وعشرين سنة : لأن ابتداء دخولهم « زبيد »[٧] / [ص١٧]

(١) من أبرز شخصيات المخلاف السليماني في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري حيث كان قائداً ووزيراً للشريف حمود ، وكان له تأثير كبير في الحياة السياسية والفكرية في المنطقة خلال الفترة من ١٢١٧هـ حتى تاريخ وفاته عام ١٢٣٤هـ .
انظر : عاكش ، حدائق الزهر ، تحقيق : د . إسماعيل البشري ، ٦١ ؛ العقيلي ، أضواء على الأدب والأدباء ، ٨٦ ؛ زبارة ، نيل الوطر ١/٣٢٣ ؛ القنوجي ، التاج المكلل ، ٣٧٢ .

(٢) اعتزى إلى فلان ، انتسب إليه صدقاً أو كذباً . والعزوة : الانتساب .
انظر : المعجم الوسيط ٢/٦٠٥ .

(٣) يقصد المؤلف بني رسول في اليمن الذين ينتسبون إلى جبلة بن الأيهم الغساني ، انظر : تحقيق نسبهم في العقود اللؤلؤية للخزرجي ١/٣٦ .

(٤) الجراكسة : اسم يطلق على المماليك البرجية نسبة إلى بلادهم ، وهي جزء من جورجيا تعرف باسم شركس تمتد على الشاطئ الشرقي للبحر الأسود ، وأطلق عليهم المماليك البرجية : لأن السلطان خليل قلاوون أسكن طائفة الشركس في أبراج القلعة بالقاهرة ، وقد تمكن هؤلاء من الوصول إلى الحكم في مصر خلال الفترة بين ٧٨٣هـ إلى ٩٢٢هـ .
انظر : شلبي ، موسوعة التاريخ الإسلامي ٥/٢٠٠ ؛ جعفراوي ، الجراكسة في العصر الحديث .

(٥) الأصل : الغسانين والصواب من ع .

(٦) الأصل : ثلثه والصواب من ص و ع .

(٧) زبيد : مدينة يمنية مشهورة ، سميت بذلك لوقوعها على وادي زبيد ، تقع على بعد حوالي ٨٠ كم جنوب شرق الحديدة ، وهي مشهورة منذ عهد بني زياد بهذا الاسم ، وكانت تسمى الحصيب قبل ذلك . انظر : المقحفي ، معجم المدن والقبائل اليمنية ، ١٨٩ ؛ الهمداني ، صفة جزيرة العرب ٨١ ، ٩٢ ؛
- Keall , Zabid.

كان سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة ، ثُمَّ خرجوا من اليمن على يد الحسن بن القاسم[1] ابن أمير المؤمنين القاسم بن محمد[2] في خلافة أخيه الإمام الأعظم المؤيد[3] ، وصفا هذا المخلاف من يومئذ للعترة الطاهرة[4] ، ولما توفي الإمام المؤيد سنة أربع[5] وخمسين وألف تقلد بعده الخلافة أخوه الإمام المتوكل على الله إسماعيل[6] ، وكانت وفاته سنة سبع وثمانين وألف ، وفي آخر أيامه كان وصول الشريف خيرات بن شبير بن بشير[7] إلى هذه الجهات كما حققه الوالد القاضي العلامة عبدالرحمن بن حسن البهكلي[8] رحمه الله تعالى

(١) الابن الثاني للإمام القاسم بن محمد ، مؤسس الدولة القاسمية الإمامية في اليمن ، وهو قائد عسكري محنك تمكن بمساعدة أخيه المؤيد من إخراج الأتراك من اليمن عام ١٠٤٥هـ (ت/١٠٤٨هـ) .
انظر : الشوكاني ، البدر الطالع ٢٠٥/١ : سالم ، الفتح العثماني الأول لليمن ، ٣٣٨ - ٣٩٥ ؛ المحبي ، خلاصة الأثر ٣٩/٢ ؛ الجرافي ، المقتطف من تاريخ اليمن ٢١٥ .

(٢) سبقت الإشارة إليه .

(٣) الابن الأكبر للإمام القاسم ، تولى الإمامة بعد وفاة والده عام ١٠٢٩هـ ، دخل في صراع مرير وطويل مع الأتراك انتهى بخروجهم الأول من اليمن عام ١٠٤٥هـ (ت/١٠٥٤هـ) .
انظر : الشوكاني ، البدر الطالع ٢٣٨/٢ : المحبي ، خلاصة الأثر ١٢٢/٤ : سالم ، الفتح العثماني الأول لليمن ، ٣٦٩ - ٣٩٤ .

(٤) العترة الطاهرة : الأشراف الذين حكموا المخلاف مثل الخواجيين وبني ذروة والقطبيين والحوازمة وغيرهم . انظر : ص ٤٩ وما بعدها .

(٥) الأصل : أربعة .

(٦) تولى الإمامة بعد وفاة أخيه المؤيد ، ويعد أول الأئمة الذين حكموا اليمن مستقلة عن الأتراك ، تمكن من بسط نفوذه على جميع أجزاء اليمن إلى حضرموت (ت/١٠٨٧هـ) .
انظر : الشوكاني ، البدر الطالع ١٤٦/١ ؛ الواسعي ، فرجة الهموم والحزن ، ٢٢١ ؛ الجرافي المقتطف من تاريخ اليمن ، ٢٢٥ .

(٧) مؤسس أسرة آل خيرات في المخلاف السليماني ، هاجر من مكة المكرمة إلى أبو عريش في أواخر القرن الحادى عشر الهجري ، ولمزيد من التفصيل عن أسباب نزوحه وحياته .
انظر : العقيلي ، المخلاف السليماني ٣٨٧/١ ؛ مهنا ، مقدمة الدراسة والتحقيق لكتاب : خلاصة العسجد ، ٧٨ .

(٨) عالم مؤرخ ، عمل قاضيًا في مدينة « أبو عريش » لبعض الوقت ، ألف كتاب : خلاصة العسجد في دولة الشريف محمد بن أحمد ، وكتاب : نزهة الظريف في دولة أولاد الشريف .
انظر : عاكش ، عقود الدرر ، تحقيق د . إسماعيل البشري الترجمة رقم (١١١) ؛ مهنا ، دراسة وتحقيق كتاب خلاصة العسجد ، ٥ - ٩ ؛ الشوكاني ، البدر الطالع ٣٢٢/١ .

في « الخلاصة »[1] .

وتدريج نسبه هكذا : خيرات بن شبير بن بشير بن أبي نمي الصغير [٣/ب] محمد بن بركات بن محمد بن بركات بن الحسن بن عجلان بن رميثة بن أبي نمي بن أبي سعد الحسن بن علي بن قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبدالكريم بن عيسى بن الحسين بن سليمان بن علي بن السلمية بن عبدالله بن محمد ثعلب بن عبدالله ((أبي جعفر)) الأكبر بن محمد ((الأكبر)) الثائر بن موسى الثاني بن عبدالله الصالح ابن موسى الجون بن عبدالله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

وكان مستقر ما انتهى إليه/ سيره مدينة « أبي عريش » فنصب بيوته [ص١٨] غربي المدينة المذكورة ، وابتنى مسجده المعروف الآن ، ووصل معه جملة من بيوت القبائل فتفرقوا في الجهة ، وبعض ذريتهم موجودون إلى الآن ، وسبب خروجه من « مكة المشرفة » قد حققه صاحب « الخلاصة » .

و « أبو عريش » هذا أول من اختط ببقعته مسكنًا جد بني الحكمي[2] ((كما هو الشائع)) ، وكان جدّهم رجلاً صالحًا له يد في الطريقة[3]، فبنى عريشًا هناك ، وكان يقصده الناس من كل ناحية لما هو عليه من الفضل ؛ فلذا يسمى « أبو عريش » ، وزمان اختطاطه قديم أظنه في آخر القرن السابع ، وقد ذكر الحافظ ابن حجر في كتابه الذي سماه « أنباء الغمر بأنباء العمر »[4] « أبو عريش » وضبط « عُرَيِّش » بالتصغير

(١) اسم الكتاب : خلاصة العسجد في دولة الشريف محمد بن أحمد ، حققه ودرسه د . هاني زامل مهنا في رسالة دكتوراه في جامعة Durham البريطانية ، لم ينشر ، ويعد من أهم مصادر تاريخ المخلاف السليماني للفترة من ١١٤٥ - ١١٨٤هـ .

(٢) هو الشيخ صديق بن علي بن أبي بكر الحكمي ، المشهور بالصلاح ، وهو الذي أسس الجامع بمدينة « أبو عريش » ، (ت/٨٧٣ هـ) .
انظر : النعمان ، العقيق اليماني ، مخطوط ، ص ١٣٧ ؛ العقيلي ؛ التصوف في تهامة ، ١٤١ ، وقد ذكر العقيلي أنه توفي عام ٨٧٦هـ والصواب ما ذكر سابقًا.

(٣) هنا إشارة إلى منحى صوفي ، والطرق التي افترق عليها عموم المنتسبين إلى الصوفية كلها مما لا أساس له في الشرع ، وإنما هي من محدثات الأزمنة المتأخرة .

(٤) مطبوع في دار الكتب العلمية ببيروت عام ١٣٨٧هـ .

والتشديد ، والمشهور أنه مكبّر مخفّف ، وكان دخول الحافظ ابن حجر اليمن في سنة ثمانمائة في دولة الملك الناصر أحمد بن إسماعيل بن العباس(١) ، وقد صار الآن من أحسن مدن اليمن(٢) لما حواه من العمائر العظيمة ، والقصور الشامخة والقلاع المنيعة ، وهو في مستقر من الأرض فسيح ، وبينه وبين البحر قدر ست ساعات فلكية حيث بندر « جازان » [ص١٩] والجبال قريبة منه ، وجميع فواكهها تجلب إليه / ، وهو من أصح البلاد ، وهواؤه رقيق ، وماؤه عذب [٤/أ] صحيح .

جَوُّهُ سَجْسَجٌ وفيه نَسِيمٌ ... كُلُّ غُصْنٍ إلى لقاهُ يَمِيلُ
صَحَّ سكّانُه جميعًا من الدا ... ء وجسمُ النسيم فيه عليلُ(٣)

وهو الآن تخت المملكة الحسنية ، ومستقر الدولة الحيدرية ، وكان مستقر أبي(٤) الشريف المذكور « مكة المشرفة » ، وكان قد وصل من « مكة » إلى هذه الجهات بعد قدوم الشريف خيرات الشريف أحمد بن غالب(٥) ، وكان قدومه سنة إحدى ومائة وألف ، وتوجه إلى إمام ذلك الزمان بصنعاء وهو الملقب أولاً بـ « الناصر » وثانيًا بـ « المهدي » محمد ابن أحمد بن الحسن بن القاسم(٦) فولاه على المخلاف السليماني ،

---

(١) ثامن حكام بني رسول في اليمن ، تولى الحكم عام ٨٠٣ هـ ، وتوفي عام ٨٢٧ هـ .
انظر : ابن الديبع ، بغية المستفيد ، ١٠٤ ؛ الحداد ، تاريخ اليمن السياسي ، ٢٧٧ ؛ السخاوي ، الضوء اللامع ١/٢٣٩ .
(٢) انظر التعليق حول مفهوم الشام واليمن لدى المؤلف ص ١٣٥ هامش [٧] .
(٣) البيت من الخفيف .
(٤) الأصل : أبا .
(٥) أحد أشراف مكة ، حكم الحجاز بين ١٠٩٩ - ١١٠١هـ عندما أجبر على التنازل ، نزح إلى المخلاف السليماني حيث تمكن بمساعدة إمام اليمن من تولي مقاليد الحكم في « أبو عريش » ، استمر حكمه حتى عام ١١٠٥هـ عندما أجبر مرة أخرى على العودة إلى مكة حيث توفي هناك عام ١١١٣هـ .
انظر : البهكلي ، العقد المفصل بالعجائب والغرائب في دولة الشريف أحمد بن غالب ، مطبوع .
(٦) أعلن نفسه إمامًا لليمن عام ١٠٩٧هـ ، ويسمى صاحب المواهب نسبة إلى قرية « المواهب » (ت/١١٣٠هـ) . =

وأضاف إليه آخر المدة بلاد « الشرفين »(١) ، وبلاد « ظاعن »(٢) و « عاهم »(٣) و « مور »(٤) و « الضحي »(٥) ، فضخمت سعادته ، واتسعت دائرته ، وعمر « قلعة جازان » المشهورة بعد خرابها ، وكان العامر لها أولاً الأمير خالد بن قطب الدين وأولاده كما أشار إليه صاحب « العقد المفصّل »(٦) وبعدها جرت عليه قلاقل ، وارتحل من هذه الجهات سنة خمس ومائة وألف ، وكان مدة لبثه بهذا المخلاف مذ دخل إلى أن خرج ثلاث سنين ونحو عشرة أشهر . وقد / تكفل بذكر أيام وقائعه [ص٢٠] الوالد القاضي العلامة علي بن عبد الرحمن البهكلي(٧) - رحمه الله تعالى - في مؤلفه الذي سماه « العقد المفصّل بالعجائب والغرائب » فيما جرى من الحوادث في أيام الشريف أحمد بن غالب(٨) .

= انظر : الواسعي ، فرجة الهموم والحزن ، ٢٢٢ ؛ الشوكاني ، البدر الطالع ٢/٩٧ ؛ زبارة ، نشر العرف ٢/٤٠٢ .
(١) لم أعثر على موقع في اليمن بهذا الاسم ، ولعل المؤلف يقصد الشرف وهو اسم مشترك بين جملة بلدان في اليمن أشهرها شرف حجة ، والشرف من قرى جبل ملحان وغيرها ، وتشير بعض المصادر إلى شرف حجة باسم الشرفين .
انظر : المقحفي ، معجم المدن والقبائل اليمنية ، ٢٣٠ ؛ الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ١٢٦ ؛ - Smith , The Ayyubids 2/252 .
(٢) بلد من حجور شمال « حجة » ، وقد أوردها المقحفي في حرف الضاد هكذا : ضاعن .
انظر : معجم المدن والقبائل اليمنية ، ٣٧٤ .
(٣) موضع من حجور قرب حجة ، إليه ينسب سوق عاهم المشهور . انظر : المقحفي ، معجم المدن والقبائل اليمنية ، ٢٧٤ .
(٤) وادٍ مشهور يقع غرب مدينة اللحية اليمنية ، به سميت مدينة مور . انظر : المقحفي ، معجم المدن والقبائل اليمنية ، ٤١٦ ؛ الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ٩٧ .
(٥) بلد من وادي سُردد جنوبي الزيدية بمسافة ١٨ كم . انظر : المقحفي ، معجم المدن والقبائل اليمنية ، ٢٥٩ .
(٦) اسم الكتاب : العقد المفصل بالعجائب والغرائب في دولة الشريف أحمد بن غالب ، ومؤلفه : علي بن عبدالرحمن البهكلي ، حققه وعلق عليه محمد بن أحمد العقيلي ، طبع دار البلاد بجدة ، بدون تاريخ .
(٧) من العلماء المؤرخين ، كان قاضيًا في صبيا (ت/١١١٤هـ) . انظر : العقيلي ، أضواء على الأدب والأدباء ، ١١١ .
(٨) انظر : الهامش رقم [٥] في الصفحة السابقة .

واعلم أن أول من ساد بـ « مكة » وحمى حماها من أهل هذا البيت الشريف قتادة بن إدريس[١] ، ولي سنة سبع وقيل تسع وتسعين[٢] وخمسمائة ، وتوفي سنة تسع عشرة وستمائة ، وقيل ثماني عشرة[٣] ، وكانت ولايته من « ينبع »[٤] إلى « حلي » ، وكان بينه وبين صاحب المدينة[٥] وقعات ، ثُمَّ تولى بعد الشريف قتادة [٤/ب] جماعة لم يشتهر صيتهم ، ولم يعظم أمرهم حتى ولي الشريف محمد بن أبي سعد[٦] من ذرية الشريف قتادة فعظم أمره ، وشاع ذكره ، وقصده الوفاد ، وفيه يقول الأديب البليغ ابن هتيمل الضمدي رحمه الله تعالى :

يهني بني حسن ما سَرَّ سيدهم ... محمد بن أبي سعد ويهنيه[٧]

إلى أن قال :

لولا النبوةُ في أيامه خُتمت ... بجده ما شككنا في تَنَبّيه[٨]

(١) جد الأشراف آل قتادة بمكة ، سيطر على مكة عام ٥٩٨ هـ ، واستمرت شرافة مكة في ذريته من بعده (ت/٦١٧هـ) .
انظر : دحلان ، خلاصة الكلام ، ٢٣ ؛ المقريزي ، السلوك ١٦٢/١ ؛ الأعلام ٢٦/٦ ؛
- De Gaury , Rulers of Mecce , 60 .

(٢) الأصل : وسبعين ، والصواب من ص .

(٣) تولى عام ٥٩٨ هـ ، وتوفي عام ٦١٧ هـ . انظر : الهامش رقم [١] من هذه الصفحة .

(٤) من مدن الحجاز المهمة ، تقع على ساحل البحر الأحمر ، حوالي ٣٥٠ كم شمال جدة .
انظر : الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ٢٨٦ .

(٥) أمير المدينة آنذاك هو سالم بن مهنى الحسني الذي دخل في صراع مع الشريف قتادة لمدة تقرب من ثلاث سنوات دارت فيها أربعة حروب كان النصر فيها متساويًا وانتهت بعقد صلح بين الطرفين .
انظر : ابن الأثير ، الكامل ٢٠٥/١٢ ؛ سليمان المالكي ، بلاد الحجاز ، ٦١ .

(٦) شريف مكة خلال الفترة من ٦٥٢ - ٧٠١ هـ ؛
- De Gaury , Rulers , 91 .

(٧) القصيدة من البسيط ، وانظر القصيدة كاملة في الديوان ، تحقيق العقيلي ، ص ٧٩ .

(٨) هذه مبالغة لا يؤيدها عقل ولا شرع لأن مقام النبوة مقام لا يضاهيه أحد غير من اختص به ، لكن هذا شأن بعض الشعراء في المغالاة غير المحمودة .

وقد ترجم له الحافظ الذهبي[١] في « النبلاء »[٢] وأثنى عليه ، ثُمَّ لم تزل الولاية في يد الأشراف آل قتادة إلى أن وليها واسطة عقدهم الحسن بن عجلان[٣] سنة سبع وتسعين وسبعمائة[٤] . ولم يزل جليلاً معظمًا مهابًا مقصودًا حتى توفي سنة / تسع وعشرين وثمانمائة . [ص٢١]

ثُمَّ وليها ابنه الشريف محمد بن بركات[٥] ، وكان ذا حزم ، فدانت له البلاد ، وطالت مدته إلى سنة ثلاث وتسعمائة ، قيل وخلف من الأولاد ذكورًا وإناثًا نحو الأربعين ، وأكبرهم سنًا خليفته الشريف بركات بن محمد ، استقر في الأمر بعد موت والده ، وتوفي سنة إحدى وثلاثين وتسعمائة ، ولم تَصْفُ له البلاد ، وحصلت بينه وبين إخوته فتنة يطول ذكرها[٦] .

ثُمَّ تولى بعده أبو نمي بن بركات[٧] قيل وهو ابن عشرين سنة

(١) محمد بن أحمد بن عثمان ، محدِّث ومؤرخ مشهور ، تصانيفه تقارب المائة (ت/٧٤٨هـ) .
انظر : الشوكاني : البدر الطالع ١١٠/٢ ؛ القنوجي ، التاج المكلل ، ٤١١ ؛ الزركلي ، الأعلام ٢٢٢/٦ .

(٢) اسم الكتاب : سير أعلام النبلاء ، مطبوع في خمسة وعشرين مجلدًا ، هذبه محمد حسن عقيل في ثلاثة مجلدات بعنوان : نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء ، نشر عام ١٤١١هـ عن دار الأندلس بجدة .

(٣) الحسن بن عجلان بن رميثة بن أبي نمي ، تولى الشرافة عام ٧٩٨هـ ، وعزل وأعيد مرتين (ت/٨٢٩هـ) . انظر : الزركلي ، الأعلام ٢١٣/٢ ؛ السخاوي ، الضوء اللامع ١٠٣/٣ ؛ دحلان ، خلاصة الكلام ، ٣٦ .

(٤) تولى الشرافة عام ٧٩٨هـ .

(٥) تولى شرافة مكة عام ٨٥٩هـ (ت/٩٠٣هـ) ، والمؤلف هنا وَهَم في أن الشريف محمد بن بركات ابنٌ للشريف الحسن بن عجلان ، والصواب أن الذي خلف الحسن بن عجلان هو الشريف بركات بن حسن من ٨٢٩هـ - ٨٥٩هـ ، ثُمَّ وليها ابنه محمد بن بركات بعد ذلك .
انظر : دحلان ، خلاصة الكلام ، ٤٠ ؛ الشوكاني ، البدر الطالع ١٤٠/٢ ؛
- De Gaury , Rulers , 60.

(٦) لمزيد من التفصيل حول هذه الأحداث . انظر : دحلان ، خلاصة الكلام ، ٤٦ - ٥٣ .

(٧) هو محمد بن بركات بن محمد بن بركات بن الحسن بن عجلان ، أبو نمي ، المعروف بصاحب القانون ، شارك أباه في حكم مكة ثُمَّ وليها منفردًا بعد وفاة والده عام ٩٣١هـ (ت/٩٩٢هـ) .
انظر : الغزي ، الكواكب السائرة ١٦٤/١ ؛ الأعلام ٢٧٦/٦ ؛ دحلان ، خلاصة الكلام ، ٤٤ .

ووصلت له المراسيم السلطانية ، وطالت دولته إلى سنة إحدى - وقيل اثنتين - وتسعين وتسعمائة .

ثُمَّ ولي بعده الغرة الشادخة ، والذروة الشامخة الحسن بن أبي نمي[1] ، ولم يبلغ أحد من آبائه مبلغه ، وتوفي سنة عشر وألف .

وبسعايته وسعاية والده - رحمهما الله تعالى - كانت الجلالة لأهل « وادي ضمد » ، وسبب ذلك أنه كان بينه وبين والدنا القاضي العلامة إمام المحققين في عصره عز الإسلام محمد بن علي بن عمر بن محمد [٥/أ] ابن يوسف الضمدي[2] - تغمده الله برضوانه - ((مودة أكيدة)) ، وكان يقيم لديه في « مكة المشرفة » مدة ، ولقد ساق إليه من صنوف الإنعام ما لا يعبر عنه ، ويعرف به مصداق الأثر « لا يعرف الفضل لأهل [ص٢٢] الفضل إلا ذووه »[3]./ وفي خلال تلك المدة شكى عليه ما يلحق أهل الوادي من المطالب الدولية[4] بواسطة عمال الأتراك ، فبعث مرسولاً إلى السلطنة ، وبذل على ذلك أموالاً جليلة ، وما وصله إلا رأي سلطاني يقضي برفع جميع تلك المطالب ما خلا واجباتهم ، فتساق إلى القاضي المذكور ليتولى صرفها في مصارفها ، فحسنت بذلك الأحوال ، وعمرت من الوادي المذكور جميع المحال ، والقصة مطولة قد استوفاها صاحب « العقيق اليماني » من أحبَّ ذلك فليراجعها فيه[5] .

وهذا الوالد محمد كان من أئمة المعقول والمنقول ، أوحدي زمانه في الفروع والأصول ، وكان في وقته هو المرجع للمشكلات ، والمعوَّل عليه

(١) تولى الشرافة عام ٩٩٣هـ إلى ١٠١٠هـ . انظر : دحلان ، خلاصة الكلام ، ٥٦ - ٦٠ .

(٢) من علماء المخلاف المشهورين في وقته ، له علاقات مع إمام صنعاء وأشراف مكة (ت/٩٩٠هـ) . انظر : النعمان ، العقيق اليماني ، مخطوط ، ٣٠٨ .

(٣) ذكره الألباني في ضعيف الجامع رقم ٢٠٦٧ وقال : موضوع ، ٢١٤/٢ ، وأشار إلى أنه ورد عند الخطيب البغدادي في تاريخه وابن عساكر في تاريخ دمشق .

(٤) يقصد الضرائب التي فرضها الأتراك على الأهالي خلال فترة الحكم العثماني الأول في اليمن .

(٥) انظر تفاصيل القصة في العقيق اليماني للنعمان ، مخطوط ، ص ٣٠٨ - ٣٠٩ .

في حل المعضلات ، تخرج على جلة مشايخ عصره الذين يشار إليهم[1] في العلوم بالبنان ، فتبحر في جميع الفنون ، وفاق بتحقيقه الأقران . وله في الأدب اليد الطولى ، ولو لم يكن له إلا قصيدته التي طالعها :

إن مسنا الضرُّ أو ضاقت بنا الحيلُ
فلن يَخيب لنا في ربنا أملُ[2]

لكفاه فضيلة ، فإنه روي أنه عم الجدب هذه الجهات فخرج بالناس لصلاة الاستسقاء ، وأنشد هذه القصيدة ارتجالاً بعد الصلاة ، فما أكملها حتى منَّ الله - سبحانه - بالمطر ، ولم يحمل من موضعه إلا على رقاب الرجال لشدة ما وقع من المطر ، وهذا من كراماته . غاية الأمر أن[3] حصر مناقبه / وما له من الفضائل لايفي بها إلا مؤلف . وقد ألمّ ببعض [ص٢٣] ذلك صاحب « العقيق »[4] [٥/ب] . وكان مولده - رحمه الله تعالى - سنة ثلاث[5] وثمانين وثمانمائة ، ووفاته سنة تسعين (بتقديم التاء المثناة من فوق)[6] وتسعمائة ، فمدة عمره مائة سنة وسبع سنين .

نعم : ثُمَّ تولى بعد وفاة[7] الشريف الحسن بن أبي نمي ابنه أبو طالب[8] ولم تطل مدته ، وقد استقصى العلامة الطبري[9] في كتابه

(١) الأصل : عليهم والصواب من ع .

(٢) البيت من البسيط .

(٣) الأصل : أنه والصواب من ص .

(٤) انظر : القصة في العقيق اليماني وفيات (٩٩٠هـ) .

(٥) الأصل : ثلاثة .

(٦) أورد المؤلف هذه العبارة لتأكيد كلمة تسعين لاشتباهها أحيانًا مع كلمة سبعين.

(٧) الأصل : وفات .

(٨) تولى شرافة مكة المكرمة لفترة قصيرة في عام ١٠١٠هـ وتوفي عام ١٠١٢هـ . انظر : المحبي ، خلاصة الأثر ١٣١/١ ؛ - De Gaury , Rulers of Mecce , 128 .

(٩) عبدالقادر بن محمد الطبري المكي ، من علماء مكة المشهورين (ت/١٠٣٢هـ). انظر : الشوكاني ، البدر الطالع ٣٧١/١ ؛ المحبي ، خلاصة الأثر ٤٥٧/٢ .

« السلافة »[1] تفصيل أخبار من ذكرناهم على سبيل الإجمال من أراد ذلك فليطلبه منه .

ثُمَّ تولى بعد أبي طالب إدريس بن الحسن[2] وعارضه الشريف محسن بن حسين[3] وأخرجه من « مكة » ، ومات غريبًا سنة أربع وثلاثين وألف ، ثُمَّ قام بالأمر بعده فسُلِّط عليه من أخرجه حتى مات بصنعاء غريبًا سنة ثمان وثلاثين وألف ، ثُمَّ عوقب من أخرجه وهو الشريف أحمد ابن عبدالمطلب ، فقتله الباشا « قانصوه » - كما قيل - على غرة سنة تسع وثلاثين وألف ، وقام بعده الشريف مسعود بن إدريس ، ثُمَّ توفي سنة أربعين وألف ، ثُمَّ بعده الشريف عبدالله بن الحسن بعد الشيب والكبر ، ثُمَّ توفي في سنة إحدى وأربعين وألف .

ثُمَّ ولده محمد بن عبدالله فقتله طائفة الأتراك[4] ، واستقل [ص٢٤] بالأمر الشريف زيد / بن محسن ، وتوفي سنة ثمان[5] وسبعين وألف ، ثُمَّ انتهت الإمارة إلى الشريف مساعد بن سعيد بن زيد[6] ، ثُمَّ إلى ولده الشريف سرور[7] ، وقد وصف بالعدل والشفقة على الرعية ، ولما توفي

---

(١) اسم الكتاب كاملاً : نشأة السلافة بمنشآت الخلافة . انظر : الشوكاني ، البدر الطالع ٢٧١/١ .

(٢) شريف مكة للفترة من ١٠٣٤هـ إلى ١٠٣٧هـ عندما أجبر على التنازل ومن ثمَّ نزح إلى صنعاء حيث توفي عام ١٠٣٨هـ .
انظر : المحبي ، خلاصة الأثر ٣٠٩/٣ ؛ - De Gaury , Rulers of Mecce , 128.

(٣) الأصل : أربعة .

(٤) قتله الأتراك بعد ستة أشهر من توليه الحكم عام ١٠٤١هـ . انظر : المحبي ، خلاصة الأثر ٢٧/٤ .

(٥) الأصل : ثمانية .

(٦) تولى شرافة مكة خلال الفترة من ١١٦٥هـ إلى تاريخ وفاته عام ١١٨٤هـ ، وهو الذي عاصر ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في نجد واتخذ منها موقفاً عدائياً .
انظر : الزركلي ، الأعلام ١٠٣/٨ ؛ ابن عثيمين ، تاريخ المملكة العربيَّة السعودية ١٢٤/١ .

(٧) شريف مكة للفترة من ١١٨٦هـ إلى تاريخ وفاته عام ١٢٠٢هـ ، وكان موقفه من الدعوة السلفية كسابقه . انظر : الزركلي ، الأعلام ١٢٨/٣ ؛ ابن عثيمين ، تاريخ المملكة ١٢٥/١ .

سنة ثلاث بعد المائتين والألف قام بالأمر أخوه الشريف غالب بن مساعد ، وأخذه الأتراك سنة ثمان وعشرين بعد المائتين والألف ، ووصل إلى الروم أسيرًا ، وبها توفي رحمه الله تعالى[1] . وبعد ذهابه كانت الإمارة تنتقل في قراباته [٦/أ] إلى أن استقرت للشريف محمد بن عون[2] ، وهو إلى حال هذا التاريخ إمارة مكة إليه ، وليت شعري ماذا يحدث الزمن[3] .

وأول من رأس من أهل هذا البيت في المخلاف السليماني الشريف أحمد بن محمد بن خيرات ، وكان مبتدأ ولايته سنة إحدى وأربعين بعد المائة والألف ، وكانت ولايته من تحت نظر إمام « صنعاء » في ذلك الزمان[4] ، وهو الإمام المنصور الحسين بن القاسم بن الحسين بن المهدي أحمد بن الحسن بن القاسم[5] ، وتفصيل حاله قد كفى فيه صاحب « الخلاصة » ، وكانت وفاته سنة أربع وخمسين ومائة وألف .

وبعد وفاته تولى من تحت نظر الإمام المذكور ولده الشريف محمد ابن أحمد ، وكانت أيامه غرة في جبين الدهر ، وقد تكفل بتسيير وقائعه

---

(١) الذي اعتقل الشريف غالب هو محمد علي باشا أثناء حملته على الحجاز عام ١٢٢٨هـ لأنه شك في إخلاصه ، ثُمَّ أرسله إلى القاهرة ، ونقل إلى سلانيك حيث توفي بها عام ١٢٣١هـ .
انظر : الرافعي ، عصر محمد علي ، ١٣٢ : الشوكاني ، البدر الطالع ، ٤/٢ .

(٢) تولى الشريف محمد بن عون الشرافة مرتين ، الأولى من عام ١٢٤٣ - ١٢٦٨هـ ، والثانية من عام ١٢٧٢ - ١٢٧٥هـ .
انظر : مردم ، أعيان القرن الثالث عشر ، ١٣٤ ؛ دحلان ، خلاصة الكلام ، ٣٠٤ . ٣١٩ .

(٣) في هذا إشارة إلى تاريخ تأليف هذا الكتاب ، وحيث إن المؤلف قد وقف عند حوادث عام ١٢٧١هـ مما يدل على أنه ألف خلال الفترة الثانية لحكم الشريف محمد بن عون ، وذلك بين عام ١٢٧٢ - ١٢٧٥هـ .

(٤) نظرة المؤلف هنا محدودة وبعيدة عن الأوضاع الدولية ، فالإمام نفسه كان يتبع الدولة العثمانية اسميًا واليمن كانت تعد من أملاك الدولة العثمانية في العرف الدولي آنذاك.

(٥) أصبح إمامًا لليمن سنة ١١٣٩هـ بعد صراع مرير مع محمد بن إسحاق المهدي (ت/١١٦١هـ) . انظر : الشوكاني ، البدر الطالع ٢٢٥/١ ؛ زبارة ، نشر العرف ٥٩٥/١ .

[ص٢٥] صاحب « الخلاصة » . وكانت وفاته عام أربعة / وثمانين بعد المائة والألف[1] .

وهؤلاء أئمة « صنعاء » هم من أولاد الإمام الهادي[2] يحيى بن الحسين ابن القاسم نجم آل الرسول الرسي بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل الديباج ابن إبراهيم الغمر بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ابن أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه ، وكان مولد الهادي « بالمدينة المنورة » سنة خمس وأربعين ومائتين . وخروجه إلى اليمن وظهور شوكته سنة ثمانين ومائتين ، وله خمس وثلاثون سنة ، ولما رأى[3] من أهل اليمن فتورًا رجع إلى الحجاز . فوفدوا إليه ، وقدم « صعدة »[4] سنة أربع وثمانين ومائتين ، وتوفي « بصعدة » بعد أن مهد البلاد وقوم أودها ، وأحيا فيها السنن الشرعية وأمات بها بدع « القرامطة »[5] و« الباطنية »[6] ، وذلك لعشر بقين من ذي الحجة [٦/ب] سنة ثمان وتسعين ومائتين ، وقد صُنِّف في سيرته ومناقبه مؤلفات .

(١) يشير المؤلف إلى كتاب الخلاصة الذي سبق توضيحه وهو : خلاصة العسجد في دولة الشريف محمد بن أحمد . راجع الهامش رقم ١ ، ص (٦٥) .

(٢) مؤسس المذهب الزيدي في اليمن .
انظر : الحبشي ، مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن ، ٥٠٦ ؛ العمري ، مصادر التراث اليمني ، ١٣٢ ؛ أبو زهرة ، تاريخ المذاهب الإسلاميَّة ٢/٤٩٨ .

(٣) الأصل : رأ والصواب من ص .

(٤) مدينة تاريخية شمال صنعاء بمسافة ٢٤٣ كم ، كانت تسمى « جماع » .
انظر : المقحفي ، معجم المدن والقبائل اليمنية ، ٢٤٨ ؛ الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ٨١ ؛ ابن المجاور ، صفة بلاد اليمن ٢/٢٠٣ .

(٥) القرامطة : إحدى طوائف الباطنية الإسماعيلية ، تنسب إلى حمدان قرمط وتهدف إلى إبطال الشريعة الإسلاميَّة وإنكارها .
انظر : ابن الجوزي ، تلبيس إبليس ، ١٠٤ ؛ أحمد حلي ، دراسة عن الفرق ، ٢٨٨ ؛
- Poonawala , Ismaili sources 151 - 159.

(٦) الباطنية : لقب عام تنطوي تحته طوائف عديدة تلتقي جميعًا في تأويل النصوص الظاهرة وإثبات معانٍ باطنة لها ، وتلجأ إلى الرموز والإشارات في تفسير النصوص وإخراجها عن معانيها الظاهرة ، مستهدفين هدم الإسلام ، ولهم ألقاب مختلفة منها : الإسماعيلية ، القرامطة ، الخرمية ، البابكية ، السبعية ، التعليمية ، البهرة ، النصيرية ، البهائية ، البابية ، البكداشية ... إلخ.
انظر: أحمد جلي، دراسة عن الفرق، ٢٦٦: - Lewis, B. The Origins of Ismailism.

ولم تزل[1] تتناقل في أولاده الإمامة ، وكان لا يليها منهم فيما سلف إلا من جمع بين العلم والعمل ، واتصف بخصال الكمال ، وتحري العدل في الأقوال والأفعال ، وقد عدَّ بعض العلماء نحو خمسة وأربعين إمامًا منهم ، ممن مشى على المنهج النبوي قالاً وحالاً ، وكم فيهم من إمام في العلوم نظّار ، ومحقق في جميع العلوم لا يشق له غبار . وتصانيفهم / في [ص٢٦] جميع الفنون العلمية قد طبقت الآفاق ، وسارت مسير شمس الإشراق ، ولم يقع منهم مخالطة ولا انتساب في الإمارة إلى أحد من ملوك الجور ، وإنَّما هم[2] مستقلون بأنفسهم .

وقد ذكر الحافظ ابن حجر العسقلاني في « فتح الباري » عند الكلام على حديث البخاري : « لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان »[3] بعد أن أورد وجوهًا من الاحتمالات في معنى الحديث .

ثُمَّ قال ما لفظه : « ويحتمل أن يكون بقاء الأمر في قريش في بعض الأقطار دون بعض ، فإن بالبلاد اليمنية وهي النجود طائفة من ذرية الحسن بن علي ، لم تزل مملكة تلك البلاد معهم من أواخر المائة الثالثة ، وأمَّا من كان بالحجاز من ذرية الحسن بن علي وهم أمراء « مكة » وأمراء « ينبع » ، ومن ذرية الحسين بن علي وهم أمراء « المدينة » فإنهم وإن كانوا من صميم قريش لكنهم تحت حكم غيرهم من ملوك الديار المصرية ، فبقي الأمر في قريش بقطر من الأقطار في الجملة ، وكبير أولئك[4] يقال له : « الإمام » ولا يتولى الإمامة فيهم إلا من يكون عالمًا متحريًا

(١) الأصل : يزل .

(٢) الأصل : أنهم ، والصواب من ص .

(٣) انظر : البخاري ، الأحكام ، باب : الأمراء من قريش (٧١٤٠) ؛ ومسلم في الإمارة (١٨٢٠) ؛ وأحمد في المسند ٢/١٢٨ .

(٤) ورد بعد هذه الكلمة في فتح الباري قوله : أي أهل اليمن .
انظر : ابن حجر ، فتح الباري ١٣/١١٧ .

[ص٢٥] صاحب « الخلاصة » ، وكانت وفاته عام أربعة / وثمانين بعد المائة والألف[1] .

وهؤلاء أئمة « صنعاء » هم من أولاد الإمام الهادي[2] يحيى بن الحسين ابن القاسم نجم آل الرسول الرسي بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل الديباج ابن إبراهيم الغمر بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ابن أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه . وكان مولد الهادي « بالمدينة المنورة » سنة خمس وأربعين ومائتين ، وخروجه إلى اليمن وظهور شوكته سنة ثمانين ومائتين ، وله خمس وثلاثون سنة ، ولما رأى[3] من أهل اليمن فتوراً رجع إلى الحجاز . فوفدوا إليه ، وقدم « صعدة »[4] سنة أربع وثمانين ومائتين ، وتوفي « بصعدة » بعد أن مهد البلاد وقوم أودها ، وأحيا فيها السنن الشرعية وأمات بها بدع « القرامطة »[5] و « الباطنية »[6] ، وذلك لعشر بقين من ذي الحجة [٦/ب] سنة ثمان وتسعين ومائتين ، وقد صُنِّف في سيرته ومناقبه مؤلفات .

---

(١) يشير المؤلف إلى كتاب الخلاصة الذي سبق توضيحه وهو : خلاصة العسجد في دولة الشريف محمد بن أحمد ، راجع الهامش رقم ١ ، ص (٦٥) .

(٢) مؤسس المذهب الزيدي في اليمن .
انظر : الحبشي ، مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن ، ٥٠٦ ؛ العمري ، مصادر التراث اليمني ، ١٣٣ ؛ أبو زهرة ، تاريخ المذاهب الإسلاميَّة ٢/٤٩٨ .

(٣) الأصل : رأ والصواب من ص .

(٤) مدينة تاريخية شمال صنعاء بمسافة ٢٤٣ كم ، كانت تسمى « جماع » .
انظر : المقحفي ، معجم المدن والقبائل اليمنية ، ٢٤٨ ؛ الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ٨١ ؛ ابن المجاور ، صفة بلاد اليمن ٢/٢٠٣ .

(٥) القرامطة : إحدى طوائف الباطنية الإسماعيلية ، تنسب إلى حمدان قرمط وتهدف إلى إبطال الشريعة الإسلاميَّة وإنكارها .
انظر : ابن الجوزي ، تلبيس إبليس ، ١٠٤ ؛ أحمد حلي ، دراسة عن الفرق ، ٢٨٨ ؛
- Poonawala , Ismaili sources 151 - 159.

(٦) الباطنية : لقب عام تنطوي تحته طوائف عديدة تلتقي جميعاً في تأويل النصوص الظاهرة وإثبات معانٍ باطنة لها ، وتلجأ إلى الرموز والإشارات في تفسير النصوص وإخراجها عن معانيها الظاهرة ، مستهدفين هدم الإسلام ، ولهم ألقاب مختلفة منها : الإسماعيلية ، القرامطة ، الخرمية ، البابكية ، السبعية ، التعليمية ، البهرة ، النصيرية ، البهائية ، البابية ، البكداشية ... إلخ.
انظر: أحمد جلي، دراسة عن الفرق، ٢٦٦:
- Lewis, B. The Origins of Ismailism.

ولم تزل[1] تتناقل في أولاده الإمامة ، وكان لا يليها منهم فيما سلف إلا من جمع بين العلم والعمل ، واتصف بخصال الكمال ، وتحري العدل في الأقوال والأفعال ، وقد عدَّ بعض العلماء نحو خمسة وأربعين إماماً منهم ، ممن مشى على المنهج النبوي قالاً وحالاً ، وكم فيهم من إمام في العلوم نظّار ، ومحقق في جميع العلوم لا يشق له غبار . وتصانيفهم / في [ص٢٦] جميع الفنون العلمية قد طبقت الآفاق ، وسارت مسير شمس الإشراق . ولم يقع منهم مخالطة ولا انتساب في الإمارة إلى أحد من ملوك الجور ، وإنَّما هم[2] مستقلون بأنفسهم .

وقد ذكر الحافظ ابن حجر العسقلاني في « فتح الباري » عند الكلام على حديث البخاري : « لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان »[3] بعد أن أورد وجوهاً من الاحتمالات في معنى الحديث .

ثُمَّ قال ما لفظه : « ويحتمل أن يكون بقاء الأمر في قريش في بعض الأقطار دون بعض ، فإن بالبلاد اليمنية وهي النجود طائفة من ذرية الحسن بن علي ، لم تزل مملكة تلك البلاد معهم من أواخر المائة الثالثة ، وأمَّا من كان بالحجاز من ذرية الحسن بن علي وهم أمراء « مكة » وأمراء « ينبع » ، ومن ذرية الحسين بن علي وهم أمراء « المدينة » فإنهم وإن كانوا من صميم قريش لكنهم تحت حكم غيرهم من ملوك الديار المصرية ، فبقي الأمر في قريش بقطر من الأقطار في الجملة ، وكبير أولئك[4] يقال له : « الإمام » ولا يتولى الإمامة فيهم إلا من يكون عالماً متحرياً

---

(١) الأصل : يزل .

(٢) الأصل : أنهم ، والصواب من ص .

(٣) انظر : البخاري ، الأحكام ، باب : الأمراء من قريش (٧١٤٠) ؛ ومسلم في الإمارة (١٨٢٠) ؛ وأحمد في المسند ٢/١٢٨ .

(٤) ورد بعد هذه الكلمة في فتح الباري قوله : أي أهل اليمن .
انظر : ابن حجر ، فتح الباري ١٣/١١٧ .

للعمل[1] » انتهى كلام الفتح[2] ، وهو يشير إلى الإمام الهادي وذريته [٧/أ] وهذه فضيلة لهم لا تجحد ، ومنقبة اختصوا بها من دون كل أحد .

[ص٢٧] والإمام القاسم - رحمه الله تعالى - يتصل نسبه / بالإمام الهادي ؛ لأنه القاسم بن محمد بن علي بن محمد بن علي بن الرشيد بن أحمد بن الحسين بن علي بن يحيى بن محمد بن يوسف الأشلّ بن القاسم ابن الداعي إلى الله يوسف ابن الإمام المنصور بالله يحيى ابن الإمام الناصر أحمد ابن الإمام الهادي يحيى بن الحسين رحمهم الله تعالى .

نعم ، ولم تزل الولاية بيد أولاد الشريف محمد يتناقلونها حتى دار الدور إلى ولده الشريف حمود[3] ، فقام بأعباء ذلك المنصب العالي ، وطلع نجمه السعيد على أهل الأيام والليالي ، وذلك في عام (خمسة عشر)[4] بعد المائتين والألف ، وكان ابتداء قيامه في إقبال دعوة الرجل النجدي[5] في هذه الجهات .

ولا غنى بنا عن بيان صاحب هذه الدعوة ، لأن وقائع الشريف حمود مترتبة على ذلك ، فأصل هذه الدعوة من الشيخ محمد ؛ وهو محمد بن عبدالوهاب بن سليمان بن علي التميمي النجدي[6] .

مولده سنة خمس عشرة ومائة وألف « بالعيينة »[7] بعين مهملة وياء مثناة من تحت ونون بعدها ياء النسبة ، بلد من بلاد نجد قرب « اليمامة »[8] ، ونشأ في حجر أبيه بمدينة

(١) في فتح الباري : العدل . انظر : ١١٧/١٣ .
(٢) انظر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ١١٧/١٣ .
(٣) خصص المؤلف الفصل الأول من هذا الكتاب في ذكر الشريف حمود وأيامه.
(٤) الأصل : خمس عشرة .
(٥) الشيخ محمد بن عبدالوهاب .
(٦) في حديث المؤلف عن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية خلط المؤلف عفا الله عنه بين كلام حق وكلام مجاف للحق بعضه نقله عن غيره ، وبعضه ساقه أثناء كلامه .
(٧) من مدن نجد القديمة ، يرجع تاريخ إنشائها إلى منتصف القرن التاسع الهجري ، وهي تبعد حوالي ٥٠ كم شمال غرب الرياض .
انظر : ابن بشر ، عنوان المجد ١٨٩/٢ ؛ الجاسر ، المعجم الجغرافي ٨٧٨/٢ ؛ ابن خميس ، معجم اليمامة ١٩٨/٢ - ٢٠٥ .
(٨) منطقة نجد حاليًا . انظر : ابن خميس ، معجم اليمامة ٤٧١/٢ - ٤٧٥ .

« حريملاء »[1] بضم الميم وفتح الراء المهملة وياء مثناة من تحت ساكنة وبعدها مكسورة ولام مفتوحة بعدها ألف مقصورة[2] ، وكان أبوه قاضيها فقرأ القرآن والفقه ، ورحل إلى « المدينة » و « الحسا »[3] و « البصرة » ، ولازم مشايخ عدة ، وأخذ / عنهم ، وتوفي في شهر شوال [ص٢٨] سنة ست بعد المائتين والألف ، وهو ابن اثنتين وتسعين سنة .

وقد قام بمعاضدته الأمير عبدالعزيز[4] صاحب « الدرعية »[5] وقومه ، وقام بها بعد وفاته ابنه سعود[6] ، ثُمَّ ابنه عبدالله[7] ، وسيأتي بيان انتهاء مدتهم ، وكانت تحت [٧/ب] مملكتهم «الدرعية»، وهي بدال مهملة مكسورة وراء مهملة ساكنة ، بعدها عين مهملة مكسورة وياء مثناة

(١) من بلدان نجد القديمة ، تقع شمال غرب الرياض . انظر : ابن خميس ، معجم اليمامة ٣١٧/١ ؛ الجاسر ، المعجم الجغرافي ٣١٢/١ .
(٢) إذا كان الحرف الأخير ألفًا مقصورة فإن المدينة تكتب هكذا : حريملى . ولكن المؤلف يكتبها بالألف الممدودة وهو الصحيح ، ويدلنا هذا على اختلاف الأمر في الألف الممدودة والمقصورة عند المؤلف .
(٣) الحسا : الأحساء ، كانت تشكل الجزء الأكبر من الإقليم الممتد من البصرة إلى عمان . وكانت تسمى البحرين في بداية الفتح الإسلامي ، وانحصرت التسمية في العصور المتأخرة على قاعدة الإقليم وأكبر مدينة فيه ثُمَّ عمت التسمية الإقليم بأسره .
انظر : محمد نخلة ، تاريخ الأحساء ، ١٧ ؛ كحالة ، جغرافية شبه جزيرة العرب. ٢٦٦ .
(٤) ثاني حكام الدولة السعودية الأولى للفترة من ١١٧٩هـ إلى تاريخ وفاته سنة ١٢١٨هـ . والمؤلف يشير إلى الأمير عبدالعزيز على أنه أول من عاضد الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، والصحيح أن أول من ساند الشيخ ودعوته هو الإمام محمد بن سعود خلال الفترة من ١١٥٧هـ إلى ١١٧٩هـ وهو تاريخ وفاته .
انظر : ابن بشر ، عنوان المجد ١٥/١ ومابعدها ؛ ابن عثيمين ، تاريخ المملكة ٨٢/١ وما بعدها .
(٥) عاصمة الدولة السعودية الأولى ، خربها إبراهيم باشا عام ١٢٣٤هـ ، تبعد حوالي ١٥ كم شمال غرب الرياض .
انظر : ابن خميس ، معجم اليمامة ٤١٦/١ ؛ الجاسر ، المعجم الجغرافي ، ٤٤٥/١ .
(٦) ثالث حكام الدولة السعودية الأولى ، اشتهر لكونه قائدًا عسكريًا وحقق نجاحًا في امتداد نفوذ الدولة السعودية الأولى خلال حكم والده ، (ت/١٢٢٩هـ) .
انظر : ابن بشر ، عنوان المجد ١٢٥/١ وما بعدها ؛ ابن عثيمين ، تاريخ المملكة ، ١١٧ وما بعدها .
(٧) آخر حكام الدولة السعودية الأولى ، تولى الحكم في فترة عصيبة أثناء حملات محمد علي باشا على الجزيرة العربيَّة ، أسر بعد حصار الدرعية وأرسل إلى إستانبول وقتل فيها .
انظر : عبدالرحيم عبدالرحمن ، الدولة السعودية الأولى ٣٢٦/١ - ٣٥٥ ؛ العجلاني ، عبدالله بن سعود .

من تحت مشددة ، بعدها هاء تأنيث ، وكان بها استقرار الشيخ محمد آخر المدة ، واستقر بها أولاده ، وهم علماء أهل تلك الجهات ، ولا يصدرون في الأمور ويوردون إلا بفتاويهم وأحكامهم[١] .

وقد رأيت لبعضهم مذاكرات لدى سيدي الوالد رحمه الله تعالى تنبي عن اطلاع ، وقد أخبرني بعض علماء « الهجرة الضمدية »[٢] عن السيد العلامة حسن بن خالد الحازمي - رحمه الله تعالى - أنه اتفق بهم في « الدرعية » أيام وصوله إلى هناك مرسولاً من جهة الشريف حمود ، وأنها جرت بينه وبينهم مذاكرات علمية في الأصول والفروع ، ووصفهم بكمال الإدراك والمعرفة والذكاء[٣] .

ولا نزاع في أن مبتدأ هذه الدعوة من الشيخ محمد بن عبدالوهاب حق ، حيث طلب من الخلق إفراد خالقهم بالعبادة التي هي معنى كلمة الإسلام ، وهي لا إله إلا الله ، وعدم اعتقاد الضر والنفع في أحد سوى الله تعالى ، وهدم المشاهد والقباب التي نشأ / منها الاعتقاد الفاسد [ص٢٩] للعوام ، ولكنما شيَّب صفو هذه الدعوة بما كدرها من الغلو الذي تأباه محاسن الشريعة المحمدية السهلة السمحة التي ليلها كنهارها ، وكم جرى في أيامهم من عظائم على أيدي أمراء انتهكوا المحارم ، وأحلوا ما حرم الله من المآثم ، واستباحوا الضعفاء والمساكين واستحلوا الدماء والأموال المعصومة بعصمة الإسلام ، ولم يكن في أيديهم حجة غير دعواهم أن الناس بما أحدثوا من الأفعال والأقوال صاروا غير مسلمين[٤] ، وقد ألف

---

(١) يصدرون ويردون إلى أحكام الشرع المبنية على الدليل الصحيح ، وتلك الفتاوي والأحكام لا تخرج عن ذلك ، كما أنها لا تخرج عن أقوال واجتهاد الأئمة المعتبرين في الأمة .

(٢) مدينة ضمد تقع على ضفة وادي ضمد الغربية ، وتبعد حوالي ٦٠ كم شمال شرق جازان. انظر : العقيلي ، المعجم الجغرافي ، ٢٦٦ ؛ الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ٩٨ .

(٣) لمزيد من المعلومات عن رحلة الحسن بن خالد الحازمي إلى الدرعية ، انظر : البهكلي ، نفح العود ، ١٦٧ .

(٤) هذا الكلام مجرد ادعاء ومحض افتراء ، كل يستطيع البوح به لكنه ادعاء تنقصه الواقعية المبنية على الحقائق والأدلة ، والوقوف على ما كتبه الإمام محمد بن عبدالوهاب -رحمه الله تعالى- وما جرى في وقته وبعده ، والمؤلف هنا تأثر بما قيل عن الدعوة السلفية من شبهات لا أساس لها من الصِّحة ، وقد رجع عن قوله هذا بعد أن تبين له الحق كما سترى في صفحة ٨٨ - ٨٩ .

الشيخ محمد بن عبدالوهاب رسائل في هذا المعنى[١] ، وقد كان بلغ حاله إلى السيد العلامة شيخ الإسلام محمد بن [٨/أ] إسماعيل الأمير الصنعاني[٢] - تغمده الله برحمته - لأنه معاصر له[٣] ؛ لأن السيد محمداً مولده سنة تسع وتسعين وألف ، ووفاته عام اثنين وثمانين ومائة وألف ، ووصف له حال الشيخ محمد فكتب إليه قصيدة طويلة مطلعها :

سلامٌ على نجدٍ ومَنْ حَلَّ في نجدِ
وإن كان تسليمي على البُعد لا يجدي

سرتْ من أسيرٍ ينشد الريح إن سَرَتْ
ألا يا صَبَا نجدٍ متى هجتِ من نَجْدِ

إلى أن قال :

قفي واسألي عن عالم حلَّ سوحها
به يهتدي من ضل عن منهج الرشد

/ محمد الهادي لسنة أحمد [ص٣٠]
فيا حبذا الهادي ويا حبذا المهدي[٤]

---

(١) الرسائل والكتب التي ألفها الشيخ محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله - لا تنبئ عن ما ذكر من تحريم ما أحل الله واستباحة الدماء ... إلخ . بل إنما تبين الحق في القول والفعل ، وهي موجودة متداولة يمكن الوقوف عليها ورؤية ما يناقض وينافي ما زعم المؤلف في حق الشيخ محمد بن عبدالوهاب وحق الدعوة الإصلاحية وأهلها .

(٢) عالم يمني مشهور باعتداله والتزامه بالسنة ، كان معاصراً لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأثنى عليها ليس بسبب معرفته بسلامة الدعوة فقط ، بل لأن الدعوة الإصلاحية للشيخ محمد بن عبدالوهاب تتفق مع ما كان ينادي به في اليمن ، والذي يطلع على كتابه الموسوم بـ « تطهير الاعتقاد » فإنه يلمس مدى التشابه بين ما يدعو إليه الرجلان من صفاء العقيدة وتطهير الدين من البدع والخرافات . انظر : الشوكاني ، البدر الطالع ٢/١٣٣ ؛ الندوي ، محمد بن عبدالوهاب ، ٤٧ ؛ أبو داهش ، أثر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ٤٧٦ .

(٣) الأصل : عصريه .

(٤) القصيدة من الطويل ، وقد قام الأستاذ زهير الشاويش بتحقيق هذه القصيدة النجدية للصنعاني وطبعها في رسالة أنيقة بعنوان : القصيدة الدالية ، ونشرها المكتب الإسلامي بدمشق .

ثُمَّ بعد مدة من إرساله للقصيدة وصله جماعة من أهل نجد ، وحققوا أحوال ابن عبد الوهاب ، فناقضها بقصيدة على وزنها[1] لما وصف له من وصل إليه أنه عظم شأنه بوصول تلك القصيدة ، فخشي أن يكون سببًا في تلك الأمور التي ارتكبها ابن عبدالوهاب[2] فقال :

رجعْتُ عن النظم الذي قلتُ في النجد[ي] فقد صَحَّ لي عنه خلاف الذي عندي

ظننتُ به خيرًا وقلتُ عسى عسى نجد ناصحًا يهدي العبادَ ويستهدي

فقد خاب فيه الظنُّ لا خابَ نصحُنا وما كُلُّ ظَنٍّ للحقائق لي يهدي

وقد جاءنا من أرضه الشيخ « مربد » فحقق من أحواله كل ما يبدي

(١) الأصل : وزانها .

(٢) هنا أمران: **الأول** أن القصيدة التي ذكر جزءًا منها المؤلف، وما ذكره من شرحها مما لم يثبت أن الإمام الصنعاني قالها، وإنما هي من وضع بعض معارضي الدعوة والمعادين لها وافتراءاتهم، إذ لا يعقل قبول ما في القصيدة وما ذكر أنه شرح لها مع ما كان يدعو إليه الإمام الصنعاني من الإصلاح ، كما أنه لا يتفق مع منهج عالم يمدح تارة، ثم لمجرد وفود أناس معادين للدعوة ينقلب معاديًا لها ولصاحبها وذامًا له بعد مدحه ، دون مناقشة أو محاولة أو معرفة لحقيقة ما نقل عنه. ولذا فإن القول بوضعها يرجحه العقل والواقع على حد سواء (انظر كتاب/ محمد بن عبدالوهاب، لمسعود الندوي ص ٥٨، وما بعدها)، وكذا كتاب تبرئة الشيخين الإمامين من تزوير أهل الكذب والمين ، للشيخ سليمان بن سحمان.
الثاني : ما ذكره في هذه القصيدة ، وما قيل إنه شرح لها من الكلام عن الشيخ ودعوته من تكفير عامة الناس ، وسفك دمائهم ونهب أموالهم ، كلام لا يعدو أن يكون تكرارًا لما تبناه من عارض الدعوة وعاداها وعادى أتباعها ومناصريها ، وهو مما يكذبه كلام الشيخ نفسه وكلام تلاميذه ، وهو موجود متوافر ، ليس سرًا ، وليس مفقودًا ، والشيخ نفسه رحمه الله ذكر رده لهذه المزاعم صراحة في مواطن كثيرة ، منها رسالته إلى أهل القصيم (انظر كتاب الرسائل الشخصية ص ٨ وما بعدها) التي بين فيها ما يعتقده ، ورد على أباطيل وافتراءات ابن سحيم التي تشابه ما ذكر هنا ، وجاء فيها ما ذكره أنه يعتقد ما تعتقده الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة ، وأشار فيها إلى الافتراءات التي ذكرت عنه وصدقها بعض الناس ، وفندها رحمه الله وبين أنها افتراء عليه ، وأن الافتراء حدث ويتكرر حيث افتري على النبي ﷺ . وانظر كذلك (الرسائل الشخصية ص ٣٢ ، ٣٨) وغيرها في مواطن كثيرة من هذا الكتاب ، وغيره من كتب الشيخ رحمه الله .

وقد جاء من تأليفه برسائل يكفّرُ أهلَ الأرض منها على عَمْد

ولفّق في تكفيرهم كلّ حجة تراها كبيتِ العنكبوت لدى النقد

تجارى على أجراد ما كل مسلم مصل مزك لا يحول عن العهد[1]

[٨/ب] إلى آخر القصيدة وهي مطولة ، وشرحها شرحًا بسيطًا أبان فيه أنواع الكفر الذي صرحت به الأدلة كتابًا وسُنَّة ، وردّ في تلك الرسائل من الخطأ بواضح الدلائل .

وقال في صدر شرحه لتلك المنظومة ما لفظه : « وصل إلينا بعد أعوام من بلوغها - يعني القصيدة الأولى - رجل عالم من أهل نجد يسمى مربد بن أحمد التميمي[2] ، وكان قد وصلنا قبله الشيخ عبدالرحمن النجدي[3] ، ووصف لنا من / حال ابن عبدالوهاب أشياء أنكرناها من سفكه الدماء ، ونهبه الأموال ، وتجرئه[4] على قتل النفوس ولو بالاغتيال ، وتكفير الأمة المحمدية في جميع الأقطار » . إلى أن قال : « ووصل إلينا ببعض رسائل ابن عبدالوهاب التي جمعها في وجه تكفير أهل الإيمان ونهبهم[5] ، وحقق لنا أحواله وأفعاله وأقواله ، فرأينا أحواله أحوال رجل عرف من الشريعة شطرًا ، ولم يمعن النظر. ولا قرأ على من [ص٣١]

(١) القصيدة من الطويل .

(٢) مربد بن أحمد بن عمر التميمي النجدي الحرملي - نسبة إلى حريملاء - من أنشط المعارضين للدعوة السلفية ، رحل إلى الحجاز ووصل إلى اليمن في صفر ١١٧٠هـ ومكث بها إلى شوال يحرض علماءها وينسب إلى الدعوة ما هي منه براء ، وعندما دخل الأمير عبدالعزيز بن محمد حريملاء عام ١١٧١هـ هرب مربد إلى بلدة « رغبة » فأمسكه أميرها علي الجريسي فقتله .
انظر : ابن بشر ، عنوان المجد ٤١/١ ؛ العقيلي ، حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، ٩٨ .

(٣) عبدالرحمن النجدي ، لم أعثر له على ترجمة أو معلومات إضافية .

(٤) الأصل : وتجاريه ، وقد نقلها المؤلف كما وردت في الأصل الذي نقل منه ، لأني وجدتها منقولة في بعض المصادر هكذا .

(٥) ينظر ما سبق من التعليق على رأي المؤلف عن الدعوة الإصلاحية للشيخ محمد بن عبدالوهاب لرد هذه الافتراءات وتفنيدها .

يهديه نهج الهداية ويدله على العلوم النافعة ويفقهه فيها ، بل طالع بعضًا من مؤلفات الشيخ أبي العباس ابن تيمية[1] ومؤلفات تلميذه ابن قيم الجوزية[2] ، وقلدهما من غير إتقان مع أنهما يحرمان التقليد »[3] إلى آخر ما ذكره فليراجعه من أراده[4] ، وإنَّما المقصود هنا الإشارة .

ولما وصل أمراء نجد إلى هذه البلاد لم يسلم لهم الشريف حمود القياد ، حتى وصلت قصيدة من الشيخ محمد بن أحمد الحفظي[5] صاحب «رجال»[6] موجهة إلى الوالد القاضي العلامة عبدالرحمن بن حسن البهكلي - رحمه الله تعالى - يستحث بها أهل الجهة على الدخول في سلك طاعة النجدي[7] وهي[8] :

(١) أحمد بن شهاب الدين بن عبدالحليم ، عالم مجتهد ومجدد ، ولد عام ٦٦١هـ، من عائلة مشهورة بالعلم ، سيرته حافلة بالجهاد والاجتهاد ، (ت/٧٢٨هـ) .
انظر : أبو زهرة ، ابن تيمية : الندوي ، الحافظ أحمد بن تيمية : ابن حجر ، الدرر الكامنة ١/١٤٤ - ١٦٠ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ٩/٢٧١ .

(٢) محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي ، عالم كبير وأبرز تلاميذ ابن تيمية ، ولد عام ٦٩١هـ وشارك شيخه في كثير من الأحداث والمواقف ودافع عنه ، له مؤلفات كثيرة مطبوعة ومخطوطة (ت/٧٥١هـ) .
انظر : ابن حجر ، الدرر الكامنة ٣/٤٠٠ : ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ١٠/٢٤٩ : الشوكاني ، البدر الطالع ٢/١٤٣ ؛ الزركلي ، الأعلام ٦/٢٨٠ .

(٣) انظر : القنوجي ، أبجد العلوم ٣/١٩٧ ، وقد نقلها من رسالة بعنوان : « محو الحوبة في شرح أبيات التوبة » ، وهي الرسالة التي يقال : إن الصنعاني كتبها مقدمة لقصيدته التي رجع فيها عن تأييد الدعوة السلفية ، وتسمى أيضًا : « إرشاد ذوي الألباب إلى حقيقة أقوال محمد بن عبدالوهاب » ، وتسمى كذلك « النشر الندي بحقيقة أقوال ابن عبدالوهاب النجدي » .
انظر : أبو داهش ، أثر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، ٤٨٣ .

(٤) لمزيد من المعلومات حول موقف الصنعاني من الدعوة ، وهل ما ذكر آنفًا صحيح انظر مناقشة القصيدة وما جاء فيها لكل من :
- أبو داهش ، أثر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، ٤٨٢ - ٤٨٨ .
- الندوي ، محمد بن عبدالوهاب ، ٤٩ .

(٥) من علماء عسير المشهورين ، كان قاضيًا في رجال ألمع ، (ت/١٢٣٧ هـ) . انظر : عاكش ، عقود الدرر ، الترجمة رقم (٢٢٠) ؛ زبارة ، نيل الوطر ٢/٢٢٥ .

(٦) رُجَال ، بضم الراء وفتح الجيم ، من قرى بني ظالم ، وهي حاضرة بلاد رجال ألمع في عسير ، تقع على مسافة ٤٥ كم تقريبًا غرب مدينة أبها .
انظر : الجاسر ، المعجم الجغرافي ٢/٦٢٢ ؛ أطلس عسير ، خارطة رقم ٣٣ ؛
- Cornawallis , Asir , 60.

(٧) هنا تجوز في الكلام ، والدعوة إلى اتباع الحق الذي دعا له الشيخ محمد بن عبدالوهاب ونبذ ما ساد لدى بعض الناس من بدع ومجافاة للحق الذي دعا إليه الرسول ﷺ .

(٨) القصيدة من الكامل .

هامَ الشجي وهاجَ شوقُ المتلي ... وبدت صبابات الغَرامِ الأول

وتذكرت نفسي[1] المشوق عهودها ... وورودها بسعودها في المنهل

وبدت له من ثغر دهر بسمة ... هشت لها أرواح قوم كمّل

(وتعرض النفحات مأمور به ... فيما روينا عن نبي مرسل)[2]

/ ولئن ظفرت بِمَطلبي فلي الهنا ... إن كان قصدي صالحًا من أول [٩/أ،ص٣٢]

ولئن تعذر ما نظمت لأجله ... فبقدرة الله العلي المعتلي

فهو الذي ما شاء كان ولم يكن ... ما لم يشأ فاعلم بهذا واعمل

فبإسمك اللهم أبدأ أولاً ... متعرضًا لنوالك المتنزل

ومعرّضًا لا مُعْرضًا لنصيحة ... ندبت لها آيُ الكتاب المنزل

فإليك يا قاضي البلاد قصيدة ... حسنت معاني لفظها المتعلل

وفدت إليك وفود ضيف يرتجي ... حسن القِرى المستحسن المتسهل

فابسط لها بُسُط القبول تكرمًا ... واجمع لها أعيان أهل المنزل

فمن الظهور خفاء تنصيصي لهم ... لا يحسن التنصيص في الأمر الجلي

واشرح لهم بيت القصيد وقصده ... فلديك شرح مطول أو أطول

واستشهد الأيام وانظر شأنها ... وارقب[3] عواقب حالها المتحول

والحق أولى أن يُجاب وإنَّما ... لم أدر ما حيلولة المتحيل

إن كان ظنا أن ذَاك مخالف ... فهو البريءُ من الخلاف المبطل

بل قام يدعو الناس للتوحيـ ... ـد والتجريد والتفريد للرب العلي

ويذب عن شرع النبي محمد ... ويذم من يدعو النبي أو الولي

ولقد أصاب فكم أزال شنائعا ... وبدائعًا وصنائعًا لم تقبل

أو كان ظنا أن فيه غلاظة ... وفظاظة وشكاسة[4] لم تحمل

(١) في الأصل : بيش ، وأعتقد أن ما أثبتناه أقرب للسياق . انظر : محمد بن إبراهيم الحفظي ، نفحات من عسير ، ٥٨ .

(٢) هذا البيت ساقط في الأصل والزيادة من « نفحات من عسير » . ص ٥٨ .

(٣) في نفحات من عسير : وارمق ، ص ٥٩ .

(٤) في نفحات من عسير : وشكاية ، انظر : ص ٥٩ .

فأقول حاشا أن فيه ليونة ... وهيونة[1] للمقبل المستقبل
[٩/ب،ص٣٢] / لا يطلب الأموال من خزّانها ... وينفّل[2] الأبطال إن لم تبطل
أو ينزع الملك المولّى أوله ... غرض بمذهب آخر عن أول
بل قصده التوحيد في أقوالنا[3] ... ثُمَّ اتباع للنبيِّ المرسل
هذان ليس سواهما مقصوده ... فعلام ينفر كل ندب أفضل
فالواجب الشرعي إجابة من دعا ... لهما ولو عبدًا فكيف بمن ولي[4]
وإليكم هذا النظام وعنكم ... تستخرج الأنظار في المستشكل
ولئن أجبتم فالجواب سجية ... والخير فيما اختاره الرب العلي
ثُمَّ الصلاة على النبيِّ وآله ... ما لاح برق جنح ليل أليل[5]

وهذا القاضي الموجهة إليه هذه القصيدة كان حاكمًا بمدينة « أبي عريش » ، وكان من أعيان زمانه علمًا وعملاً ، اتصف بمحاسن الخلال وخلال الكمال ، له في المعارف العلمية اليد الطولى ، قرأ على أعيان عصره ، وله رحلة إلى « زبيد » وأخذ عن السيد العلامة محمد بن أحمد الحازمي[6] - رحمه الله تعالى - هناك وغيره ، وكان نادرة أهل زمنه في الذكاء وهو من البلغاء المعدودين ، له قصائد بليغة غزليات وإخوانيات ، وهو مؤلف « خلاصة العسجد في أيام الشريف محمد بن أحمد » وبينه وبين علماء عصره مراجعات ، وله رسائل إلى

(١) في نفحات من عسير : وبشاشة ، الصفحة السابقة .
(٢) في نفحات من عسير : أو يقتل ، الصفحة نفسها .
(٣) في نفحات من عسير : أفعالنا ، الصفحة نفسها .
(٤) في الأصل وص : بمدول ، والتعديل من نفحات من عسير ، الصفحة نفسها .
(٥) البيت ساقط في نفحات من عسير .
(٦) لم أعثر له على ترجمة .

سيدي / الوالد رحمه الله تعالى ، وهو خال والدي رحمهما الله تعالى ، [ص٣٤] وقد دلت على علم غزير .

وكان مولده عام ثمانية وأربعين ومائة وألف ، ووفاته سنة أربع وعشرين بعد المائتين والألف رحمه الله تعالى ، وقد أجاب عن هذا النظام الوالد القاضي الوجيه المذكور ، وجماعة من علماء الجهة ، وقد رأيت إثبات جواب السيد العلامة شرف الدين حسن بن خالد الحازمي رحمه الله تعالى [١٠/أ] لأنه أحسنها وأجمعها وهو[1] :

الله أكبر كلّ هم ينجلي ... عن قلب كل مكبر ومهلل
وموحد لله جلّ جلاله ... والشرك عنه والضلال بمعزل
وبدايتي اسم الله فيما أبتغي ... من نظمي العذب الرحيق السلسل
ثُمَّ الصلاة على النبي محمد ... خير الورى النبأ العظيم المرسل
والآل أرباب الهداية والتقى ... من ودهم نص الكتاب المنزل
ولقد عثرت على نظام صاغه ... من رام نصحًا شأنه لم يجهل
يا حبذا يا حبذا يا حبذا ... فالنصح مقبول على الوجه الجلي
فتبين الداعي وما يدعو له ... في الآن والزمن الرحيب المقبل
أمر مهم وهو فرض لازب ... للعالِم المتفطن المتعقل
أمَّا الرسالات التي[2] تأتي من الد ... اعي فأمرٌ ما به من مدخل
/ تدعو إلى التوحيد ثُمَّ لوازم ... ثبتت لها والحق منهجه جلي [ص٣٥]
ولزوم سنة أحمد بأصولها ... وفروعها لم تخف عن متأمل
قسمًا لقد سر الفؤاد بما حوت ... وشفى بنور منارها المتهلل[3]
لكنها جاءت بأيدي عصبة ... عملوا بضد مفصل مع مجمل

(١) القصيدة من الكامل .
(٢) الأصل : اللاتي ، والتصحيح من ع .
(٣) يلحظ القارئ تناقض هذه القصيدة ، حيث يصرح صاحبها بأن الرسائل التي بلغتهم عن الداعي، وهو الشيخ محمد بن عبدالوهاب لا مدخل عليها ، وأن ما تضمنته هو التوحيد ولزوم سنة المصطفى عليه الصلاة والسلام ، ثم يتحول إلى ذم أهلها بأسوأ أنواع الذم والافتراء ، والقذف ، فكيف يتصور ممن يقر له بأنه يدعو إلى التزام سنة المصطفى والتوحيد أن يكون على النقيض يكفر كل أحد، ويرتكب الفواحش ، ويستبيح الأعراض. سبحانك هذا بهتان عظيم .

بل صرحوا بالشرك في كل الورى ... من أمة الهادي بغير تأمل

أوليس أمة أحمد فيها أتى الـ ... ـقرآن كنتم خير أمة مرسل

وكذاك قال الطهر لا أخشى لكم ... شركًا يكون فطالِعَنْ وتأمل

وقد استباحوا للنساء وأعلنوا ... بالحل لَمْ يَخْشَوا معاقبة العلي

[١٠/ب] / حتى تواتر عنهم في غيهم ... يتعاقبون على النسا في المحفل

والبعض يكريهم إذا ما ملهم ... من غيره والأمر في هذا جلي[1]

أيضاً وكم قتلوا صبيًا يافعًا ... في الكافرين فعالهم لم تحلل[2]

وكم استباحوا من[3] شيوخ ركع ... كم من تقي عابد متبتل

لم يدع غير الله جل جلاله ... لَمْ يدع أصنامًا ولَمْ يدع الولي

وكذاك أيضًا صح أن المصطفى ... لَمْ يغز قرية ذي الأذان مهلل

وإذا غزا الكفار قدَّم داعيًا ... يدعونهم نهج الهدى لم يعدل

فإذا استجابوا لم يرد عليهم ... إيمانهم بالله في المستقبل

[ص٣٦] / وتثبت الوالي عليه[4] محتم ... (لا ينبغي التقصير في أمر الولي)[5]

هذا الوليد[6] أتى فعالاً منكرًا ... فأتت قوارع ربنا في المنزل

إن جاءكم فيما تلونا فاسق ... فتبينوا بصراحة فيما تلي[7]

أمَّا المقادمة الذين تراهم ... ففعالهم نكر بغير تأوّل

---

(١) يعجب الإنسان كيف بعاقل آتاه الله قدرة على التفكير أن يتجرأ فيرمي المؤمنين والمؤمنات بهذه الموبقات من غير دليل ولا برهان ، بل إنه يعترف بأن ما يدعو إليه الشيخ حق لا مراء فيه ، كما أن كتب الشيخ ورسائله متوافرة متظاهرة ، وهو بهذا يقرر مخالفة القول للفعل زورًا وبهتانًا ، ولا يستطيع هو أو غيره ممن تجنى على هذه الدعوة وأتباعها أن يثبت شيئًا مما قاله ، فيبقى رجمًا بالباطل ، يكذبه القول والفعل على حد سواء .

(٢) الأصل : يحلل .

(٣) الأصل : كم ، والتصحيح من ص ونفحات من عسير ، ص ٦١ .

(٤) في نفحات من عسير هكذا : من قول ذي حقد وضغن أول ، ص ٦١ .

(٥) الأصل : عنه ، والتعديل من نفحات من عسير ، ص ٦١ .

(٦) يقصد الوليد بن عقبة بن أبي معيط .

(٧) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ الحجرات : ٦ وهذا تناقض بين الدعوة للتثبت والرجم بالبهتان كما هنا ، وكان على صاحب هذه القصيدة أن يحتكم للآية الكريمة بشأن نفسه ما دام يعرف الحكم الذي تضمنته الآية .

لا يسمعون مقالةً من عالم ... بل ينسبون الحبر أجهل أجهل[1]

وإذا سمعت كلامهم بأدلّة ... تجد الكلام عن الصواب بمعزل

لكن داء الجهل أصبح فاشيًا ... فيهم فأنى يفصحون بمعدل

فالشيخ إن كان المراد هداية ... بعث الهداية كل شخص أفضل

ليكون سعيهم بحسن بصيرة ... وسياسة وسلوك نهج أسهل

لا كالعرار[2] وشكله ونظيره ... ذو نقطة[3] والكل عن علم خلي

أو ليس قاتل سالم ومعوض ... والندب من نسل النبي ومن علي

/ من غير لا ذنب ولا بجناية ... بل هم على الدين القويم الأكمل [١١/ب]

هذا ولسنا قائلين بأن ذا ... بالأمر من عبدالعزيز[4] الأمثل

لكن تجاروا فالوجوب تدارك ... والنهي عن سفك الدماء النهّل

والقتل للأولاد أمر ظاهر ... وإذا جهلت فعالهم عنه سل

والسبي للنسوان كلّ خريدة ... تحت الحجاب بستر مولانا العلي

/ تالله ما في القلب إنكار لما ... يدعو إلى التوحيد للمتزل[5] [ص٣٧]

أو مرشد يدعو لسنة أحمد ... في الناس ينشرها بغير تبدل

الله يعلم أنه لو كان ذا ... كنا نسارع نحوه بتعجل

فخذ الجواب لسان حال شامل ... عن كل أشراف البلاد الكمل

وعن القضاة وسائر الأقوام من ... كل الورى ومسبح ومهلل

---

(١) في نفحات من عسير : جاهل ، ص ٦١ .

(٢) يقصد الداعية عرار بن شار الشعبي .

(٣) يقصد الأمير عبدالوهاب بن عامر أبو نقطة .

(٤) عبدالعزيز بن محمد بن سعود ، ثاني حكام الدولة السعودية الأولى ، سبقت الإشارة إليه .

(٥) في نفحات من عسير : للمتزلزل ، ص ٦١ .

وهذه القصيدة قد شَرَحَتْ جملةً ممَّا هم عليه[1] ، وقد وقعت مقاولة[2] بين صاحب هذا الجواب وعلماء وقته : هل يطلق على هؤلاء الطائفة أنهم « خوارج » أو لا يطلق ؟ وألَّفوا في ذلك رسائل ، وقد اطلعت على بعض تلك الرسائل ، وفيها ما يقتضي بالحكم عليهم أنهم خوارج بالعلامات الواردة فيهم من صاحب الرسالة عليه أفضل الصلاة والسلام[3] ، ومن أنصف واطّلع على سيرتهم علم عدم اتصافهم بتلك العلامات الواردة في الأحاديث ، وقد سمعتُ جماعة من علماء العصر يصرح بأن مذهبهم مذهب « الخوارج » ، والخلاف في حكم « الخوارج » مستوفى في « فتح الباري » من أراده فليطلبه منه .

[ص38] ((ولكن هذا خروج عن الإنصاف وركوب متن الاعتساف ، فإنَّ / عامة ما هم عليه هو الدعوة إلى التوحيد ، وترك ما عليه الآباء والجدود من التقليد ، وهدم ما أمر الشرع بهدمه ، ومجرد الخطأ في مسألة أو مسائل لا يخرج العالم عن طريق الشرع المحمدي ، وكلام من تكلم إنَّما هو بحسب العصبيّة ، وعدم التفطن لموارد الأدلة الشرعية ، فإنَّ بدعوتهم زالت بدع كثيرات ، وارتدع الناس عن المنكرات ، فجزاهم الله خيرًا ، والأعمال بالنيات[4] ، وقد أبان السيد الإمام الكبير إبراهيم بن محمد الأمير[5] – رحمه الله تعالى – في مؤلفه الذي سماه « فتح الكبير المتعال

(1) في الحقيقة أن في هذه القصيدة تحاملاً شديدًا على الدعوة ورجالها ، افتراءً ورجمًا وقذفًا بالموبقات – نسأل الله العافية – حيث وصف بعض الأمور التي لا يُمكن قبولها مثل قوله : وقد استباحوا للنساء ... إلخ ، حتى تواتر عنهم في غيهم ... إلخ ، والبعض يكريهم إذا ما ملهم ... إلخ . فهل يقبل عاقل مثل هذه الوقائع من قوم يشهد التاريخ أن جميع غزواتهم لم تكن تخلو من قاضٍ أو عالم أو شيخ يسير مع الركب ويشرف على شؤونهم ، ولكن هذا تأثر بالشائعات التي كانت تبث ضد الدعوة في حينها من أعدائها .

(2) مناقشة .

(3) هذا جهل تنزيل النصوص على الوقائع ، وإلا فهم خوارج على من؟ هم في ديارهم وإمارتهم ، قاموا بالدعوة الإصلاحية ولم ينقضوا عهدًا ولا بيعة لأحد حتى يحكم عليهم بالخروج عن الطاعة .

(4) إشارة إلى الحديث الشريف : إنَّما الأعمال بالنيات .

(5) عالم يمني مشهور ، اختلف مع الإمام المنصور فهاجر إلى مكة وبها توفي عام ١٢١٣هـ . انظر : الشوكاني ، البدر الطالع ١/٤٢٢ ؛ زبارة ، نيل الوطر ١/٢٨ .

الفارق بين الهدى والضلال » طريقة دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب . واستدل على صحة ما دعا الخلق عليه بما لا يبقى لمنصف بعده ارتياب أنه على طريق الصواب ، والله أعلم))[1] .

وأنشد بعض أشياخنا هذه القصيدة ذكر أنه قالها مخاطبًا بها أهل نجد ، وهي[2] :

/ يا أهل نجد أتتنا من شمائلكم … أنفاس دين نبي أظهر الدينا [١١/ب]

قلتم لنا : ليس غير الله خالقنا … يُدعى إذا شدة في الدهر تأتينا

قلنا : صدقتم وهل رب سواه لنا … يرى ويسمع بادينا وخافينا

قلتم : وليس سوى الذكر المبين وهَدْ … ي المصطفى من جميع العلم كافينا

قلنا : صدقتم هما أمران قد تركا … كما رواه لنا حفاظنا فينا

ونُشهِد الله ما أبدت ظواهرنا … لكم سوى ما أجَنّته خوافينا

/ إلى هنا قد توافقنا وصافح كـ … ـلٌّ كفَّ صاحبه للعهد تَمكينا [ص٣٩]

لكنكم بعد هذا إن أتى أحد … ذنبًا قطعتم أخاه غير مبقينا[3]

ونحن إن أخطأ العاصي نخوله … بالوعظ صاحبه رفقًا وتليينا

ولَم نزل بلطيف القول نعطفه … حتى يفيء لأمر الله بارينا

فأي حامل نفس ما ألَمَّ وهل … لنا من النَّار إلاَّ الله ينجينا

ألَمْ يكن قد عصى من قبلنا فغوى … في الخلد آدم أصل الآدميينا[4]

بالله من كان منا مخطئًا كلمًا … ومبديًا لأخيه البرّ تخشينا

(1) تتضح لنا عدالة المؤلف ونزاهته بعد أن تبين له الحق في الدعوة السلفية ، فهو هنا يشيد بها ويبين مآثرها ودورها في محاربة البدع والخرافات وإعادة الناس إلى الجادة الحقة .

(2) القصيدة من البسيط وقائلها : محسن بن علي الحازمي ، وهي مؤلفة من ٧٣ بيتًا ومطلعها :

ما إن سألنا يقينًا من يوافينا … من التهائم إلا ظل يروينا

انظر : زبارة ، نيل الوطر ٢/٢١٠ .

(3) هذه دعوى لا يسندها دليل ، ومجرد الدعوى إذا خلت من الدليل والبرهان فالأصل فيها البطلان .

(4) الأصل الآدمينا ، والتصحيح من ع .

هل الذي قال قد أشركت حين بدت ... بعض الإساءة من بعض المسيئينا(١)
وجاء بالسيف مسلولاً يروّعه ... ويستحل دمًا بالله قد صينا
فقال من بهته بالشرك أعظم مـ ... ـمَّا نال من زلةٍ عند المحقينا(٢)
أو الذي قال رب اغفر ذنوب أخي ... فأنت أرحم من صحب وأهلينا
من ههنا قد تفارقنا وكان لنا ... فضل الموفين بالعهد المراعينا
فإن تعودوا تعد أيام ألفتنا ... أو لا فلستُ وليًّا للمضلينا
[١٢/أ] / لا سُغْتُ شربةَ ماء ما حييت ولا ... ترشَّفَتْ شفتي من شربة شينا
كلا ولا رتَعتْ في مقلتي سِنةٌ ... ولا مسست بأجفاني لها سينا
إن خالج الشك قلبي المطمئن بما ... يرى من الحق تعيينا وتبيينا(١)
تأبى عواصم من ذي العرش ممسكة ... على القلوب يعاضدن البراهينا
[ص٤٠] / توقفوا حيث أنتم لا أبا لكم ... الحق أوضح من أن تستميلونا
عدوتم الطور إذ طرتم على غرد ... وكنتم عن جناح الطير عارينا
مرقتم كمروق السهم أنفذه الـ ... ـرامي المصيب فظن الحق تخمينا
لا أصلح الله رأيًا ضم شملكم ... ويرحم الله عبدًا قال آمينا(٣)

وقد أبان في هذه القصيدة لهم إلزام الحجة ببرهان واضح المحجة ((قالوا))(٤) وممَّا يدل على اتصافهم بمذهب الخوارج أنهم يسمون من استقام بالأمر من أهل « الدرعية » الإمام ، ويفسّقون من خالفه. فإن أرادوا الاسم لغة فبها ونعمت ، وإن أرادوا الإمامة الشرعية - وهو الظاهر من أحوالهم - فقد استقر إجماع أهل العلم قاطبة أن منصبها في قريش بنص

(١) الأصل : المسيئنا ، تبينا ، والتصحيح من ع .
(٢) ما ذكر هنا لا يخرج عما سبق ، وما روج ضد الدعوة وصاحبها ، والمناصرين لها ، وهو افتراء تبناه المعادون للدعوة وصدقه السامعون دون تحر للحقيقة أو لمعرفة الدافع ، أو بواقع عقدي يخالف ما عليه أهل السنة مما دعا إليه الشيخ محمد رحمه الله.
(٣) في هذه القصيدة تجاوز على الدعوة وأتباعها واتهام لهم بالخروج ، وتشبيههم بالخوارج تهمة أطلقها أعداء الدعوة في أكثر من مكان لتنفير الناس عن اتباعها وتشويه مبادئها ، وكان وراء ذلك بعض علماء اليمن المتعصبين للمذهب الزيدي .
(٤) هذه الكلمة أضافها المؤلف في هامش الأصل وحدد مكانها بإشارة ، وهو هنا يظهر عدم قناعته بما قيل عن الدعوة السلفية ، وينقض كلامه التالي لهذه الكلمة ، ويؤكد في الصفحة الآتية قناعته بأن هذا القول باطل .

الحديث(١) « الأئمة من قريش »(٢) وهو حديث متواتر معنى . وقد أفرده بالتأليف الحافظ ابن حجر العسقلاني(٣) رحمه الله تعالى ، ولم يجزها أحد من العلماء في غير قريش إلا الخوارج كما هو معروف في كتب المقالات .

((لكن هذا القول باطل، لأنه لا يصح أن يحكم عليهم بمجرد التسمية بمذهب الخوارج ، وليس هذا من قواعد الاستدلال ، ولا ممَّا يرضاه ذو الجلال))(٤) على أن الإمامة الشرعية التي مخالفتها فسق عند من ذهب إلى ذلك هي عين الخلافة النبوية ، كإمامة الخلفاء الراشدين مثل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(٥)، وولديه رضي الله عنهم / ، ومثل إمامة زيد [ص٤١] بن علي(٦)، وولده يحيى بن زيد(٧)، ومحمد بن عبدالله(٨)، وإخوته.

(١) المراد بالإمامة هنا الإمامة الشرعية التي تعني السمع والطاعة ما أقام الدين ولم يأمر بمعصية والمكان الذي قامت فيه دعوة الشيخ محمد ليست مما خضع لإمامة أحد من قريش وقتها، فقامت الدعوة بأئمتها لإقامة الدين . والأحاديث الواردة في أن الإمامة في قريش ورد في بعضها التقييد بـ « ما أقاموا الدين » ومقتضاه أنهم إذا لم يقيموا الدين فلا إمامة لهم . (نظر فتح الباري ١٣/١١٦) والمكان الذي قامت فيه وانتشرت منه مما تغرب فيه الدين ، ولم تقم فيه إمامة لأحد يقيم شعائره ويزيل غربته . فقام بالأمر من ناصر الدعوة ، فاستحق أن يلقب بالإمامة لما أمّ الناس في أمور دينهم وشؤون دنياهم.
(٢) ورد الحديث في مسند الإمام أحمد ٣/١٢٩ ، ٤/٤٢١ .
(٣) انظر : فتح الباري ١٣/١١٨ .
(٤) أضاف المؤلف هذه العبارة في الهامش وأشار إلى مكانها وكتب بجوارها صح أصل . وهي تعبر عن موقفه النهائي من الدعوة السلفية .
(٥) الكلام هنا فيه إيهام وإبهام ، فقد ذكر الخلفاء الراشدين ثم مثل بعلي وولديه رضي الله عنهم ومن بعدهم . والخلافة الراشدة بدأت بأبي بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي وهم الخلفاء الراشدون بعد النبي ﷺ ، والكلام يوهم أن الخلفاء الراشدين هم علي وولداه رضي الله عنهم ومن بعدهم ممن ذكر وهذا خطأ .
(٦) زيد بن علي بن الحسين ، يسمى زيدًا الشهيد ، ثار ضد هشام بن عبدالملك في الكوفة عام ١٢٠هـ ، قتل عام ١٢٢هـ وإليه تنسب الزيدية .
انظر : أبو زهرة ، تاريخ المذاهب الإسلاميَّة ٢/٤٦٢ ؛ الطبري ٢/٢٧٢ ؛ الأصفهاني ، مقاتل الطالبيين ١٢٧ .
(٧) يحيى بن زيد بن علي ، شارك والده في الثورة ضد الأمويين ، واستمر فيها أيام الوليد بن عبدالملك حتى قتل عام ١٢٥هـ .
انظر : الطبري ٨/٢٧٧ ؛ الأصفهاني ، مقاتل الطالبيين ١٥٢ .
(٨) محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن ، الملقب بالنفس الزكية ، ثار ضد المنصور العباسي بالمدينة المنورة ، وبايعه أهلها بالخلافة ، ولكنه هزم أمام عيسى بن موسى قائد جيوش المنصور ثُمَّ قتل عام ١٤٥هـ .
انظر : الطبري ٩/٢٠١ ؛ الأصفهاني ، مقاتل الطالبيين ٢٣٢ ؛ الزركلي ، الأعلام ٧/٩٠ .

والحسين بن علي الفخي(١)، والهادي، والقاسم(٢) [١٢/ب] رحمهم الله تعالى ونحوهم ؛ فإن هؤلاء حذوا سيرة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ القُذَّة بالقُذَّة ، كما عرف ذلك بالاستقراء لسيرتهم ، وكان الهادي يقول : ما هي إلا سيرة محمد أو النَّار .

وكان لهم أعوان على إشادة ما اندرس من الدين ، وجنود مجندة من الصالحين ، وكانوا أئمة للمتقين كما قال تعالى : ﴿ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾(٣)، ولخشية الوقوع في مخالفة السيرة النبوية ترك القاسم بن إبراهيم الأمر واعتزله ، كما فعل الحسن السبط رضي الله عنه : ولذلك أشار بعض سادة العترة يخاطب آخر منهم :

فإن كنت مقتديًا بالحسين	فلي قدوة بأخيه الحسن
فقد حمد المصطفى فعله	لإطفائه لنار الفتن
ولو كان في فعله مخطئًا	لما كان للمنع معنى حسن(٤)

وكذا المرتضى بن الهادي(٥) رحمه الله تعالى ؛ فإنه اعتزل الأمر ، ومراجل الكفر في أوانه تفور ، وبحور الفسق في زمنه تمور ، ولا شك أن الأئمة المتأخرين من أهل البيت عليهم السلام ، وإن كانت سيرتهم حميدة ، وآراؤهم / [ص٤٢] سديدة ، نصبوا أنفسهم لصلاح العباد ، ومنابذة ذوي الزيغ والعناد ، في أزمنة قد فسدت عوالمها ، وعفت فيها الشريعة وعطلت معالمها ، وكثر منهم اللدد(٦) والأود(٧) ، وانتشرت فيهم

(١) خرج ضد الهادي العباسي بالمدينة المنورة وبايعه الناس ، قتلته جيوش الهادي بمكان يسمى « فخ » - من ضواحي مكة - عام ١٦٩هـ ، ولذلك يسمى الفخي .
انظر : صبحي ، الزيدية ، ٥٨٨ ؛ الأصفهاني ، مقاتل الطالبيين ٤٣١ ؛ الطبري ٢٤/٩ .
(٢) القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل ، المعروف بالرسي ، من أئمة الزيدية (ت/٢٤٦هـ) .
انظر : العمري ، مصادر التراث اليمني ، ١٣١ ؛ الزركلي ، الأعلام ٥/٦ .
(٣) سورة الفرقان : ٧٤ .
(٤) الأبيات من المتقارب .
(٥) محمد بن يحيى بن الحسين بن القاسم ، الملقب بالمرتضى ، إمام زيدي ، انتصب للأمر بعد أبيه نحو ستة أشهر ثُمَّ اعتزل (ت/٣١٠هـ) .
انظر : الزركلي ، الأعلام ٣/٨ ؛ الجرافي ، المقتطف من تاريخ اليمن ، ١٧٠ .
(٦) اللدد : الخصومة الشديدة مع الميل عن الحق .
انظر : المعجم الوسيط ٨٢٧/٢ .
(٧) الأود : أودًا : أعوج ، ويقال : أقام أوده : قوَّم اعوجاجه .
انظر : المعجم الوسيط ٣٢/١ .

البدع ، وماتت بينهم السنن ، وغلب عليهم ولاة الجور ، فهم بسببهم يعتدون ، وعلى سننهم يقتفون ، فكان قيامهم والحال هذا مخالفًا لاجتهاد من سلف من سلفهم .

وكان معظم سيرتهم مبناها على المصالح المرسلة ، والاجتهاد الذي لا أصل له [١٣/أ] معين على حسب مقتضى زمانهم ، ولهذا شيدوا المعاقل ، وبنوا القصور وزخرفوها ، وتوسعوا في المباني الأنيقة ، ولبسوا نفائس الملابس ، واتخذوا الفرش الوثيرة ، ووسعوا على عبيدهم وخولهم ، وأخذوا من أموال الرعايا أمورًا زائدة على الواجبات الشرعية ، وهذه السيرة ليست من السيرة النبوية كما لا يعزب ذلك على من له أدنى معرفة ، ومن أنكر ذلك فهو معاند ، فهذه الطبقة الأخيرة من أهل البيت تفسيق من خالفهم قياسًا على من خالف أولئك الطبقة العالية منهم مزلة قدم ، فكيف الإقدام على تفسيق من خالف من ليس من أهل منصب / [ص٤٣] الإمامة في شيء(١)، هذا مخالف لطريق الصواب كما لا يخفى على ذي معرفة .

نعم ، أول من استقل بالإمارة من أهل هذا البيت الشريف حمود ، وكان من سلف من آبائه ولايته مستفادة من أئمة « صنعاء » كما سبق ، وأمَّا هو فباين أولئك وامتدت يده من أطراف « حيس »(٢) إلى جهة السراة ، بعد أن وقع بينه وبين أهل نجد صباح « أبي عريش » المشهور بصباح الجمعة عام سبعة عشر ومائتين بعد الألف(٣) ، ومنتهاها بموته سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وألف ، فمدة استقلاله بالمملكة سبعة عشر عامًا .

(١) سبقت الإشارة إلى أن منصب الإمامة لمن أقام الدين الحق منصب معتبر . وحقه السمع والطاعة سواء أكان من قريش أم غيرها ، لأن ما ورد بشأن الإمامة في قريش يعتبر بإقامة الدين ، فتفسيق من خرج على إمام معتبر أو خالفه مخالفة ابتداع ، وهو قائم على أمر الدين وحارسه ، أمر صحيح ، لأن النظر إلى منصب حراسة الدين والقيام عليه وبه ، بصرف النظر عن شخص القائم به .
(٢) مدينة تقع جنوبي زبيد بمسافة ٣٥ كم ، نسبت إلى بانيها الحيس بن يريم ، واشتهرت بصناعة الفخار خاصة آنية « الحيسي » نسبة إليها .
انظر: المقحفي، معجم المدن والقبائل اليمنية، ١٣٥؛ الهمداني، صفة جزيرة العرب ، ٩٦؛
- Smith , The Ayyubids , 2/159 .
(٣) صباح « أبو عريش » يقصد به المؤلف المعركة التي دارت رحاها في يوم الجمعة الموافق واحدا وعشرين من رمضان عام ١٢١٧هـ بين قوات الدعوة السلفية بقيادة عبدالوهاب أبو نقطة وقوات إمارة أبو عريش بقيادة الشريف حمود ، وانتهت بهزيمة الأشراف ، ودخول المخلاف السليماني تحت حكم الدولة السعودية الأولى . =

وبعده قام بالأمر ابنه الشريف أحمد بن حمود ، ولم تطل مدته بل كانت مدة ولايته عامًا واحدًا ، ثُمَّ تولى الشريف علي بن حيدر سنة أربع وثلاثين بعد المائتين والألف ، إلى عام وفاته سنة أربع وخمسين بعد المائتين والألف(١) ، وبعد وفاته قام بالأمر ابنه الشريف الحسين بن علي [١٣/ب] ، وهو إلى حال رقمه يتفيؤ ظلال الإمارة أدام الله أيامه(٢) ، وكثَّر أنصاره ، فقد انحصر هذا التاريخ على ذكر هؤلاء الثلاثة / الملوك ، [ص٤٤] وسيأتيك إن شاء(٣) الله تعالى خبر ما بلغنا في كل سنة من أيامهم ، وإنَّما أوردنا هذه الجملة هنا ليستفيدها من اقتصر على مطالعة هذه المقدمة ؛ حتى لايخلو متأمل من العثور على فائدة ، ولم أفرد الشريف أحمد بفصل مستقل لقصر أيامه ؛ بل أدمجته في (غضون ذكر)(٤) والده ، رحمه الله تعالى ، والله سبحانه هو الموفق (وبه الاستعانة على إتمامه ، فإنه على كل شيء قدير)(٥) .

= والصحيح أن بداية حكم الشريف حمود كانت عام ١٢١٥هـ بعد النزاع مع ابن أخيه الشريف علي بن حيدر الذي استمر ثمانية أشهر بعد معركة الحجرين أواخر عام ١٢١٤هـ ، وقد ذكر البهكلي في نفح العود (ص ١٢٧) أن معركة « أبو عريش » كانت في يوم الجمعة الموافق ١٥ من رمضان ، وأعتقد أن عاكشًا أقرب إلى الصواب (انظر : ص ٩٥) خاصة أن هناك تأييدًا لذلك في : الظل الممدود للعجيلي (ص ٢٥) ، وهو من المشاركين في الحملة .

(١) كل من كتب من المؤرخين عن وفاة الشريف علي بن حيدر يشير إلى أن وفاته كانت عام ١٢٥٤هـ بما فيهم عاكش نفسه ، ولكن هناك رسالة أرسلت في ١٧ شوال ١٢٥٣هـ من القاهرة إلى إستانبول تذكر أن الشريف علي بن حيدر قد توفي دون أن تحدد تاريخ الوفاة ، وهذا يدل على أن وفاته لم تكن في عام ١٢٥٤هـ بل قبل ذلك بعدة أشهر .
انظر : - Basbakanlik arsivi , Hatt-i Humayun , No . 2517 E .

(٢) في هذه الإشارة دليل على أن عاكشًا قد بدأ تأليف هذا الكتاب خلال فترة حكم الشريف الحسين بن علي ١٢٥٤ - ١٢٦٦ هـ .

(٣) الأصل : إنشا .

(٤) في الأصل قدم كلمة ذكر على غضون هكذا : بل أدمجته في ذكر غضون والده ، وقد قمت بالتعديل ليستقيم السياق .

(٥) في الأصل كانت العبارة هكذا : وبه الاستعانة فإنه على كل شيء قدير على إتمامه ، ولعل ذلك سبق قلم من المؤلف .

الفصل الأول(١)

في ذكر الشريف حمود وأيامه

هو أبو أحمد الشريف حمود(٢) بن محمد بن أحمد بن محمد بن خيرات ، نسب فخم وشرف ضخم ، مستوفى شرف النِّجار ، ومستكمل معاني الفخار ، ما أتته المحاسن عن كلالة ، ولا ظفر بالهدى عن ضلالة ، بل تناول المجد كابرًا عن كابر ، وأخذ الفخر أسرَة ومنابر .

شرفٌ تتابع كابرًا عن كابر   كالرمح أنبوبًا على أنبوب(٣)

ملك من ملوك الإسلام ، وقطب من أقطاب الأشراف الكرام ، وسيف من سيوف الله الماضية ، وجبل من جبال الحلم الراسية ، ضرب في المكارم بأوفر الأقسام ، وفاز من المناقب بأعظم السهام ، حتى علا صيته في الآفاق ، والبلدان النائية على الإطلاق(٤) .

(١) يلحظ في هذا الفصل أن الحديث لم يأخذ سمة التأريخ العلمي وإنما كال المؤلف تهمًا وعبارات تجريح خرجت بالعلم عن فنه إلى منحى آخر غير علمي .

(٢) يلحظ أن المؤلف لم يتطرق لنشأة الشريف حمود ولا كيفية وصوله إلى الحكم ، فقد ولد الشريف حمود عام ١١٧٠هـ ، ونشأ على الفروسية ، واحتك بكبار الأعيان في ديوان الإمارة، شهد دوامة الفوضى والنزاعات التي دبت بين إخوانه بعد وفاة والده عام ١١٨٤هـ حيث تناوب على الإمارة في أبو عريش خلال الفترة من ١١٨٤هـ إلى ١٢١٥هـ خمسة من الأمراء ، وبعضهم تولاها أربع مرات مثل يحيى بن محمد ؛ أو ثلاث مرات مثل أحمد ابن محمد وأخيه علي ، أو مرة واحدة مثل حيدر بن محمد ، وعلى الرغم من أن الشريف حمود لم ينل حظًا وافرًا من التعليم للظروف التي ألمت بالمنطقة إلا أنه أثبت جدارة سياسية وحربية فائقة ، نازع ابن أخيه الشريف علي بن حيدر الإمارة بعد معركة الحجرين عام ١٢١٤هـ ضد أتباع الدعوة السلفية ، وبرز نجمه ، وكثر أعوانه ، حتى أجبر الشريف علي بن حيدر على التنازل له عن الإمارة عام ١٢١٥هـ بعد نزاع استمر أكثر من ثمانية أشهر . لمزيد من المعلومات انظر : البهكلي ، نزهة الظريف ، مخطوط : البهكلي ، نفح العود ، المتن وحاشية المحقق ٧٠ - ١٠٨ ؛ العقيلي ، محاضرات في الجامعات ، ٣ .

(٣) البيت من الكامل .

(٤) يلحظ في هذا الكلام وما بعده الإطراء غير المقبول عقلاً ولا ذوقًا ، وكان الأولى بالمؤرخ أن يذكر الوقائع الدالة على المحاسن أو المثالب ، ويقولها بعيدًا عن تهويل المديح وكيل الإطراء المذموم شرعًا ، والمنبوذ ذوقًا وعقلاً .

وساعده المقدور حتى جرت له ... بما يشتهي أفلاكُها ونجومُها[1]

[ص٤٥] وكان شجاعًا مقدامًا إذا التقت الأبطال ، وتداعت / نزال [١٤/أ] يحطم الوشيج في النحور ، ويثلم الهندي المشهور ، وكم له من يوم أغر ، عاود فيه الكر ، وله في الكرم أفعال ، سارت مسير الأمثال ، ولم يزل باذلاً نفسه في الجهاد ، ومصادمة أهل الفساد ، قائمًا بأمر الله ، مناصبًا لأعداء[2] الله ، ناعشًا ملة الإسلام ، منفذًا فيها الرسوم والأحكام ، وإليه وفدت الوفود من جميع الجهات ، وتزاحمت على أبوابه في أكثر الأوقات ، وهو مع ذلك هامل على العافين بغيث الإنعام ، لا جرم فالمورد العذب كثير الزحام . وقيلت في مدحه قصائد مطولات ، ومدحه لشهرته من لا يعرفه من أهل البلاد الشاسعات ، فمن ذلك ما قاله القاضي العلامة الأديب عبد الرحمن بن يحيى الآنسي ثُمَّ الصنعاني[3] رحمه الله تعالى[4] :

لعمرُك ما الليث الذي هوّلوا به ... ولكنما الليث الهصور حمود
له غابة شبوا بمشتجر القنا ... كما يبتدي منها النهوض تعود
إلى لبوَة الحرب التي عقمت لدى ... سواه وأضحت وهي منه ولود
فأشبلها[5] الأسد الضواري الذي يُرى ... لها جثمات حوله وقعود[6]
وبرثنه السيف الحراز ونابه ... سنان صرير[7] الحافتين حديد

(١) البيت من الطويل .
(٢) الأصل : لاعد ، والتصحيح من ع .
(٣) قاضي بلدة حجة ثُمَّ حاكم بلدة كوكبان باليمن ، من أدباء اليمن المشهورين .
انظر : عاكش ، عقود الدرر ، الترجمة رقم (١٣٥) ؛ الشوكاني ، البدر الطالع ٣٤٠/١ ؛ زبارة نيل الوطر ٤٣/٢ .
(٤) القصيدة من الطويل .
(٥) في نفح العود للبهكلي : فأشبلت ، انظر : ص ٢٧٤ .
(٦) في نفح العود للبهكلي : ونهود ، انظر : ص ٢٧٤ ، ولعلها وفهود .
(٧) في نفح العود للبهكلي : طرير ، الصفحة نفسها .

وقمصانه هذي الدروع وبيضها ... قلانسه بيض الثياب وسود
فيالك ليثًا خادرًا كل خادر ... إذا كان يوم الروع عنه يحيد
حمى الغور حتى لا يراع[1] بهيعة ... لها بين أمواج البحار هديد
/ وبين شناخيب الجبال له صدًى ... كما جلجلت بين السحاب رعود [ص٤٦]
وغزو كولغ الذئب في إثر غارة ... مع الصبح يفني يومها ويبيد
/بما بين «بيش»[2] و«الحصيب»[3] فخيله ... مدى الدهر ما جفّت لهن لبود [١٤/ب]
فقل لبقايا « النهروان »[4] لقاكم ... ابن صاحب يوم « النهروان » فهودوا
لقاكم شجاع مستحث وصفته ... سماعًا ورأي العين فيه يزيد
أخو غمرات ينجلين بضربة ... وقد خدرت بالضاربين زنود
فلا تفرحوا إن نلتم منه غرة ... تسوق بكم نحو الحفا وتقود
«لبيت الفقيه»[5] «الزيلعي»[6] تواثبا ... يرى الفرسخ الكعبين فيه بريد
فعثتم بها إغفالة الحافظينها ... وقد ضُيعت بالحافظين حدود
كما عاث في زرع الحدائق غفلـ ... ـة النواطير في أطرافهن قرود

(١) في نفح العود للبهكلي : لا يباح . الصفحة نفسها .
(٢) أخذت بلدة بيش اسمها من وادي بيش المشهور ، وهي بلدة قديمة تبعد عن جازان حوالي ٦٠ كم شمالاً . انظر : العقيلي . المعجم الجغرافي ، ٨٠ : الهمداني ، صفة جزيرة العرب . ٥٤ .
(٣) الحصيب هو الاسم القديم لمدينة زبيد وسبق التعريف بزبيد .
(٤) النهروان هي المنطقة الممتدة بين بغداد وواسط في العراق . انظر : ياقوت . معجم البلدان ٣٢٥/٤ ، والشاعر يشير هنا إلى معركة النهروان بين علي بن أبي طالب والخوارج والتي أبيد فيها الخوارج إلا القليل منهم . انظر : الطبري ٨١/٥ : ابن الأثير ، الكامل ١٧٢/٣ ، والشاعر هنا يشبه أتباع الدعوة السلفية بالخوارج . وفي هذا إجحاف كبير بحقهم ، وتطاول يدفعه التعصب المذهبي والإقليمي ، واتباع لما يقوله أعداء الدعوة عنها .
(٥) مدينة تهامية مشهورة تقع جنوب شرق الحديدة بمسافة ٣٥ كم ، نسبت إلى الفقيه أحمد ابن موسى بن عجيل ؛ لأنه أول من سكنها (ت/٦٩٠هـ) .
انظر : المقحفي ، معجم المدن والقبائل اليمنية ، ص ٦١ ؛ الحجري ، مجموع بلدان اليمن ٦٣٦/٢ .
(٦) الزيلعي أو الزيلعية ، بلدة يمنية تقع على بعد حوالي ٣٥ كم شمال شرق بلدة الزهرة .
انظر : - G.H map .

فلا تحسبوها ديدنًا فهو حيثما ... كرهتم لها أخرى الزمان تعيد
يعد لطاميكم[1] شراب ابن عامر[2] ... وعثمان[3] لم يحضر عليه ورود
أبا أحمد بالله أشهد حلفة ... على برها أهل الصلاح شهود
لقمت مقامًا لو تزيلت عنه أو ... تطأطأ قليلاً بالقيام قعود
إذًا لسمعنا راعيًا في الحديث كال ... ذي سمعته في القديم ثمود
خذوا آل موسى الجون عقدًا نظمته ... (لآل كبار)[4] سِمْطهن قصيد
يعفي قديمًا رقة ابن هتيمل ... إلى شُرفا المخلاف منه جديد
[ص٤٧] / مدحت بها هذا الشريف أميركم ... كلام لصبح الصدق فيه عمود
على وده لا رفده أصل نظمها ... وإني لأمجاد الرجال وديد[5]
فقوموا لها : إن أنشدت عنده فقد ... يقوم بإحماس الرجال نشيد
فدتك الأعادي يا ابن بطحاء «مكة» ... ومدّتك من عون الإله جنود[6]

---

(١) يقصد طامي بن شعيب المتحمي ، أمير عسير خلال الفترة من ١٢٢٤ - ١٢٣١هـ ، والذي أسره محمد علي باشا عام ١٢٣١هـ وأرسله إلى إستانبول حيث شنق هناك .
انظر : ابن مسفر ، أخبار عسير ، ٦٤ ؛ ابن بشر ، عنوان المجد ١٨٣/١ ؛ محمد بن مسلط ، تاريخ عسير - حاشية المحقق ، ٦٨ ؛ Philby , Saudi , 130 .

(٢) هو : عبدالوهاب بن عامر أبو نقطة ، أمير عسير خلال الفترة من ١٢١٥ - ١٢٢٤هـ ، دخل في صراع مرير مع الشريف حمود ، حتى قتل في معركة بيش عام ١٢٢٤هـ .
انظر : ابن مسفر ، أخبار عسير ، ٦٣ ؛ العقيلي ، المخلاف السليماني ٤٦٨/١ ؛ هاشم النعمي ، تاريخ عسير ، ١٣٣ ؛ Phiby . Saudi , 99 .

(٣) عثمان المضايفي أحد كبار قادة الدولة السعودية الأولى ، ولاه الإمام عبدالعزيز بن محمد إمارة الطائف وما حولها من الحجاز عام ١٢١٧هـ، شارك في بعض الحملات ضد الشريف حمود عام ١٢٢٥هـ ، أسر أثناء حملات طوسون باشا على الحجاز وقتل عام ١٢٢٨هـ .

(٤) في نفح العود للبهكلي : كبار لآلي ، انظر : ص ٢٧٥ .
انظر : الزركلي ، الأعلام ٢٦٩/٤ ؛ ابن بشر ، عنوان المجد ١٢٢/١ ؛ عبدالرحيم ، الدولة السعودية الأولى ١٥١ ؛ Philby , Saudi , 94 .

(٥) الأصل : ودويد ، ع : وديد والتصحيح من ع ، وكلمة ودود أو وديد كلاهما فصحى بمعنى : المحب . انظر : المعجم الوسيط ، باب الواو ، وفي نفح العود للبهكلي : ودود . انظر : ٢٧٦ .

(٦) يظهر في هذه القصيدة مدى التعصب المذهبي والسياسي إضافة إلى تأثير الدعايات المغرضة ضد الدعوة في الأوضاع الفكرية والأدبية في المنطقة ، وقد لعب الشعراء اليمنيون من الطائفة الزيدية المتعصبة دورًا رئيسا في تشويه الدعوة ، وناصبوها العداء في تلك الفترة نظرًا للنشاط الذي يقوم به الدعاة السلفيون في المنطقة ، وتأثر الأهالي والعلماء بهم ، وظهور القناعة لديهم بالدعوة الإصلاحية للشيخ محمد بن عبدالوهاب .

[١٥/أ] وهذه القصيدة غاية النهاية في البلاغة ، على أنه لقي مكان القول ذا سعة ، ومن العجائب أن المقولة تلك القصيدة فيه لم تحظ بلثم يديه ، ولم يقم بواجب حقها عليه ، فإن قائلها لم يبرزها إلى حيز الوجود إلا بعد وفاة الشريف حمود .

واعلم أن وقائع هذا الشريف كثيرة ومشهورة ، وفي صفحات الدهور مسطورة .

وفي السنة السابعة عشرة بعد المائتين ((كان صباح قرية « ضمد » على يد أصحاب عبدالعزيز بن سعود من أهل تهامة وغيرهم من جبال[1] عسير وقحطان وغيرهم ، وهو صباح عظيم قتل فيه خلق كثير ، وأسر فيه جماعة من أهله[2] ، وأخذ جميع ما في القرية وأحرقت . وثبت في ذلك جماعة من الأشراف الحوازمة . وواسطة عقدهم الحسن بن خالد : فإنه هو الذي دارت عليه رحى الحرب في ذلك اليوم ، إذ هو قطب رحى المعارك / ، وليثها الهزبر الفاتك ، ثُمَّ إن أهل القرية تفرقوا في القرى ، [ص٤٨٤] ومنهم من رجع إلى القرية ، إلى أن)) كانت الوقعة الكبيرة التي أفضت إلى صباح « أبي عريش » في شهر رمضان ٢١ منه .

وسببها أنها لم تزل الغزايا من طريق أمراء نجد تتابع على أهل هذه الجهات ، ويقع منهم النهب والتعدي في الطرقات[3]، والشريف حمود لم يزل يحمي أطراف بلاده بأسنته وحداده ، ولكنهم لكثرتهم كلما بعثوا

---

(١) في ص : رجال .

(٢) يقصد أهل وادي ضمد .

(٣) هذه أيضًا من الشائعات التي كانت تنتشر عن الدعوة الإصلاحية لتنفير الناس عنها فواقع الحال غير هذا ، فقد كانت الفوضى وقطع الطرق والسلب هي الشائعة في أماكن كثيرة من جزيرة العرب ، ولما قامت الدعوة انحسرت هذه الأفعال في الأماكن التي دخلت تحت حكم أنصار الدعوة من آل سعود في تلك الحقبة . وليس لما ذكر من أنهم قاموا هم بالسلب وقطع الطرق . مما يشيعه أعداء الدعوة تنفيرًا للناس منها ، لكن الله كتب النصر للحق على الرغم مما أثير ضده من وشايات .

سرية خلفتها أخرى ، فوقع منهم صباح قرية « السلامة »[1] وقرية « ضمد »[2] واتفقت أمور منهم ينكرها العقل والشرع[3] .

وكان ما كان مما لست أذكره فاكفف لسانك لا تسأل عن الخبر[4]

وبعد ذلك تأبط عبدالوهاب بن عامر الشر، ولم يزل يطلب الإذن من الأمير سعود ، ليمده لقتال الشريف حمود بجنود ، فأسعده إلى ذلك المراد ، ولم يزل يجمع الناس من الأغوار والأنجاد ، فزحف إلى « أبي عريش » بجيش جرار ، ورماه من رجال « نجد » و « تهامة » بمارج من نار .

فهم في جموع لا يراها ابن داية وهم في ضجيج لا يحس به الخلد[5]

وكان وصولهم إلى « أبي عريش » في شهر رمضان من السنة المذكورة ، فأحاطت بالمدينة العريشية الأجناد ، وصدق بين الفريقين الجلاد ، واستقام [١٥/ب] الشريف حمود ، وابن أخيه الشريف علي بن حيدر في ذلك اليوم مع أهل المدينة غاية القيام ، وصدرت منهما / أفعال [ص٤٩] تدل على أنهما من الأبطال الذين لم يتنكبوا عند الصدام ، وما غربت شمس ذلك اليوم إلا وقد هلك جمع غفير من الجانبين نحو الألف ،

(١) السلامة : اسم يطلق على أكثر من مكان في تهامة . ولعل المقصود إمَّا السلامة العليا أو السفلى وهما متجاورتان ، وتقعان جنوب قرية أم الخشب ، حوالي ٧٠ كم شمال مدينة جازان ، وقد وقعت المعركة التي يسميها المؤلف : صباح قرية السلامة في أواخر ذي الحجة عام ١٢١٦هـ ، وانتصر فيها الشريف حمود على عرار بن شار الشعبي .
انظر : العقيلي ، المعجم الجغرافي ، ٢٢٢ ؛ البهكلي ، نفح العود ، ١١٢ - ١١٥ .

(٢) وقعت معركة ضمد في شهر ربيع الأول ١٢١٧هـ بين قوات الدعوة السلفية بقيادة حزام العجماني وزبران القحطاني وسلطان بن ربيع ، وبين أهالي ضمد بقيادة الحسن بن خالد الحازمي ، وانتهت بهزيمة الحازمي وجنوده وسيطرة قوات الدعوة على البلدة .
لمزيد من التفصيل انظر : البهكلي ، نفح العود ، ١١٩ - ١٢٦ .

(٣) المؤلف هنا متأثر بما قيل عن الدعوة والشائعات التي روجها أعداؤها عنها كما أشرنا إليه سابقًا ، ومثل هذا الكلام العام من السهل إطلاقه لكن تحديد هذه المنكرات والتدليل عليها مما لا يستطيع إثباته مشيعو هذه الشائعات التي تطلق بهذه الصورة من غير تحديد ولا توثيق .

(٤) البيت من البسيط ، القائل : ابن المعتز ، انظر : الديوان ص ٢٤٧ .

(٥) البيت من الطويل ، وهو للمتنبي ، انظر : الديوان ١٠/٢ .

واستولوا على المدينة بأسرها ، ونهبوا ما فيها ، وهكذا يفعل من كان همه عمارة الملك العضوض . غير ملاحظ لقاعدة مسنون ولا مفروض[1]، وحين شاهد الشريف ذلك الحاصل عاد إلى « الديرة »[2] . بخاطر مقهور . وجناح مكسور، وفي حساب عبدالوهاب أن يبكر اليوم الثاني على «الديرة»، ويلحقها « بأبي عريش » في السيرة ، وكاد الشريف أن يسلم الأمر ، حين رأى مبادئ الغلبة والقهر ، لكن قام وقعد ابن أخيه الشريف علي بن حيدر بن محمد ، وامتنع عن تسليم الأمر . بل أظهر أنهم إن لم يوافقوا على المراد ، فلا بد من القتال من بطون الثغور ، وأنه غير راض بإعطاء الدنيّة . ولو أدى ذلك إلى ذهاب الأرواح تحت الأسنة والصفاح[3] ولله القائل :

فكن رجلاً رجلُه في الثرى وهامة همته في الثريا[4]

فخرج إلى قبلي « أبي عريش » حيث مطرح عبدالوهاب / ليفاوضه [ص٥٠] فيما تم به الخطاب، بقلب أشد من الصخر، وعزم أعز من الدهر، فطال بينهما الكلام في هذا المجال ، وحين رأى عبدالوهاب أنه غير واصل إلى ما يريده بدون سفك الدماء، جنح إلى تسكين الدهماء[5]، وشاهد حاله :

أرى دُون ما بين «الفرات» و «برقةٍ» ضرابًا يمشّي الخيل فوق الجماجم
وطعن غطاريف كأن أكفهم عرفن الردينيات قبل المعاصم[6]

(١) مثل هذا الكلام مجرد ادعاء ، كتب بعاطفة خلت من التحري عن الحقائق والإنصاف . شأنه شأن من يكتب من وجهة نظر سبق فيها الحكم على التصرفات والأفعال .

(٢) الديرة : وتسمى أيضًا ديرة الأشراف ، وهي حيّ الأمراء آل خيرات في مدينة « أبو عريش » ، كان عليها سور خاص ولا يسكنها أحد غيرهم ، ويقال : إنّ المسجد ذا القبب في مدينة « أبو عريش » حاليًا كان في وسط حيّ الديرة .
انظر : العقيلي ، حاشية نفح العود ، ص ١٣٤ .

(٣) يذكر البهكلي أن الشريف حمود هو الذي كان ضد فكرة الاستسلام ، وضرورة مقاتلة عبدالوهاب ، وأن الذي أصر على طلب الأمان والاستسلام هو الشريف علي بن حيدر وبقية الأشراف .
انظر : نفح العود ، ص ١٣٨ .

(٤) البيت من المتقارب .

(٥) من الواضح من هذا الكلام وما بعده أن قائد الجيش السعودي حاول أن لا يكون هناك سفك دماء ، لأن ذلك ليس مقصودًا ولا مرغوبًا مما يدل على أن المراد البحث عن الحق وحفظ الدماء ، أما حمل تصرف عبدالوهاب على غير ظاهره كما يوحي كلام المؤلف فتدخل في النيات التي لا يعلمها إلا الله ، وكان الأولى أن يحكم على الظاهر .

(٦) البيتان من الطويل ، والقائل : المتنبي ، انظر : الديوان ١١٤/٤ .

[١٦/أ] فساعد في الكلام ولانت منه العبارة ، وأراد من الشريف علي القيام بالإمارة ، وبذلها له من غير خفاء ، فمنع أن تكون إلا للشريف حمود محافظة على الوفاء ، وقياماً بحق عمه الواجب عليه من غير التباس ، ومن وصايا الحكماء « عليك بالوفاء فبه يعيش الناس » ، فتم الكلام بينهم على أن الولاية تكون للشريف حمود على شروط منظومة ، وأمور معلومة[١] ، ((وبايع الشريف لعبدالعزيز)) ، ورجع عبدالوهاب وجنده من حيث جاؤوا بعد بذل الجهد ، والأمر لله من قبل ومن بعد[٢] .

((**وفيها** عزم السيد العلامة حسن بن خالد من «أبي عريش» قاصداً إلى «صنعاء» ظنا منه بالمناصرة والاتحاد من إمام صنعاء المنصور أحمد بن علي[٣]، ولما وصل أقام في «صنعاء» أشهرًا، ولم يتم له مرام، فوصل إلى «صعدة» وقد آيس من أهل « صنعاء » وأقام بها أيضًا أشهرًا ، ثُمَّ عاوده الشريف حمود بالمكاتبة، وأكثر عليه في الرجوع إلى «تهامة» فنزل إليه[٤] .

وفيها استولى الشريف حمود على مدينة « مور » وبندر « اللحية »[٥] وامتدت يده)) (وأوامره إلى الجهات اليمانية وأطاعه أهلها[٦] .

---

(١) ذكر البهكلي تلك الشروط وهي :
١ - إجازة الإمام عبدالعزيز بن سعود لقرار تولية الشريف حمود إمارة أبو عريش .
٢ - نشر الدعوة السلفية في الجهات المجاورة وقطع العلاقة مع إمام صنعاء .
٣ - أن لا يحكم إلا بما اقتضاه الدين الحنيف والهدي المحمدي المنيف .
انظر : نفح العود ص ١٤٢ .

(٢) هذا وغيره يدل على حسن نية هؤلاء الذين ناصروا الدعوة، حيث لم يسقطوا إمارة أحد، وإنما قبلوا الانضواء تحت لواء دولة رعت الدعوة وإقامة الدين الحق ، ولو كان القصد كما ذكر المؤلف « عمارة ملك عضوض » لما اكتفى عبدالوهاب بهذا القدر وهو الذي قد انتصر في المعركة ، لأن المنتصر يفرض ما يريد .

(٣) إمام صنعاء في تلك الفترة هو المنصور علي بن المهدي عباس ، (ت/١٢٢٤هـ) ، وقد خلفه ابنه المتوكل أحمد بن المنصور علي ، ولعل عاكشًا عن طريق الخطأ قد وضع الاسم كذلك، أو لعله ظن أن المتوكل أحمد هو الإمام في تلك الفترة .
انظر : العمري ، مائة عام من تاريخ اليمن ، ٥١ ؛
- The Yemen in The 18th and 19th Centuries , 14 - 57 .

(٤) لمزيد من التفصيل انظر : البهكلي ، نفح العود ، ١٥٤ - ١٥٦ .

(٥) مدينة تهامية يمنية على ساحل البحر الأحمر ، تقع شمال غرب الزيدية بحوالي ٨٢ كم . انظر : المقحفي ، معجم البلدان والقبائل ، ٣٥٦ ، كحالة ، جغرافية شبه جزيرة العرب ، ٣٢٧ .

(٦) انظر التفاصيل في : نفح العود للبهكلي ، ١٤٦ - ١٥٦ .

وفيها غزا جماعة من أهل المشرق إلى أطراف « الحسيني »[١] ، فقتلوا جماعة من أهل « الحسيني » ، وأخذوا بعض أهواش)[٢] .

(**وفي سنة ثماني عشرة** غزا الشريف حمود بلاد « مستبا »[٣] فغنم الأموال وقتل وعاد ظافرًا ، **وفيها** غزت قبائل « أسلم »[٤] على قبائل « عبس »[٥] وهم ممن قد أطاع الشريف حمود ، أعني « عبس » ، فقتلوا / في « أسلم » قتلاً ذريعًا ، وانهزمت « أسلم » إلى ديارها . [ص٥١]

وفيها كان الحصار والمطارح على قرية « الزيدية »[٦] ، وذلك أن أهل « الزيدية » قد كانوا عاهدوا الشريف حمود ثُمَّ نكثوا العهد ، فجمع لهم جموعًا وحاصروها ، وطال الحصار إلى أن دخلت سنة تسع عشرة ، ثُمَّ أخذت عنوة وانتهبت أكثر المدينة والسوق[٧] .

---

(١) اسم يطلق على قرية معروفة شرق قرية صلهبة ، تبعد حوالي ٥ كم جنوب شرق صبيا . انظر : العقيلي ، المعجم الجغرافي ، ١٤٨ .

(٢) ما بين القوسين غير واضح في هامش الأصل ، وساقط في ص ، والزيادة من ع .

(٣) ناحية من لواء حجة ، في الشمال الغربي منها . انظر : المقحفي ، معجم المدن والقبائل ، ٣٨٣ .

(٤) قبيلة من حاشد تعرف حاليًا باسم ناحية أسلم في لواء حجة باليمن . انظر : المقحفي ، معجم المدن والقبائل ، ٢٢ : ابن رسول ، طرفة الأصحاب ، ١٩ ، ٣١ .

(٥) مدينة تقع شمال غربي حجة بمسافة ١١٢ كم وهي مركز الناحية ، وتسمى عبس بن ثواب . انظر : المقحفي ، معجم المدن والقبائل ، ٢٧٦ : البهكلي ، نفح العود ، ١٤٦ .

(٦) من المدن اليمنية الحديثة في تهامة ، تقع شمال شرق الحديدة بمسافة ٦٢ كم بالقرب من وادي سردد . انظر : الحجري ، مجموع بلدان اليمن وقبائله ٢/٣٩٧ ، المقحفي ، معجم المدن والقبائل ، ١٩٤ .

(٧) انظر التفاصيل في البهكلي ، نفح العود ، ١٧٠ - ١٧٥ ، ويلحظ المتأمل للكلام كيف كان المؤلف وغيره يأخذون على أنصار الدعوة ما يزعم أنهم ارتكبوه من قتل ، وهنا يصف المؤلف أفعال الشريف حمود من قتل وسلب وأخذ للأموال ، وكأن هذه جائزة محببة ، وهي في نظره واقعة حقيقية ، وتلك الأفعال التي تنسب لأنصار الدعوة مجرد شائعات وهي مما يعده من الموبقات.

وفي سنة تسع عشرة ملك الشريف حمود « القفل »[1] من حصون الشرق[2] واستولى على جهات الشرف[3])[4] .

((**وفيها** أخذ « ملحان »[5] و « حُفاش »[6] و « حجة » ، وتقدم إليها السيد العلامة حسن بن خالد الحازمي والشريف علي بن حيدر ، وتقدم إلى « الشرف » بعد أخذه لضبطه السيد محسن[7] بن علي الحازمي[8] .

وفيها وقع الخلاف بين الشيخ عرار الشعبي[9] صاحب

(١) حصن القفل من جبل حفاش باليمن ، والقفل ناحية من قضاء الشرفين بلواء حجة .
انظر : المقحفي ، معجم البلدان والقبائل ، ٣٣٤ : الحجري ، مجموع بلدان اليمن وقبائله ، ٦٥٧/٢ .

(٢) هكذا وردت في الأصل وأظن أن الصحيح : الشرف .

(٣) يطلق هذا الاسم على العديد من الأماكن في اليمن ، وتاريخيا يطلق على المنطقة الواقعة شمال غرب حجة حيث يسمى أيضًا شرف حجة أو الشرفين .
انظر : الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ١٢٦ : . Smith , The Ayyubids , 2/202 -

(٤) ما بين القوسين غير واضح في الأصل وأثبتناه من ص .

(٥) جبل منيع حصين في بلاد المحويت ، يشرف على تهامة ويقابل جبل « حفاش » من ناحية الغرب ، وهو جبل غني بالزروع والقرى .
انظر : المقحفي ، معجم المدن والقبائل ، ٤٠٧ : الحجري ، مجموع بلدان اليمن وقبائله ٧١٨/٢ .

(٦) جبل مشهور غرب صنعاء بمسافة ١٤١ كم يقابل جبل ملحان ، وهو غني بالثمار والفواكه وكثرة القرى . انظر : المقحفي ، معجم المدن والقبائل ، ١٢٤ ؛ كحالة ، جغرافية شبه الجزيرة ، ٣٣٨ .

(٧) الأصل : محمد ، والصواب من نفح العود للبهكلي ، ص ١٧٩ : عاكش ، عقود الدرر ، الترجمة رقم (٢٤١) .

(٨) محسن بن علي بن عز الدين الكبير ، من رجال الشريف حمود وقواده المرموقين ، كان يرسله في المهمات العسيرة ، فقد شارك الحسن بن خالد في السفارة إلى إمام صنعاء للاستنجاد به ضد الدولة السعودية الأولى ، قاد عدداً من الجيوش وقتل عقب معركة «الكولة » ضد جنود الإمام المتوكل عام ١٢٢٩هـ .
انظر : عاكش ، عقود الدرر ، الترجمة رقم (٢٤١) ؛ زبارة ، نيل الوطر ٢٠٩/٢ .

(٩) من أبرز الشخصيات في قبيلة « بني شعبة » ثُمَّ أميرها ، ارتحل إلى الدرعية بعد سماعه عن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، وتلمذ لمَشايخها ثُمَّ عاد إلى المخلاف السليماني، وبدأ يدعو الناس إلى اتباع الدعوة ، دخل في صراع متواصل مع أشراف « أبو عريش » وخاصة الشريف حمود ، ثُمَّ ساءت العلاقات بينه وبين الأمير عبدالوهاب أبو نقطة ممَّا دفع بالدرعية إلى التدخل ، وطلبت من عرار وعبدالوهاب وحمود الحضور لمقابلة الإمام سعود ، وذهبوا ما عدا الشريف حمود فقد أرسل ابنه أحمد نيابة عنه ، وقد استبقى الإمام سعود عراراً لديه في الدرعية وتوفي بداء الجدري عام ١٢٢٠هـ .
انظر التفاصيل في : البهكلي ، نفح العود ، ١٠١ ، ١٧٩ – ١٩٨ .

« الدرب »[1] وعبد الوهاب العسيري ، وانحاز مع الشيخ عرار بعض عسير ، ثُمَّ تخاذل أصحاب عرار ، وتفرقوا في الآراء ، وهرب عرار إلى بلاد الشريف حمود ، ومن انضاف إليه من القبائل))[2] .

(**وفيها** وقعة « دير عطا »[3] من أعمال بلاد « صليل »[4] بين الشريف حمود وبين الفقيه صالح العلفي[5] ، وهي وقعة عظيمة كان الظفر فيها للشريف ، فأخذ جميع ما في مطرح الفقيه صالح ، واستولى عليه)[6] .

((**وفي سنة عشرين** طلع الشريف حمود إلى جبال « الشرف » وغيرها ، وفيها كانت الوقعة بين الشريف حمود وبين الفقيه صالح في قرية « باجل »[7] آل الأمر فيها إلى تضعضع أجناد صالح)) .

وفيها اشتغل الشريف بالتملك لليمن ، والعناية في دخوله تحت وطأته ، بعد أن حصلت من أهل « نجد » غزايا على اليمن أضعفت منه

(١) يسمى درب بني شعبة ، ويقع شمال المخلاف السليماني ، ويبعد عن مدينة جازان حوالي ١٢٠ كم على طريق جازان - جدة ، كان يسمى « درب ملوح » ، وهو قاعدة المنطقة الشمالية لمنطقة جازان .
انظر : العقيلي ، المعجم الجغرافي ، ١٨١ : الأدب الشعبي في الجنوب ١٣/٢ .

(٢) لمزيد من المعلومات عن الخلاف بين الأميرين وموقف الدرعية من ذلك . انظر : البهكلي ، نفح العود ، ١٧٩ – ١٨٥ ، ١٩٨ .

(٣) قرية يمنية صغيرة تقع على بعد حوالي ١٢ كم شمال شرق مدينة الزيدية . انظر : الحجري ، مجموع بلدان اليمن وقبائله ، ٦٠٦/٢ .

(٤) من قبائل عك باليمن ، وهي تسكن المنطقة الممتدة بين الزيدية في الشمال إلى الحديدة في الجنوب . انظر : النعمي ، حوليات ، ٩٧ ؛ المقحفي ، معجم المدن والقبائل ، ٢٥١ .

(٥) كان والي الحديدة من قبل الإمام المنصور أثناء امتداد النفوذ السعودي في تهامة .
انظر : البهكلي ، نفح العود ، ١٥١ ، ١٥٦ ؛ . Philby , Saudi , 106 -

(٦) ما بين القوسين غير واضح في هامش الأصل وساقط من ص وأثبتناه من ع ، ولمزيد من التفصيل عن هذه المعركة انظر : نفح العود للبهكلي ، ١٧٣ .

(٧) مدينة تهامية في الشمال الشرقي من الحديدة بمسافة ٥٥ كم على طريق صنعاء .
انظر : الحجري ، مجموع بلدان اليمن وقبائله ، ١٠١/١ ؛ المقحفي ، معجم المدن والقبائل ، ٤١ .

[ص٥٢] القوى ، وخضدت ثمار / أهله بتلك الفواقر حتى ذبل وذوى ، وكان في الثغور بقايا أجناد إمام « صنعاء » ، فبعضهم سلم الطاعة من غير مشقة ، وبعضهم امتنع ، مثل من كان « بالحديدة » ، فتقدم الشريف يحيى بن حيدر[١] عن أمر عمه بأجناد ، وحاصر أهل البندر مدة ، وعاقبة الأمر أرسل صاحب « صنعاء » جندًا مقدمتهم نقيب اسمه سعد غدّارة[٢] ، لقصد الإغاثة على من كان بالبندر والإغارة ، فتلقاهم الشريف حمود في جنده بعزم قوي ، واستولى على مطرحه ، وعصفت بسعد رياح ذلك اليوم ، فلحق بأهل العالم الأخروي ، وحين علم من كان في « الحديدة » بالحاصل [١٦/ب] خرجوا بعد أن بذل لهم الشريف الأمان ، ورأوا أنهم قد أدوا ما عليهم في هذا الشأن ، واستقر اليمن[٣] من يومئذٍ للشريف حمود ، وجبيت إليه حاصلاته من الطعامات والنقود[٤] .

وفي السنة الحادية والعشرين بعد المائتين وألف (في شهر رمضان ظهر فساد إبراهيم الكلفود[٥] و « صليل » ، وجهز الشريف حمود لحربه جيشًا عظيمًا ، واستولى على البلاد الصليلية جميعًا .

وفيها من الشهر المذكور أتت غازيتان إحداهما من الشريف عليها السيد العلامة حسن بن خالد ، والشريف علي بن حيدر ، والأخرى من « صليل » ، ووقع القتال من الطائفتين ولم ينج من « صليل » إلا القليل ،

---

(١) من كبار أشراف أبو عريش من آل خيرات ، شارك عمه الشريف حمود في إخضاع اليمن، وولاه الحديدة ، ساءت بينهما العلاقة فعزله الشريف حمود ثُمَّ سجنه عام ١٢٢٥هـ حتى أطلقه خليل باشا بعد استيلائه على المخلاف السليماني عام ١٢٣٤ هـ ، وتوفي بعد خروجه من السجن في العام نفسه .
انظر : البهكلي ، نفح العود ، ٩٩ وما بعدها .

(٢) من عبيد أحمد ابن الإمام المنصور ، انظر : البهكلي ، نفح العود ، ٢١١ .

(٣) يستخدم عاكش لفظ اليمن هنا للتعبير عن المنطقة الساحلية المسماة « تهامة اليمن » ، وليس القصد كامل اليمن .

(٤) انظر تفاصيل المعركة بين الشريف حمود وسعد غدّارة في نفح العود للبهكلي ٢١١ - ٢١٨ .

(٥) إبراهيم بن علي الكلفود ، شيخ قبيلة صليل في اليمن .
انظر : البهكلي ، نفح العود ، ١٥٠ ، ١٩٦ .

وفي شوالها ، وقعة « المصين »[١] من بلاد « صليل » بين الشريف ، وبين « صليل » فأخذهم الشريف ، واستولى على بلادهم وغنم أموالهم / وأخذ [ص٥٣] سلاحهم وكراعهم ، وبعد هذه الحوادث ثابت « صليل »[٢] إلى الطاعة والانقياد[٣] .

وفيها اختط الشريف حمود مدينة « الزهراء »[٤] قبلي « وادي مور » ، وهو من أعظم أودية اليمن . وسماه بعض المتقدمين « ميزاب تهامة » ، وهو مشهور في الكتب القديمة من التاريخ كما يعرف ذلك المتطلع ، فأحيا فيه الشريف أراضيَ كثيرة . واشترى البعض ، وحصلت العناية التامة بتلك المحاريث ، وكان يحصل منها من الحبوب شيء واسع يستعين به على نوائبه ، ويقضي به بعض مآربه ، وابتنى هناك قلعة عظيمة ، وكان غالب إقامته هناك .

[٥]) **وفيها**[٦] في شهر جمادى الآخرة رابع[٧] الشهر ليلة الجمعة كانت وفاة سيدي الوالد أحمد بن عبدالله بن عبدالعزيز بن حسن بن حسين بن محمد بن يحيى بن محمد بن علي بن عمر[٨] ، هو أحد

---

(١) لم أعثر على معلومات عنها وحسب ما ورد في النص فإنها تقع في بلاد صليل .

(٢) العبارات بين القوسين وردت في هامش الأصل ولكنها غير واضحة وتم إثباتها من ص .

(٣) انظر تفاصيل ذلك في: نفح العود للبهكلي ، ١٩٦ - ١٩٧ . والبهكلي يذكر أن الصراع بين الشريف حمود والكلفود كان في عام ١٢٢٠هـ وليس كما ذكره عاكش هنا بأنه في عام ١٢٢١هـ .

(٤) تسمى حاليًا « الزُهرة » ، وهي مدينة تهامية شرق اللحية بمسافة ٤٠ كم .
انظر : المقحفي ، معجم المدن والقبائل ، ١٩٤ ؛ الحجري ، مجموع بلدان اليمن وقبائله ٢٩٧/١ .

(٥) انظر : نهاية القوس ص ١٠٩ .

(٦) عند هذه الكلمة وضع المؤلف إشارة إلى الهامش حيث كتب فيه هذه العبارة (هذا سبق قلم وإنَّما وفاته في السنة الثانية والعشرين) وبناء على ذلك فقد قام ناسخ ع بالتعديل ونقل الترجمة إلى السنة الثانية والعشرين ، وسنشير إلى ذلك في موضعه ، أمَّا ص : فلم يشر إلى تلك العبارة ، ولعل المؤلف أضافها بعد أن تم نسخ ص .

(٧) ص : تاسع ، وقد لحظت أن المؤلف قد كتب تاسع ثُمَّ شطبها وكتب رابع بدلاً عنها ، فلعل ناسخ ص قام بعملية النسخ وتم التغيير بيد المؤلف بعد ذلك .

(٨) انظر ترجمته أيضًا في : حدائق الزهر للمؤلف ، تحقيق : د . إسماعيل البشري ، ص ٩ - ٣٠ .

المجتهدين وحجة الإسلام ، والمرجع إذا دجت المشكلات على الأعلام ، عباب لا تكدره الدلاء ، وسحاب تتقي صرعته الأنواء ، وكان بمحل من الورع والدين وسلوك سبيل الفضلاء من السلف الصالحين ، صادع بالحق لا يخاف لومة لائم ، صادق النية لا يخشى بطشة ظالم ، وغاية الأمر أنه [ص٥٤] شيخ وقته ورعًا وعلمًا ، وإمام / التحقيق حقيقة واسمًا .

مولده سنة أربع وسبعين بعد المائة والألف ، أخذ عن مشايخ وقته في جميع العلوم ، وارتحل إلى « صنعاء » ، ولقي بها أعيان العلماء ، ومصابيح الظلماء ، فأخذ عنهم في جميع المعارف ، وقطف من أزهار علومهم اللطائف ، ولازم شيخ مشايخنا [١٧/أ] إمام المحققين عبدالقادر ابن أحمد الكوكباني(١) وغيره ، ولم يزل يدأب في تحصيل المعارف حتى تضلع في جميع العلوم ، وصار المشار إليه في المنطوق والمفهوم ، ولم يرجع إلى وطنه إلا وقد صار وعاءً من أوعية العلم ، وإمامًا في كل فن من الفنون ، ودرس عليه جماعة من أهل هذه الجهة ، وتخرج به السيد العلامة حسن بن خالد الحازمي ، وكان ملازمًا له في القراءة مدة حياته .

وانتهت إليه - رحمه الله تعالى - رئاسة العلم، وشُدَّتْ إليه الرحال، ولم يزل منظورًا بعين الاحترام والإجلال ، يقدمه الأمير والمأمور على من سواه، ويرون له من الحق ما لم يبلغ غيره إلى أدناه، يستند في المشكلات إليه ، ويعوّل في المعضلات عليه ، إذا برزت فتواه في مقام العلماء الأعلام، ذلت أعناقهم خاضعين(٢) ، وقالوا : « القول ما قالت حذام »(٣) .

(١) أحد أبرز علماء مدينة زبيد (ت/١٢٠٧هـ) . انظر : الشوكاني ، البدر الطالع ٣٦٠/١ ؛ زبارة نيل الوطر ، ٤٤/٢ ؛ الحبشي ، مصادر ، ص ٢٣٤ .

(٢) هذه مبالغات كان الأولى بطالب العلم تحاشيها ، لأنها عن الحقيقة في معزل ، وفيها إسناد لأشياء ليست مما ترك للخلق فيه اختيار أو قدرة ، نعم يذكر لذوي الفضل مقامهم ، ولذوي العلم منزلتهم ، لكن لا يرتقى بهم إلى ادعاء ما لا يبلغه البشر .

(٣) هـذا مثل ؛ وهو عبارة عن شطر بيت ، وقيل : حذام اسم امرأة وهي بنت العتيك بن أسلم ، ويقال : لجيم بن صعب وحذام امرأته :

إذا قالت حذام فصدقوها   فإن القول ما قالت حذام

انظر : لسان العرب ، مادة : حذم .

وعكف على كتب الحديث / والتفسير في آخر عمره ، واجتهد في [ص٥٥] نشر السنة بسره وجهره ، وتبحر في علم الحديث فصار من حُفّاظه . واطلع على معرفة الأسانيد والرجال ، وبرز في علم التفسير ، ونال من لطائفه ما هو على غيره عزيز المنال ، وهاجر في « مكة المشرفة » مدة مثابرًا على الطاعة ، ملقّى إليه زمام التحقيق بين أهلها ، وأخذ عن جماعة من العلماء الوافدين إليها في علم الحديث ، وجرت بينه وبينهم مراجعات في عدة مسائل ، يفوز بالحق في أكثرها ، وارتحل إلى « المدينة المنورة » وهاجر فيها مدة ، وبعد رجوعه من الحرمين لبث في أوطانه مدة ، وعاد إلى « صنعاء » المحمية ، وارتحل إلى جبل « كوكبان »(١) . ولاقى هناك جماعة من الأعيان ، وأقام « بصعدة » مدة مع حصول الفتن في جهة تهامة من أهل نجد كما سبق(٢) ذلك .

وبعد انفصاله من « صعدة » كانت إقامته « بأبي عريش » ، ولم يزل مجتهدًا في الاستفادة والإفادة حتى سبق من قبله [١٧/ب] ، وجلا في ميدان العلوم وتقدم ، فَصَلَّى(٣) كلُّ سابق خلفه / وبالتبريز له سلَّم . [ص٥٦]

وله مؤلفات منها : شرحه على « الأنوار في دلائل الأزهار »(٤) للإمام المهدي(٥) - رحمه الله تعالى - في أربعة مجلدات من(٦) القطع

(١) حصن ومعقل شبير يطل على مدينة شبام الأثرية باليمن ، آهل بالسكان وبه آثار قديمة .
انظر : المقحفي ، معجم المدن والقبائل ، ٣٥٢ :
- Smith . Kawkaban , Arabian Studies.

(٢) الفتن لم تقع من أنصار الدعوة وإنما وقعت ممن وقف منها موقف المعادي ، وكيف تكون منهم الفتن وهم الذين عملوا على القضاء عليها ، وقد ذكر المؤلف شيئًا من هذا في ص ٩٨.

(٣) الأصل : فصلا .

(٤) ورد اسم الكتاب في المصادر اليمنية بطريقين :
١ - الأنوار في الآثار الواردة لمسائل الأزهار ، انظر: الأكوع ، هجر العلم ومعاقله ١٣١٨/٣ .
٢ - الأنوار في محاسن الآثار الناصة على حل مسائل الأزهار . انظر : الحبشي ، مصادر الفكر ، ٥٨٦ ، توجد منه نسخة مخطوطة برقم ٢١ بالجامع الكبير بصنعاء .

(٥) المهدي أحمد بن يحيى المرتضى ، دعا لنفسه بالإمامة عام ٧٩٣هـ ونازعه فيها المنصور علي بن صلاح الدين ، وبعد صراع بين الطرفين انتهى بسجن المهدي ثُمَّ الإفراج عنه ، ومن ثَمَّ ترك المطالبة بالإمامة وتفرغ للعلم .
انظر : الشوكاني ، البدر الطالع ١٢٢/١ : الأكوع ، هجر العلم ومعاقله ١٣١٤/٣ .

(٦) الأصل : في .

الكبير سماه « مشارق الأنوار »، جمع فيه الفوائد فأوعى، وأبان فيه الدلائل أصلاً وفرعًا، وحوى من التحقيقات وإيضاح المشكلات ما لا يوجد في مؤلف سواه ، وشهرته تغني عن الإطناب بوصفه ، وله شرح مفيد على « ملحة الإعراب »(١) في النحو سماه « منحة الطلاب » يعز نظيره في شروحها لما هو عليه من جمع الفوائد والتحقيق ، وله شروح على أراجيز مفيدة ، ومنسك جليل مربوط بالدليل ، وفتاوى كثيرة تخرج في مجلد ، وله رسائل مفيدة في مراجعات بينه وبين علماء وقته، وله « رسالة في حكم التنباك » المعروف ، وقد مال إلى التحريم ، لَمَّا شهد من شهد عنه أنه مسكر .

وقد كثر الكلام في ذلك بين علماء الإسلام ؛ فمن جازم بالتحريم لذلك كالعلامة ابن حجر المكي(٢) ، والشيخ أبي الحسن السندي(٣) رحمهما الله تعالى ، والعلامة الكبير الحسين بن ناصر المهلا(٤) ، رحمه الله تعالى ، ومن مائل إلى القول بالتحليل نظرًا إلى أن أصل الأشجار الإباحة / كالسيد العلامة محمد بن إسماعيل الأمير(٥) - رحمه الله تعالى - وغيره ، ومن متوسط بين الفريقين قائل بأن ذلك من الشبهات [و] طريقة أهل الورع تركه ؛ لأن المؤمن وقّاف عند الشبهات ، ولعلَّ هذا القول الأخير أقرب إلى الصواب ، ولله القائل : [ص٥٧]

(١) مؤلفها هو : القاسم بن علي الحريري (ت/٥١٦ هـ) وهي مطبوعة .
انظر : الزركلي ، الأعلام ١٢٦/٦ .

(٢) أحمد بن محمد بن علي الهيثمي ، فقيه وعالم مصري (ت/٩٧٤هـ) .
انظر : الشوكاني ، البدر الطالع ١٠٩/١ ؛ الغزي ، الكواكب السائرة ١١١/٣ ؛ أبو الخير ، المختصر ٨٧/١ .

(٣) محمد بن عبدالهادي التتوي السندي ، محدث وفقيه حنفي (ت/١١٣٨هـ) انظر : الزركلي ، الأعلام ١٣٢/٧ ؛ المرادي ، سلك الدرر ، ٦٦/٤ .

(٤) من علماء اليمن المشهورين (ت/١١١١هـ) .
انظر : الشوكاني ، البدر الطالع ٢٣١/١ ؛ زبارة ، نشر العرف ٦٢٨/١ .

(٥) من كبار علماء اليمن ، تفرد برئاسة العلم في زمنه ، وله إنتاج علمي غزير (ت/١١٨٢هـ) .
انظر : الشوكاني ، البدر الطالع ١٣٣/٢ ؛ القنوجي ، أبجد العلوم ، ١٩١ ؛ العمري ، مصادر التراث اليمني ، ٢٩٦ .

وما سبب الخلاف سوى اختلافِ الـ ـعلـوم هناك نقصًا أو تَمَامًا(١)

وكانت وفاته في هذا العام بعد رجوعه من الحرمين . لأنه لم يرجع إلا وقد أسرى ألم الموت بجسده ، فدهى الأنام رزء فوته ، وأجرى عبرات المعالي موته ، وأظلمت أرجاء التحقيق والأندية ، وصار العلم أحق من آله بالتعزية ، [١٨/أ] ولبست الليالي ثياب الحداد لفقده ، وآلت ألا تقع من بينها على نده ، وأظلمت الدنيا وولت بخطبه ، وضاق به عرض البسيطة والطول ، وكان الأسى فرضًا وإن لَمْ يطلب الردى منها الفداء . والحزن واجبًا وإن كان الحمام لا يترك أحدًا(٢)، ورثاه بعد موته من أهل الجهة كُلّ شاعر، وعزّى العلوم فيه كل ناظم وناثر ، [و] ممَّا قاله السيد العلامة البليغ يحيى بن محمد القطبي(٣) رحمه الله تعالى(٤) :

ما لي أرى نشر العلوم قد انطوى … تحت التراب وقد وهت منه القوى

/ لوفاة أحمد نجل عبدالله من … جُلِّ العلوم على فوائدها احتوى(٥) [ص٥٨]

العالم الحبر المصين لعلمه … من غير كتم بل أفاد وما طوى

لو قيل ما يأتي الزمان بمثله … قلنا : صحيح(٦) لا يُماري من روى(٧)

(١) البيت من الوافر .

(٢) هذه كلها مبالغات لا يقبلها عقل سليم ولا ذوق يتحرى الدقة في الكلام . فموت العلماء بلا شك مصيبة ، لكنه سنة ماضية ، فهذا خير البرية عليه الصلاة والسلام . ومن بعده خير الخلق بعده أصحابه رضوان الله تعالى عليهم ، توفوا وما أثر أن قيل في أحد منهم ما قيل هنا أو قريب منه ، لأن الدنيا قائمة ، والخير باق في الأمة ، مع أن الموت مظنة الحزن المشروع ، وخاصة عندما يفقد العلماء والمعلمون رحمهم الله رحمة واسعة .

(٣) يحيى بن محمد الأمير القطبي الهاشمي الحسني ، أديب وشاعر تهامي ، عاش في « أبو عريش » وتوفي بها عام ١٢٣٧هـ .
انظر : عاكش ، عقود الدرر ، الترجمة رقم (٢٤٨) ؛ زبارة ، نيل الوطر ، ٤٠٦/٢ .

(٤) القصيدة من الكامل .

(٥) ورد قبل هذا البيت قول الشاعر :
عظم المصاب وأدهش الخطب الذي … ترك القلوب لعظم موقعها هوى
انظر : عاكش ، حدائق الزهر ، تحقيق : د . إسماعيل البشري ، ص ٢٩ .

(٦) في حدائق الزهر : حقيق ، انظر : ص ٢٩ .

(٧) هذه مبالغة ممقوتة ، وفيها تأل على الله تعالى أن لا يأتي بعده من هو مثله ، والواقع يكذب هذا وينفيه والعالم ليس بحاجة لهذا الإطراء المجافي للحقيقة .

قد صح نقص الأرض من أطرافها   فأقولُ لما أن بباطنها ثوى
يا قبر أحمد كم حويت محاسنًا   طوبى لقبر مثل ميْتك قد حوى
ما أنت إلا روضة قد زخرفت   لقدوم شخص مخلص فيما نوى(١)
وهو الصفي حبيب كلّ موحد   لله لا يصغي إلى داعي الهوى
ما كان إلا عاملاً بعلومه   ما الدين والدنيا لديه على سوى
لا والذي بعث النبي محمدًا   وأقامه للرشد يهدي من غوى
وبأن أحمدَ تابع لطريقه   ما زاغ قط ولا عن الرشد التوى
بل طلق الدنيا وصرّم حبلها   ولداعي الأخرى توقع وارعوى
ما شأنه إلا التفرغ دائمًا   لعبادة المولى الذي فلق النوى
أحيا الليالي بالقيام وبالضحى   أحيا المدارس بالقراءة واستوى
[١٨/ب] / ما همه إلا الإفادة دائمًا   للمستفيد قَرَا المنزَّل أو روى
بحقائق ودقائق قد حازها   صدر على صدق الحديث قد احتوى
حتى دعاه إلى الكرامة ربه   فأجابه يسعى إلى ظل اللوى
فرحًا يلاقي ربه بصحيفة   بيضاء حاملها عن الفحش انزوى
[ص٥٩] / ناديت لَما أن رأيت دياره   تحكي لنا عن طيف أحلام الروى
أيتمت أبناء المدارس كلهم   وطويت أحشاء المريد على الطوى
الله أكبرُ كم قلوب أودعت   خفقا عليك كمن(٢)بأهلك من حوى
فالله يجبر كسر كلِّ مخلَّف   من كل ذي قلب على الحزن انطوى
وحباك رب العرش منه برحمة   وسقا ظماك بشربة الحوض الروى
وعساه يجمع شملنا بك في غدٍ   ويحلنا في جنة المأوى سوى
في زمرة فيها النبي محمد   صلى عليه الله ما نجم هدى(٣)
مع من أحب المرءُ يحشر قد حكى   هذا نبي لا يقول عن الهوى

(١) المشروع هو الدعاء للميت، ورجاء ما عند الله سبحانه من عفو ومغفرة، وأن يجزي المجتهد العالم العامل بما يجزي به عباده الصالحين، أما الجزم فأمر شأنه لله تعالى.
(٢) في حدائق الزهر للمؤلف: كما، انظر: ص ٣٠.
(٣) في حدائق الزهر للمؤلف: وشفا، هوى، انظر: ص ٣٠.

صلى عليه الله (ما جن الدُّجى)(١)   والآل ما ركب إلى قصد نوى

وقد أفردته بترجمة مستقلة مطولة، أتيت فيها على جملة من مناقبه وكراماته، وأوردت منها شيئًا في المؤلف المقصور على تراجم العلماء المسمى « حدائق الزهر »(٢)، وقُبر «بأبي عريش». فلا برحت تصافح روحه الشريف راحات الرحمن والرضوان، ولا انفكت تطارح ضريحه المنيف بالتحيات واردات الإحسان(٣)، وجمعنا الله به تحت ظل عرشه على منابر النور، وجعلنا من المنعم عليهم إذا بعثر / ما في القبور، آمين آمين(٤). [ص٦٠]

السنة الثانية والعشرون بعد المائتين والألف [١٩/أ] ((فيها خرج السيد الحسن بن خالد في ثلة من الأقوام، وانتهى سيره إلى أطراف « بني الحُرّث »(٥)، وذلك عن أمر الشريف حمود، ولم تزل الحرب سجالاً حتى ظفر المذكور بجماعة من شياطينهم نحو اثنين وعشرين نفرًا، فعرضهم على السيف، وحكّمه فيهم وإن كان قد يقع في حكمه الحيف))(٦)، ولم يزل فيها الشريف حمود قائمًا بوظائف ما اتفق بينه وبين أهل نجد من الإصلاح، من تسليم ما يحسن السكوت عليه، ويندمل به أثر الجراح؛ لأنه كان قد أرسل الشريف فيما سبق إلى الأمير سعود

(١) الأصل: ما حن الرجا، والتعديل من حدائق الزهر للمؤلف، ص ٣٠.
(٢) عنوان الكتاب كاملاً: حدائق الزهر في ذكر الأشياخ أعيان الدهر، وقد قمتُ بتحقيقه ونشره عام ١٤١٣هـ، دار هجر للطباعة - القاهرة.
(٣) هذا الكلام ليس عليه من الله تعالى ولا من رسوله ﷺ برهان، وهو مجرد قول وتخمين وظن ليس عليه دليل. وغاية ما ورد هو تكريم المؤمنين بالنظر إلى وجه الله تعالى الكريم بعد انجلاء الموقف، أما دعوى المصافحة، والمطارحة فدعوى مثارها الظن، والظن لا يغني من الحق شيئًا.
(٤) ما بين القوسين من صفحة (١٠٧) إلى هنا هو ترجمة والد المؤلف التي قام ناسخ (ع) بنقلها إلى أحداث السنة الثانية والعشرين بعد المائتين والألف.
(٥) قبائل بني الحُرّث عبارة عن مجموعة من البطون تسكن المنطقة الواقعة على الحدود السعودية اليمنية حاليًا ويحدها جنوبًا وشرقًا اليمن وشمالاً قبيلة المسارحة والعبادل وغربًا المسارحة، وحاضرتها « الخوبة ».
انظر: العقيلي، المخلاف السليماني، ١/٧٥.
(٦) انظر التفاصيل في نفح العود للبهكلي، ص ٢٤١ - ٢٤٢، وقد ذكر البهكلي حملة الحسن بن خالد على بني الحرث في حوادث عام ١٢٢٣ هـ.

ولده الشريف أحمد في جملة من الأعيان فيهم السيد العلامة حسن بن خالد الحازمي ، ووصلوه[1] إلى بلدة « الدرعية » ، ورمّموا كلامًا في ذلك المسير حفظًا للبلاد من الغير ، وهم في أثناء ذلك يبعثون المراسيل لقبض المعلوم[2] .

واستمر على ذلك إلى دخول[3] **السنة الثالثة والعشرين بعد المائتين والألف** فتصبح الشريف من رسلهم لما هم عليه من المطالب المتكاثرة وأفصح لهم كما قيل بالشقاق ، ورأى أنَّ الصبر على تحمل ما يوهي / عرى الشهامة ممّا لا يطاق ، وأنشد لسان حاله عن فعاله : [ص٦١]

لا بد أن أركبها صعبة — وقاحة تحت غلام وقاح

أجهدها أو تنثني بالردى — دون الذي أمّلت أو بالنجاح

أمّا فتى نال المنى فاشتفى — أو بطل ذاق الردى فاستراح[4]

ولما انفصل الرسل من عنده على هذا الحال ، بلغ أن بعضهم اتفق بعبد الوهاب فأخبره ، فسُر بذلك ، ظنا أنه قد لاحت له الفرصة ببلوغ الآمال ، وكان بذلك انتقاض الصلح بين الشريف وسعود ، وابتدأ عبدالوهاب في تحشيد الجنود ، لقصد مناجزة الشريف حتى يُفتح عليه

(١) هكذا في الأصل والصواب : ووصلوا .

(٢) يشير المؤلف إلى النزاع الذي حدث بين عبدالوهاب وعرار وحمود ، وكانت نتيجة ذلك قرار الدرعية باستمرار انفصال حمود عن عبدالوهاب وارتباطه بالدرعية بثلاثة شروط هي :
١ - أن ترسل الدرعية عمالاً يشرفون على الزكاة وأن يكون للدرعية ما عدا قدر معلوم لحمود .
٢ - عدم استخدام قبائل همدان إلا أن يدخلوا في الدعوة ويقبلوا مبادئها .
٣ - أن لا يبرم أي اتفاق مع عمال إمام صنعاء ولا يصالحهم .
لمزيد من التفصيل انظر : البهكلي ، نفح العود ، ١٩٤ .

(٣) في هامش الأصل مكتوب هذه العبارة (ترجمة الوالد محلها هنا وإنّما غلط الكاتب لأنّ وفاته سنة اثنين وعشرين تعلم ذلك . كاتبه حسن بن أحمد) .

(٤) الأبيات من الرجز ، وهي للشريف الرضي ، انظر : الديوان ٢٥٤/١ .

بالمقاتلة أبواب ، وأمدَّه مخدومه سعود بثلة من خيالته مقدمهم رجل يُسمّى غصّاب[1] .

((**وفيها** وصلت[2] قوم من السراة من أتباع سعود قائد القوم « مشيط »[3] ومحمد بن دهمان[4] ، وكان وصول المذكورين للصلح بين الشريف حمود وبين الشريف علي بن حيدر والشريف منصور بن ناصر[5] ، ثُمَّ غزا الشريف بالقوم المذكورة إلى بلاد « بني قيس »[6] ، ومع

(١) غصّاب العتيبي . أحد قواد الدولة السعودية الأولى . كان له أثر بارز في حروب الدولة السعودية الأولى . شارك في الدفاع عن الدرعية أثناء حصار إبراهيم باشا لها عام ١٢٣٣هـ . ولكنه خرج طالبا الأمان لنفسه ممّا كان سببا في تخاذل أكثر المدافعين ومن ثمّ سقوط الدرعية .
انظر : ابن بشر ، عنوان المجد ١٤٦/١ ؛ ابن عثيمين ، تاريخ المملكة ١٩٦/١ ؛
- Philby , Saudi . 113 .

(٢) هكذا في الأصل والأوجه : وصل .

(٣) مشيط بن سالم . شيخ قبيلة شهران وناهس ، دخل في طاعة الدولة السعودية الأولى عام ١٢١٠هـ ، وهاجر إلى الدرعية وتعلم فيها القرآن الكريم وأصول الدعوة ، وعاد إلى بلاده لنشر الدعوة السلفية ، شارك في معظم الحملات على عسير والمخلاف السليماني . انظر : ابن بشر ، عنوان المجد . ١٤٦/١ ؛ ابن مسفر . أخبار عسير . ٦١ ؛ آل طالع ، قبيلة شهران ٤٠ - ٤٣ .

(٤) محمد بن دهمان ، قائد سعودي من تبالة .
انظر : ابن مسفر ، أخبار عسير ، ١١ ؛ ابن بشر ، عنوان المجد ١٤٦/١ .

(٥) ابن أخي الشريف حمود ، من أمراء آل خيرات ، تنازل له والده عن إمارة صبيا عام ١٢٠٥هـ ، وتأثر بالدعوة السلفية عند وصولها إلى المخلاف السليماني ، واتبعها . وأمر رعيته بالالتزام بمبادئها ، كان له أثر بارز في أحداث المخلاف السليماني خلال زخم الدعوة السلفية بين عام ١٢١٥ - ١٢٢٥ هـ ، عزله عمه الشريف حمود عن إمارة صبيا فكون جبهة معارضة مع بعض الأشراف ، وارتحل إلى مكة المكرمة لطلب المساعدة من والي الحجاز حسني باشا ، شارك في حملة سنان أغا على عسير عام ١٢٣٣هـ . وعندما هزم جيش سنان أغا في منطقة بلاد بني مالك قتل منصور وقائد الحملة سنان أغا في أسفل العقبة المسماة « شعار » .
انظر : ابن مسفر ، أخبار عسير ، ٧٧ ؛ عاكش ، عقود الدرر ، الترجمة رقم (٢٤٥) ؛ العقيلي ، المخلاف السليماني ٤٧١/١ .

(٦) قبيلة يمنية تستوطن المنطقة الواقعة أعالي وادي مور ، ومنطقتهم خصبة ، وتبعد عن حجة حوالي ٣٥ كم .
انظر : الحجري ، مجموع بلدان اليمن ٦٥٩/٢ ؛ المقحفي ، معجم المدن والقبائل . ٣٣٩ .

الشريف جموع كثيرة غير من ذكر ، فأخذ بلاد « بني قيس » واستولى على جميعها إلى « الطور »[1] و « المدرك »[2] قطع « آل جزيلان »[3])) .

[ص٦٢] **وفي هذا / العام** كانت وفاة الوالد العلامة ، التقي الزاهد الفهامة ، محمد بن عبدالله بن عبدالعزيز[4] [١٩/ب] مولده سنة ثمان وستين ومائة وألف ، وكان – رحمه الله تعالى – من أهل العلم والتقوى ، وممن تحقق بالزهادة في هذه الدنيا ، أخذ عن أخيه سيدي الوالد – رحمه الله تعالى – في الفقه وغيره ، ولازمه مدة حياته ، واتصف بمحاسن صفاته ، وفاق في الفضل أهل زمانه ، وتميز بمعارفه على أقرانه ، وله أحوال دلت على رسوخ قدمه في الفضائل ، هذا مع ما حواه من حسن الأخلاق ولطف الشمائل ، وحج إلى بيت الله الحرام ، ولم يزل مثابرًا على فعل الخيرات ، وملازمًا لطاعة ربه في جميع الأوقات ، حتى توفاه الله – تعالى – إلى كرامته في هذا العام ، جمعنا الله به وبكافة أحبابنا في دار السلام .

السنة الرابعة والعشرون بعد المائتين والألف ؛ تحقق للشريف حمود خبر عبدالوهاب ، وهو إذ ذاك في « الزهراء » ، فشمخ بالعِرْنين[5] ،

---

(١) مدينة بالغرب من حجة بمسافة ٢٧ كم ، وهي مركز بني قيس .
انظر : المقحفي ، معجم المدن والقبائل ، ٢٦٤ : الحجري ، مجموع بلدان اليمن ٥٥٩/٢ .

(٢) المدرك يطلق على أكثر من موقع في اليمن ، ولعل المقصود هو « مدركُ بن باري » كما ورد عند المقحفي ، وهي تتفق مع مسار الأحداث ومواقعها ، وهي عزلة من أرحب بن الدعام من همدان شمال حجة .
انظر : معجم المدن والقبائل ، ٣٧١ .

(٣) آل جزيلان ، من قبائل برط ، شمال صنعاء .
انظر : المقحفي ، معجم المدن والقبائل اليمنية ، ٨٩ ؛ الحجري ، مجموع بلدان اليمن ١٠٩/١ .

(٤) عم المؤلف وترجمته كافية في النص ، وانظر أيضًا : زبارة ، نيل الوطر ٢٨٥/٢ ؛ عاكش ، عقود الدرر ، الترجمة رقم (٢٤٥) .

(٥) العرنين : أول كل شيء ، وما صلب من عظم الأنف حيث يكون الشَمَم ، ويقال : هم شُمُّ العرانين : أعزة أباة ، وعرانين القوم : ساداتهم وأشرافهم . انظر : المعجم الوسيط ٦٠٣/٢ .

وبرز منها إلى ملاقاتهم بُرُوزَ ليث العرين ، وحشد على القتال قبائل البلاد ، وحرص على جمعهم من أغوارها والأنجاد ، واستحث من عنده من العساكر على هذا المراد ، وتوجه إلى المدينة العريشية[1] . ثُمَّ توجه في لقاء عبدالوهاب ، ولما سمع عبدالوهاب بادر إلى وادي / « بيش » [ص٦٣] بالكتائب ، وفي ظنه أن جنده هو الغالب ، فعدم التبصر برأيه والاستضاءة ، وبادر إلى أمر كان له فيه أناة ، ودارت به الدوائر . وزل عنه قول الشاعر :

قد يدرك المتأني بعض حاجته ... وقد يكون مع المستعجل الزلل[2]

فالتقى الفريقان في ذلك الوادي ، وكثر الصياح والتنادي ، واشتجرت الرماح . واشتد الكفاح ، واختلف الجيشان بالرصاص ، ونادى لسان الحال : ﴿ وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾ ﴾ [3] وخرت الرؤوس ، وتداعت إلى فنائها النفوس ، [٢٠/أ] ولما (حمي الوطيس)[4] ، وهدرت من الأبطال شقاشق العيس ، برز الشريف علي بن حيدر في الخيل من أصحاب الشريف حمود ، لمقابلة الشيخ غصّاب ومن معه من الخيالة من جند سعود ، فأبان الشريف علي بن حيدر عن تحليق العقاب ، وشجاعة « حيدرة » في اليوم الذي اقتلع فيه الباب[5] ، وصدق عليه الشاهد في هذه الموارد .

---

(١) مدينة « أبو عريش » .

(٢) البيت من البسيط وهو للقطامي ، انظر : الديوان ، ٢٥ .

(٣) سورة ص : الآية ٣ .

(٤) قيل : أول من قالها الرسول ﷺ ، ويروى أن النبي ﷺ رُفِعَت له الأرض يوم مؤتة فرأى معترك القوم ، فقال : « حمي الوطيس » . انظر : مسند أحمد بن حنبل ٢٠٧/١ ، والنهاية ٣٩٧/١ ، كان ذلك في غزوة حنين .
والوطيس : حجارة مدورة فإذا حميت لم يُمكن لأحد أن يطأ عليها ، فيضرب لذلك مثلاً للأمر إذا اشتد . وجاء في اللسان : الوطيس : المعركة ؛ لأن الخيل تطسها بحوافرها . انظر : لسان العرب ، مادة أوطس .

(٥) انظر : ابن هشام ، سيرة النبي ﷺ ٣٨٧/٣ ؛ باشميل ، غزوة خيبر ، ١١٦ .

ونصبت نفسي للرماح دريئة   إن الرئيس بمثل ذا لفعول[1]

وحين تكسرت الرماح، بالطعن في الأعداء في تلك الفياح، اخترطوا السيوف، وأقبلوا على الحتوف، واختلط الفريقان حتى اغبرَّ الدوّ[2]، واصطدمت الهامات في الجو، وانخزل أصحاب الشريف / [ص٦٤] من العسكر عن مركزهم، وثبت للكفاح في ذلك الموقف، وصار هو ومن معه هدفًا للرصاص، واتفق الفشل من الجانبين، وركبتهم موجات البحرين، وانجلت المعركة عن قتل عبدالوهاب، والهزيمة على الشريف وأصحابه، والأمر للملك الوهاب.

وقُتل من الجيشين أناس كثير، وقتل ابن أخي الشريف؛ الشريف حسن بن ناصر بن محمد[3]، ورجع الشريف حمود من يومه إلى « صبيا »، وتفرق الناس مع الرجوع في الطريق، ورمي الأجناد مع الهزيمة بالتمزيق، وعاد إلى « أبي عريش »، والنفوذ إلى « الزهراء »، وهو رأي فايلٌ[4]، وكيف يرتحل ويدع الحرم وراء، لكن لم يرتض ذلك الرؤساء من « ذو محمد »[5] وهم من صميم « همدان »[6]، وأبطال الأجناد، فترجح للشريف البقاء في المدينة العريشية، وهم من لقاء شر أهل نجد على ميعاد [٢٠/ب].

---

(١) البيت من الكامل.

(٢) الدوّ : الفلاة الواسعة والمستوي من الأرض.
انظر : المعجم الوسيط ٣٠٦/١.

(٣) لم أعثر له على ترجمة، وهو ابن أخي الشريف حمود.

(٤) فال رأيه فَيلاً وفُيولاً : أخطأ وضعف، ويقال : فال الرأي، وفال الرجل في رأيه.
انظر : المعجم الوسيط ٧١٥/٢.

(٥) ذو محمد بن غيلان، من قبائل بكيل يسكنون المنطقة الواقعة شمال اليمن.
انظر : الحجري، مجموع بلدان اليمن ٦٩١/٢ ؛ المقحفي، معجم المدن والقبائل ٣٦٦.

(٦) أشهر قبائل اليمن وأكثرها عددًا، وتحتل رقعة واسعة تبدأ من شمال صنعاء إلى صعدة شمالاً، ومن مأرب شرقًا إلى البحر الأحمر غربًا، وهي تتقسم إلى فرعين كبيرين هما : قبيلة بكيل وتقطن القسم الشرقي من هذه الرقعة، وقبيلة حاشد ولها القسم الغربي.
انظر : الحجري، مجموع بلدان اليمن ٧٥٢/٢ ؛ ابن رسول، طرفة الأصحاب، ٧ - ٨ ؛ المقحفي معجم المدن والقبائل، ٤٥٠.

((ولما وصل الشريف إلى « أبي عريش » من الهزيمة بعد ثلاثة أو أربعة أيام، أمر جملة من الخيالة / يسيرون بالليل)) مع[1] السيد [ص٦٥] العلامة المقدام حسن بن خالد الحازمي ليوصلوه إلى قلعة « ضمد » . فأوصلوه إلى هنالك ورجعوا، وتدير هو)[2] وجماعة معه بحصن « ضمد »، وما كان من الجيش النجدي بعد هذه المتفقة[3] إلا أنهم طرحوا عليه، ولم يزل الحرب قائمًا عليهم، وكان من لطف الله - تعالى - بعباده أن أولئك الجند جعلوا ثلاث غزايا[4]. فما رجعت راية منهم إلا وهي مكسورة. فتضجروا من الإقامة، ورأوا أنّ الارتحال لهم على هذا الوجه فيه السلامة، فأصبحوا وقد زموا مطايا الترحال، وكفى الله المؤمنين القتال، وكان في ذلك فرجة للناس كحل العقال، وبعد هلاك عبدالوهاب قام مقامه في الإمارة طامي بن شعيب. وهو من قبيلته « رفيدة »[5] ونسبهم في « الأزد »[6]، ومرجعهم « قحطان بن هود »[7] وتفريع أنسابهم معروفة في كتب الأنساب[8].

---

(١) ساقطة في الأصل والزيادة من ص ليستقيم السياق.

(٢) ما بين القوسين مكتوب في هامش الأصل بخط المؤلف ولكنها غير كاملة فأثبتنا النقص من ص.

(٣) المتفقة : الحادثة. وقد استخدم المؤلف هذه الكلمة للإشارة إلى المعركة السالفة الذكر.

(٤) يلحظ أن المؤلف يجمع غزوة على غزايا، والمشهور أنها تجمع على غزوات.

(٥) طامي بن شعيب من قبيلة ربيعة ورفيدة، والمؤلف هنا يخلط بين رفيدة وهي قبيلة تقع في الجنوب الشرقي لمدينة أبها، ربيعة ورفيدة قبيلة أخرى تقع في الشمال الغربي من مدينة أبها، وفيها عاصمة عسير في ذلك الوقت وهي بلدة « طبب ».

(٦) هو الأزد بن الغوث بن النبت بن مالك بن زيد بن كهلان، ويقال الأزد والأسد لغتان بالزاي والسين، وقد افترقت الأزد على نيف وعشرين قبيلة، وروي عن النبي ﷺ قال : « الأزد جرثومة العرب ».
انظر : الأشعري، التعريف في الأنساب، ١٢٤ - ١٢٥.

(٧) قحطان بن هود : أبو اليمن كلها وإليه يجتمع نسبها كما ورد في سيرة ابن هشام ٣/١، وقد اختلف النسابون جميعًا في نسبة قحطان بن هود على آراء كثيرة، انظر تفاصيل ذلك في : الإنباه على قبائل الرواة للنمري، ٦٥ ؛ التعريف في الأنساب للأشعري، ١٢٢.

(٨) انظر تفاصيل حملة عبد الوهاب أبو نقطة على المخلاف السليماني ومعركة بيش في : نفح العود للبهكلي، ص ٢٤٩ - ٢٥٩.

((**السنة الخامسة والعشرون [بعد المائتين]** فيها تقدم جيش فيهم عثمان المضايفي)) وقصد موضعًا غربي « وادي مور » يسمى « العيسيَّة »(١)، وكان به بعض أصحاب الشريف واستباح بعض من هناك (وكان طامي بن [ص٦٦] شعيب في شرذمة من عسير السراة فعزم على غزو « اللحية »/ بمن معه، وأذاق أهلها من الإذلال، وفعل بهم من الأفاعيل ما لا يخطر بالبال)(٢)، ومع رجوعهم ترجح للشريف حمود أن يعترض لهم ليمنعهم عن الذهاب، ويدفع ما لحقه من العار باستباحة رعيته والانتهاب. فقد قيل:

وعارٌ على حامي الحمى وهو في الحمى ... إذا ضاع في البيدا عقال بعير(٣)

فجمع الشريف من لديه من العساكر، وبعض قبائل تهامة، ووافقهم في موضع يقال له: « بربر »(٤) - بموحدتين وراءين مهملتين على وزن جعفر - غربي « أبي عريش » مائلاً إلى جهة اليمن، فلما أحس به الجند النجدي تعبؤوا للقتال، وأرسلوا بصواعق من بطون البنادق، فصدمهم الشريف بخميس هو غرته، وبجمع هاشمي لا تُتقى معرته، وحينئذٍ أشرع الأشراف خُرْصانهم(٥)، وأرْخوا [٢١/أ] أرسانهم.

وفي أكفهم النَّار التي عبدت ... قبل المجوس إلى ذا اليوم تضطرم

(١) نسبةً إلى رجل يسمى عيسى، وهو مورد ماء لأهل بلدة اللحية باليمن. انظر: البهكلي، نفح العود، ٢٦٦.

(٢) ما بين القوسين مكتوب في هامش الأصل بخط المؤلف، ولكن العبارة غير كاملة فأثبتنا النقص من ص و ع.

(٣) البيت من الطويل.

(٤) بربر: شعب ماء صغير يقع جنوب قرية المضايا قرب « أبو عريش »، انظر: العقيلي، المعجم الجغرافي، ٧٦.

(٥) الخرص: سنان الرمح وقيل الرمح نفسه. انظر: المعجم الوسيط ٢٢٦/١.

هندية إن تُصغِّر معشرًا صغروا ... بحدها أو تُعَظِّم معشرًا عظموا(١)

فلفح بين الفئتين العراك، ووقع الاختلاط والاشتباك، حتى احتست الرماح من أقداح الرؤوس المغلقة، وفاضت أرواح من الجند النجدي ما أظنها من التي في أجواف طير خضر معلّقة(٢)، وممن قتل في ذلك اليوم الشريف منصور بن محمد بن أحمد(٣) /. وكان من كملة [ص٦٧] الرجال، وممن دعائمه في الفخار طوال. نخبة الأشراف الكرام. وفرع تلك الشجرة النبوية المثمرة بكل ماجد همام، وكانت الدائرة في ذلك اليوم على الشريف حمود، (وإنَّما إنها)(٤) انفردت ثلة من « ذو محمد » من عسكر الشريف، وواجهوا الفئة النجدية. فجعلوا ما قذفته البنادق بينهم تحية، وأثخنوا فيهم القتل والجراح حتى آيسوا من الظفر بهم. فولى الجند النجدي الأدبار، ورجع أولئك الفئة وقد ترَدوا ثياب المجد والفخار.

ذي المَعالي فَلْيَعْلُونْ مَنْ تَعالى ... هكذا هكذا وإلا فلا لا(٥)

ولما وصلوا إلى حضرة الشريف عاتبوه على الانهزام، وتركهم في تلك القفار، وهيهات لا ينفع الملام فيما جرت به الأقدار(٦).

ومع وصول الأمير طامي إلى « صبيا » واجهه « رجال ألمع »(٧) وقد تخلفوا عنه، فروي أنه خيّرهم بين أن يقدموا على قلعة « ضمد » أو على « بندر جازان »، فاختاروا البندر وقصدوه، وكان في قلعته الشريف

(١) البيتان من البسيط وهما للمتنبي، انظر: الديوان، ٤٢٢.

(٢) تجاوز المؤلف في التعبير حيث يشير إلى أنهم غير شهداء، والغيب يعلمه الله. والمعروف شرعًا أن من يقتل في سبيل الدعوة إلى الله وإحقاق الحق ومحاربة الباطل والشرك أنه شهيد والله يتولى السرائر.

(٣) صنو الشريف حمود، لم أعثر له على ترجمة.

(٤) هكذا في الأصل.

(٥) البيت من الخفيف، وهو للمتنبي، انظر: الديوان، ٤٠٩.

(٦) انظر: تفاصيل هذه المعركة في نفح العود للبهكلي ص ٢٦٦ - ٢٦٩.

(٧) من عسير تهامة، وهم عبارة عن عشر قبائل كبار معروفة، وقاعدتهم بلدة الشعبين. انظر: الجاسر، معجم قبائل المملكة ٢٠/١؛ العمروي، قبائل إقليم عسير ١٦٨/١.

أحمد بن علي حوذان[1] والشيخ فتحي بن علي مجلي[2] ، فأحدق العسكر بقلعة « جازان » ، كما أحدقت بالعين الأجفان ، وأدخلوا من فيها بخبر كان ، وحصلت من هذين الرجلين أفعال دلت على أنهما [٢١/ب] من شجعان الرجال ، ولله القائل : / [ص٦٨]

وَلَوَ انَّ الحيـاةَ[3] دامت لِحيٍّ　　　لعددنا أضلَّنَـا الشُّجْعانا[4]

ودافعوا دفاعاً أفضى بهم إلى ذهاب الحياة ، وكل حي مصيره للزوال بلا اشتباه ، وصدق على كل واحد منهما هذا الشاهد في هذا المقام ، الذي تحار فيه الأفكار وتزل الأقدام :

إن يقتلوك فإنَّ قتلك لَمْ يكنْ　　　عارًا عليكَ ورُبَّ قتلٍ عَارُ[5]

ثُمَّ بعد وصول طامي إلى بلاده ، توقف ريثما يستريح أجناده ، وألزمهم بالغزو معه إلى اليمن ، فخرج في أجنادٍ متكاثرة ، وكان منتهى سيره « اللحية » فاستباح حماها ، وأذاق أهلها من المنية كأس حمياها ، وفرق منهم ما اجتمع من الشمل ، فنفذ الشريف غارة من الخيل والرجل ، ولم يصلوا إلا وقد قضي الأمر ، وانطوى ذلك النشر ، وفعلوا ما أرادوا من الأمور القبيحة ، ورجعوا وقد تركوا قلوب أهلها جريحة ، وحين علم الشريف برجوعهم أراد أن يعترضهم ويأخذ بالثار ، فجمع من عنده وخرج في لقاهم ، ولم يقض منهم الأوطار[6] ، فرجع ولسان حاله ينشد :

ولا أتَمَنَّى الشَّرَّ والشـرُّ تاركي　　　ولكن متى أحمل على الشر أركَبِ

(١) لم أعثر له على ترجمة .

(٢) لم أعثر له على ترجمة .

(٣) البيت من الخفيف ، وهو للمتنبي ، انظر : الديوان ، ٤٧٤ .

(٤) الأصل : الحيوة .

(٥) البيت من الكامل .

(٦) لمزيد من التفصيل انظر : البهكلي : نفح العود ، ٢٧٢ - ٢٧٤ .

ولستُ بِمفراحٍ إذا الأمر سَرَّني　　　ولا جازعٍ من شره المتقلبِ[1]

وجمع أيضًا أجنادًا بعد رجوعه إلى السراة ، وقصد « الحديدة » / [ص٦٩] واستباح هناك ما استباح ، وفي خلال هذه المدة توجه جند من خيالة نجد[2] قيل إن مقدمهم محمد بن أحمد الرفيدي[3] ، فوصل إلى قرية « الشقيري »[4] ، واستباحها ، وقتل جماعة من فضلاء « آل النعمان » ، ولم يراقب فيهم الملك الديَّان[5] .

/ وما الله عما تعملـون بغافل　　　ولكنَّـه يُملي لطـاغٍ وفاجر[6]　[٢٢/أ]

وممن فاز في ذلك اليوم بالشهادة الوالد العلامة الولي الفاضل إسماعيل بن إبراهيم النعمان[7] ، كان - رحمه الله تعالى - من العلماء العاملين ، والأولياء المشهورين ، والفضلاء الصالحين :

(١) البيتان من الطويل والقائل زياد بن زيد ، انظر : النويري ، نهاية الأرب ٣/٧٠ : وفي جواهر الأدب للهاشمي ٢/٤٦٦ أن القائل هدبة العذري .

(٢) يلحظ أن المؤلف يطلق على السرايا التي توالت على المخلاف من إمارة عسير لفظ : نجد ، مثل قوله هنا : خيالة نجد ، وقوله : فولى الجند النجدي الأدبار ... إلخ . ولعله يقصد أن ذلك وفق سياسة الدرعية التي تتبعها إمارة عسير آنذاك .

(٣) تولى إمارة عسير خلفًا لطامي بن شعيب عام ١٢٣١ هـ ، دخل في صراع مرير ضد القوات التركية - المصرية التي هاجمت عسير آنذاك ، واستطاع أن يخرج الحامية التركية من طبب ، ولكنه لم يتمكن من الصمود في وجه قوات محمد علي فقبض عليه ، وأرسل إلى مصر حيث توفي بها ، يعد أول أمير عسيري مستقل عن الدرعية ، وآخر أمير من أسرة المتحمي (أبو نقطة) .
انظر : النعمي ، تاريخ عسير ، ١٥٨ ؛ ابن مسفر ، أخبار عسير ٧٣ - ٧٨ .

(٤) قرية من قرى وادي ضمد تبعد حوالي ٦٠ كم شمال شرق جازان .
انظر : العقيلي ، المعجم الجغرافي ، ٢٣٠ .

(٥) هذه من مبالغات المؤلف في نقد الدعوة ورجالها ، وقد اعتدل منهجه بعد ذلك وأشار إلى موقفه المؤيد للدعوة ، انظر : ص ٨٨ - ٨٩ .

(٦) البيت من الطويل .

(٧) من رجال التصوف في تهامة ، درس في صعدة باليمن ، واستقر في قرية الشقيري حتى وفاته في شهر رمضان ١٢٢٥ هـ .
انظر : ترجمته في عقود الدرر للمؤلف ، الترجمة رقم (٥١) .

ضحوا بأشمط عنوان السجود بِهِ   يقطع الليـل تسبيحًا وقرآنا[1]

وكان بمحل من الورع الشحيح ، والفضل الرجيح ، له كرامات جمة ، ومناقب تدل على علو الهمة ، وحاله في الفضل أشهر من أن يذكر ، أو يعرف حاله ويصدر ، رحمه الله وإيانا .

لقد ظَهَرْتَ فلا تخفى على أحدٍ   إلا على أكمه لا يعرف القمرا[2]

((**السنة السادسة والعشرون بعد المائتين والألف**)) فيها بعد هذه المتفقات سعى السيد العلامة محمد بن علي[3] - ينتهي نسبه إلى الإمام القاسم وهو صاحب « صعدة » - في إصلاح ذات البين ، وتلافي بعض ما [ص٧٠] أجلب الحين، وتم السداد والصلح / على ما يراد، بأمور محكومة. وقواعد مرسومة ، ودفعات من المال معلومة ، وتزحلقت يد الشريف عن « صبيا » و « المخلاف »[4] ، وكان لها عاملاً من جهة أهل نجد . وبعد تمام الصلح اطمأنت البلاد، واستقرت أحوال العباد، والتفت الشريف إلى ضبط مملكته بجأش ثابت، وقدم أرسخ من الثوابت، تركع بين يديه الأشراف والملوك[5]، وتزهو باسمه المنابر والصكوك ، وهذا كله بعد أن وقعت بينه وبين الفئة النجدية الملاحم الكبار، التي تسك[6] المسامع وتعمي الأبصار، فحمى حمى بلاده، وأعانه الله - تعالى - على القيام بمراده، وأذاق أولئك في حروبهم السم الزُّعاق[7] ، ورقم السيف على صفحات المملكة بالدم المهراق .

(١) البيت من البسيط .

(٢) البيت من البسيط .

(٣) محمد بن علي بن القاسم بن أحمد بن القاسم بن محمد ، من علماء اليمن ، عاش وتوفي في صعدة عام ١٢٢٩ هـ ، ويشير ابن مسفر إلى أنه كان أميرًا بها .
انظر : عاكش ، عقود الدرر ، الترجمة رقم (٢٠٦) ؛ ابن مسفر ، أخبار عسير ، ٦٨ .

(٤) مخلاف بيش .

(٥) هذا خطأ جسيم ، وقول ذميم ، إذ الركوع والسجود إنما يكون لله تعالى وحده ، ومن زعم غير ذلك فقد سلب ما هو حق لله تعالى لمن لا يستحق هذا الحق ، حتى وإن كان من باب المجاز لأن المجاز إذا جاوز المقبول ودخل في حدود المحظور أصبح باطلاً كما ذكر هنا .

(٦) سَكَّ الشيء سكا : سدّه ، وفي الكلام : أصمه لشدته ، ويقال : ما سكَّ سمعي مثل ذلك : ما دخل . انظر : المعجم الوسيط ٤٤١/١ .

(٧) زعق الماء والطعام : إذا كان مُرًّا غليظا لا يطاق شربه .
انظر: المعجم الوسيط ٣٩٥/١، ومن الواضح هنا وغيره تحامل المؤلف على الدعوة وأصحابها، وإن كان أحيانًا يحتكم إلى العقل ويقول الحق، لكنه في الأعم الأغلب يتحامل بغير وجه حق.

وما تقر سيـوف في مَمالكها   حتى تقلقل دهرًا منه في القلل[1]

[٢٢/ب] وما أوردنا في هذه الأوراق إلا ما بلغنا من الوقائع الكبار . وإلا فالغزايا والسرايا الواقعة في خلال ذلك كثير . وحصرها على سبيل الاستقصاء غير يسير ؛ لأن الفتنة دامت بين الشريف وبينهم مدة ، ولكن كل شيء وإن تطاول بلغ حدّه ، فوضعت بعد ذلك الحرب أوزارها ، وكمنت في مدة من السنين نارها / وفي خلال مدة الصلح جهز الشريف ثلة من [ص٧١] العساكر ، وجعل مقدمهم السيد الماجد محسن بن علي الحازمي لملاقاة سعود أيام الحج ، وللإشعار بأنه قد دخل إلى طاعته من [كل] فج . ولعل ذلك كان أحد الشروط على الشريف ، وتخلف « المحمل الشامي » و « المحمل المصري » عن الحج بسبب منع الأمير سعود لهم . وبذلك كان انفتاح سد السلطنة عليه[2] .

ولم تزل أمور سعود تنقبض عن إمساك البلاد ، وأياديه تتقاصر عن المطاولة التي تعتاد ، وهكذا الدنيا لها بدايات ونهايات ، والغالب أن ما[3] حصل من الأمراء منه ، وبسببه سفك الدم بغير حقِّه[4] أن لا يدوم له حال ، ولا تستقر أموره وإن استطال[5] ، ولقد فني في هذه الفتن الواقعة بين الشريف وأهل نجد عوالم من الناس ، وهلكت كثير من القرى[6] وأشرفت أمور الخلق على الاندراس ، ولله القائل :

(١) البيت من البسيط ، والقائل المتنبي ، انظر : الديوان ، ٢٧٤ .

(٢) لم يكن منع المحمل هو السبب في قيام الدولة العثمانية بالقضاء على الدولة السعودية الأولى ، ولكنّ هناك أسبابًا أكثر أهمية مثل زوال السيادة العثمانية عن الحرمين ، وتوسع الدولة السعودية الأولى شمالاً إلى جهات العراق والشام ، وفقدان السلطان لهيبته أمام العالم الإسلامي . ومنع الإمام سعود للمحمل كان بسبب انتشار البدع المصاحبة له .
انظر : عبدالرحيم ، الدولة السعودية الأولى ٣٠٥/١ ؛ ابن عثيمين ، تاريخ المملكة ١٨١/١ .

(٣) الأصل : من ، والصواب من ع .

(٤) الأصل : حقها .

(٥) يلحظ هنا استمرار موقف المؤلف المناوئ للدعوة السلفية والتطاول على حكام الدولة السعودية الأولى ، وإشارته هنا إلى أن سفك الدم بغير حقه كان بأمر الإمام سعود فيه تجاوز للحقيقة وتهجم بغير علم .

(٦) الأصل : القرا .

في فساد الأمور لله سرٌّ   والتباس في غاية الإيضاح

فيظن الجهولُ أن فسد الأمر   وذاك الفساد عين الصلاح[1]

ومن عرف الله - تعالى - حق معرفته علم أن له في كل شيء حكمة وإن جهلها العبد ، ولا يسعه غير التسليم والرضى ، وكف لسانه عما يحبط أعماله من الاعتراض على ما يجري به القضاء / وقد جرت عادة [ص٧٢] الله سبحانه أن العباد إذا قصروا في حقوقه [٢٣/أ] وحقوق بعضهم بعضًا ، وقع منه - سبحانه وتعالى - من البليات عليهم ما عسى يتعظ به من كان قلبه حيا ، ويقلع عما هو فيه من الذي لا يرضاه خالقه .

ونقل ابن القيم - رحمه الله تعالى - في كتابه « الجواب الشافي »[2] قال : « وفي بعض الآثار الإلهية عن الرب - تبارك وتعالى - أنه قال : وعزتي وجلالي لا يكون عبد من عبيدي على ما أحب ثُمَّ ينتقل منه إلى ما أكره إلا انتقلت له مِمَّا يحب إلى ما يكره ، ولا يكون عبد من عبيدي على ما أكره ثُمَّ ينتقل عنه إلى ما أحب إلا انتقلت له مِمَّا يكره إلى ما يحب »[3] ، وقد ذكر في هذا[4] الكتاب العقوبات الحاصلة بسبب المعاصي ، وهو كتاب مفيد جدًا من أحب كمال الفائدة فليطالعه .

وقد أفاد هذا المعنى من القرآن الكريم ، قال تعالى : ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾﴾[5] ، والفتنة ما يصيب الإنسان من الأمراض ، والقحط ، وغيرها من أي بلاء ،

---

(١) البيتان من الخفيف .

(٢) اسم الكتاب الصحيح : الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي . مطبوع أكثر من طبعة ، منها الطبعة الثالثة عام ١٤٠٠هـ عن دار الرشد بالرياض .

(٣) انظر : الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم ، ص ٨٦ .

(٤) الأصل : هذى ، والصواب من ص .

(٥) سورة التوبة ، الآية ١٢٦ .

كذهاب النفوس والأموال ، كما أشار إلى ذلك أئمة التفسير ، وقد ذكر العلّامة الخفاجي[1] رحمه الله تعالى / :[2] أنه حكى بعضهم قال : [ص٧٣] بلغني ما وقع ببغداد يعني من التتر[3] ، وهي واقعة مشهورة ، وفي كتب التاريخ مسطورة ، فقلتُ : يا رب كيف هذا وفيهم الأطفال ومن لا ذنب له ، فرأيت رجلاً في النوم وفي يده كتاب فأخذته فإذا فيه مكتوب :

دع الإعتراض فما الأمرُ لك   ولا الحكم في حركات الفلك

ولا تسألِ الله عن فعله   فمن خاض لُجَّة بحر هلك[4]

ثُمَّ قال : أجر[ى] الله عادته أن العامة إذا زاد فسادها ، وانتهكت الحرمات بينهم ، أرسل الله عليهم ما لا يستطيعون له ردًا ولا دفاعًا[5] ، انتهى .

وما أحسن قول من قال :

سلّم له الأمرَ تعش سالمًا   وارض بأحكام اللطيف الخبير

/ ولا تقل علمي ولا حكمتي   فالحكم لله العلي الكبير[6] [٢٣/ب]

السنة السابعة والعشرون بعد المائتين والألف فيها كان اختطاط الشريف لأرض « مختارة »[7] ، وبنى القلعة فيها على ذلك الجبل ، وهو الذي سماها بهذا الاسم ، واختار سكناها على سائر بلاده مدة من

---

(١) أحمد بن محمد بن عمر بن شهاب الدين ، عالم بالأدب واللغة ، كان قاضي بلدة الروملي ، ثُمَّ سالونيكا التركيتين (ت/١٠٦٩هـ) .
انظر : المحبي ، خلاصة الأثر ٣٣١/١ ؛ زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربيَّة ٢٨٦/٣ .

(٢) انظر : نهاية القوس في ص (١٢٩) .

(٣) إشارة إلى سقوط بغداد عام ٦٥٦ هـ .

(٤) الأبيات من المتقارب .

(٥) هكذا في الأصل ، ولعل الصواب : دفعًا .

(٦) الأبيات من السريع .

(٧) تقع في أعلى وادي مور في جبل قبيلة بني قيس غرب حجة . انظر : عاكش ، تكملة نفح العود ، ٢٧٧ .

[ص٧٤] الزمان ، وجعل لها ضريبة يتعامل بها الناس ، وقد كان يتعامل / الناس بضريبة له عليها رسم « أبي عريش » ، وهذا الشريف حمود هو أول من جعل من أهل هذا البيت ضريبة يتعامل بها الناس في مملكته ، وغيره ممن سلف ومن بعده من أهل بيته لا يتعامل الناس في بلادهم إلا بضريبة غيرهم ، وجعل أيضًا ضريبة باسم « الزهراء » ، ولم يزل يقع التعامل بتلك الضريبة مدة ، ثُمَّ يجعل غيرها كما هي عادة الملوك في كل زمان ومكان ، وجعل ابنه الشريف أحمد ضريبة باسم « زبيد » أيام عمالته بها بإذن والده ، ووقع التعامل بها .

السنة الثامنة والعشرون بعد المائتين والألف : فيها كانت[1] وفاة الأمير سعود بن عبدالعزيز[2] ، بعد أن دوَّخ البلاد ، وقهر العباد[3] ؛ فسبحان من تفرد (بالبقاء ، وحكم على غيره بالفناء)[4] وما أحسن قول عدي بن زيد[5] الذي أورده ابن خلكان[6] ، فإنه من المواعظ الحسان[7] :

أيها الشامتُ المعيــر بالدهر — أأنت المبــــرأُ الموفور
أم لديك العهد القديم من الـ — أيام بل أنت جاهــل مغرور

(١) الأصل : كان .
(٢) كانت وفاة الإمام سعود بن عبدالعزيز ليلة الاثنين ١١ جمادى الأولى سنة ١٢٢٩هـ ، وليس كما ذكر المؤلف .
انظر : أمين سعيد ، تاريخ الدولة السعودية ، ١٠٢ ؛ عبدالرحيم ، الدولة السعودية الأولى ٣٢٦/١ .
(٣) هذه من المغالطات التي لا يؤيدها دليل مادي صحيح ، وإلا فالثابت أن الامام سعود ومن قبله ممن ناصر الدعوة من آل سعود قد أقاموا السنة وقمعوا البدعة ، واطمأنت البلاد ، وحوربت الفتن ، وأمنت سبل الحج ، ومع هذا يبرز من يجترئ على مثل هذا الكلام من غير دليل ولا برهان .
(٤) مكتوبة في هامش الأصل بخط المؤلف ولكنها غير كاملة فأثبتنا النقص من ع .
(٥) عدي بن زيد العبادي، شاعر جاهلي، عمل مترجمًا في بلاط كسرى الذي قتله عام ٥٨٧م.
انظر : شيخو ، شعراء النصرانية ٤٣٩/٤ - ٤٧٤ ؛ الزركلي ، الأعلام ٩/٥ .
(٦) أحمد بن إبراهيم بن أبي بكر ، قاضي الشام في عام ٦٣٣ هـ (ت/٦٨١هـ) .
انظر : ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ٣٥٣/٧ ؛ زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربيَّة ١٥٨/٣ ؛ القنوجي ، التاج المكلل ، ١٥٥ .
(٧) انظر القصيدة في : الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ١٣٨/٢ .

من رأيت المنــون خلّدن أو من — ذا عليــه من أن يضام خفير
أين كسرى الملوك أنو شروان[1] — أم أين قبلـــــه سـابور[2]
وبنو الأصفر الكرام ملوك الروم — لَمْ يبـق منهـم مـذكـور)[3]
/ وأخو الحضر[4] إذ بناه وإذ « دجـ — لة » تُجبى إليه و« الخـابور »[5] [ص٧٥]
/ شاده مرمــرًا وجلّله كِلسا — فللطيـر فــــي ذراه وكـور [٢٤/أ]
لَم يهبـه صرف المنون فباد الـ — مُلك عنـــه فبابه مهجور
ثُمَّ بعد الفلاح (والملك) والأمة — وارتهم هناك القبـــــور
ثُمَّ صاروا كأنهــم ورق جَفَّ — فألْوَتْ بـــه الصّبا والدبور[6]

((وكان ابتداء دولة آل سعود في جهات « اليمامة » ونجد ، إلى أن غلبوا على أكثر جزيرة العرب من حدود سنة ستين ومائة وألف[7] إلى

(١) كسرى أنو شروان بن قباذ بن فيروز . تولى الملك لمدة ثمانية وأربعين سنة ، من أعظم ملوك فارس وأحكمهم .
انظر : المسعودي ، مروج الذهب ٢٩٠/١ - ٢٩٨ .
(٢) سابور الجنود وهو ابن أردشير ، وسابور ذو الأكتاف بن هرمز ، وكلاهما من ملوك فارس مثل كسرى أنو شروان .
انظر : أبو الفرج الأصفهاني ، الأغاني ١٣٩/٢ .
(٣) من بداية القوس في ص (١٢٧) إلى هنا ساقط من ص .
(٤) الحضر : كان قصرًا بجبال تكريت بين دجلة والفرات . وأخا الحضر الذي ذكره عدي هو : الضيزن بن معاوية ملك تلك الناحية .
انظر : قصة الضيزن في الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ١٤٠/٢ .
(٥) دجلة والخابور نهران في العراق .
(٦) الأبيات من الخفيف .
أما الموت فهو حق لا يختلف عليه أحد ، مات الأنبياء ، والصالحون ، وغيرهم ، لكن التباهي بالتهجم وتشبيه إمام مثل سعود بن عبدالعزيز ببعض من ذكروا من الملوك تشبيه ظالم ، والفرق بين من نذر نفسه لنصرة الدين إلى أن توفاه الله ، وبين من لم يؤمن بما جاء من عند الله ومات وترك مكانه فرق يدركه كل عاقل فضلاً عن أن يكون معدودًا في العلماء ، أو الطالبين للعلم .
(٧) بداية الدولة السعودية الأولى عام ١١٥٧هـ بعد التحالف بين الإمام محمد بن عبدالوهاب والإمام محمد بن سعود في الدرعية .
انظر : ابن عثيمين ، تاريخ المملكة ٨٥/١ .

سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وألف[1] ، وزالت دولتهم على يد محمد علي[2] صاحب مصر من جهات صاحب الروم[3])) .

وفي هذه السنة لم يزل المتوكل على الله أحمد بن علي بن العباس[4] إمام « صنعاء » يبعث العساكر لمناجزة أجناد الشريف الذين في « زبيد » مع أن العامل بها من طريق الشريف حمود ، وما زالت المناجزة من يحيى بن علي سعد[5] بأمر الإمام حاصلة ، والأجناد في كل وقت إليه من طريق الإمام نازلة ، وكان ذلك انفتاح باب الخلاف بين الإمام وبين الشريف حمود ، وكان خاتمة الأمر واقعة « مختارة » وهي في **سنة تسع وعشرين بعد المائتين والألف** ، وكان من خبرها أن المتوكل جهز جيشًا

(١) ساقطة في الأصل والزيادة من ص .

(٢) محمد علي باشا بن إبراهيم أغا بن علي ، مؤسس آخر دولة ملكية بمصر ، ألباني الأصل، قدم إلى مصر ضمن قوة تركية لرد الفرنسيين ، تمكن من الوصول إلى السلطة سنة ١٢٢٠هـ بعد صراع مع المماليك الذين قضى عليهم عام ١٢٢٦هـ غدرًا ، اختاره العثمانيون للقضاء على الدولة السعودية الأولى ، وأتم ذلك عام ١٢٣٤ هـ ، دخل في صراع مع الباب العالي وسيطر على المورة وبلاد الشام والسودان ، حصرت دولته في مصر بعد معاهدة لندن ١٢٥٦هـ ، وتوفي عام ١٢٦٥ هـ .
انظر : زكي ، محمد علي ؛ الرافعي ، عصر محمد علي ؛ الزركلي ، الأعلام ١٩١/٧ ؛
- Welgall , Ahistory of events in Egypt , 44.
- Young , Egypt , 23.

(٣) السلطان العثماني محمود خان الثاني ، تولى أمر السلطنة في عام ١٢٢٣هـ ، وفي عهده تم إرسال الجيوش للقضاء على الدولة السعودية الأولى (ت/١٢٥٥هـ) .
انظر : محمد فريد ، تاريخ الدولة العلية ، ٣٩٨ – ٤٥٤ .

(٤) أحمد بن علي بن العباس ، إمام اليمن خلال الفترة من ١٢٢٤ هـ حتى وفاته في عام ١٢٣١ هـ .
انظر : العمري ، مائة عام من تاريخ اليمن ، ١٤٧ ؛ الشوكاني ، البدر الطالع ٧٨/١ ؛
- Al Amri , The Yemen , 57 .

(٥) قائد يمني مشهور ، كان حاكمًا لمدينة حجة من قبل الإمام المتوكل .
انظر : النعمي ، حوليات ، ٤٩ ؛ العمري ، مائة عام من تاريخ اليمن ، ١٧٥ .

جرارًا من « بكيل »[1] لما بلغه استقراره « بمختارة » ولما سمع الشريف حمود بقدوم ذلك الجيش / وفيهم الأسود الضارية من صميم « همدان » ، [ص٧٦] الذين هم صناديد الصدام عند الحرب العوان ، ولذا اشتهر عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – أنه قال فيهم [٢٤/ب] من جملة قصيدة :

ولو كنتُ بوابًا على باب جَنَّة ... لقلتُ لهمْدان ادخلوا بسلام[2]

لم يزل يجمع الجنود ، ويستلحق القبائل من كل مكان ، وعنده أبطال الأشراف ، صفوة الصفوة من آل عبد مناف :

قومٌ إذا اقتحموا العَجاجَ رأيتهم ... شُمُسًا وخِلْتَ وجوهَهم أقمارا
وإذا زنادُ الحرب أُخْمِدَ نارُها ... قدَحوا بأطراف الأسنة نارا[3]

وحين بلغه أنهم طرحوا بالمحلات القريبة منه ، وكان في حسبانه أنهم لايستعجلون بالشر ، فلم يشعر إلاَّ بصوت البنادق ، فخرج في الجيش بأبهة لها أساليب ، يرجف لها فؤاد شبيب[4] ، لاجرم قائدهم داهية في

(١) قبيلة مشهورة من همدان تنقسم إلى أربعة فروع كبرى ، وتحتل بكيل الجزء الشمالي الشرقي من صنعاء .
انظر : المقحفي ، معجم المدن والقبائل ، ٥٦ ؛ الحجري ، مجموع بلدان اليمن وقبائله ١٢٥/١ :
- Wilson , « al - Hamdanis description ».

(٢) البيت من الطويل ، ولم أعثر على هذا البيت سوى عند القلقشندي في كتاب « مآثر الإنافة في معالم الخلافة » ١٠٥/١ ، وهو قول غير مسند ولا يعقل أن عليًا – رضي الله عنه – يقول مثل هذا ففيه شهادة بالجنة لكل فرد من قبيلة همدان ، ولا ريب أن فيهم المسلم والمنافق ، والصالح والطالح ، والسني والمبتدع ، بل لا يبعد أن منهم من كفر وارتد عن الإسلام .

(٣) الأبيات من الكامل .

(٤) لعل المؤلف يشير إلى شبيب بن يزيد بن نعيم الخارجي ، من الأبطال المشهورين الثائرين ضد بني أمية ، كان يصيح في جنبات الجيش إذا أتاه فلا يلوي أحد على أحد ، أرسل إليه الحجاج خمسة قواد قتلهم واحدًا بعد الآخر ، ومزق جيوشهم ، توفي غريقًا سنة ٧٧هـ ، وإليه نسبة الفرقة « الشبيبية » من فرق النواصب . انظر : الزركلي ، الأعلام ٢٢٩/٣ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ٢٢٣/١ .

سربال ، وقارعة تقوم بها قيامة الأبطال .

أسَدٌ دَمُ الأسَـدِ الهِزَبْرِ خِضابُهُ ... مَوْتٌ فَريصُ الموتِ مِنْـهُ يَرْعُدُ(١)

فتقابلت الفئتان ، وتخالفت بالطعن والضرب الشجعان ، وما زالت سعير الحرب حامية ، وأحوال الفريقين متكافئة ، إلى أن جادت صولة أصحاب الشريف في ذلك المقام ، وخفقت لهم بريح النصر الأعلام ، ووقع في أصحاب الشريف جراحات ، وجرح هو بنفسه .

[ص٧٧] ومَنْ ظَنَّ ممَّن / يلاقي الحروبَ ... بأن لا يُصابَ فقد ظَنَّ عَجْزا(٢)

وعقرت خيل كثير من خيل أصحاب الشريف ، وقتل في تلك الوقعة السيد الماجد محمد بن خالد الحازمي(٣) وغيره من الأجناد ، ولله القائل :

نحنُ بنو الموتى فَمَا بالُنَا ... نَعافُ ما لا بُدَّ من شُرْبِهِ(٤)

وتراجعت(٥) بعد ذلك الفئة الإمامية إلى مطرحهم ، وقد أرخصوا الدماء ، وحين رأ[ى] الشريف أن شوكة تلك الفئة قوية ، وأنه رُبَّمَا يحصل منهم لشدة بأسهم الأذية ، جنح إلى رأي محفوف بالسداد ، وفيه بلوغ المراد ، عملاً بقول من قال :

[٢٥/أ] / الرأيُ قبلَ شَجاعةِ الشُّجْعَانِ ... هُو أوَّلٌ وهْيَ المحَلُّ الثاني

ولَرُبَّمَا طَعَنَ الفتى أقرانَهُ ... بالرأي قبْلَ تَطاعُنِ الأقْرانِ

لولا العقولُ لكان أدنى ضيغم ... أدنى إلى شرفٍ منَ الإنسانِ

(١) البيت من الكامل ، وهو للمتنبي ، انظر : الديوان ، ٤٨ .
(٢) البيت من المتقارب ، وهو للخنساء ، انظر : الديوان ، ١١٦ .
(٣) شقيق الحسن بن خالد الحازمي ، لم أعثر له على ترجمة .
(٤) البيت من السريع ، وهو للمتنبي ، انظر : الديوان ، ٥٥٧ .
(٥) الأصل : وتراجع .

وَلَمَّا تفاضَلَتِ العقولُ وَدَبَّرَتْ ... أيدي الكُماةِ عَوالِيَ المُرانِ(١)

فدس عليهم في جنح الليل من يوصل إليهم البراطيل(٢) ، التي كم انتفع بها من عليل ، وانتقع(٣) بها كم من غليل ، فلبثوا بعد ذلك جملة من الأيام ، وقوضوا(٤) من مطرحهم الخيام ، وأضربوا عما أرسلوا إليه والسلام ، وشاهد الحال بعد مضي الجيش على هذا الوجه أن يقال :

مضَى بَعْدَ ما الْتَفَّ الرِّماحانِ ساعةً ... كما يَتَلَقَّى الهُدْبُ في الرَّقْدَةِ الهُدْبا

/ ولكنه وَلَّى(٥) وللطَّعْنِ سَوْرَةٌ ... إذا ذَكَرَتْهَا نفسُهُ لمسَ الجَنْبا(٦) [ص٧٨]

وكان ذلك فرجة للشريف ، ساعده عليها الحظ المنيف(٧) .

هُوَ الحَظُّ خُذْهُ إن أَرَدْتَ مُسلِّماً ... ولا تطلبِ التعليلَ فالأمرُ مُبْهَمُ(٨)

((وبعد هذه الواقعة أرسل الشريف للسيد الماجد محسن بن علي الحازمي ، وكان إذ ذاك بمدينة « أبي عريش » ، وجهزه الشريف بجيش كثيف إلى بلدة « حَيْس » ، ومع وصوله إلى « حَيْس » كانت الحرب بينه وبين يحيى بن علي سعد ، المقدم من جهة إمام « صنعاء » سجالاً ، وآخر

(١) الأبيات من الكامل ، والقائل : المتنبي ، انظر : الديوان ، ٤١٤ .
(٢) البرطيل : الرشوة وجمعها براطيل .
انظر : المعجم الوسيط ٤٩/١ .
(٣) انتقع : ارتوى ، وانتقع الشيء ، انحلَّ من طول مكثه في ماء أو نحوه .
انظر : المعجم الوسيط ٩٥٦/٢ .
(٤) الأصل : وقيضوا ، والصواب من ص .
(٥) الأصل : ولا ، والصواب من ص .
(٦) البيتان من الطويل ، وهما للمتنبي ، انظر : الديوان ٦٤/١ .
(٧) انظر تفاصيل واقعة مختارة في : عاكش ، تكملة نفح العود ، ٢٨٢ ؛ العمري ، مائة عام من تاريخ اليمن ، ١٧٥ .
(٨) البيت من الطويل .

الأمر كان الملتقى قبلي « حَيْس » لدى « جبل الكَوْلة »[١] ووقع بينهم مناوشة حرب ، وملامسة بالطعن والضرب ، فأصابت السيد محسن رصاصة كان بها إزهاق روحه وخلاصه ، وهذا السيد محسن من أماجد الرجال ، وأكابر الأبطال ، له العقل الكامل والدهاء ، وإليه في حسن السياسة المنتهى ، وكان يرسله الشريف حمود في العظائم ، ويركن عليه في الأمور المهمات ، وما توجه لمقصد إلا وتممه الله على يديه ، وهو ممن يتعلق بالأدب والعرفان ، وله إلمام بهما تميزه على أبناء جنسه من الأقران ، وقد اطلعت له على أشعار دلت على لطف طبعه وحسن ألمعيته)) ، وفي أثناء هذه المدة وقع التجرم على الشريف من الأشراف ، ورأوا أنه[٢] لم يعاملهم في سيرته بالإنصاف ، ولله القائل :

ولَمْ تـزلْ قلَّةُ الإنْصافِ قاطعةً ... بين الرجالِ وإن كانوا ذَوِي رحمِ[٣]

وعـاملهم بما ليسوا له أهلاً من الإبعاد ، وهكذا الدهر ممزوج بالأنكاد .

ومَنْ تَفَكَّـرَ في الدنيا ومهجته ... أقامَهُ الفِكْرُ بين العَجْزِ والتَّعَبِ[٣]

[ص٧٩] / لا سيما مثل الشريف البطل الهزبر علي بن حيدر ، وأخيه الشريف الماجد يحيى بن حيدر ، وابن عمهما الشريف منصور بن ناصر ، مع أن هؤلاء درة تاج المجد الباذخ [٢٥/ب] وعصابة دائرة بهامة الفخر الشامخ ، لا غرو فهم فرع تلك الدوحة الحسنية ، وشعاع متصل بتلك الهالة الهاشمية .

خصوصاً الشريف علي بن حيدر، فهو ممن أطعم الآساد، وأروى

من الأُلى غَيْرَ زَجْرِ الخيلِ ما عَرَفوا ... إذْ تعرفُ العرب زجر الشاء والعكرِ

جمال ذي الأرض كانوا في الحياة وهم ... بعد الممات جمالُ الكُتُبِ والسِيَرِ[٤]

(١) الكولة : قرية من مخلاف بني سيف السافل ، من أعمال قفر يريم .
انظر : المقحفي ، معجم المدن والقبائل ، ٣٥٣ .
(٢) الأصل : أنهم .
(٣) البيتان من البسيط ، وهما للمتنبي ، انظر : الديوان ، ٤/١٦١ ، ١/٩٦.
(٤) البيتان من البسيط وهما للمعري ، انظر : الديوان ، ٥٨ .

الصعاد، إذا هَمْهَم مالت الأسد عن طرقه . وإذا غضب خلع هياكل الطاعة من عنقه[١] .

وَصُولٌ إلى المُسْتَصْعَباتِ برأيهِ ... فلو كَانَ قرنُ الشمس ماءً لأَوْرَدِ[٢]

وله العناية التامة بالشريف حمود أيام مناجزته أهل نجد[٣] ، وكان أحد أركان المملكة التي وقع له بها الحل والعقد . وما زالوا منكرين للجفاء ، وهم منه في جميع حالاتهم على شفا ، حتى **دخلت سنة ثلاثين بعد المائتين والألف** فأودع الشريف حمود ابن أخيه الشريف يحيى بن حيدر دار الاعتقال ((بمدينة « الزهراء » آخر يوم من شعبان)) فخرج الشريف علي وفي صحبته الشريف منصور وغيرهم من الأشراف أرباب الكمال، متلهبي[٤] الأنفاس مخاطبين نفوسهم بقول أبي فراس[٥] :

ومن كانَ غير السيف كافل رزقه ... وللذل منه لا محالة جانب[٦]

فتوجهوا إلى نحو «الشام»[٧] بخواطر مكلومة ، وقلوب مسمومة / [ص٨٠] لما أصابهم من الشريف ، وكانوا حقيقين بالتكريم والتشريف ، وأنشد لسان حالهم :

(١) هذا ليس مدحًا، بل غاية في الذم، لأن الحليم هو المالك لنفسه عند الغضب، والعافي عند المقدرة. وما ذكر هنا مثلب شرعي ظاهر، لأن خلع الطاعة معصية لا يمدح عليها فاعلها.
(٢) البيت من الطويل وهو للمتنبي ، انظر : الديوان ١/٢٨٣ .
(٣) يلحظ القارئ التعصب المذموم في عبارات المؤلف فهو يعبر بأهل نجد ، صاحب نجد ، النجديين ، مع أن الدعوة ناصرها كثيرون من المنطقة التي فيها المؤلف وما حولها ، وما جرى من معارك دارت بين أنصار الدعوة ومن ذكرهم فيها الكثير من الناس من مناطق متعددة غير نجد.
(٤) الأصل : متلهبين .
(٥) الحارث بن سعيد بن حمدان ، أمير وشاعر وفارس ، وهو ابن عم سيف الدولة الحمداني، قتل عام ٣٥٧ هـ .
انظر : الأميني ، الغدير ٣/٣٥٠ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ١/٣٤٩ ؛ زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ٢/٢٤٩ .
(٦) البيت من الطويل .
(٧) كلمة الشام أو الجهات الشامية وكذلك اليمن والجهات اليمنية تستخدم بواسطة المؤلف بعدة دلالات :
أ - للإشارة إلى المناطق الواقعة شمال المخلاف السليماني مثل قوله هنا : وتوجهوا نحو الشام أي : إلى مكة المكرمة .
ب - للإشارة إلى المناطق الشمالية في المخلاف السليماني نفسه مثل قوله في ترجمة أحمد بن إدريس في أحداث ١٢٥٣ هـ : حتى ترجح له المسير نحو الشام ، أي : أنه تقرر له أن يسير إلى صبيا .
=

لا تحسبن ذهابَ نفسك موتَها ... ما الموتُ إلا أن تعيش مذلّلا
فارق تكن كالسيف سُلَّ فبان في ... متنيه ما أخفى القِرابُ وأجملا[1]

فوصلوا إلى « مكة المشرفة » ، واتفقوا بحسن باشا[2] وتلقاهم بالقبول ، وحسّن لهم أن [٢٦/أ] يكون بجهة « حلي » الإقامة والنزول ، وقرر لهم من المال ما يقوم بالأحوال ، ووعدهم بالنصرة من طريق محمد علي باشا بعد أن يفرغ الوجه من قتال أهل « الدرعية » ، وكانت تلك المدة قد توجهت الأجناد المصرية لمناجزتهم ، وقد صار نجم أهل « الدرعية » في سقوط ، وشامخ عزتهم إلى هبوط[3] .

(**وفي أول شهر شوال** توجه الشريف من « مختارة » إلى جهة الشام ، ولم يدخل « أبو عريش » بل طرح في قرية « الجربة »[4] وكان أهل جبل شرقي المدينة العريشية اسمه « سلا »[5] - بلفظ الماضي من السلو - قد

= ج - الأماكن الواقعة شمال أيّ موقع يتحدث عنه المؤلف مثل قوله في ص (١٦٢) : رجال ألمع الشام ، وهو بهذا يمثل الاتجاه السائد في المنطقة حيال هذه الدلالات ، وهي مبنية على العرف السائد في الجزيرة العربيّة أن ما كان شمال مكة المكرمة فهو شام وما كان جنوبها فهو يمن .

د - فيما يخص اليمن مثل قوله ص (١٣٨) : وتوجه هاربًا إلى جهة اليمن ، أي أنه هرب إلى المخلاف ؛ وقوله ص (١٦) : رجال ألمع اليمن ، أي القسم الجنوبي من قبيلة رجال ألمع ؛ وقوله ص (٥٣) عن المخلاف السليماني : من أحسن مخاليف اليمن فالمقصود لدى المؤلف الجهة لا الموقع .

(١) البيتان من الكامل .
(٢) حسن باشا ، أحد قواد محمد علي باشا البارزين ، عمل فترة من الزمن قائم مقام مكة المكرمة ، وتسميه بعض المصادر حسني باشا ، والصواب ما ذكر آنفا .
انظر : عبدالرحيم ، محمد علي وشبه الجزيرة ، ٢٧ .
(٣) يلحظ القارئ هنا مدى التشفي والارتياح لما حدث لأنصار الدعوة من محمد علي باشا وجنده ، وهو مما لا يقبله عقل فضلاً عن طالب علم . ومع ذلك فشامخ العز لم يهبط والجرح الذي أحدثه محمد علي باشا التأم بحمد الله وعادت الدعوة وأنصارها وانتشرت داخل الجزيرة وخارجها ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، ونصر الله الموعود به للمؤمنين لا يتخلف والابتلاء والامتحان سنة من سنن الله تعالى ماضية للتمييز وظهور الصادقين من غيرهم .
(٤) يطلق هذا الاسم على ثلاثة أماكن في منطقة جازان هي :
أ - قرية على عدوة وادي مقاب . ب - قرية من أعمال بني الغازي .
جـ - بقعة في جهة بلدة هروب .
وليس في النص ما يدل على أي منها ، ولكني أرجح أنها الأولى منها . انظر : العقيلي ، المعجم الجغرافي ، ١١٩ .
(٥) جبل معروف شرقي بلدة العارضة . انظر : العقيلي ، المعجم الجغرافي ، ٢٢١ .

صدر منهم بعض خلاف ، وتعدٍّ على حدود مملكة الشريف والأطراف ، فقصدهم بجموعه الكثيرة ، (وعساكره المنصورة ، وطرح تحت ذلك)[1] الجبل ، ونازلهم مقدار خمسة أشهر ، ولم يبلغ منهم الأمل . وقد كان تقدم إلى ذلك الجبل جماعة رئيسهم السيد الماجد (ناصر بن حسين الحازمي[2] فانكسر الجماعة ، وقتل السيد ناصر ، ولم يُنجِ أصحابه إلا الفرار من ذلك الأمر القاهر ، فلم ير أحداً يقوم بهذا المقصد / غير ولده [ص٨١] الشريف أحمد ، و)[3] كان عاملاً « بزبيد » فأمره بالوصول إليه ليكون بيده - بإذن الله - هدم ذلك الركن المشيد ، فوصل إلى حضرته ، وجعل معه طائفة من « بكيل » ، فرَقَوا ذلك الجبل الطويل ، ولما وصلوا إلى أهليه حَيّوْهم بما في أجواف البنادق ، فاستولوا على الجبل وما فيه من صامت وناطق ، وأخربوا بيوتهم وتشتتوا في الشعاب ، وأصبحوا كأمس الدابر وكل شيء مصيره للذهاب))[4] .

وفي هذه السنة أو التي قبلها[5] كان وصول محمد علي باشا إلى « مكة المشرفة » فتوجه لملاقاة أهل نجد ، وقائد تلك الطائفة طامي ، فوقع بينهم التلاق في موضع يسمى « كُلاخ »[6] - بكاف مضمومة وآخره خاء معجمة - فوقع بين الجيشين التصاف ، واشتجروا بالهنديات

(١) ناقص في الأصل وأثبت النقص من ص .
(٢) لم أعثر له على ترجمة .
(٣) ناقصة في الأصل وأثبت النقص من ص .
(٤) المؤلف - عفا الله عنا وعنه - يسوق هذه الأحداث من أفعال الشريف حمود بصيغة المادح المتشوق ، وهي أفعال يظهر فيها الإفساد ، والقتل والتدمير ، ولم ينتقد من قام به والغرض منها غير مشروع ، وتجده يتحامل على أنصار الدعوة ويتهمهم بما يمدح به غيرهم ، وهم أصحاب رسالة ودعاة إلى الحق والإصلاح ، والقتال ليس غرضًا وإنما يلجؤون إليه عند الحاجة والإلجاء إليه ، ويبحثون عن وسائل الصلح وحفظ الدماء بكل وسيلة .
(٥) وصل محمد علي باشا إلى جدة في ١ رمضان ١٢٢٨ هـ ، ومكث فيها حوالي شهرين ثُمَّ انتقل إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج في الوقت نفسه الذي بدأ فيه التخطيط للقضاء على الدولة السعودية الأولى .
انظر : عبدالرحيم ، الدولة السعودية الأولى ، ٣٢٣ .
(٦) بلدة صغيرة تقع على بعد حوالي ٥٠ كم شرق مدينة الطائف .
انظر : الجاسر ، المعجم الجغرافي ١٠٥٢/٢ .

وتخالفوا بالقنا الرعاف ، فكانت ملحمة عظيمة طحنت رؤوس ، وذهبت فيها نفوس(١) ، وكانت الدائرة على طامي وأصحابه ، فولوا منهزمين ، والأجناد التركية بعدهم بالطرد مجدين ، فلما وصل طامي إلى بلدة « طبب »(٢) ، وهي بموحدتين محركتين بعد طاء مهملة ، وهي من بلاد السراة ، وكان لما أصابه من الذعر لم يقر قراره ، ولم ير أن تقيه من شر أولئك الجند داره ، فارتكب الخطر بمفارقة أوطانه ، والبعد عن سكانه ، [ص٨٢] وركب جواده وتوجه / هاربًا إلى جهة اليمن(٣) ، فلمَّا وصل « مُسْلِية »(٤) بضم الميم وسكون السين المهملة واللام - من السلو - وهي من المخلاف السليماني توجه إلى قرية « الحقو »(٥) وهو بحاء مهملة وقاف مثناة

(١) هذه المعركة هي معركة « بسل » المشهورة (٢٨ محرم ١٢٣٠ هـ) وقائدها من الجانب السعودي هو الأمير فيصل بن سعود ، وليس كما ذكر المؤلف بأن طامي كان هو القائد ، وإنَّما كان قائدًا لقبائل عسير المشاركة في تلك المعركة التي انتهت بهزيمة كبرى للسعوديين ، وفتح الباب بعدها أمام قوات محمد علي باشا للسيطرة على جميع المناطق الواقعة جنوب مكة المكرمة .
انظر : ابن بشر ، عنوان المجد ١٨١/١ : عبدالرحيم ، الدولة السعودية الأولى ٣٢٨/١ .

(٢) عاصمة إمارة عسير في عهد الأمراء من آل أبو نقطة خلال الفترة من ١٢١٥ - ١٢٣٣ هـ ، تقع على بعد حوالي ٣٥ كم شمال غرب مدينة أبها .
انظر : أطلس منطقة عسير ، خارطة رقم ٣ .

(٣) يستخدم أهل المنطقة لفظ « اليمن » للدلالة على الأماكن الواقعة في الجنوب منهم ، وليس المراد بلاد اليمن المعروفة ، وهنا يشير المؤلف إلى توجه طامي بن شعيب من بلاد عسير إلى جهة الجنوب وهي المخلاف السليماني . انظر : ص ١٣٥ هامش [٧] .

(٤) قرية في أعلى وادي بيش ، تبعد حوالي ٧٠ كم شمال جازان ، سبق لطامي بن شعيب أن اختط فيها مزارع وأحياها ، وهي من القرى المشهورة حاليًا وإن كانت تنطق حاليًا بالكسر : مِسلية ، وليس كما أورد المؤلف .
انظر : عاكش ، تكملة نفح العود ، ٢٩١ ؛ العقيلي ، المعجم الجغرافي ، ٣٨٨ .

(٥) بلدة معروفة شرقي قرية بيش في سفح جبل يسمى ماغص .
انظر : العقيلي ، المعجم الجغرافي ، ١٥٢ .

ساكنة بعده واو ، ثُمَّ لم يشعر السيد العلامة يحيى بن محسن النعمي(١) إلا وقد وصله إلى عقر داره بقرية « الدهناء »(٢) وشكى عليه(٣) ما لاقاه من الحدثان ، وما عاناه من صروف الزمان :

ولا بُدّ من شكوى إلى ذي مروءة يواسيك أو يسليك أو يتوجع(٤)

وطلب شوره في الإقدام أو الإحجام على الشريف حمود ، مع أنه لم يكن له سابقة خير عند الشريف غير تلك الملاحم العظام ، والوقائع التي يشيب منها رأس الغلام ، فبلغني [٢٦/ب] أن السيد يحيى أشاره بما يعلم ، وأنه لا يتوجه إلى الشريف حمود بل يتوجه إلى الجبال الشرقية التي يخفى خبره فيها بالكلية ، فمنع من ذلك الرأي المحمود ، وصمم على قصد الشريف حمود ، وكان تلك المدة غائبًا عن هذه الجهة ، بل مستقره في « مختارة » ، والسيد العلاّمة حسن بن خالد في هذه الجهات ، وهو أحد أركان مملكة الشريف حمود ، وله التقديم والتأخير فيما به على نفع المملكة يعود ، والشريف حمود لايرى صوابًا غير ما يقول ، لعلمه أنه الذي فاق النظراء في علمي المعقول والمنقول ، فجعله سراجًا يهتدي به / في [ص٨٣] ظلم المشكلات ، وإمامًا يقتدي به في المسائل الشرعيات ، فبلغه الخبر وهو بقرية « ضمد » فما كان منه إلا المبادرة بالوصول إلى « صبيا » ، فدخلها وملك قلعتها وأرسل رعيلاً من الخيل في لقاء طامي ، فوجدوه وفي صحبته السيد يحيى بن محسن ، فما كان من السيد الحسن بعد وصوله إليه إلا [أن] أوثقه في الحديد ، ولم يلتفت إلى قول أحد من أهل العذل والتفنيد .

(١) من علماء المخلاف السليماني ، ولد في الدهناء من قرى وادي بيش ، وارتحل لطلب العلم إلى صنعاء ومكة ، عاد ليعمل قاضيًا في بلدته الدهناء (ت/١٢٦١هـ) .
انظر : عاكش ، عقود الدرر ، الترجمة رقم (٢٥٦) .

(٢) من قرى وادي بيش غرب قرية العالية ، تبعد حوالي ٨٦ كم شمال جازان .
انظر : العقيلي ، المعجم الجغرافي ، ١٨٤ .

(٣) هكذا في الأصل ، والأصوب : شكى إليه .

(٤) البيت من الطويل ، وهو لبشار بن برد ، انظر : الديوان ، ١٠٠ .

وقد كان محمد علي باشا وصل إلى « طبب » ، وبعث طليعة من الخيل ليعلموا من حيث ذهب ، ولما وصلوا أطراف المخلاف ، وطلبوا طامي أطلقه عليهم السيد الحسن بن خالد ، وكان حال طامي كما قال القائل :

وإذا خشيتَ من الأمور مقدَّرا وفررتَ منه فنحوه تتوجه[1]

فذهبوا به وأنفاسه تتصعد ، وقلبه من الأحزان يتوقد ، وكان يظن بوصوله إلى هذه الجهات يقع له الرحمة في قلوب من توجه إليهم ، ويمنعونه من الترك أن يقع في أيديهم ، ويرى كونهم عربًا أحسن حالاً من العجم ، فركب أخف الخطرين ، وقارب أدنى الشرين ، ولكن عومل بنقيض قصده ، وأصبح بكونه في أيدي الترك وإن كان حيّاً في لحده ، ولله القائل :

رُبَّمَا يرجو الفتى نفعَ فتى خوفُهُ أولى بـه من أمله

[ص٨٤] / رُبَّ من ترجو به دَفْعَ الأذى سوف يأتيك الأذى من قبله[2]

[٢٧/أ] وفي حسبان الناس أنه لو وصل إلى حضرة الشريف حمود لمنع عليه ، ولم يصل أحد من الأتراك إليه ، والعلم لله سبحانه[3] .

وقد خاض الناس في فعل السيد الحسن بن خالد في هذه القضية ، ويرونها عليه رزية ، ولكن هذا السيد الحسن من العلماء النقاد ، وممن تسنم كاهل الاجتهاد ، وقد قرر أهل الأصول الفقهية العمل بالمصالح المرسلة ، وذكر صاحب « الفصول »[4] أن العمل بها مذهب

(١) البيت من الكامل وهو لابن الرومي ، انظر : الديوان ٣/٣٧١ .

(٢) البيتان من الرمل .

(٣) الأصل : سبحنه .

(٤) كتاب الفصول اللؤلؤية في أصول الفقه ، ومؤلفه : صارم الدين إبراهيم بن محمد بن عبد الله الوزير (ت/٩١٤هـ) مخطوط برقم ١٠٢٦ في الجامع الكبير بصنعاء ، ورقم ٣٧٩٥ في المتحف البريطاني .

انظر : الحبشي ، مصادر الفكر العربي ، ١٥٩ : العمري ، مصادر التراث اليمني ، ٢٣٧ .

الأئمة ، وجماهير الأمة ، فلعله ترجح له في هذا الباب العمل بالمصالح المرسلة . وهو أن هؤلاء الأتراك قد استأصلوا شأفة العساكر النجدية ، مع أن شوكتهم أقوى من شوكة أهل هذه البلاد . ووقع منهم من سفك الدماء والفساد ، ما هو أعظم من دفع طامي إليهم في الكيفية والمقدار ، وقد قيل : « إن في الشر خيار » ففي دفعه إليهم والحال ما شرح حقن للدماء ، وتسكين للدهماء ، وكان الأمر كذلك ، فإنه رجع بعد ذلك الأتراك ، ولم يفتحوا شرًا على أهل هذه الجهات . وقد تتبعت أحوال هذا الرجل . فرأيته يجنح كثيرًا في أفعاله إلى العمل بالمصالح المرسلة[1] .

[ص٨٥] وهذا من ذاك / والعلم لمالك الأملاك .

((وفي هذه السنة كانت واقعة « المهدف » بين « بني الحرث » والسيد الحسن بن خالد ، وكانت الدائرة على أولئك القبائل ، بعد أن استولوا على بعض مطرحه ، وأحرقوا خزانة البارود . ووقعت فيه جراحات أفضت إلى السلامة ، وأصابت جواده رصاصة . [و] بعد أن نزل عنها ماتت ، ولكنه لما كانت اليد له على أولئك الأقوام . ولم يتأثر بما حصل من تلك الآلام ، وقُطِعَ منهم رؤوس ، وأوصلت إلى المدينة العريشية للإرهاب)) ، وفي هذه المدة ترجح للشريف حمود أن يبعث إلى محمد علي باشا هدية ، فبعث بأربعة[2] من جياد الخيل إليه وأصحبه مكتوب ، ولما بلغه ذلك جاء من الباشا جواب بليغ أحببت إثباته ، وهو هذا[3] :

« أهدي تحيات وافرة وافية ، وتسليمات زاهرة زاهية . تهدى وتحف بأنواع من الظرف ؛ إلى محبنا ومعتمدنا سلالة آل الرسول . وعين أبناء البتول ، أخينا العزيز الشريف حمود بن محمد ، لا زالت عواقبه تحمد ، ولا زال على المنهج القويم ، مثابرًا على ما يعنيه مقيم . وبعد ؛ فقد[4] وصلت إلينا كتبك الثلاثة مشعرة باستقامتك ، مسفرة عن

(١) دعوى العمل بالمصالح المرسلة في معزل عن الضوابط الشرعية الحاكمة للعمل بها مجرد تعليل ، يخرج عن أن يكون عملاً بالمصلحة أي الأخذ بالهوى والتشهي في الاختيار ، وأي مصلحة عمل بها في أن يسلم مسلمًا جاهد في نصرة الحق ودعوة الإصلاح إلى من عرف بالسوء في قوله وفعله وهو محمد علي باشا عامله الله تعالى بعدله .

(٢) الأصل : بأربع .

(٣) الأصل : هذى ، والصواب من ص .

(٤) ساقطة من الأصل والزيادة من ص .

سلامتك وشهامتك ، منبئة(1) عن طلب جزيرة « فرسان »(2) وعن حال «رجال ألمع» / وأهل «الدرب»، ومن قدمناه على [27/ب] «بني شعبة»(3) [ص86] والفحص عن «مسلية» و «السلامة» و «أم الخشب»(4) ، وأن المذكورات كانوا بأجمعهم لأمرك منقادين ، وأحلت معرفة ذلك جميعه على الحاضرين والبادين ، فليكن في علمك أنه قد بلغنا أن ظلمك في الرعية ، تركها من الراحة عرية ، والظلم مرتعه وخيم ، وهو إن دام دمر كما أخبر به النبي الكريم ، ونحن ما بلغنا من تلك الأراضي إلى تلك المبالغ ، وطوعنا منهم العاصي بلا فرق بين الشيخ والبالغ ، إلا طلبًا لرضاء الله - سبحانه - باستراحة أهاليها من النصب والوَصَبْ ، وتسبيبًا لابتهاج ولي نعمتنا الذي أفاض الله علينا بملاحته بفيوض الفتوح وصبَّ(5) .

وقد استشعرنا من الواردين علينا أنك ما حملك على ما حمل ، وأركبك الوعر بظلم من قلّ وجلّ ، إلا توارد « الوهابية »(6) على جهاتك ، وطلبهم من الدنيا الدنيّة ما لم يكن مقدورًا لك ولا لمن بمواجهاتك ، فعذرناك فيما سلف من الأمر ، وأدرجناه في سلك ضرب زيد لعمرو ، وبعد اليوم ؛ إن استرعيت رعيتك بالرفق والشفقة ، وهم أهل بلدك الذين قلوبهم على محبتك متفقة غير مفترقة ، وسمعنا من الصادر والوارد ،

---

(1) بياض في الأصل والزيادة من ص .

(2) جزيرة تقع غرب مدينة جازان وتبعد عنها حوالي ٥٠ ميلاً بحريًا ، وهي أكبر جزر البحر الأحمر . انظر : العقيلي ، المعجم الجغرافي ، ١٢٥ .

(3) قبيلة بني شعبة تسكن المنطقة الواقعة بين الشقيق وبيش ، كان لهم دور مشرف بزعامة عرار بن شار في بداية الدعوة السلفية ، تنقسم إلى عدة بطون وحاضرتها مدينة الدرب التي تبعد عن جازان حوالي ١٢٥ كم شمالاً . انظر : العقيلي ، الأدب الشعبي ٢/١٣ - ٣٢ .

(4) بلدة صغيرة تبعد حوالي ٥ كم شمال شرق بيش ، اتصلت حاليًا بمدينة بيش . انظر : العقيلي ، المعجم الجغرافي ، ٦٥ .

(5) يقصد السلطان العثماني محمود الثاني (١٢٢٣ - ١٢٥٥ هـ) . انظر : عبدالرحيم ، الدولة السعودية الأولى ١/٣٠٥ .

(6) إطلاق لقب الوهابية على الدعوة الإصلاحية لا يضيرها وقد اشتهرت بهذا اللقب ولكن القصد به هنا الإساءة . ومواقف محمد علي باشا وجنوده ومناصريه من الدعوة الإصلاحية معروفة بالعداء وهذه الرسالة دليل شاهد على ذلك .

أنهم قد استعذبوا منك ما أجنّ من الموارد ، نزجي لك عند حضرة ولي نعمتنا(1) / في استرعائك على من أخبرت أنهم من سابق رعاياك ، وأنه [ص87] لم يخرجهم من طاعتك إلا من مانعك من الوهابية وعاياك ، فلعله لا يرد طائر رجانا مهيض الجناح ، وعساه أن يداوي مريض الأمل بمرهم النجاح ، فإن مولانا السلطان - نصره(2) الله تعالى - هو مالك زمام حلنا وعقدنا ، ومرجعنا في كل الأمور إليه ولا نستطيع نحدث أمرًا من عندنا ، فكن - رعاك الله - من الرعية الذين راعوا من استرعاهم(3) ، وما أراعوا بالمخالفة من رعوه ورعاهم ، وتطلب سلامة العقبى بدعاء الفقراء لك .

وإياك أن تهلك باقتحام الأخطار فيمن هلك ، فإن شمس (العدالة بها)(4) [28/أ] تنزاح ظلم الظلم وتنجاب ، واحذر دعوة المظلوم فليس بينها وبين الله حجاب ، فلا يبلغنا عنك صدور ما يوغر الصدور ظاهرًا وباطنًا ، ويستثير ما كان في الأفئدة كامنا ، فالحسنة في نفسها حسنة ، وهي من بيت النبوة أحسن ، والسيئة في نفسها سيئة ، وهي من أولاد الحسنين أسوأ وأخشن ، والمأمول هو الله - سبحانه - أن يجعل هذه النصيحة لك كافية ، فإن العصا تقرع الحليم ، والحكيم من شاهد الأمور [ص88] قبل وقوعها كما هيه ، هذا وقد وصلنا كتابك الرابع / متضمنًا لإرسال هديتك ذات الحسن الرائع ، التي لها من الحسن والجودة غرر وحجول ، فقد حلت عندنا محلاً ، بالقبول مُحلى(4) ، فما أظرفها من هدية جميلة ، مقدمة عندنا على كافة الهدايا الجزيلة .

وما أحسَن الشيءَ النفيسَ إذا أتى ... إلى أهله من أهله في محله(5)

---

(1) ولي النعم هو الله سبحانه وتعالى ، وغيره مهما عظم شأنه بشر وعبيد له وليسوا أولياء نعمة.

(2) في الأصل : نصر .

(3) بياض في الأصل ، والزيادة من ص .

(4) الأصل : محلا .

(5) البيت من الطويل .

ومهما حدث من تلك الحوادث التي يجب رفعها إلينا ، فليكن بالمبادرة منك عرضها علينا ، كما هو المعهود من شيمتك الجميلة البهية ، وفقك الله لكل محمدة سنية بمنّه وكرمه ، وذكرت لنا حفظك الله تعالى أنا لا نسمع فيك كلام الحساد ، الذين[1] يسعون بالفساد ، فنحن ما أصغينا سمعًا ، ونكره ذلك طبعًا ، غير أن أخبار ما أنتم به من الجهات ، مفصلاً عندنا قبل ذلك بست سنوات ، ولو كشف الغطاء ما ازددت على علمي يقينًا[2] ، والسلام »[3] .

انتهى المكتوب بحروفه ، وهو في أعلى درجات البلاغة ، وفيه من رياسات الألفاظ وتخير كلمات الأنفة والسمو ما لا مزيد عليه ، وهذه صناعة فحول الملوك على يد كبراء البلغاء من العلماء ، وقد بلغني أنه تولى[3] ذلك رجل من علماء « المدينة المنورة » كان عوّل عليه محمد علي باشا في الجواب ، وقد نمى إلي أنه تولى[4] الجواب على هذا المرقوم / [ص٨٩] من لا يحسن الدخول في هذا الباب ، ولأمر ما حافظ الملوك على مناصب كُتّاب الإنشاء [٢٨/ب] كالصاحب[5] ، والصابي[6] ، والقاضي

(١) الأصل : الذي ، والصواب من ص و ع .

(٢) النصيحة في جملتها فيها حق ، لكن الكلام يصدقه أو يكذبه العمل ، وما عرف عن كاتب هذه النصيحة - والله المطلع على السرائر - لا يتفق مع قوله هذا ، فهو ينهى عن الظلم وهو ممن ارتكب المظالم العظام ، ويحث على العدل وهو له مجانب . نسأل الله العفو والعافية .

(٣) توضح هذه الرسالة الطريقة الجافة التي تعامل بها محمد علي باشا مع الشريف حمود ، وقد وصفه في رسالة إلى السلطان بأنه ضعيف ومتملق .
انظر : الوثيقة رقم ١٩٥٩٢ (خط همايون) وتاريخ ١٢٣٣ هـ من محمد علي إلى الباب العالي ، إرشيف رئاسة الوزراء العثماني ، إستانبول .

(٤) الأصل : تولا .

(٥) إسماعيل بن عباد بن العباس الطالقاني ، كان وزيرًا في بلاط مؤيد الدولة بن بويه ، عرف بكونه أديبًا أكثر من كونه وزيرًا (ت/٣٨٥ هـ) .
انظر : زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربيّة ٢٧٤/٢ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ٢٠٦/١ ؛ الثعالبي ، يتيمة الدهر ٣١/٣ .

(٦) إبراهيم بن هلال بن زهرون الصابي ، أديب مشهور خلال حكم بني بويه في العراق (ت/٣٨٤هـ) .
انظر : زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربيّة ٧٢/٢ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ٣٤/١ ؛ الثعالبي يتيمة الدهر ٢٣/٢ .

الفاضل[1] وغيرهم ، ممَّا تضمنت ذكرهم كتب التاريخ . ممن يكون ترشيحه في دست الكتابة نصف المملكة أو ثلثيها ، ولا يحسن بملك يطبق ملكه قطر من أقطار الإسلام ، ولا يجد إذا نابه ما يدعو إلى الكتابة غير الأفدام[2] .

والإنشاء لا يتمكن منه إلا من حقق في العلوم العربيَّة ، وتضلع من علوم البلاغة كالمعاني ، والبيان ، والبديع . وقد ذكر ابن الأثير[3] في كتابه « المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر »[4] الشروط التي لا يتهيأ الإنشاء إلا بها ، وأمَّا انتحال رسائل من تقدم المبنية على أسبابها ، وجعلها في القضايا المتجددة فليس ذلك من الإنشاء في شيء .

وما كُلُّ دارٍ أقفرت دارَ عَزَّةٍ ولا كلُّ بيضاءِ الترائب زينب[5]

نعم : وبعد أن انطوت أيام طامي قام في مقامه محمد بن أحمد الرفيدي ، واجتمع على طاعته أهل السراة رغبة ورهبة : لأنه كان لابسًا رداء الجبروت ، سفاكاً للدماء من غير مراقبة للحي الذي لا يموت[6] .

أصم لا يسمع الشكوى وأبكم لا يدري المقالَ وعن حال المشوق عمي[7]

(١) محيي الدين بن عبدالرحيم بن علي بن الحسن اللخمي ، شاعر وأديب مشهور ، عمل وزيرًا لصلاح الدين الأيوبي (ت/٥٩٦هـ) .
انظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ٣٣٣/٢ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ١٥٦/١ .

(٢) الفدم : ثقيل الفهم عيي الحجة ، تجمع على فِدام .
انظر : المعجم الوسيط ٦٨٤/٢ .

(٣) نصر الله بن محمد بن محمد الشيباني ، من العلماء الكتاب ، ولي الوزارة للملك الأفضل ابن صلاح الدين في دمشق (ت/٦٣٧ هـ) .
انظر : الزركلي ، الأعلام ٣٥٤/٨ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ٢٥/٥ .

(٤) مطبوع .

(٥) البيت من الطويل .

(٦) هذا الكلام فيه جرأة عجيبة ، لأن فيه تدخلاً بالنوايا التي لا يعلمها إلا الله تعالى ، والمؤلف - عفا الله عنا وعنه - هذا شأنه متى جاء الحديث عن أحد من أنصار الدعوة انبرى لوصفه بأسوأ الأوصاف ، متجاهلاً ما اقترفه آخرون عدَّ أفعالهم في القتل والتشريد بطولة ورجولة .

(٧) البيت من البسيط .

[ص٩٠] / ولم يزل مضمرًا للشر حتى دخلت **سنة إحدى وثلاثين ومائتين بعد الألف** فجمع الجنود ، وعقد البنود ، لأجل قتال الشريف حمود ، وذلك لما تمكن في قلبه من الضغينة بإطلاق قريبه طامي على الأتراك ، وبما قد سبق من العداوة التي سفكت فيها دماء كادت أن تبلغ معقد الشراك ، ويرى أن خروج « صبيا » ومخلافها(١) من أيديهم فيه عليهم عار ، فلما بلغ الشريف ما يريده من إضرام تلك النَّار اهتم بجمع الأجناد (وكان بمدينة)(٢) أبي عريش ، واجتمعت لديه المقاتلة من قبائل البلاد ، وخرج في لقائهم وقد نشر الرايات ، ودعا داعي النصر بالثارات .

[٢٩/أ] / في فيلقٍ من حديدٍ لو قذفت به   صرفَ الزمان لما دارت دوائره(٣)

وكان اللقاء قريبًا من قرية « الدرب » يوم الجمعة ثامن عشر شهر رجب ، وفي ذلك الموضع وقع تخالف الطعن والضرب ، فصف الشريف الأجناد أحسن صفوف ، وجعل على كل طائفة رئيسًا له في الشجاعة يوم معروف ، وتقدم الشريف في غرة العساكر ، بعد أن تسربل الحديد ، وتقلد الهندي الباتر ، وكان ابنه الشريف أحمد [في] ذلك اليوم مقدمًا في طائفة من أهل الخيل ، فأصدق الإقدام ، على أولئك الأقوام ، وفعل أفعالاً عنترية ، وأبان عن شجاعة علوية ، دل أن هذا الشبل فرع ذلك الليث :

[ص٩١] / وخاض بالسيف بحرَ الموت خلفهم   وكان منه إلى الكعبين زاخرُه

فكم دم رويت منه أسنته   ومهجة ولغت فيها بواتره(٣)

(١) الأصل : ومخلافه .

(٢) في الأصل كتب المؤلف : ووصل إلى أبو عريش ، ثُمَّ كتب فوقها في الهامش : وكان بمدينة أبو عريش ، وفي ص و ع حذف الناسخ عبارة : ووصل إلى ، وأثبت : وكان بمدينة. وقد قمتُ بتثبيت عبارة « وكان بمدينة » لأنها تتفق مع السياق أكثر من عبارة ووصل إلى أبو عريش .

(٣) الأبيات من البسيط ، وهي للمتنبي ، انظر : الديوان ٢/ ١٢١ .

والتحم القتال بين الفريقين ، وتصادقوا الطعان . وأرسلوا من البنادق ما يصك الآذان ، واخترط الأبطال السيوف ، وكان للشمس من عثير الخميس(١) كسوف ، وانطحنت هناك جماجم ، واشتد على تلك الظهور المدبرة طعن الردينيات وضرب الصوارم . وولَّى الجند الشرقي(٢) الأدبار ، بعد أن انهلت من دمائهم على الأرض أمطار ، وبلغت القتلى إلى عدد كثير تطيش له الأذهان ، وصارت لحومهم طعامًا للوحوش في فلوات البلدان ، وانصرف الشريف إلى مخيمه تخفق على رأسه الرايات ، ولسان السعادة ينشد بعد هذه المتفقات :

وقد ظُلِّلَتْ عقبانُ راياته ضحًى   بعقبان طيرٍ في الدماء نواهلِ

أقامت مع الرايات حتى كأنها   من الجيش إلا أنها لَمْ تقاتلِ(٣)

وقتل في ذلك اليوم الشريف الأمجد محمد بن منصور بن محمد(٤) ، وقد كان في الإقدام [٢٩/ب] من(٥) الضراغم . وممن يلقى الكتيبة بوجه وضاح وثغر باسم ، وقتل ذلك اليوم السيد الماجد إدريس بن إبراهيم الحازمي(٦) - رحمه الله تعالى - ((وكان من الرجال

(١) الخميس : الجيش الجرّار ، سُمّيَ بذلك لأنه خمس فرق : المقدمة والقلب ، والميمنة ، والميسرة ، والساق .
انظر : المعجم الوسيط ١/ ٢٥٥ .

(٢) استعمل المؤلف لفظ : الجند الشرقي للدلالة على جيش عسير ، ولعله استخدم ذلك إمَّا لأن « عسير » تقع شرق المخلاف السليماني ، أو بسبب التعاون القائم بين عسير ونجد حيث تقع نجد أيضًا شمال شرق المخلاف ، وكلمة « الشروق » تطلق محليًا على سكان منطقة نجد .

(٣) الأبيات من الطويل ، وهي لأبي تمام ، انظر : الديوان ، ٢٤٨ .

(٤) ابن أخ الشريف حمود ، لم أعثر له على ترجمة .

(٥) مكررة في الأصل .

(٦) من رجال الشريف حمود وقواده ، تولى إمارة صبيا بعد استعادتها من طامي بن شعيب ممَّا كان سببًا في مغاضبة الأمير منصور بن ناصر للشريف حمود ؛ لأنه كان أميرها من قبل .
انظر : عاكش ، تكملة نفح العود ، ٣٠٥ .

[ص٩٢] الأفاضل / وله في فعل الخير مقاصد حسنة ، مع محافظة على أنواع العبادات ، واتصافه بكمال المروءة ومحاسن الأخلاق ، رحمه الله)) وغيرهما من سائر الأجناد ، ونادى منادي القدر على أولئك بعد انقضاء القتال ، « يوم بيوم « بيش » ، والحرب سجال »(١) .

ورجع بعد ذلك الشريف حمود إلى المدينة العريشية تزهو به ممالكه زهو الغيد بالحلل ، منشدًا لسان حاله : « أعلى الممالك ما يبنى على الأسل »(٢) ، ودخل المدينة العريشية ، بأبهة ملوكية وشارة حسنية ، يحف به من جميع جوانبه الأبطال ، المعدودون ليوم النزال ، وعليه لوائح الجلالة تلوح ، وطيور الإقبال تغدو عن ميامنه وتروح ، [٣٠/أ] ((ومما قاله الأديب البليغ بندر بن شبيب(٣) ممتدحًا للشريف ، ومنوهًا بقدره المنيف))(٤) :

هو المجدُ فاختره وإن يكن الصبر ... فصبرٌ فكم صبر تجرعه الحر

وما الدهر إلا هكذا فاصطبر له ... فيوم يُرى حلوٌ ويوم يُرى مرٌّ

وما عن طلاب المجد للحرِّ مذهبٌ ... ولا عن سهام الموت للمتقي ستر

ولا لذوي المجد المؤثل تالدًا ... إذا قصروا عن مجد أسلافهم عذر

(١) إشارة إلى قول أبي سفيان بن حرب بعد معركة أُحُد حينما صرخ بأعلى صوته فقال : أنعمت فعال ، إن الحرب سجال ، يوم بيوم بدر .
انظر : ابن هشام ، سيرة النبي ٣/٤٥ .

(٢) شطر بيت للمتنبي من مطلع قصيدته في سيف الدولة عندما سار إلى الموصل لنصرة أخيه ، وهي :
أعلى الممالك ما يبنى على الأسل ... والطعن عند محبيهن كالقبل
انظر : الديوان ٣/٣٤ .

(٣) بندر بن شبيب العامري العراقي ، شاعر بليغ وأديب حافظ لأشعار الجاهليَّة والإسلام ، وفد من العراق إلى الشريف حمود ، واستقر في اللحية ، وقرر له الشريف ما يقوم بكفايته ، وبعد وفاة الشريف حمود عام ١٢٣٣ هـ ارتحل عن البلاد اليمنية .
انظر : زبارة ، نيل الوطر ١/٣٠٩ ؛ عاكش ، عقود الدرر ، الترجمة رقم (٦٣) .

(٤) القصيدة من الطويل .

وإن عاش ما عاش الفتى في مذلة ... فلا عيشُه عيشٌ ولا عمرُه عمر

فإن شيّد المجد الصوارمُ والقنا ... تحكم لا نهي عليه ولا أمر

أرى الموت خيرًا للعزيز من البقا ... بدار هوان لا يعز ولا يثرو

شموس المعالي مهرها الموت في الوغى ... وما دون حوض الموت قط لها مهرُ

/ وحاذر ظبيات الخدور ولحظها ... فإن بألحاظ الظبا للعلا جزر [ص٩٣]

هي اللحظ لا تأمن مخايل سحرها ... إذا لم تك الألحاظ سحرًا فما السحر

فإن بإرسال اللحاظ رسائل ... يهش لها ويس ويصبو لها الحبر

ظباء أضمتها الخدور ولا ترى ... ظباء الفلا قبلاً تضمّهمُ الخدر

فمالي وألحاظ الظبا وهي إن رنت ... محاجرها بيض وأحداقها سمر

حذارًا حذارًا لا يغرك أن ترى ... لواحظ غزلان بأجفانها فتر

فكم سلبت ألحاظها من متوج ... فأمسى من العليا أنامله صفر

وكم من صليب العود في معقل الحجى ... سلبن سويدا لبه الشَّعر والنحر

سوى أن(١) ترى فجرًا إذا النحر أسفرت ... وليلاً مع الفجر إذا انتشر الشَّعر

وأضحى طريحًا بين معترك الهوى ... تنازعن في أسلابه الخضر والصفر

وأغصانُ كثبان تَموج فروعها ... كأمراس سُفن قد يموج بها البحر

وأكفالها نهد وفحم قرونها ... وأكبادها ملس وأرياحها عطر

/ وحاجبها قوس وسهم جفونها ... وأحداقها رامٍ وأهدابها وتر [٣٠/ب]

فضاجع رهيفات الظبِا واهجر الضبِا(٢) ... وإن كان في هجر الضّبا المركب الوعر

فجد على العليا وصفطها الردى ... كجدٍّ حمود والمهند محمر

فتى جرد الأفكار عن كلكل الهوى ... كما جرد الصمصام والنقع مغبر

وأورثه المجدُ المؤثل في العلا ... حجاه وجدواه وأيامه الغر

(١) ساقطة في الأصل و ع والزيادة من ص ليستقيم الشطر الأول .

(٢) في الأصل و ص : الظباء ، والصواب ما ذكر ؛ لأن « الظباء » الأولى : جمع ظبي ، وهو الغزال العربي ، و « الضَبا » في الثانية معناها : لصق واختبأ واستحى ، ويقال : ضبأ الصائد ، أي : استتر ليختل الصيد . انظر : المعجم الوسيط ١/٥٣٤ ؛ ٢/٥٨١ .

وحرب عوان مستطير ضرامها   بها البيض حمر والأنامل تصفر

[ص٩٤] /تخال هويّ البيض في جوف نقعها   كليل هوت في جوفه الأنجم الزهر

وإن بان للسادات في المجد كوكب   له بان فيه الشمس والنجم والبدر

إذا شاهدته الحرب ألقت وسلّمت   وقد صار في أكوانها وهو السر

وإن صاح بالفرسان أصمت وأبكمت   تخال السما هُدَّت وقد قُضي الأمر

وإن أضرمت نار الحروب وأشرقت   صوارمه أمست حرارتها قرُّ

وقد نفرت منه الفوارس خيفة   كما نفرت خوف القساورة الحمر

وترجع في يوم الطعان خيوله   مسلمة الأكفال مكلومها الصدر

إذا شئت أن تخبرْ بشدة بأسه   فزره زمان الحرب حين يرى الكر

بيوم به الفرسان تهفو جنانهم   لشد زحام الخيل قد عيّل الصبر

ببارقَ فيه البيض والنقع داجيًا   فيشرق من إبراقها في الدجى فجر

وسمر القنا في الدارعين صريرها   كصلصال رعد والدماء لها قطر

هناك ترى علم اليقين ببأسه   على صفحات البيض خُطَّ لها سطر

وطار على الآفاق طائر نبله   كما طار في أفق السما الطائر النسر

[٣١/أ] / ومفخر عصر لو تقدم عصره   لما كان للأعصار في ختمها فخر

وراحته في وابل السيف والندى   جوانبها حُمر وأجوافها خضر

ففي بطنها عذب المناهل مترع   وفي ظهرها من وابل المشرفيّ نهر

عجبت لأضداد بها قد تجمعت   فللمرتجي بَحر وللمعتدي جَمر

سنين أمضّتنا كسبعة يوسفٍ   وكان لها عصر وأنت لها عصر

[ص٩٥] / وأعظم أسباب الوفود لقاكم   وإن كنت للحسنى وجودك مضطر

فهذي عروس أقبلت في لآلئ[1]   من المدح لا نظم حكاها ولا نثـر

فما قالها الكنديْ ولا قال مثلها   لبيد ولا الطائيّ[2] وليس بها نكر

---

(١) الأصل : لالي .

(٢) الأصل : الطاي والتصحيح من ع .

فَـزُفَّت إليكم رغبـةً في عـلاكُم   ولا شاقـها زيدٌ سواكم ولا عمرو

فخذْها بتعظيمٍ وعظِّمْ بقـدْرِها   على قَدَرِ التعظيم يُشْتَهرُ الشعرُ

انتهت . وهي قصيدة فصيحة الألفاظ بديعة المعاني ، تدل على عراقة منشيها في البلاغة ، ورقة حاشيته[1] ، وقد عارضها أديب العصر العلامة عبدالكريم بن حسين العتمي[2] - رحمه الله تعالى - بقصيدة بليغة طالعها :

قفوا وانظروا ما أحدث الصدُّ والهجرُ   بمَن قد جفاه بعد بعدهم الصبرُ[3]

وهي طويلة ، وفي بعض قصيدة بندر ما يُمكن المناقشة عليه ، ولكن غالبها الجودة ، وقد انتقد عليه بعض العلماء في مستهلها من حيث الإعراب بأن الصواب نصب الصبر خبرًا ليكن . وهذا الانتقاد غير جيد لإمكان التأويل بإضمار هو الضمير المنفصل ، ويكون مبتدأ والصبر خبره ، والجملة خبر يكن .

وقد جرى في هذه القصيدة في غزلها على نوع من أنواع التجريد البديعي يسمى مخاطبة المرء نفسه ، وبيان التجريد في ذلك أن ينتزع من نفسه شخصًا آخر مثله في الصفة التي سبق لها الكلام ثُمَّ يخاطبه كقول أبي الطيب :

[ص٩٦] / لا خيلَ عندك تهديها ولا مالُ   فليسعد النطقُ إن لم يسعد الحالُ[4]

[٣١/ب] أي الغنى ، كأنه انتزع من نفسه شخصًا آخر مثله في فقد الخيل والمال وخاطبه ، وعلى هذا النمط جرى هذا الشاعر في غزل هذه القصيدة ، فتأمل ،.وقائلها هو رجلٌ وفد على الشريف حمود من نواحي

---

(١) في الأصل : حاشيتها .

(٢) فقيه وأديب يمني ، تولى عمالة زبيد أيام المهدي عبدالله بن المتوكل ، وجرت عليه محنة بسبب ذلك ، فترك المناصب وعكف على التدريس في زبيد حتى تاريخ وفاته في عام ١٢٤٦هـ .
انظر : زبارة ، نيل الوطر ٢/٥٣ ؛ عاكش ، عقود الدرر ، الترجمة رقم (١٣٦) . عاكش ، حدائق الزهر ، تحقيق : د . إسماعيل البشري ، ١٧٦ .

(٣) البيت من الطويل .

(٤) البيت من البسيط .

العراق ، وأجزل عليه الإنعام ، وطوقه بأنواع الإكرام ، لا جرم أن صدح المطوق بغرائب الألحان ، وتفنن في المعاني « فاللُّها تفتح اللها »[1] في كل زمان ومكان ، وقد سمعت كثيرًا من علماء العصر ينسب إلى هذا الرجل الرفض ، و « الرافضة »[2] في الأصل كما قال في القاموس « فرقة من الشيعة بايعوا زيد بن علي ثُمَّ قالوا له : تبرأ من الشيخين . فأبى وقال : كانا وزيري جدي فتركوه وارفضوا عنه[3] ، والنسبة رافضي » انتهى[4] .

وأمَّا في الاصطلاح الحادث فهو عبارة عمن ينال من الصحابة ، وهؤلاء مبتدعة عند جميع علماء الإسلام ، فإن علماء أهل البيت مصرحون بابتداع من نال من عرض الصحابة وفسقه ؛ بخلاف ما يتوهمه من لم يطلع على مؤلفاتهم .

والمراد بعلماء أهل البيت من شرع الشارع التمسك بهم[5] ، وهم المجتهدون منهم الذين لا يخلو الزمان عنهم إلى يوم يردون الحوض بنص الأحاديث المتواترة معنى ، وأمَّا غيرهم من المقلدين فإنَّما أوجب الله تعالى / محبتهم ونصحهم ، والدعاء بهداية الخارج عن طريق الاستقامة منهم ، [ص٩٧] والشارع حكيم لا يشرع التمسك بالمقلدين في شيء من الدين ، وقد اتفق الأئمة الأطهار ، وجميع علماء الأمصار على أنه إنَّما يقلّد مجتهد ، ونحن نورد لك حكم الصحابة - رضي الله تعالى عنهم - عند الآل قرناء الكتاب ،

---

(١) اللّهاة : الحلق ، ومثله اللها ، وبضم أوله : العطايا ، أي : العطايا تفتح الفم وتطلق الألسنة بالمدح . انظر : لسان العرب ، مادة : (لهو) .

(٢) الرافضة أو الروافض أحد الأسماء التي تطلق على الشيعة ، وهناك رأيان حول سبب هذه التسمية ، الأول أنه أطلق عليهم هذا الاسم لأنهم يرفضون إمامة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، والثاني : أن ذلك كان بسبب رفض شيعة الكوفة لزيد بن علي حينما رفض أن يتبرأ من الشيخين : أبي بكر وعمر .
انظر : البغدادي ، الفرق بين الفرق ، ١٢ - ٥٣ ؛ الأشعري ، مقالات الإسلاميين ؛ ابن تيمية ، منهاج السنة .

(٣) يلاحظ هنا : أن الكلام المنسوب إلى زيد بن علي ينتهي عند قوله « كانا وزيري جدي » وقوله فتركوه وأرفضو عنه ، وصف للتعلم وليس للشيخين ، والعبارة بسياقها هذا قد توهم ذلك .

(٤) انظر : القاموس المحيط للفيروزآبادي ٢/٣٣٢ .

(٥) أما أن الشارع شرع التمسك بأحد فهذا قول على الشرع بلا علم ، والشرع إنما ألزم بالتمسك بالكتاب والسنة ، والاجتهاد ليس وقفًا على من زعم المؤلف ممن سماهم علماء آل البيت فقط ، ولكنه موهبة ونعمة يؤتيها الله من يشاء من آل البيت وغيرهم والواقع شاهد ذلك ، والصالحون والعلماء والأتقياء من آل البيت له حق كغيرهم وزد على ذلك كونهم من آل بيت الرسول ﷺ .

وننقل لك ذلك من كتبهم المتداولة بينهم وبين شيعتهم ، فأقول : قال الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة[1] - رحمه الله تعالى - في كتابه « الشافي »[2] وهو كتاب من وقف عليه [علم] علمًا يقينيًا أن الإمام :

علاّمة العُلماء واللّج الذي لا ينتهي ولكلّ بَحْر سَاحِلِ[3]

فقال في كلام كثير ما حاصله : « من نسب إلى أحد آبائنا سب الصحابة الذين تقدموا [٣٢/أ] عليًا فهو كاذب » .

وقال في جواب « المسائل التهامية »[4] بعد أن أثنى على الصحابة السابقين وعدّد مزاياهم ما لفظه : « وهذا مذهبنا لم نخرجه غلطة ولم نكتم سواه تقية ، ومن هو دوننا مكانًا وقدرًا يسب ويلعن . ويذم ويطعن ، ونحن إلى الله - تعالى - من فعله براء . وهذا ما يقتضي به علم آبائنا إلى علي رضي الله عنه » . إلى أن قال : « وفي هذه الجهة من يرى محض الولاء سبّ الصحابة - رضي الله عنهم - / فيبرأ من حيث لا يعلم وأنشد : [ص٩٨]

إذا كنت لا أرمي وترمي كِنانتي تصب جانحات النبل كشحي ومنكبي[5]

انتهى » .

---

(١) الإمام المنصور عبدالله بن حمزة ، تولى الإمامة عام ٥٨٣ هـ ، وهو من أشهر العلماء الأئمة في اليمن ، فقيه وشاعر له أكثر من ستين مؤلفًا (ت/٦١٤هـ) .
انظر : العمري ، مصادر التراث اليمني ، ١٥١ ؛ الحبشي ، مصادر الفكر ، ٥٣٨ .

(٢) الشافي في الجواب على الرسالة الخارقة للفقيه عبدالرحيم بن أبي القبائل ، وهي تدور حول مسائل في الاعتقاد ، مخطوط توجد منه عدة نسخ بمكتبات صنعاء .
انظر : الحبشي ، مصادر الفكر العربي الإسلامي ، ٥٤٣ .

(٣) البيت من الكامل ، وهو للمتنبي ، انظر : الديوان ، ١٧٩ .

(٤) اسم الكتاب : الرسالة الإمامية في الجواب على المسائل التهامية . أجاب فيها عَنْ أسئلة وردت من الفقيه محمد بن أسعد الصليحي ، توجد منها نسخة مخطوطة ضمن مجموعة برقم ٣٨٢٨ في المتحف البريطاني .
انظر : الحبشي ، مصادر الفكر العربي الإسلامي ، ٥٤١ .

(٥) البيت من الطويل .

وقد روى ما نقلناه من « المسائل التهامية » السيد العلامة محمد الطاهر بن الحسين بن عبدالرحمن الأهدل[1] في كتابه الذي سماه « بغية الطالب في أنساب آل علي بن أبي طالب »[2] ، رواه عن المؤيد بالله يحيى بن حمزة[3] وعن المنصور بالله[4] وذكره العلامة العامري في كتابه « الرياض المستطابة »[5] . وقال المتوكل على الله أحمد بن سليمان[6] في كتابه الذي سماه « أصول الأحكام »[7] قال فيه في كتاب « الخُمْس » أو كما قال : « خبر وجاءت فاطمة رضي الله عنها إلى أبي بكر رضي الله عنه تطلب ميراثها من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فروى لها حديث : « إنا معاشر الأنبياء لا نورث » فقالت : أنت وذاك »[8] .

(١) عالم محدث وحافظ ، انتقل من المراوعة إلى زبيد وسكنها ، وإليه انتهت رئاسة الحديث بعد وفاة ابن الديبع (ت/٩٩٨ هـ) . انظر : الأكوع ، هجر العلم ومعاقله ٤/٢٠٠٦ .

(٢) لم أجد ما يشير إلى مكان وجود هذا الكتاب ، ولعله ما يسمى : أسانيد الأهدل ، مخطوط تحت رقم ٥٠ ق جامع الغربية ٢٠ مجاميع .
انظر : الحبشي ، مصادر الفكر العربي الإسلامي ، ٥٥ .

(٣) أحد أئمة اليمن ومن أكابر علماء الزيدية ، دعا لنفسه بالإمامة سنة ٧٤٨ هـ . وعارضه أكثر من إمام ، ولكن الناس لم يستجيبوا إلا له (ت/٧٩٤ هـ) .
انظر : العمري ، مصادر التراث اليمني ، ١٧٦ ؛ الشوكاني ، البدر الطالع ٢/٣٣١ .

(٤) المنصور بالله عبدالله بن حمزة ، تقدمت ترجمته .

(٥) اسم الكتاب : الرياض المستطابة في معرفة من روي له في الصحيحين من الصحابة ، طبع بالهند سنة ١٣٣٠ هـ .

(٦) دعا لنفسه بالإمامة في صعدة سنة ٥٣٢ هـ وبايعه الناس ، وفي عصره قوي نفوذ دولة بني حاتم ولم يستطع السيطرة على الأمور في اليمن الأسفل (ت/٥٦٦ هـ) .
انظر : الحبشي ، مصادر تاريخ الفكر العربي ، ٥٣٤ ؛ الواسعي ، فرجة الهموم والحزن ، ١٧٩ .

(٧) اسم الكتاب : أصول الأحكام في الحلال والحرام ، مخطوط تحت رقم ٢٥٤٩٨ في دار الكتب المصرية ورقم ٢١٩٣ بمكتبة الأمبروزيانا ، ونسخ أخرى عديدة بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء .

(٨) رواه البخاري في فضائل الصحابة ، باب : مناقب قرابة رسول الله ﷺ ؛ وفي المغازي ، باب : حديث بني النضير ؛ وباب غزوة خيبر ؛ ومسلم في الجهاد ، وهو عند أبي داود والنسائي وأحمد في المسند .

ومن هذا يعلم عقلاً وشرعًا أن ما في الكتابين المنسوبين إلى المتوكل أحمد بن سليمان وهما : « الحكمة الدرية »[1] و « حقائق المعرفة »[2] ، مدسوس من « القرامطة » نسبوه إليه لينفق رفضهم ، وحاشاه من ذلك .

وفي كتاب « البيان »[3] وهو مدرس معتمد في فروع أهل البيت في كل مكان ، ما لفظه : « مسألة الإمام يحيى : ولا تصح الصلاة خلف من سب الصحابة - رضي الله عنهم - الذين تقدموا عليًّا رضي الله عنه » ، ولم ينقل خلافًا في ذلك ، مع التزامه نقل الخلاف بين أهل البيت ونقل خلاف / غيرهم إلا نادرًا مع أن « الشافعية » وغيرهم ممن يرى ابتداع [ص٩٩] من سب الصحابة ، وكل مبتدع لم تبلغ بدعته حد الكفر يجيزون الصلاة خلفه [٣٢/ب] خلافًا لأهل البيت كما ذكرنا .

وفي « البستان شرح البيان »[4] وهو من معتمداتهم ما حاصله : « قوله : لا تصح الصلاة خلف من يسب الصحابة ، قال الإمام يحيى[5] يعني في كتابه الذي يسمى « الانتصار »[6] ، » وهذا الكتاب وكتاب

(١) اسم الكتاب : الحكمة الدرية والدلالة النبوية ، مخطوط بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء تحت رقم ١٠٢ (علم الكلام) : ونسخة أخرى في مكتبة الأمبروزيانا برقم ٨٣ .

(٢) اسم الكتاب : حقائق المعرفة في معرفة النظر ووجوبه ، مخطوط بالجامع الكبير بصنعاء تحت رقم ١٣ (علم الكلام) ، ونسخ أخرى : المكتبة التيمورية برقم ٦٨٧ .

(٣) يوجد أكثر من كتاب بهذا الاسم ، ولعل المؤلف يقصد كتاب : البيان والثبات إلى كافة البنين والبنات ، للإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة ، مخطوط بمكتبة الجامع الكبير الغربية برقم ٧٣ تفسير .

(٤) اسم الكتاب : البستان الجامع الناطق بحجج مسائل البيان ، لمحمد بن أحمد بن مظفر ، مخطوط بالجامع الكبير بصنعاء تحت رقم ٣٦٩ فقه .
انظر : الحبشي ، مصادر الفكر العربي الإسلامي ، ٢٠٨ .

(٥) المؤيد بالله يحيى بن حمزة ، تقدمت ترجمته .

(٦) اسم الكتاب : الانتصار الجامع لمذاهب علماء الأمصار في تقرير المختار من مذاهب الأئمة وأقاويل علماء الأمة في المباحث الفقهية والمضطربات الشرعية ، توجد منه أجزاء مخطوطة بالجامع الكبير بصنعاء تحت عدة أرقام .
انظر : الحبشي ، مصادر الفكر العربي الإسلامي ، ٥٦٥ .

« البحر الزخار »[1] كتابان لم يؤلف مثلهما على مرور الأعصار » ، إلا أنهما لا تكمل الفائدة بهما إلاَّ بأحد تخريجي « البحر الزخار » ، ونظر العالم المنصف فيهما أعظم شاهد عند ذوي الاستبصار - قال الإمام يحيى بن حمزة : « لأن من يُفَسِّق الصحابة فهو فاسق تأويل ؛ لأنه اعتقد ذلك لشبهة طرأت[2] عليه ، وهو تقدمهم على علي رضي الله عنه ، فلم تصح الصلاة خلف من يسبهم : لأنه جرأة[3] على الله تعالى ، واعتداء عليهم ، مع القطع بتقديم إيمانهم واختصاصهم بالصحبة لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، ومن أكثر الأئمة ، ومن أكثر علماء الأمة » إلى أن قال : « وقد روى أئمة الآل لا يؤمكم ذو جرأة[3] في دينه ، وأيّ جرأة[3] أعظم من اعتقاد فسق من له السبق » انتهى .

وقال الإمام المهدي أحمد بن يحيى[4] مؤلف « البحر الزخار » [ص١٠٠] ومؤلفاته في علوم الاجتهاد في كل علم / هي المعتمدة عند علماء الآل في

= وقد أورد الأكوع اسم الكتاب هكذا : الانتصار على علماء الأمصار في تقرير المختار من مذاهب الأئمة وأقاويل علماء الأمة في الأسرار الشرعية والمسائل الفقهية في المضطربات الشرعية ، وتقع في ثمانية عشر مجلدًا وهو مأخوذ من كتاب الاستبصار للقاضي عبدالله بن زيد العشي .
انظر : هجر العلم ومعاقله في اليمن ٥٠٤/١ .

(١) اسم الكتاب : البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار ، من أشهر كتب الفقه عند الزيدية ، ومؤلفه المهدي لدين الله أحمد بن يحيى المرتضى ، طبع في خمسة أجزاء بمصر سنة ١٣٦٨ هـ .
انظر : الحبشي ، مصادر الفكر العربي الإسلامي ، ٥٨٦ ؛ الأكوع ، هجر العلم ومعاقله ٢٦١/١ .

(٢) الأصل : طرت .

(٣) الأصل : جراءة .

(٤) المهدي أحمد بن يحيى المرتضى ، دعا لنفسه في صنعاء بالإمامة عام ٧٩٣هـ في الوقت نفسه الذي خرج فيه المنصور علي بن صلاح الدين في صعدة ، ودخل الطرفان في نزاع انتهى بتولي المنصور للإمامة وانسحاب أحمد بن يحيى من المسرح السياسي ، وتفرغ للتأليف حيث ألف أكثر من ٦٠ مؤلفًا (ت/٨٤٠هـ) .
انظر : الحبشي ، مصادر الفكر العربي الإسلامي ، ٥٨٣ ؛ الشوكاني ، البدر الطالع ١٢٢/١ ؛ الواسعي ، فرجة الهموم والحزن ، ١٩٦ .

جميع الأعصار ، فقال في « شرح القلائد »[1] وتبعه العلامة النجري[2] في مختصر ذلك الشرح[3] عند قول الإمام : وحُكْم أبي بكر في « فدك »[4] صحيح قال ما حاصله : « إنها جاءت فاطمة - رضي الله عنها - إلى أبي بكر - رضي الله عنه - تطلب ميراثها من رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - فروى لها حديث : « إنا معشر الأنبياء لا نورث » . فقنعت » انتهى .

ولَمَّا أفضت الخلافة إلى علي - رضي الله عنه - لم ينقض ذلك الحكم[5] ، ولا مانع له من نقضه إلاَّ مجرد دعوى البعض مانعاً موهوماً . وقال الإمام المهدي أحمد بن يحيى في « شرح يواقيت السير »[6] : إن علياً - رضي الله عنه - دخل على أبي بكر حين مات فقال : رضي الله عنك . والله لقد كنت بالناس رؤوفًا رحيمًا »[7] ، مؤكدًا لشهادته بالقسم .

(١) اسم الكتاب : الدرر الفرائد في شرح كتاب القلائد في تصحيح العقائد، وهو شرح لكتابه: القلائد ، توجد نسخة مخطوطة منه بمكتبة المتحف البريطاني تحت رقم ٣٩٥٦ ، وعدة نسخ بالجامع الكبير بصنعاء منها برقم ١٩ ، ٢٢٤ ، ٢٣٦ (علم الكلام) .
انظر: الحبشي، مصادر الفكر العربي الإسلامي، ٥٨٨: العمري، مصادر التراث اليمني، ٢٠٨ .

(٢) علي بن محمد النجري ، عالم وفقيه محقق من تلاميذ الإمام أحمد بن يحيى المرتضى (ت/٨٤٠ هـ) .
انظر : العمري ، مصادر التراث اليمني ، ٢٣٢ : الشوكاني ، البدر الطالع ١٧١/٢ .

(٣) الكتاب الذي اختصره النجري هو : شرح الأزهار . وسمى كتابه : الأنوار وجلاء الأثمار المفتح لكمائم الأزهار .
انظر : الحبشي ، مصادر الفكر العربي الإسلامي ، ١٩٦ .

(٤) فَدَك : بلدة تقع إلى الشمال الشرقي من المدينة المنورة ، وتبعد عنها حوالي ١٥٠ كم .
انظر : كحالة ، جغرافية شبه جزيرة العرب ، ١٥٣ .

(٥) ليس هنا حكم ينقض ، ولكنه إخبار عن الرسول - ﷺ - والكلام عن نقضه يعني تجاهل الحديث الوارد عن النبي ﷺ ، وحاشا لأمير المؤمنين علي رضي الله عنه ، أو غيره من أئمة الهدى أن ينقض ما به الحديث صح عن النبي ﷺ .

(٦) اسم الكتاب : يواقيت السير شرح كتاب الجواهر والدرر من سيرة سيد البشر وأصحابه العشرة الغرر ، مخطوط بالجامع الكبير بصنعاء برقم ١ (تاريخ) ، ونسخة بمكتبة الأمبروزيانا برقم G ٢٥٩ ، وأخرى بالمتحف البريطاني برقم ٣٧٧١ .
انظر : العمري ، مصادر التراث اليمني ، ٢١١ ؛ الحبشي . مصادر الفكر العربي الإسلامي ، ٥٩٤ .

(٧) لم أجده بأي لفظ من هذه الألفاظ في معظم كتب الحديث .

ولذا قال صاحب[١] « البسامة الصغرى » :

وقف عن السبِّ أمَا كنت ذا حذر   فَرضٌ عنهم كما رضّى أبو حسن[٢]

الأبيات . ونكتفي بهذا القدر عن استيعاب ما صح عن الأئمة الأعلام ، لأن المقصود إنَّما هو الإشارة حيث استدعى ذلك ذكر هذا الرجل ، ليعلم أن أهل البيت براء من أفعال هؤلاء الذين يدّعون الانتساب إلى مذهبهم ، وفي هذا القدر كفاية لمن له من ربه بعض هداية .

ولنعد إلى ما كنا بصدده : وهو أن الشريف حمود ألقى إلى السيد [ص١٠١] العلامة حسن بن خالد في البلاد / العريشية وجهاتها الزمام ، قائمًا مقامه في ذلك المقام ، ولم يزل منفذًا فيها الأحكام ، ومقررًا أحوال المملكة في النقض والإبرام ، ولما كان الناس أكثرهم عوام ، وفيهم غفلة عن تعلم ما يجب من التكاليف الشرعيَّة ؛ نصب لهذا الشأن الشريف العلامة الحسن بن شبير بن مبارك بن محمد بن خيرات[٣] ، وجعل له رسائل مشتملة على معرفة التوحيد الذي هو حقيقة ما بعث الله - تعالى - به الرسل - صلوات الله عليهم وسلامه - من إفراد الله بالعبودية ، وترك الاعتقادات بالضر والنفع في سوى خالقهم ، ومعرفة معنى «لا إله إلا الله» التي هي كلمة الإسلام ، ومعرفة ما يتعين على كل مكلف معرفته من الصلاة والزكاة[٤] ، وبيان ما يجوز وما لا يجوز في العبادات ، فقام المذكور

(١) مؤلف البسامة الصغرى هو : صارم الدين إبراهيم بن محمد الوزير ، واسم هذه القصيدة الكامل : الجواهر المضيئة في سير الأئمة الأخيار ، وتتكون من ٢٤٠ بيتًا من الشعر .
انظر : صبحي ، الزيدية ، ٦٠٢ ؛ سيد ، مصادر تاريخ اليمن ، ١٩٢ .
(٢) البيت من البسيط .
(٣) من فقهاء المخلاف السليماني ، أسندت إليه وظيفة « المحتسب » كما ذكر المؤلف (ت/١٢٤٢هـ) .
انظر : عاكش ، عقود الدرر ، الترجمة رقم (٧٠) ؛ زبارة ، نيل الوطر ٣٢٧/١ .
(٤) الأصل : الصلوة والزكوة .

بهذا الأمر المهم ، وكان في صحبته جماعة من أهل المعرفة يعلّمون الجاهل ، ويرشدون السائل ، ويوقظون الغافل ، فمشى الشريف الحسن على جميع ممالك الشريف ونشر فيها لواء[١] الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وعمرت في القرى المساجد ، وحافظ الناس على الجمعة والجماعات / في كل مكان من هذه الجهات ، وأنس الناس بمعرفة معالم [ص١٠٢] الدين ، وظهرت من شعائر الإسلام العلامات ، وأقيمت الحدود ، وأزيلت الأعراف المخالفة للشريعة المحمدية ، وكان التذكير لعامة الناس في كل أسبوع ، والتعليم [٣٣/ب] في كل مسجد ، وناهيك أن تلك الأيام في جبهة الدهر غرر وحجول ، وصار بها ربع الإسلام مأهولاً أيَّ مأهول ، وقد استفادوا بها - إن شاء[٢] الله تعالى - الأجر ، والأحدوثة الحسنة على ممر الدهر :

فكن حديثًا حسنًا لمن روى   وإنَّما المرء حديث سائر[٣]

وفي سنة اثنتين وثلاثين بعد المائتين والألف ((فيها بلغ الشريف أن محمد بن أحمد العسيري في حركة ، فجمع الجموع ، ومشى إلى وادي « بيش » ، وأقام مقدار شهرين ، والعسيري لما بلغه حركة الشريف استعمل السكون ، وأخلف الظنون ، فرجع الشريف إلى « أبي عريش » ، ومن أثناء الطريق غزا البدو من « آل عبس »[٤] وأخذ من أموالهم ما لا يحصى

(١) الأصل : لوأ ، والصواب من ع .
(٢) الأصل : انشا .
(٣) البيت من الرجز ، وهو لابن دريد في مقصورته ، انظر : ديوانه ، ١٣٢ حيث ورد هكذا :
وإنَّما المرء حديث بعده   فكن حديثًا حسنًا لمن وعى
(٤) قبيلة عبس من قبائل المخلاف السليماني القوية ، تمتد بلادها من قرية الشقيري جنوبًا إلى شمال قرية الحقو ، ويحدهم جنوبًا سفيان ، وغربًا قبائل ضمد والحسيني وبيش ، وشرقًا بني الغازي وهروب ، وقاعدة بلادهم ضمد .
انظر : العقيلي ، الأدب الشعبي في الجنوب ٥٥/٢ ؛ الجاسر ، معجم قبائل المملكة العربيَّة السعودية ٤٤٥/٢ .

عدده ، « وتفرقوا أيدي سبأ »[1] وأمعنوا في الجبال هربًا ، وبعد ذلك رجع الشريف إلى المدينة العريشية يخفق على رأسه لواء النصر ، متوجًا بالسعادة في النهي والأمر[2] ، وأقام فيها مقدار نصف شهر ، ومشى على الجبال . وكان أول خروجه على بلاد « الحرث » لتصليح تلك النواحي ، ولم يزل يرمم الأمور ، ويدبرها على حسب ما / ساعده المقدور نحو أربعة [ص١٠٣] أشهر ، وانتهى نزوله منها إلى جبل « مختارة » من بلاد « الشرف » ، والسيد حسن بن خالد أقام في تصليح « قلعة الحسينية »[3] لأجل صلاح « آل عبس » ، وبعد دخولهم في الطاعة ، وانتظامهم في سلك الجماعة ، لحق بالشريف حمود وهو مستقر « بجبل الخميسين »[4] ، وأقام معه حتى نزل الشريف حمود إلى « مختارة » كما ذكرنا ، بعد حروب في تلك الجبال ، يشيب منها القذال ، واستولى[5] الشريف على جبل « كُحلان »[6] وقلعته ، ودخلت أولئك الرعايا تحت وطأته .

وبعد وصول الشريف حمود وصحبته السيد الحسن إلى « جبل مختارة » كان في ذلك الوقت طلوع حسن باشا بالأتراك إلى بلاد عسير ، واستولى عليها ، وبعد انفصاله عنها وقع الخلاف (وكان إذ ذاك رئيسهم

---

(١) ويروى أيادي سبأ ، وأصله أن سبأ بن يشجب لما أنذروا بسيل العرم خرجوا من اليمن متفرقين في البلاد ، فقيل لكل جماعة : تفرقوا . والمراد بالأيدي : الأنفس . انظر : الزمخشري ، المستقصى ٢/٨٨ .

(٢) كيف يتأتى أن يمتدح الشريف حمود بهذا الفعل ، حيث غزا في طريق عودته أناسًا مسالمين ، آمنين ففرقهم بعد اجتماع ، وسلبهم بعد استقرار ، وأخذ مالهم المحترم ، ثم يرجع - كما يقول المؤلف - وعلى رأسه لواء النصر ؟ وليس العجيب ما فعله الشريف حمود، لكن العجيب سياق المؤلف لهذه الأفعال سياق المعجب بها ، المرتاح لمجرياتها .

(٣) الحسينية : قرية من قرى قبائل الحسيني ، شرق جبل عكوة الشمالية جنوب طريق صبيا - هروب .
انظر : العقيلي ، المعجم الجغرافي ، ١٤٨ .

(٤) مثنى خميس ، قرية يمنية من ناحية حيران ، وحيران واد مشهور تبدأ مصباته من أسافل حجور في بلاد حجة ، وينتهي في البحر الأحمر بالقرب مِن ميدي .
انظر : الأكوع ، هجر العلم ومعاقله ٣/١٦١٦ ؛ المقحفي ، معجم المدن والقبائل ، ١٣٤ .

(٥) الأصل : استولا .

(٦) كحلان اسم يطلق على أكثر من موقع في اليمن ، وهناك كحلان تاج الدين : بلدة جبلية إلى الشمال الشرقي من « حجة » بمسافة ١٧ كم ، وتسمى أيضاً كحلان عفار . وهناك أيضًا كحلان الشريف : حصن في بلاد حجور إلى الشمال من « حجة » بمسافة ٣٧ كم .
انظر : المقحفي ، معجم المدن والقبائل ، ٣٤٤ ؛ الهمداني . صفة جزيرة العرب ، ٢٠١ .

محمد بن أحمد الرفيدي ، فوقعت المفاوضة بينه وبين علي بن مجثل[1] رأس « بني مغيد »[2] أنهم يستنجدون الشريف ؛ لأن كلاً من الرجلين صار في بيته ، ومعه جماعة من عشيرته وباقي عسير قائمون عليهم بالحرب صباحًا ومساء ، وأصحبوا الرسل إلى الشريف هدية : دروع وحصان ، فلهذا جهز الشريف السيد الحسن بن خالد إلى تلك الجهات ، فنفذ من عنده)[3]) ، وجمع السيد العلامة حسن بن خالد المقاتلة من القبائل ، ومن بهذه[4] الجهة من أهل الخيل وأمَّ بهم ((تلقاء ذلك المقصود. وكان قد قدم قبله / القاضي حسن بن عطيف[5] في ثلة من الجند ، [ص١٠٤] فاستقر في بلاد « رجال ألمع » من اليمن))[6] ففاجأه الخبر بأن الشريف علي بن حيدر ، والشريف منصور بن ناصر ، والأمير جمعة[7] متوجهون

---

(١) علي بن مجثل بن مسفر بن عبدالرحمن . اختير بالإجماع أميراً لعسير بعد وفاة سعيد بن مسلط عام ١٢٤٢هـ ، يعد من أبرز أمراء عسير حيث تمكن من مد نفوذه في اليمن إلى ميناء المخا اليمني وجزيرة دهلك ، خفت في عهده حملات الأتراك على عسير (ت/١٢٤٩هـ) .
انظر : الحفظي ، تاريخ عسير ، ٨٧ ؛ ابن مسفر ، أخبار عسير ٨٩ - ٩٤ .

(٢) بنو مغيد : أشهر وأكبر قبائل عسير وحاضرتها مدينة أبها ، وتنتشر معظم قرى هذه القبيلة على وادي أبها وروافده . يحدها من الشرق شهران ، ومن الشمال علكم وبنو مالك ، ومن الغرب رجال ألمع ، ومن الجنوب قحطان وشهران وبنو شعبة . وتضم عددًا من البطون والأفخاذ .
انظر : النعمي ، تاريخ عسير ، ٣٤ ؛ شاكر ، عسير ، ٥٦ ؛ العمروي ، قبائل إقليم عسير ١/١٧٩ .

(٣) ناقصة في هامش الأصل والزيادة من ص و ع .

(٤) الأصل : هذه .

(٥) من الشخصيات التي جمعت بين العلم والقدرة العسكرية ، يصفه عاكش أنه من أعوان الدولة الحمودية ، وكان يقدمه مخدومه في الأمور المهمات ، ويعتمد عليه فيما نابه في أغلب الحالات ، قتل عام ١٢٣٣هـ أثناء قيامه بحملة عسكرية ضد قبائل الخميسين .
انظر : عاكش ، عقود الدرر ، الترجمة رقم (٧٤) .

(٦) يقصد المؤلف في الجهات الجنوبية من منطقة رجال ألمع ، وسبق أن أشرنا إلى استخدام كلمة الشام واليمن .

(٧) حاكم القنفذة من طرف محمد علي باشا .
انظر : عبدالرحيم ، محمد علي وشبه الجزيرة ٢/٢١٠ .

إليه في جيش جرار ، وبحر من الرجال زخار (وكانوا في أطراف بلاد « رجال ألمع » من الشام)[1] ، وكان السيد حسن) بموضع يسمى « الحمَّاة » - بمهملة وميم مشددة بعدها ألف وهاء تأنيث - وهو بين « الدرب » وجبال « رجال ألمع » ، فالتقى الجيشان في ذلك المكان (في شهر القعدة) واشتد بينهما الجلاد ، واستقام الضرب بينهما على ساق ، ونهلت المثقفة السمر من الدم المهراق ، وكانت الدائرة على جند أهل الشام ، وخفقت من النصر للجند اليمني أعلام ، وذهب من الفريقين من وفد أجله ، وانقطع من الدنيا أمله ، وحمل السيد حسن رؤوس القتلى إلى « أبي عريش » .

وفي حمل الرؤوس من مكان إلى مكان بعيد خلاف شائع بين أهل العلم ، فبعضهم قرره ، وبعضهم أنكره ، والمجيز يجعله من باب الإرهاب ، وهو مقصد قد روعي في الشرع على سبيل الجملة من غير أن يشهد له أصل معين في الشرع ، ومثل هذا طريق المصالح المرسلة التي قلنا : إن هذا الرجل يلاحظها في بعض اجتهاداته ، وهو غير مدفوع عن رتبة الاجتهاد[2] ، وقد صرحت الأحاديث الصحيحة بأن « من اجتهد فأصاب فله أجران ، ومن اجتهد / فأخطأ فله أجر »[3]، فردّده بين أجر وأجرين ، [ص١٠٥] وهذا مني من باب التأويل[4]، وإلا فالأمور بمقاصدها ، ولكل عامل عمل

---

(١) غير واضحة في هامش الأصل وأثبتناها من ص .

(٢) ذكر الفقهاء للاجتهاد سبع مراتب ، منها أربع يعدون أصحابها مجتهدين ؛ والثلاث الباقية يعد أصحابها مقلدين وإن كان لهم فرع اجتهاد ، والمؤلف هنا أطلق وصف الاجتهاد دون تحديد على الحسن بن خالد ، ولا أعتقد أن الحسن بن خالد قد وصل إلى رتبة المجتهد المطلق .
ولمزيد من المعلومات عن الاجتهاد وشروطه ومراتبه انظر : أبو زهرة ، تاريخ المذاهب الإسلاميّة ٢/١٠٠ - ١٢٨ .

(٣) أخرجه البخاري في الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب : أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ ؛ ومسلم في الأقضية (١٧١٦) ٣/١٣٤٢ .

(٤) أما حمل رؤوس القتلى فليس من شرع الله تعالى في شيء ، ولم يفعل ذلك الرسول ﷺ بالكفار فكيف بالمسلمين ؟! وتعليل ذلك بالإرهاب وبالمصالح المرسلة قول بلا بينة ، وحمله على الاجتهاد المشروع حمل للفعل على غير محمله ، وإلاّ فليدع كل فاعل فعلاً مشينًا أنه مجتهد ويكون باب الاجتهاد لكل عقل مهما قبح شرعًا ، وحاشا أن يكون الاجتهاد مطية يركبها من لا يحسن سياستها .

نيته ، وقد صح : « إنَّما الأعمال بالنِّيَّات »[1] والتأويل بحسب ما يظهر [٣٤/أ] لكل مسلم واجب ، فضلاً عن العلماء المجتهدين[2] .

وقد أنكر عليه بعض العلماء ذلك مسندًا بأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِه وَسَلَّمَ والخلفاء الراشدين - رضي الله عنهم - لم ينقل عنهم أنهم حملوا الرؤوس من مكان إلى مكان ، وأن أول من حمل الرؤوس معاوية بن أبي سفيان[3] ، ولعل ملحظ السيد العلامة حسن بن خالد - رحمه الله تعالى - ما ذكرناه ، والله - سبحانه - هو المتولي لعلم بواطن الأنام ، وعنده يجتمع الخلق يوم القيامة .

نعم : وبعد انقضاء هذه الملحمة طمع السيد العلامة الحسن في استملاك بلاد السراة[4] ، وإدخالها في مملكة الشريف حمود ، فاتصل به رؤساء من أهل تلك الجهات ، وفاوضهم فيما يريده . فرغّبوه في الوصول إليها ، فأرسل بين يديه القاضي حسن بن عطيف الحكمي ، ولما تغلغل في تلك البلاد ، وتوسط في الأنجاد ، لم يبذلوا له النصح كما يراد ، ولم يتمكن من الرجوع إلى من أرسله ، فلم يزل السيد حسن بن خالد يبذل الرغبات لكبار عسير ، ويتوصل إليهم بالدراهم التي يتسهل بها بين بني الدنيا كل أمر[5] عسير / فلحق إلى تلك الأماكن ، واستقر بين أهلها بعد [ص١٠٦] المواطأة بينه وبين أميرهم محمد بن أحمد ، واجتمع في الظاهر أمرهم على ذلك المقصد ، ولكن لما كانت قلوبهم تتوقد ممَّا قد سلف من تلك الوقائع ، وينظرون من ذهب من إخوانهم في هاتيك المصارع ، ولله القائل :

لاتأمنَنَّ امرأً أسكنت مهجته غَيْظًا[6] وتحسب أن الجرحَ يندملُ[7]

---

(١) أخرجه البخاري في بدء الوحي (١) وفي الإيمان (٥٤) ؛ ومسلم في الإمارة .

(٢) من الواضح التماس المؤلف المعاذير حتى للأفعال التي يظهر فيها المنكر من الفعل ، في حين أنه يتحامل ويتجاهل هذا المبدأ حينما يكون الفعل المشابه لما يعده اجتهادًا وإعمالاً للمصلحة إذا كان مصدره ممن لا يميل إليه المؤلف معتقدًا أو مكانًا .

(٣) الأصل : سفين ، والتعديل من ص و ع ، وما ذكره المؤلف عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه يحتاج إلى دليل ، وهو ممن لهم فضل الصحبة ، والخوض فيما وقع مما تجنب أهل السنة الخوض فيه وتعبدوا الله بالإمساك عما حدث بين الصحابة وعدم الخوض فيه مع حفظ حق كل منهم حسب مكانته .

(٤) يقصد المؤلف بلاد عسير .

(٥) الأصل : أمير ، والصواب من ع .

(٦) الأصل : غيضًا .

(٧) البيت من البسيط .

فأبدوا له ظواهر من الولاء صحيحة ، وفي البواطن قلوبهم جريحة ، « ورموه بثالثة الأثافي »(١) ، ولم يقع له منهم حبيب مصاف(٢) . ولزموا عليه أطراف السراة حتى لم يتمكن من الخروج ، وسدّوها برجال وقالوا ما لطرقها من خروج(٣) ، فلم يزل يبعث الرسائل إلى الشريف حمود ، ويستنجده لإنقاذه من لهوات هؤلاء الأسود ، والشريف مهتم بهذا الشأن ، مع أنه يرى أن تلك الجهات أهلها غير ناصحين ، وليس [٣٤/ب] في تلك البلاد مصلحة عائدة على المملكة .

ولم يزل يطلب العساكر ، ويبذل لهذا الأمر الذخائر ؛ لأن مع وقوع السيد الحسن في هذا الحادث ، لم يسعه غير تجلية هذا الخطب الكارث ، والوفاء بالذمام ، طريقة أهل الإسلام ، لا سيما وهو إنَّما يسعى في ما به يقع اتساع المملكة له ، فجمع جيوشًا يعسر لها التعداد ، وهم من المعدودين للجلاد ، وفيهم الأبطال الكماة ، والشجعان الكفاة ، والشريف [ص١٠٧] ليث تلك العصابة / ومقدمها الذي لا يتم نصابها إلا به ، فخرج في أبهة تملأ النواظر ، يحف به من أهل الخيل كل هزبر كاشر .

وشزّبٌ أحمَتِ الشِّعرى شَكائمها   وسمتها على آنافها الحَكَمُ(٤)

فلما وصل « الدرب » انحزل « يام »(٥) لما علموا أن مقصده إنَّما هو

---

(١) رموه بثالثة الأثافي ، والأثافي هي الحجارة التي تنصب عليها القدر ، والمراد بثالثتها قطعة الجبل التي يضم إليها الحجران الآخران ، وهي مثل لأكبر الشر وأفظعه .
انظر : الزمخشري ، المستقصي في أمثال العرب ١٠٢/٢ .

(٢) الأصل : مصافي .

(٣) لمزيد من المعلومات انظر : ابن مسفر ، أخبار عسير ، ٧٦ .

(٤) البيت من البسيط ، وهو لأبي الطيب المتنبي ، انظر : الديوان ، ١٩/٤ .

(٥) قبيلة مشهورة تقطن في منطقة نجران ، ذكرها الهمداني ، وهي تنقسم إلى ثلاثة بطون ، بطن آل فاطمة وبطن آل أم واجد ، وبطن أدشم (أجشم) ، وهي تنتشر على ضفاف وادي نجران وحبونا ، ومركزهم بلدة بدر .
انظر : حمزة ، في بلاد عسير ، ١٦٧ ؛ الحجري ، مجموع بلدان اليمن ٧٧٤/٢ ؛ الجاسر ، معجم قبائل المملكة ٧٩٥/٢ ؛ النعمي ، عسير في مذكرات سليمان الكمال ، ٢٥١ .

السراة ، مع علمهم أن السلامة لسالك تلك الأماكن غير مظنونة ، ولم يبق معه غير عقّالهم ، وثلة من صناديدهم ، رأوا أن الرجوع عن الشريف عار ، وأن طريقة الوفاء أن يسعد فيما يريده في الإيراد والإصدار ، مع أنهم غير راضين لذلك الصنيع ، ويرون أنه مخالف للصواب ، وكل منهم يود دفعه لو يستطيع ، ولكن صمم الشريف على ذلك المرام ، ورأى أن استخلاص السيد حسن بن خالد بغير ذلك لا يتم ، وأنه من الوفاء بالذمام ، فلما وصل إلى السراة وَهَتْ من أهلها قوى الشقاق ، ورأوا أن مقابلة الشريف بالشر لا تطاق .

وفي سنة ثلاث وثلاثين بعد المائتين والألف وصله قبائل السراة ، وأظهروا الانتظام في سلك طاعته مع أن قلوبهم مريضة . ويعتقدون أن مباينته مع القدرة على ذلك فريضة(١) ، ومِمَّا قاله في هذه المدة الأديب بندر بن شبيب هذه القصيدة مادحًا بها الشريف حمود(٢) :

تردت جديلاً حالكَ اللون مرسلا   وقامت فهزت سَمْهريّاً معدلا

/ تبــدتْ فلما آنستنا تقنّعت   وسلّت من الأجفان سهمًا منبلا [ص١٠٨]

(٣) فما حجبت أحداقها تبتغي التقى   ولكن تقي سهما لترصد مقتلا

من اللاء لَمْ يُرخِنَ خُمورًا حجبنه(٤)   خداعًا ويرخين الخمار المهلّلا

ليتركن ذا المجد الممنع في العلا   رقيقًا ويخلفن العليم المبجّلا

تنورت ليلاً في نهار بجفنها   ونارًا على الخدين توري وجدولا

حواجبها حجّابها وعيونها   عيونٌ تقي ورد الخدود المعثكلا

وشعشع من خلف البراقع كوكب   بدا في جلابيب الجديل مسربلا

---

(١) لمزيد من المعلومات انظر : النعمي ، تاريخ عسير ، ١٦٠ ؛ ابن مسفر ، أخبار عسير ، ٧٧ .

(٢) القصيدة من الطويل .

(٣) انظر : نهاية القوس في ص (١٧٠) .

(٤) يستقيم الوزن لو قيل : من اللاء لم يُرْخِين خمرًا حجبنه .

تمزق أثواب الدجى عن جبينه ... سناه وهل تُخفي الغياهب مشعلا

وتبسم عن درٍّ نضيد تشربت ... ثناياه من ريق الكواعب أعسلا

فما اسطعتُ عن ترشيفه من تصبر ... فما صبر صاد أن تنور منهلا

فحالت من الأصداغ بيني وبينه ... عقاربُ تَحْمِي ثغره أن يقبلا

فلاحظتها حتى تنشب بي الهوى ... وأرخت على الخدين دمعًا مسلسلا

فما زالت الألحاظ تَحمل بيننا ... رسائل يسلبن الفؤاد المغفّلا

رعى الله أيامًا تقضت وأربعًا ... عهدت بها من «ريم وجرة» مسجلا

لطيف الحشا نهد الروادف أجيدا ... نسيب[1] اللّما ريِّ المخلخل أكحلا

إذا نضَّ عنه الدرع في حرز لهوة ... تسربل مظفورًا وبعضًا محللا

وإن كان في الأدنان خمرًا محرمًا ... ففي فيه من خَمر الجنان محللا

وكم ليلة بتنا ثِمَالاً من الهوى ... وخمر اللّمى ما بيننا مترسلا

[ص١٠٩] /فقمنا ولا نَخشى على السر واشيًا ... ولكن وشانا الدمع حين تهللا

إذا رمت عنها فرقة سُلَّ صارم ... من الشوق لا يعدو لدى الضرب مفصلا

وإن خطرت أيام لهوٍ بعهدها[2] ... غَدا كلما أبرمت أمرًا تفللا

وليس لمَخلوق يسهل ما يشا ... بلى إن يشاءُ الله[3] أمرًا تسهلا

فعذراً أخا المعروف من موقف القضا ... فلو كان مطلوقًا لهبَّ وأعجلا

ولو عُرِضت زرقُ الأسنةِ دونه ... لما رام عن وَطْءِ الأسنة معدلا

ولَمْ يثنه عن حزنه لوم لائمٍ ... ولو ذات طفل تسكب الدمع محولا

أغر من الفتيان من آل عامر ... كأن محياه الصديع المعللا

---

(١) في ص : سبب ، وقمت بتصحيحها ليستقيم المعنى .

(٢) في ص بعدها ، والتعديل من ع .

(٢) لو قال الشاعر : بلى لو يشاء الله ، لكان أصوب .

إذا ما بكى رنت فكان بكاهما ... تظل له صم الجنادل تهملا

ولكنه يضحي ويُمسي مولعًا ... تحمل من ثقل الهوى ما تحملا

يحن إلى رؤيا ابن خيرات كلما ... تسمع شاكٍ أو تسمع معولاً

حمودٌ دعا للحق يصدع بالهدى ... فلباه واجتث الهويَّ المضللا

فتى خُلقت من تربة الجود ذاته ... عليه وأمَّا ما لديه فمسبلا

يُحلُّ بأيام النزال صواعقًا ... وفي السلم يندي الوابل المتحفلا

بنى معقل الإيمان من محكم الهدى ... ومجدًا على الخَطّيِّ رفيعًا مؤثلا

/ يرى الموت بأطراف القنا خير مطعم ... وأعذب مشروب فَعَلَّ وأنهلا [ص١١٠]

أكرّ وأجرى من أسودٍ جريئةٍ[1] ... وأعطى وأوفى من أبرَّ وأنفلا

حريص على أن لا يرى الناس سبة ... عليه وأمَّا ما لديه فمسبلا

وينقاد للحق انقياد ابن ماجد ... ويقتاد للهيجا جيادًا وجحفلا

وقائلة مات الندى بعد أحْمَد[2] ... وحيدر[3] والسبطين[4] قال الندى بلى

ولكن أحياني حُمود بجُوده ... حياة تبلغني المعاد المؤجلا

وألبسني أثواب فخرٍ بسيبه ... مدى الدهر لا تبلى ولا تتبدلا

فقالت أحرٌّ أنت أم تَحت رِقِه ... وهل حادث في الرق أم كنت أولا

فقلت بلى رِقٌّ وآدم في الثرى ... لأشباحهم من يوم قال الملا : بلى

وهل ترك المعروف منهم على الورى ... محررَ إلا صار عبدًا مذللا

ألستم بني الزهراء[5] أندى وأعلما ... وأفضل من لله لبَّى وهللا[6]

---

(١) ص : جرية .

(٢) يقصد الرسول محمدًا ﷺ .

(٣) يقصد علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

(٤) يقصد الحسن والحسين ابني علي رضي الله عنهم .

(٥) يقصد فاطمة الزهراء رضي الله عنها .

(٦) أما أنهم أفضل من لله لبى وهللا فهذا غير صحيح فإن الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أفضل ، والمفاضلة إنما تكون بالتقوى والعمل الصالح عربيًا كان أو أعجميًا ، ومغالاة الشاعر في ذكر أحقية علي رضي الله عنه بالخلافة على من تقدمه وكمال آل البيت على من سواهم وحصر التبليغ بهم دون سواهم معتقد خاطئ ، ولا مجال هنا لمناقشته .

وأولى بأمـــر الله من كل آمــر … وأصوب خلق الله حكمًا وأعدلا

ولو سُئل التنزيل عنكم وعنهم … لقـال : أولو الأرحام أوْلى وأكملا

ولو حكّموا نصّ «الغدير»[1] وحققوا … به لـن تضلوا لَمْ يروا عنه مـوئلا

وفي حجّة التأذين بلّغتم الهدى … بنص من الباري وأحمد فصّلا

بحصر فلا عني يبلّغ في الورى … سوى رجـل مني وغيرهمُ فلا

[ص١١١] /فصبرًا على الدنيا فما مثلنا بها … ومـثلهم إلا كظل تنقـــــلا

فمن يغتـــرر فيما لديه فإنها … كرقـــراق آلٍ يستغرّ المغفلا

وأفخرُ أيامِ الفتى يومُ نائل … ويوم لدى الباري أغرّ محجلا

ويـوم بـــــه لله ناهٍ وآمـر … يحقق معروفًا وينكر مدخلا[2]

انتهت . وهي جيدة غزلها ومدحها ، ويُمكن المؤاخذة في بعضها ، مع أنه في تأخر عصره ويتسور على هذه البدائع من أقوى دليل على أنه أحوذي المعارضة ، رقيق الحاشية ، جيد القريحة . وقد أرشد أبو محمد ابن الخازن[3] إلى معنى ما نقول وصدق فيما قال :

لا يُحْسنُ الشّعرَ من لَمْ يَسْتَرق له … حرَّ الكلام ويستخْدم لَهُ الفِكرُ

انظر تجد صور الأشجار واحدةً … وإنَّما لِمَعَانٍ تُعْشَـــقُ الصورُ

---

(١) إشارة إلى حديث الغدير الذي يعتمد عليه الشيعة في أحقية علي - رضي الله عنه - بالخلافة بعد رسول الله ﷺ ، وقد ورد بعدة ألفاظ ، انظر : الألباني ، صحيح الجامع الصغير ٢٨٦/١ برقم (١٣٥١) ؛ و ٤٨٢/١ برقم (٢٤٥٧ و ٢٤٥٨) .

(٢) في الأبيات العشرة الأخيرة يتضح لنا تشيع الشاعر ، ومن خلال هذه الأبيات يردد أقوال الشيعة في أحقية علي رضي الله عنه بالخلافة متكئًا على حديث الغدير وغيره ممَّا يستند عليه الشيعة الرافضة . وانظر إلى غلوّه في قوله :

فصبرًا على الدنيا فما مثلنا بها … ومثلهـــــم إلا كظـل تنقـــلا

(٣) عبدالله بن محمد بن أحمد بن الخازن ، شاعر عباسي . انظر : الثعالبي ، يتيمة الدهر ١٤٨/٣ .

والمعدمون من الإبداع قد كثروا … وهم قليلون إنْ عُدُّوا وإن حُصِروا

قوم لَوَ انَّهمْ ارتاضوا لما قرضوا … أو أنهم شعروا بالنقص ما شعروا[1]

وهذا في زمانه ؛ كيف بهذه الأزمنة المتأخرة ، ولكن كم ترك الأول للآخر ، والمواهب قِسَم ، وفضل الله - تعالى - ما انحصر على أهل زمان ، ولا على أهل مكان ، وفي المتأخرين من لهم الانسجام عادة / ولهم في [ص١١٢] البدائع إجادة ، هذا أبو محمد الخازن على جلالة قدره في الأدب يقول في قصيدته السائرة التي طالعها :

هذا فؤادك نهبًا بين أهـــواءِ … وذاك رأيك شورى بين آراءِ[2]

إلى أن قال في ممدوحه الصاحب بن عباد[3] :

وقد تَجنَّبَ (لا) يوم العطاء كما … تجنّب ابن عطاءٍ لفظةَ الراءِ[4]

وهذه لطيفـــة ، لأنه يشيـــر إلى واصل بن عطاء[5] إمـام أهل الاعتزال ، وكان رأســًا في البلاغة ، وكان ألثغ لا ينطق بالراء بل يقلبها عينًا مهملة ، وكان يخـطب الخـطب الطـوال ولا يأتي فيهـــا بلفظ الراء لســعة دائرته في علم البــلاغة ، فانظر لهذه اللطيفة ما أحسنها ، لكـن جـاء في المتـأخـرين وهو المحـقق البـليـغ إسـحـاق بن محـمـد

---

(١) الأبيات من البسيط .

(٢) البيت من البسيط .

(٣) إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن عباد اللخمي ، أول من استقل بأشبيلية ، لقب بذي الوزارتين ، قال عنه ابن عذارى : كان آية من آيات الله علمًا ومعرفة وأدبًا وحكمة . انظر : الزركلي ، الأعلام ٣٢٢/١ .

(٤) البيت من البسيط .

(٥) واصل بن عطاء الغـزال ، رأس المعتـزلة ومن أئمـة البلغاء والمتكلمين ، سـمي أصحـابه بالمعتـزلة لاعتـزاله حلقـة درس الحسن البـصري ، وهو الذي نشـر مذهب الاعتـزال في الآفاق (ت/١٣١هـ) .
انظر : الأعلام ، الزركلي ١٢١/٩ ؛ ابن خلكان ، وفيـات الأعيان ٦٠/٥ ؛ الكتبي ، فوات الوفيات ٦٢٤/٢ .

العبدي(١) الصعدي فزاد على هذه اللطيفة حيث قال :

غمّضي لسهدي صار فيك واصلاً ... كأنه الألثغ والعيْن كرا
فكلما رامَ كراي زورةً ... لمقلتي قلت له أطرق كرا(٢)

فقد جعل الغمض واصلاً للسهد ، وبذلك ينتفي الغمض عن العين حتى كأنها راء ، وهو واصل بن عطاء فبين العين والغمض ما بين واصل والراء ، فأراد بالألثغ واصلاً)(٣) [٣٥/أ] ، وقد ذكر الغمض بأنه واصل [ص١١٣] للسهد من المواصلة / لا سيما وقد ذكر صاحب « الخصائص »(٤) أن لثغة واصل كانت بقلب الراء عينًا مهملة ، فوافق قوله هنا « والعين كرا » ، وأمَّا البيت الثاني فلا يخفى ما فيه ، وهذه اللطيفة كما أنها أحسن من لطيفة أبي محمد الخازن أحسن من لطيفة البوصيري(٥) - رحمه الله تعالى - حيث قال في الهمزية :

أيّ حب يصح فيك وطرفي ... واصلٌ للكرا وطيفك راء(٦)

وقوله : « تحن إلى رؤيا ابن خيرات » فيه استعمال لفظ رؤيا على ما يرى بالعين يقظة ، وهو جائز ، قال في « فتح الباري » في الكلام على

(١) قاضي أبو عريش للإمام المهدي صاحب المواهب (ت/١١١٥هـ) .
انظر : الشوكاني ، البدر الطالع ١/١٣٣ ؛ زبارة ، نشر العرف ١/٣١٨ .
(٢) الأبيات من الرجز .
(٣) من بداية القوس في صفحة (١٦٥) إلى هنا مفقود في الأصل ، وأثبتنا النقص من ص مقارنة بـ ع .
(٤) مؤلف كتاب « الخصائص » في اللغة هو عثمان بن جني الموصلي ، من أئمة الأدب والنحو (ت/٣٩٢هـ) .
انظر : الزركلي ، الأعلام ٤/٣٦٤ .
(٥) محمد بن سعيد الصنهاجي ، شاعر وأديب مشهور ، عاش ومات بمصر واشتهر بقصيدته « البردة » (ت/٦٩٥ هـ) .
انظر : الكتبي ، فوات الوفيات ٢/٤١٢ ؛ زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربيَّة ٣/١٣٠ .
(٦) البيت من الخفيف .

تفسير آية ﴿ وما جعلنا الرُّؤيا التي أريناك ﴾(١) الآية : « حيث قال البخاري : قال ابن عباس : هي رؤيا عين أُريها رسول الله صَلَّى الله عَلَيه وآله وسَلَّم ليلة أسري به ، قال في الفتح ما لفظه : واستدل به على إطلاق لفظ الرؤيا على ما يرى بالعين في اليقظة ، وقد أنكره الحريري تبعًا لغيره وقالوا إنَّما يقال : رؤيا في المنامية ، وأمَّا التي في اليقظة فيقال : رؤية . وممن استعمل الرؤيا على التي في اليقظة المتنبي في قوله : « ورؤياك أحلى في العيون من الغمض » ، وهذا التفسير يرد على من خطأه »(٢) انتهى .

نعم : ولم يشعر الشريف حمود إلا وقد بلغه توجه سنان أغا(٣) إليه ، وفي معسكره جند كثيف من الأتراك ، وصحبتهم الشريف علي بن حيدر ، والشريف منصور بن ناصر ، ولكن / الشريف علي بن حيدر تأخر [ص١١٤] عنهم لعارض ، ولم يقدر له المسير معهم ، فزحف أولئك الجيش الجرار ، إلى أن طلعوا قنن(٤) السراة حاملين كل صارم بتار ، فأيقن الشريف أن لا مقصد لهم سواه ، فعبأ جنوده ، وعقد لأبطال عسكره بنوده ، وكان ذلك اليوم قد علق به المرض ، فالتقى الجندان في تلك الشعاب ، وصدق بينها الطعن والضراب ، وتنفست البنادق بالرصاص ، وتبين ذلك اليوم ما فيها من خواص ، وهزت أبطال الكماة [٣٥/ب] لعوالي المران ، وتعاطى بأطراف اللهذميات الفريقان ، فما كان إلا ساعة من نهار ، حتى ولّى الجند التركي الأدبار ، وركعت منهم رؤوس بوقع السيوف ، وتحسوا بعد

(١) سورة الإسراء ، الآية ٦٠ .
(٢) انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري ٨/٣٩٨ .
(٣) سنان أغا : أحد قواد محمد علي ، لم أعثر له على ترجمة كافية ، قتل في معركة « شعار » سنة ١٢٣٣هـ .
انظر : عبدالرحيم ، محمد علي وشبه الجزيرة العربيَّة ٢/٤٦ ، ٤٧ .
(٤) القُنَّة : قنة كل شيء أعلاه ، والجبل المنفرد المرتفع في السماء وجمعها : قنن وقنّان .
انظر : المعجم الوسيط ٢/٧٦٩ .

كؤوس الصهباء كؤوس الحتوف ، والشريف حمود بين الجنود على جواده ، ولولا قوة بأسه لما استطاع لمرضه أن يقوم من مهاده ، وأهل السراة كانوا بأطراف الجبال ، وينظرون لمن يكون الظفر ، ويتبعون بالقتل والأسر بعد المنهزم الأثر ، فلما شاهدوا انهزام الأتراك لزموا لهم كل مضيق ، وتقاسموهم قتلاً ونهبًا فكل ثلة منهم بعد فريق[1] ، ولحقوا سنان أغا في رأس العقبة المسماة « تيَّة »[2] - بتاء مثناة من فوق وتحتانية مشدّدة وهاء تأنيث - فأذاقوه حد الحسام ، فلم يؤوه قبر ، بل تمزق في تلك الرجام ، وراحوا أصحابه في تلك الشعاب كأنهم أحلام ، وتعدّوا على الشريف [ص١١٥] منصور بن ناصر فاستحلوا منه / الدم الحرام[3] ، وألحقوه بالملك العلام ، وقد كان هذا الشريف العين الناظرة في آل خيرات ، والهرماسة[4] البطل إذا تلاقت الكماة ، له مجد باسل ، وعقل كامل ، وسياسة في الأوامر والنواهي ، وهو مع طيب عنصره داهية من الدواهي .

هذا مع أخذه بطرف من العرفان كان بها طراز فخاره ، وتعلق بالآداب انتقش بها مجد نظاره ، ولي على « صبيا » ومخلافها سنوات ، وأذاقهم (العدل) وأزال عنهم الظلامات ، ولكن رَنَق[5] صفو أيامه كدر

---

(١) هذه معركة « الملاحة » التي وقعت في يوم الخميس الموافق ٢٤ ربيع الأول سنة ١٢٣٣هـ كما ذكر ذلك العقيلي بناءً على وثيقة تاريخية عبارة عن رسالة من الحسن بن خالد الحازمي إلى الإمام عبدالله بن سعود .
انظر : العقيلي ، محاضرات في الجامعات والمؤتمرات، ص ٣٤: انظر أيضًا ما يؤيد ذلك في: الحفظي، تاريخ عسير، ص ٨٠، حيث ذكر أن المعركة استمرت ثلاثة أيام هي الثلاثاء والأربعاء والخميس بدءًا من الثاني والعشرين وحتى الرابع والعشرين من ربيع الأول عام ١٢٣٣هـ .

(٢) وادي تيّة : مآتيه من السفوح الغربية لجبال السروات شرق محايل ، وأكبر روافده وادي طبب ، ثُمَّ يتجه غربًا حتى يلتقي بوادي حلي بن يعقوب بعد بلدة محايل .
انظر : الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ٢٣٠ ؛ أطلس عسير ، خارطة رقم ٤٩ .

(٣) ليس واضحًا تخصيص المؤلف حرمة الدم بشخص معين من أشخاص في صف واحد ، فهو إن كان معتديًا فحكمه حكم غيره ممن أشار إليهم المؤلف ، ولم يتعرض لحرمة دمائهم، وإن كان معتدى عليه فشأنه كذلك شأن من معه.

(٤) الهرماس : ولد النمر ، والهرموس : الصلب الرأي ؛ الداهية المجرب .
انظر : المعجم الوسيط ٢/٩٩٣ .

(٥) رنَق الماء : كَدِرَ .
انظر : المعجم الوسيط ١/٣٧٧ .

العساكر النجدية ، فاختار المقام بإذن عمه الشريف حمود في المدينة العريشية ، وبعد أن صُفّيت « صبيا » من أهل نجد لم يرجعها الشريف إليه ، وهذا من الأسباب الموجبة لارتحاله مغاضبًا مع ابن عمه الشريف علي بن حيدر ، وقد رثاه الوالد القاضي العلامة شيخنا وجيه الإسلام عبدالرحمن بن أحمد بن حسن البهكلي[1] - رحمه الله تعالى - بهذه القصيدة الفريدة[2] [٣٦/أ] :

لقد أبى الضيم ماضي العزم ذو جلد … وحل من شرف العلياء في صُعُدِ

أشم يشمخ عزًّا أن تلامسه … هوج الرياح فماذا شأن كف يد

/ لا يمتطي غير سرج الأعوجي ولا … تراه معتقلاً غير القنا الملد [ص١١٦]

يصبوا إلى المجد والعلياء ناظره … حتى ينال ذراها غير مضطهد

يأتي غمار العلا قسراً وإن نكصت … عنه الجياد تراه وارد الثمد

مثلم سيفه عند الرهان فلا … تداس أعقابه في الرفع والوخد

يغشى المهمّ بقلب غير منفهق … عن الثبات وعقل كامل الرشد

يأبى الدنية حتى لا يصاحبها … ولا يغمّض عينيه على ضمد

ولا يصعّر خديه على أشر … ولا يبيت على الإقتار ذا حرد

طالت[3] مساعي علاه إذ منابتها الـ … صريح من «مضر»[4] الحمرا ومن «أدد»[5]

---

(١) من علماء المخلاف السليماني ، ولد بمدينة صبيا سنة ١١٨٢هـ ، رحل إلى صنعاء لطلب العلم ثلاث مرات ، عينه المنصور علي بن المهدي قاضيًا في بيت الفقيه ، أبرز مؤلفاته كتاب « نفح العود في سيرة دولة الشريف حمود » ، وكتاب « الثقات بمعرفة رجال الطبقات » ، توفي سنة ١٢٤٨هـ .
انظر : عاكش ، عقود الدرر ، الترجمة رقم (١٢٤) ؛ الشوكاني ، البدر الطالع ٣١٨/١ ؛ زبارة نيل الوطر ٢٣/٢ ؛ عاكش ، حدائق الزهر ، تحقيق : د . إسماعيل البشري ، ٨٠ .

(٢) القصيدة من البسيط .

(٣) في تكملة نفح العود : طابت ، انظر : ص ٣٠٦ .

(٤) مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، ويقال لعقبه : مضر الحمراء ، ولا خلاف بين العلماء أن الصريح من ولد إسماعيل عليه السلام : مضر وربيعة أبناء نزار بن معد بن عدنان .
انظر : ابن عبدالبر ، الإنباه على قبائل الرواة ٧٢٠ ؛ ابن عنبة ، عمدة الطالب ، ١٣٦ .

(٥) أدد بن اليسع بن الهميسع ، جد عدنان وقيل والده .
انظر : ابن عنبة ، عمدة الطالب ، ١٣٦ .

أرومة من « قصي »(١) غيضها أسل   في ركنها شرف العلياء والسند
ثبت الجنان كريم الخيم ما فعلت   بك العلا بعد أن وافتك طوع يد
ماذا الذي عَلِمته فيك فانخزلت   ويحًا لها كيف تعصي(٢)عزها الأبدي
أنت الذي ضربتْ فسطاط نَخوتها   عليك أيامُ عين الدهر في رمد
كانت تراك حريًا أن تقود لها   شُمَّ الجبال على بطحاء ذي وهد
وأنت والله أهل أن تبلغها   فوق الذي طلبت من منتهى الأمد
لك الأيادي عليها إذ بنيت لها   بيتًا على هامة الجوزاء ذا عمد
ما كنت أحسب أن المجد يقصده(٣)   صرف الزمان بصرف(٤)فيك منتقد
كنا نعد الليالي منك هائبة   كما يهابك ذلاً زائر الأسد
[٢٦/ب،ص١٧٧] / وإن أمَّ المعالي عنك حادبة(٥)   عن أن يصيبك سهم البين بالقصد
لكن تنافس في علياك صاهلة(٦)   من الجياد وتخت الملك عن حسد
وزاحمت فيك غايات العلا شرفًا   فما رأتك مخلاً عن عُلا عدد
فأسلمتك يد العلياء عائضة   خوف اشتراط وقد تسمو يد الحقد
وصيرتك صريعًا حول جندلة   تاهت بقربك منها فوق ذي حيد
ضنت بك الهضبات الشم حين غدت   تحثو عليك وقد صانتك عن وهد
ما كنت تخفى على عاف ومنتجع   بل كنت في كل حال ظاهر الجسد

(١) قصي : الجد الرابع للرسول ﷺ واسمه زيدٌ ، وسمي قصيًا لأن أمه تزوجت بعد أبيه رجلاً من قضاعة وأخذت معها زيدًا لأنه كان فطيمًا فسمي قصيًا لأنه أقصي عن داره . انظر : ابن عنبة ، عمدة الطالب ، ١٣٤ .
(٢) في تكملة نفح العود : تقضى ، انظر : ص ٣٠٦ .
(٣) في تكملة نفح العود : مقصده ، انظر : ص ٣٠٦ .
(٤) في تكملة نفح العود : بطرف ، انظر : ص ٣٠٦ .
(٥) في تكملة نفح العود : حائدة ، انظر : ص ٣٠٦ .
(٦) في تكملة نفح العود : فائضة ، انظر : ص ٣٠٦ .

فآلت الأرض أن لا زال ظاهرها   مضمخا بك لا يلوي على لحد
ففي الحياة ظهور شامخ بذخ   وفي الممات ظهور البدر في الكبد
كذا العلا حين لا ترضى مفارقة   لماجد وهو فيها بيضة البلد
فليعظم الأجر كفو الرزء لو قصمت   به ظهور أولي اللامات والسرد
وليعتبر بك يا ليث العرين فتى   له إلى طلب العلياء فضل يد
بالله لو ملكت كفاك عاملها   حين اعتلى بك نعب الصارخ الغرد
لكنت تارك راميها بمصرعه   طعم الحبارى وأشلاء لذي لبد
لو كان يملك يوم الروع ذو حدب   عليك منه فداء كنت خير فدي
لهان فيك الذي فوق الورى وسخى   من ظن بالنفس أو بالطرف والتلد
لكن جرت حِكَمُ الباري وقدرته   أن لا يقاوي صريع الحادث العتد
/ فليهنك الخلد في دار النعيم مع   خير العباد أبيك السيد السند [ص١١٨]
وفي جوار علي والبتول ومن   حلّت بهم في معادٍ رحمة الأحد

[٣٧/أ] قوله : « ولا يغمض عينيه على ضَمَد » : « ضمد » بالتحريك الحقد كما في القاموس ، وقد ورَّى بالوادي المعروف ؛ لأن الشريف ((منصور)) مستفيض عنه أن معتقده أن ما وقع ((عليه)) إنَّما هو بسبب ((بعض)) أعيان أهل « ضمد »(١) ممن هو نافذ الكلمة عند الشريف حمود ، فبنى شيخنا الوجيه - رحمه الله تعالى - فيما جعله من التورية على ما استفاض من معتقده ، وحقيقة الواقع يعلمها الله سبحانه ، والذي علينا حسن الظن بالجميع ، والحمل على السلامة ، والله يغفر لنا ولهم بفضله وطوله ، و « ضمد » هو من أودية اليمن(٢) .

(١) ضمد : وادٍ عظيم تسكن على ضفافه قبائل ضمد ، وعددها ست . انظر : العقيلي ، المخلاف السليماني ١/٧٦ ؛ الأكوع ، البلدان اليمانية عند ياقوت الحموي ، ١٨٧ .
(٢) انظر التعليق حول مفهوم اليمن لدى المؤلف ص (١٣٥) هامش [٧] .

وفي نهـاية ابن الأثيـر[1] في بـاب الضـاد مع الميم مـا لفظه : « إن رجلاً سـأل النبي – صَلَّى اللَّه عَلَيه وَآلِهِ وَسَلَّمَ – عن البداوة فقـال : « اتق الله ولا يضـرك أن تكون بجـانب « ضـمـد »[2] . وهو بفـتح الضـاد والميم : موضع باليمن »[3] . انتهى بلفظه .

وفي بعض كتب اللغة : « ضمد » وادٍ باليمن تسكنه « خزاعة »[4] . انتهى . ولا شـك أنه الوادي المعروف بين وادي « صـبيـا » و « جـازان » ، وهو وادٍ مبارك مشهور بالخيـر والبـركة ، وروي أن بعض الأئمة دعـا فيه بالبركة ، وفي « شرح الخمر طاشية »[5] على قوله[6] :

[ص١١٩] واهًا لقوم غالَهُم صَرْفُ الردى / والتحقوا « بضمد » و « بصدا »[7]

قال ما لفظه : « ضمد وصدا هما قبيلتان من مذحج » ، حتى قال : « وضمد بن يزيد بن الحرث بن (عُلَّة بن جلد)[8] بن مذحج » هذا كلامه .

---

(١) المبارك بن محمد بن محمد الشيباني ، عالم عراقي مشهور ، وكتابه النهاية في غريب الحديث والأثر ، محقق ومطبوع في خمسة مجلدات : حققه طاهر بن أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي .
انظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ٢٩١/٣ ؛ القنوجي ، التاج المكلل ، ١٠٠ .

(٢) من مرسلات ابن الأثير في كتابه : غريب الأثر ٩٩/٣ ، مادة : ضمد .

(٣) انظر : النهاية لابن الأثير جـ ٣ ، ص ٩٩ .

(٤) خزاعة : قبيلة أزدية تسكن حوالي مكة المكرمة ، ولم أعثر على معلومات بشأن سكناهم حول ضمد .
انظر : الجاسر ، معجم قبائل المملكة ١٧٣/١ ؛ كحالة ، معجم قبائل العرب ٣٣٩/١ .

(٥) اسم الكتاب : الرياض الأدبية في شرح الخمر طاشية ، ومؤلف الخمر طاشية هو أبو العباس أحمد بن خمر طاش (ت/٥٥٣هـ) ، أمَّا شرحها فهو لسليمان بن موسى بن علي الجون الأشعري (ت/٦٥٢هـ) .
انظر : الحبشي ، مصادر الفكر العربي الإسلامي ، ٢٧٢ ، ٢١٦ ، ٣١٨ .

(٦) البيت من الكامل .

(٧) صداء : قبيلة تسكن أعالي وادي ضمد ، وهي صداء بن يزيد بن حرب بن علّة بن جلد بن مذحج .
انظر : العمروي ، قبائل إقليم عسير ١٠٦/١ .

(٨) في الأصل : علي بن خـالد ، والصواب من كتـاب التعـريـف في الأنســاب للأشـعري ، ص ١٧٠ ؛ العمروي ، قبائل إقليم عسير ١٠٦/١ .

ولا يبعد أن يسمى المكان باسم الساكن فيه كما هو معروف في كثير من المدن والقرى . [و] كما تحكيه كتب التاريخ ، فرُبَّما سكنته[1] القبيلة المذكورة في قديم الزمن فنسب إليهم .

وهذا الحـديث من مـرسـلات ابن الأثيـر ، وقـد عُلِم في الأصـول الفـقهـية والحديثـية الخلاف في قـبـول المرسل ، والذي عليـه جـماهيـر المحدثين عدم القبول له . ((ولأئمة أهل البيت تفصيل في قبول ذلك ذكره في « شـرح الغـاية »[2])) وعلى القـول بثـبـوت هذا الحـديث المرسل فـهـو صادق بالنجود من شرق وادي « ضـمد » كما يفيده لفظ الجـانب ، فإن أهل تلك الجبـال أغلبهم لا يتصف بالإسلام[3] . وفيهم من الجفاء وعدم التقيد بقوانين الشريعة المحمدية ما لا يخفى على من يعرف أحوالهم . وقد [٣٧/ب] ورد « من بدا فـقد جـفـا »[4] ، فمن كـان بالجانب الشـرقي منه المتاخم لنجوده فالجفاء فيهم ظاهر .

وأمَّا مساقط وادي « ضـمد » بتهامة ففيه قرىً كثيـرة ، وأهلها أهل استقامة على الشرع المحمدي ، والتقيد بالقوانين الشرعية حالاً وقالاً ، وأشهر قراهُ في هــذه الأزمنة قريتـان : « الشـقيري » و « ضـمد » . فأمَّا « الشـقيري » فالذي اختطه جد آل النعمان ، / وأمَّا « ضـمد » فالمشهور [ص١٢٠] أنه أول ما اعتمر في زمن والدنا القاضي العلامة محمد بن علي بن عمر رحمـه اللّه تعـالى ، وبنى فيـه المساجد الحجـر ، وعمـر جامعـه القـديم

---

(١) في الأصل : سكنه .

(٢) غاية السول في علم الأصول ، ومؤلفه : الحسين بن القاسم بن محمد (ت/١٠٥٠هـ) ، وهو مختصر جمع فيه الأدلة والردود على قواعد الزيدية ، مطبوع ؛ وشرح المؤلف هذا الكتاب وسماه : هداية العقول شرح غاية السول ، طبع في صنعاء .
انظر : الحبشي ، مصادر الفكر العربي الإسلامي ، ١٦٢ ؛ وهناك شروح أخرى للغاية منها : شرح غاية السول لأحمد بن علي مطير الحكمي ، انظر : الأكوع ، هجر العلم ومعاقله ، الفهارس ٣٤٩/٥ .

(٣) النفي العام مزلق خطير لا يقدم عليه إلا من سبر الغور ، وعرف الحقائق ، وليس أخذاً بمجرد القول والشائع من الكلام ، لكن قد يحكم الإنسان بانتشار المعصية ، وعدم التقيد بالأحكام الشرعية في ظاهر الحال ، ولا يعني ذلك الحكم بالخروج من وصف الإسلام ، لأن ذلك يعني الدخول في الوصف المعتاد ، وهو قول يحتاج إلى بينة وبرهان لا يملكها المؤلف كما هو ظاهر من كلامه .

(٤) ورد في صحيح الجامع الصغير برقم ٦١٢٣ ؛ ٦١٢٤ ، جـ ٢ ، ص ١٠٥٥ .

الذي اجتحفه السيل في عام واحد بعد المائتين والألف ، وقد رثى الجامع بقصيدة بديعة الوالد القاضي العلامة أحمد بن حسن البهكلي[1] لولا الإطالة لذكرتها ، وهي مشهورة .

و « ضمد » القديم كان بموضع « مختارة »[2] التي بنى فيها السيد العلامة حسن بن خالد الحازمي قلعته ، وهو الذي سماها بهذا الاسم وزالت إليه أراضيها ، وكان فيما سلف يسمى « نجران »[3] ، وبه كان الأديب ابن هتيمل وغيره من أولئك العلماء القدماء ، وفي أهل هذا[4] الوادي من العلماء عدد واسع لا سيما قرية « ضمد » و « الشقيري » ، ففيهم العلماء النحارير والأدباء المصاقعة ، وقد تتبعت بحسب ما اطلعت عليه من علمائهم قديمًا وحديثًا فأنافوا على مائة عالم ، (فيهم) من اتصف بكمال التحقيق ، وفيهم من اطلع على سائر العلوم تفسيراً وحديثاً وفقهًا وكلامًا وأصولاً وعربية ، وغير ذلك من سائر العلوم العقليَّة والنقلية ، وفيهم من صنف وتصانيفه موجودة .

وقد ذكر ابن أبي الرجال في « مطالع البدور »[5] أن ممَّا اشتهر على الألسنة أن « ضمد » لا يخلو عن عالم محقق وأديب بليغ ، وإلى زماننا [ص١٢١] هذا وفيهم من اتصف بالعلم والأدب ، وفيهم / من اتصف بأحدهما ، هذا

---

(١) قاضي صبيا في عهد الشريف حمود ، جمع بين العلم والأدب والشعر (ت/١٢٣٣هـ) .
انظر ترجمته في : وفيات ١٢٣٣هـ من هذا الكتاب .
انظر : عاكش ، عقود الدرر ، الترجمة رقم (٢) ؛ الشوكاني ، البدر الطالع ١/٢٢٢ ؛ زبارة ، نيل الوطر ١/٨٣ .

(٢) قرية من قرى وادي ضمد .
انظر : العقيلي ، المعجم الجغرافي ، ٣٧٩ .

(٣) على اسم نجران المشهورة ، وهي قرية بناحية وادي ضمد اندثرت وبني مكانها بلدة مختارة .
انظر : العقيلي ، المعجم الجغرافي ، ٤٠٧ .

(٤) الأصل : هذى ، والصواب من ص و ع .

(٥) سبق التعريف بالمؤلف والكتاب ، وأن صحة الاسم : مطلع البدور .

مع ما فيهم من الفضلاء والأولياء سابقًا ولاحقًا ما لا ينحصرون . والغالب في المخلاف السليماني أنه لا يكون الحاكم والمفتي والمدرس إلا منهم .

نعم : وبعد انتهاء المعركة [٣٨/أ] رجع الشريف حمود إلى مخيمه ، ورافق في الإقامة السرير ، وتزايد عليه المرض حتى لحق باللطيف الخبير ، وكانت[1] وفاته في هذا العام يوم الاثنين رابع عشر شهر ربيع الأول[2] ، ودفن في بقعة من بلاد « بني مالك »[3] السراة تسمى « الملاحة »[4] ، بميم ((مفتوحة)) ولام وألف بعدها حاء مهملة وهاء تأنيث ، ومضى من هذا العالم الدنيوي ولسان حال الليالي ينشده قول من قال :

وبكل أرض جنة من عدله الصَّـ	ـافي أسال نداه فيها كوثرا
عدل يبيت الذئب منه على الطوى	غرثان وهو يرى الغزال الأعطرا
سيف صقال المجد أخلص متنه	وأبان طيب الأصل فيه الجوهرا
ما مدحه بالمستعار له ولا	آيات سؤدده حديث يفترى
بين الملوك الغابرين وبينه	في الفضل ما بين الثريا والثرى

---

(١) الأصل : وكان .

(٢) يشير العقيلي إلى أن وفاة الشريف حمود كانت في يوم السبت الموافق العاشر من ربيع الثاني سنة ١٢٣٣هـ ، وليس كما ذكر المؤلف هنا . وقد اعتمد في ذلك على وثيقة تاريخية عبارة عن رسالة من الحسن بن خالد الحازمي إلى الإمام عبدالله بن سعود .
انظر : محاضرات في الجامعات والمؤتمرات ، ص ٣٤ ، ويؤيد ذلك ما ورد في كتاب تاريخ عسير للحفظي ، ص ٨١ الذي أشار إلى أن الشريف حمود مات مقتولاً على يد أحد أقرباء طامي بن شعيب .

(٣) قبيلة عسيرية تقطن شمال مدينة أبها ، وهم أولاد مالك بن كعب بن الحارث من الأزد ، تنقسم إلى عشرة بطون ، وتقع قراهم على ضفاف وادي أبها ووادي أتانة ووادي عشران.
انظر : العمروي ، قبائل إقليم عسير ١/١٧٦ ؛ شاكر ، عسير ، ٥٨ .

(٤) إحدى قرى بني مالك ، تبعد عن أبها حوالي ١٤ كم شمالاً ، وفيها دارت معركة الملاحة المشهورة التي انتصر فيها العسيريون بقيادة الشريف حمود أبو مسمار على قوات محمد علي باشا بقيادة سنان أغا والشريف منصور بن ناصر حيث قتل الاثنان .
انظر تفاصيل ذلك في : الحفظي ، تاريخ عسير ، ٧٩ - ٨١ .

نسخت خلائقه الحميدة ما أتى ... في الكتب عن كسرى[1] الملوك وقيصرا

ملك إذا خفّت حلوم ذوي النهى ... في الروع زاد رصانة وتوقرا

ثبت الجنان تَخافُ من وثَباته ... وثَباتِه يوم الوغى أسد الشرى

يقظ يكاد يقول عما في غد ... ببديهة أغنته أن يتفكرا

[ص١٢٢] / حلمٌ تَخِفُّ له الحلوم وراءه[2] ... رأي وعزم يَحْقِرُ الإسكندرا

يعفو عن الذنب العظيم تكرما ... ويصد عن قول[3] الخنا متكبرا

لا تسمعنَّ حديث مَلْكٍ غيره ... يُروى فكل الصيد في جوف الفرا[4]

وقد تبدل بعد الأرائك على الأسرَّة التراب ، وتفرّش الرِّجام[5] بعد أن زهت [٣٨/ب] به صهوات الخيل العراب ، وتوسد بيده الصعيد بعد أن هزت الصعاد وقبضت الأعنة ، وجُمع في الأكفان بعد أن تسربل السابريات[6] الدُّلّص[7] عند تحاطم الأسنة ، وضُمّخ بالكافور بعد أن شُمَّ من سيفه البتار دم الأضداد ، ونُثر على رأسه من الأرض بعد أن أثار عليها العِثْير[8] يوم الجلاد ، ووُضعت على قبره الأحجار ، بعد أن جاد

(١) الأصل : كسر .
(٢) الأصل : وراه ، والصواب من ع .
(٣) الأصل : قيل ، والتعديل من تكملة نفح العود لعاكش ، ص ٣١١ .
(٤) القصيدة من الكامل .
(٥) الرِّجام جمع رجمة ، وهي الحجارة التي توضع على القبر . انظر : المعجم الوسيط ٣٣٣/١ .
(٦) السابريّ من الدروع الدقيقة النسج في إحكام . انظر : المعجم الوسيط ٤١٥/١ .
(٧) الدِّلاص : اللين البراق الأملس ، ودرع دِلاص ودلص : لينة . انظر : المعجم الوسيط ٢٩٢/١ .
(٨) العِثْيَر : الغبار . انظر : المعجم الوسيط ٥٩٠/٢ .

على العفاة بالفضة والنضار ، وتفرق عنه بعد دفنه الأحباب . وقد كان في جموع لا يقطعها بطيرانه الغراب[1] .

لقد دفنَ الأقوامُ أروع لم تكن[2] ... بِمَدفونةٍ طول الزمان فضائله

سقى جدثًا هالت عليه ترابَه ... أكفُّهم ظلُّ الغمام ووابله

ففيه سحابٌ يرفع المحل سيبه ... وبَحر ندى[3] يستغرق[4] البر ساحله

يَمر على الوادي فتثني رماله ... عليه وبالنادي فتبكي أرامله

سرى نعشه فوق الرقاب وطالما ... سرى جوده فوق السحاب ونائله

هو السيد المهتز للثم بدره ... وللجود عطفاه وللطعن عامله

/ أفاض عيون الناس حتى كأنما ... عيونهم مِمَّا تنيض أنامله [ص١٢٣]

متى يسأله المال تندى بنانه ... وإن يسأله الضيم تندى عوامله

وكم عاد منه بالخسار مقنع ... وكم نال منه قانع ما يحاوله

له الغلب العاصي على كل باسل ... يُجالده أو كل خصم يُجادله

/جرت تحته العلياء ملأى فروجها ... إلى غاية طالت على من يطاوله [٣٩/أ]

فما مات حتى نال أقصى مراده ... كما يستسر البدر تَمَّت منازله

وما أحقه بما قاله صاحب « البسامة الكبرى »[5] بعد أن خلت منه الديار ، وعفت من مملكته الآثار ، وصار خبرًا من الأخبار :

منْ للأسرة أو من للأعنة أو ... من للأسنة يهديها إلى الثغر

من لليراعة أو من للبراعة أو ... من للسماحة أو للنفع والضرر[6]

(١) القصيدة من الطويل .
(٢) الأصل : لم يكن ، والأوجه من ص .
(٣) الأصل : ند .
(٤) في الأصل و ص : استغرق ، والتعديل ليستقيم البيت .
(٥) مؤلف البسامة الكبرى هو : أبو محمد عبدالمجيد بن عبدون الفهري ، شاعر أندلسي ، توفي عام ٥٢٩ هـ . انظر : العمري ، مصادر التراث اليمني ، ٢٣٦ ؛ فروخ ، تاريخ الأدب العربي ١٩٢/٥ .
(٦) هذه من المبالغات المذمومة ، إذ النفع والضرر إنما هو مما تفرد الله تعالى به ، فهو النافع الضار ، سبحانه وتعالى .

من للعدا وعوالي(١) الخط قد غمدت ... أطراف ألسنها بالعي والحصر

أو رفع كارثة أو دفع حادثة ... أو قمع آزفة تغني عن القدر(٢)

ولكن الدنيا مآلها وأهلها إلى الفناء ، والله - سبحانه - هو المتفرد وحده بالبقاء ، ولقد صدق صاحب « البسامة » المذكورة حيث يقول :

فلا يَغُرَّنك من دنياك نومتها ... فما صناعة عينيها سوى السهر

ما لليالي أقال الله عثرتنا ... من الليالي وخانتها يد الغير

في كل حين لها في كل جارحة ... منا جراح وإن زاغت عن البصر

[ص١٢٤] / تسر بالشيء لكن كي تُغرَّ به ... كالأيم ثار إلى الجاني من الزهر

كم دولة وليت بالنصر خدمتها ... لَمْ تبق منها وسل ذكراك عن خبر

ولقد ناحت عليه في جميع البقاع العلا والمكارم ، ولبست الليالي عليه ثياب الحداد فكلها ظلمة ومآتم ، وعقمت الأيام بأن تلد له نظيرًا(٣) في المعالي ، وقالت المفاخر حين عُدَّ لها طوائف الأنام ما لهن وما لي ، وقد رثاه جماعة من أدباء الوقت ، وكلٌّ مقصر فيما قال ، ولا يفي(٤) بحقه الرثاء ، وإنَّما هي لذات يذكرها الشعراء [٣٩/ب] في هذا المجال ، ولم يقع في يدي عند رقم هذه العجالة شيء منها حتى أثبته في هذا المقام ، وأمَّا المدائح التي(٥) قيلت فيه فهي كثيرة ، لو جمعت لجاءت(٦) في جزء مستقل ، وإنَّما لطول المدة غالتها يد الذهاب :

وسهمُ الرزايا بالذخائر مولعٌ ... وأي جديد لا يغيره الدهرُ(٧)

(١) الأصل : وعولي .
(٢) الأبيات من البسيط . وهذه من المبالغات المذمومة في حق من لا يملك لنفسه دفع شيء ولا جلبه .
(٣) الأصل : نظير. وهذه من البدع التي نهى عنها الإسلام إن صحت عن أحد .
(٤) الأصل : تفي .
(٥) الأصل : الذي ، والصواب من ص .
(٦) الأصل : لجات ، والصواب من ع .
(٧) البيت من الطويل ، وهو لعبدالمجيد بن عبدون ، انظر : فروخ ، تاريخ الأدب العربي ١٩٥/٥ .

وكان ميلاد الشريف حمود سنة سبعين ومائة وألف : لأن مدة عمره ثلاث وستون(١) سنة ، وله من المآثر الدينية والدنيوية ما لم يتفق مثلها لملك من ملوك هذه الجهة . فإني قد استقصيت تاريخ من سلف ممن تملك في « المخلاف السليماني » ، فلم يتفق له ما اتفق لهذا الشريف ، ولم يبلغ أحد مبلغه في ذلك ولا داناه / ؛ فإنه بنى [ص١٢٥] العمارات الباذخة ، والقلاع الشامخة في « أبي عريش » . وجعل سورًا على « ديرة الأشراف » المشهورة ، وجعل له بابين : شامي ويماني ، وصار «أبو عريش » ببركات عمارته من أمنع مدن اليمن(٢) ، وهو نقطة دائرة المملكة له ، ومستقر من جاءه من الوفود . فلذلك زها على التهائم والنجود . وبنى قلعة ببندر « جازان » . وبنى بإذنه السيد العلامة حسن ابن خالد الحازمي - رحمه الله تعالى - قلاعًا عظيمة بقرية « ضمد » . وله في مدينته « الزهراء » مبانٍ كثيرة ، وسوَّر على بندر « الحديدة » . وكان المتولي لذلك السيد العلامة حسن بن خالد بإذنه ، وسوَّر على مدينة « زبيد » (بمشارفة السيد العلامة حسين بن عقيلي الحازمي(٣) ، وقلَّ بلد من بلاد مملكته إلا وتجد له فيها آثارًا(٤) . تنشد بلسان الاعتبار :

إن آثارنا تدل علينا ... فانظروا بعدنا إلى الآثار(٥)

(١) الأصل و ص : ثلاثًا وستين .
(٢) انظر التعليق حول مفهوم اليمن لدى المؤلف ص (١٣٥) هامش [٧] .
(٣) الحسين بن عقيلي بن حسين الحازمي الضمدي ، من علماء المخلاف السليماني البارزين ، نصب للفتيا في زبيد ثُمَّ نصب للقضاء فيها في عهد الشريف حمود ، كان يحضر حلقة تدريسه أكابر علماء زبيد ، توفي تحت سياط التعذيب عام ١٢٣٤هـ .
انظر : زبارة ، نيل الوطر ٣٨٢/١ ؛ عاكش ، عقود الدرر ، الترجمة رقم (٦٥) .
(٤) الأصل : آثار .
(٥) البيت من الخفيف .

ومن المآثر الدينية الجامع الذي بناه في باطن السور الذي[١] في « الديرة » [٤٠/أ] ثمَّ بعد [ذلك] ترجح له أن يبنيه بقبب ، فنقض البناء الأول وبنى مقدمه بناءً عظيمًا ، ولم يكمل بناء المقدم (حال الأجل دون ذلك) ، وأتم بناءه بعد مدة الشريف الحسين بن علي بن حيدر ، وبنى [ص١٢٦] مسجدا « ببيت الفقيه » ، وحفرت بأمره آبار كثيرة / وجعل من أرضه فوق الخمسمائة معاد[٢] وقفًا على ثمانية أصناف ، ووقف على جامعه الذي بناه وعلى العلماء والمتعلمين خصوصًا ، ووقف على السور الذي في « الديرة » ، ولكن حال رقم هذا وقد اجتحفه السيل .

وكان في زمانه ظهور رئاسة العلم ، ونفاق تجارته ، والسبب أن السيد العلامة حسن بن خالد معاضده ووزيره ، وهو من العلماء ، وكل شكل يميل إلى شكله ، فكان بذلك نفاق تجارة العلم في ذلك الزمان ، وصار لهم المزية على كل قاص ودان ، وقصده العلماء من كل جهة ، فيحلهم في أعلى منازل الرفعة والتعظيم ، ويسكن بعضهم في قلاعه ، وكان في جامعه جماعة يدرسون العلم ، وصارت القراءة[٣] في كل فن من فنونه ، وطار بذلك صيت الشريف حمود كلّ مطار ، وسار ذكره حيث مسير الليل والنهار ، وغنّى الناس بالثناء عليه في الأقطار .

وقد ذكر الماوردي[٤] في « أدب الدنيا والدين »[٥] وغيره أنه «يتعين على السلاطين العناية بأهل العلم ، وتمييزهم على من سواهم وكفايتهم مهماتهم في أمر دنياهم ، ليتفرغوا لنشر العلوم ، ولأنهم حملة الشرع المحمدي ، والتعظيم لهم تعظيم له ، وبذلك يحصل الرغبة في العلم

(١) الأصل : اللذي .
(٢) الأصل : المعاد ، وهو وحدة قياسية محلية تساوي حوالي (٣٦٠٠ م٢) .
(٣) الأصل : القراة ، والصواب من ص و ع .
(٤) علي بن محمد بن حبيب ، أقضى قضاة عصره ، من العلماء الباحثين ، وكان يميل إلى مذهب الاعتزال (ت/٤٥٠ هـ) .
انظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ٢/٤٤٤ ؛ الزركلي ، الأعلام ٥/١٤٦ ؛ زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربيّة ٢/٣٣٣ .
(٥) حقق الكتاب وعلق عليه مصطفى السقا ، مطبوع أكثر من طبعة .

والاشتغال به ، ويتم بذلك نشر الشريعة المحمدية للأنام / وتعريفهم [ص١٢٧] ما يجب عليهم من أنواع الحلال والحرام ، وبذلك تعمر البلاد ، وينتشر العدل بين العباد » ، هذا معنى ما ذكره ، ومن أراد استكمال البحث طالع ذلك الكتاب ، والبحث يطول في مثل هذا الباب[١] .

وكان سيرته غالبها جارية على نهج السداد ، لا سيما في هذه الأزمنة الأخيرة التي الغالب على أهلها الاعوجاج في الإصدار والإيراد ، وانضبطت [٤٠/ب] أمور الناس في زمانه ، وجرت المملكة على قوانينها بالوزراء العظماء ، والأعوان الذين فيهم الكفاية عند حدوث الدهماء ، ولاحظته مع ذلك السعادة التي يرتفع بها الإنسان إلى عنان السماء ، وكان له من العبيد المماليك ما ينيف على الألف ، وهم ما بين حاملين البندق ، وراكبين على ظهور الخيل ، فصاروا بذلك جندًا مستقلاً ، واجتمع لديه من الخيل الجيدة ما لم تجتمع عند أحد من ملوك هذه الجهات .

وفي زمانه أمنت الطرقات وذلّ أهل الفساد ، ولم ينبض لمعتدٍ عرقٌ لما له من السطوة على أهل العناد ، وقد بلغ من أمان الطرق في ذلك الزمان أن الشيء المحمول يعجز صاحبه عن حمله ، وهو في قفر من الأرض فيتركه حتى يرجع إليه ، ولا يتعدى عليه إنسان ، وكان له وقت[٢] يجلس فيه لسماع الشكايات ، وإزالة الظلامات ، وأوقاته مرتبة على حسب المقتضيات / لا [ص١٢٨] يكاد يذهب عليه وقت لغير مصلحة على اختلاف المرادات .

ووقع إقامة الحدود في زمانه على اختلاف أنواعها ، واتفق أثناء ذلك خوض ونزاع بين علماء وقته بسبب التقصي في اشتراط الإمام الذي إليه إقامة الحدود ، المشروطة فيه شروط منها الاجتهاد عند البعض من العلماء ، والمسألة معروفة بأطرافها ودليلها ، فلا حاجة إلى الإطالة ، وهي من المطارح الظنية ، وغيرها أجدر في التعمق في إصلاحه ، والمركز الأعظم في العصور المتأخرة التي تضاعفت شرِّيتها بمصداق الحديث

(١) انظر : باب أدب العلم ، ص ٤١ .
(٢) الأصل : وقتًا .

النبوي[1] هو حقن الدماء ، وتسكين الدهماء ، ومراعاة قانون الشرع جملة[2] .

([3] ومن استقرأ كتب التواريخ ، واطلع على أيام الناس ، عرف أن أكثر الأقطار الإسلاميَّة قد غلب عليها أئمة الجور بعد انقراض الصحابة رضي الله عنهم ، فإن الشام ومصر والمغرب والهند والسند والحجاز والجزيرة والعراقين واليمن ، وأمثالها ما استدامت فيها [٤١/أ] دولة حق من[4] قرون عديدة ، ودهور طويلة[5] .

ولا شك أنهم في هذه المدد العديدة ، وفي هذه الأقطار الكثيرة ، لو تركوا هملاً لا يقام فيهم حد ، ولا يقضى فيهم بحق ، ولا يجاهد فيهم كافر ، ولا يؤدب فيهم عاصٍ ، لفشا فيهم الفساد ، وتظالم العباد ، [ص١٢٩] ومرج أمر المسلمين / وتعطلت أحكام رب العالمين ، وقد علمنا على الجملة أن الله – تعالى – ما قصد بإقامة الحدود وشرعها إلا زجر أهل المعاصي ، ولا قصد بالجهاد إلا حفظ الحوزة الإسلاميَّة ، وإرغام العدو ، فمتى توقفت على شرط وتعذر تحصيله لم يعتبر ذلك الشرط ، ولذلك نظائر يعرفها من عرف الشريعة المحمدية .

---

(١) إشارة إلى الحديث الذي رواه البخاري : « اصبروا فإنه لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده شر منه » . وورد في الفتن ، باب : لا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه ، وأخرجه ابن منده والطبراني في المعجم الصغير .

(٢) من الواضح أن هنا مبالغات في حق من أعجب به المؤلف ، وهي مبالغات يناقضها الواقع الذي ذكره المؤلف نفسه من حروب وغارات وسلب لمن يقاتله ، وهذه أمور لا يتأتى الاستقرار بها إلا إذا كان المراد حاضرة إقامة الحاكم ، فهذا مما لا ينطبق عليه الوصف الذي ذكره المصنف وبالغ فيه .

(٣) انظر نهاية القوس ص ١٨٩.

(٤) الأصل : في ، والصواب من ص .

(٥) هذا الكلام فيه تجن واضح وإجحاف في حق الأمة بأسرها ، حيث سلب عنها وصف العدل في جملتها إلا في بقعة يسيرة ، وواقع الحال أن ثمة إقبالاً في زمن وإدبارًا في زمن ، ورواج للعلم والعدل والأمن في زمن ، وحدوث ما يضادها في أزمنة أخرى ، وتجاهل الحقائق بباعث العصبية المقيتة أمر مذموم شرعًا وذوقًا .

فإذا عرفت هذا فكيف يبقى عامة المسلمين في قدر مدة كثيرة من السنين في أقطار الإسلام وأمصاره لا ينصب فيهم حاكم بعدل ، ولا يقام فيهم حد ، ولا يجاهد فيهم عدو ، إذَنْ تعظم المضرة بلا شك ، وقد عُلِم أن هذه الأشياء ما شرعت إلا لمصالحهم ، فوجب الحكم بتنفيذها عند عدم شرطها للضرورة ، على أن من اشترط تلك الشروط من الأئمة الأعلام . وناطوا بها صحة تلك الأحكام ، لم يبتلوا في أزمنتهم بأحد من الولاة الجائرين ، وكان الأمر جاريًا بينهم على سنن العدل ، فهم كالمعافى الذي لم يعرف علة . وأمَّا في هذه الأزمنة الأخيرة فالضرورة ألجأت إلى ذلك ، ومن لم يفرق بين حال الاضطرار والاختيار فقد جهل المعقول والمنقول . أمَّا المعقول / فلإجماع العقلاء على دفع أعظم المفسدتين[1] بأهونهما . [ص١٣٠] ومن ثمة قالوا : « بعض الشر أهون من بعض »[2] ، ومن أمثالهم : « إن في الشر خيارًا »[3] . وأمَّا المنقول فمعلوم بالضرورة من الدين في مواضع ، أعظمها قوله – تعالى – في جواز النطق بكلمة الكفر : ﴿إلا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بالإيمان﴾[4] ، وأعمها قوله تعالى : ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إلا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾[5] ، وقد روي : « عند الضرورات تباح المحظورات »[6] .

وفي حدِّ الضرورة [٤١/ب] اختلاف بين العلماء ، وهو ظني معروف ، وقد جعلها بعض الأئمة ما خرج عن حدّ الاختيار في كثير من

---

(١) الأصل : المفسدين ، والصواب من ص و ع .

(٢) عجز بيت لطرفة بن العبد ، وصدره : أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا ، انظر : الديوان : ٤٨.

(٣) يضرب هذا المثل عند ظهور الشرين بينهما تفاوت . ومعناه أن في الشر أشياء خيارًا ، ويجوز أن يكون « الخيار » الاسم من الاختيار ، أي : أن في الشر ما يختار على غيره . انظر : فصل المقال ، ٢٤٤ .

(٤) سورة النحل ، الآية ١٠٦ .

(٥) سورة الأنعام ، الآية ١١٩ .

(٦) هذه العبارة ليست حديثًا وإنَّما قاعدة فقهية ذكرها كثير من الأصوليين في كتبهم . انظر : زين العابدين بن إبراهيم (ابن نجيم) . الأشباه والنظائر .

المواضع ، وقد رخص النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - في لباس الحرير المحرّم لأجل الحكة ، وذلك في حديث متفق على صحته[1] . فنحن وإن قلنا بقولهم في تلك الشروط في صحة الإمامة لكنا نقول : الضرورة اقتضت خلاف ذلك عند فقد بعض شروط الإمامة ، فمن جوّز أمرًا للضرورة ونسب إليه جوازه مطلقًا كان الناسب قائلاً بخلاف الواقع .

وقد ورد القرآن الكريم بقتل النفس لمصلحة غير كلية في قصة « يونس » عليه السلام[2] ، وأنه لما عرف أن أهل السفينة يغرقون جميعًا إن لم يُلْق أحد بنفسه إلى التهلكة ويرم بها في البحر ، رأى[3] أن رمي واحد بنفسه أهون من موتهم الجميع[4] ، فرمى - عليه السلام - بنفسه الشريفة حين وقع السهم عليه / قال تعالى : ﴿ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴾[5] . ولا شك أن قتل النفس في الأصل حرامٌ ، لكن جاز للضرورة، وهذا في فعل المحرم في الشرع لمصلحة[6]. فأولى وأحرى أن يجوز ما ورد الشرع به من إقامة الحدود ونحوها للمصلحة : لأنه في نفسه مصلحة لكنه قد تعذر بعض شروطه ، وعمل المصلحة المشروعة عند فقد بعض شروطها للضرورة أولى من عمل المفسدة للضرورة ، مثاله : الصلاة بغير طهور ولا تيمم للضرورة أهون من أكل الميتة للضرورة .

[ص١٣١]

---

(١) انظر : البخاري في الجهاد ، باب : الحرير في الحرب : وفي اللباس ، باب : ما يرخص للرجال من الحرير للحكة ؛ ومسلم في اللباس ، عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ رخص لعبدالرحمن بن عوف والزبير بن العوام في لبس الحرير من حكّة كانت بهما .

(٢) هذا الكلام غير صحيح ، فقتل النفس لم يرد في هذا الموطن ، وإنّما أخبر الله تعالى عما وقع من يونس عليه السلام ، والكلام في قصة يونس لا يتأتى اجتزاؤه بهذه الصورة ، وقد بسط في سورة يونس ، والأنبياء ، والصافات ، انظر تفسير القرطبي (٣٨٤/٨ ، ٣٢٩/١١ وما بعدها ، ١٢١/١٥ وما بعدها) حيث بسط الروايات وساق القصة بأوجهها . وعليه فلا يصح الاستدلال بهذه القصة على قتل النفس ولا الإسهام في رميها في البحر أو ما تظن فيه الهلكة ، ولهذا قال القرطبي رحمه الله ١٢٦/١٥: « السابعة : الاقتراع على إلقاء الآدمي في البحر لا يجوز ، وإنما كان ذلك في يونس وزمانه مقدمة لتحقيق برهانه وزيادة في إيمانه ، فإنه لا يجوز لمن كان عاصيًا أن يقتل أو يرمى في النار أو البحر ... إلخ . وقد تعرض لدعوى التخفيف من السفينة ورده رحمه الله .

(٣) الأصل : رأ ، والصواب من ص .

(٤) هكذا في الأصل و ص ، والصواب : من موتهم جميعًا .

(٥) سورة الصافات ، الآية ١٤١ .

(٦) هذا غير صحيح ، وقد سبق بيانه في الهامش السابق .

ولم يزل العقلاء يدفعون المضرة العظمى بما دونها . ويستحسنون قطع العضو من السراية)[1] ، وقد ذكر علماء الأصول الكلام في المصالح، وطوّلوا القول فيه ، وقد تكلم الرازي[2] في « المحصول »[3] بكلام حسن في المصالح[4] ، وتكلم « شارح البرهان »[5] فيها ، ومن أحب الاستقصاء في المصالح وما يتعلق بها فليطالع كتاب «قواعد الأحكام في مصالح الأنام»[6] للعلامة عز الدين ابن عبدالسلام[7] ، وأنّ كتابه أنفس الكتب في هذا الشأن ، وللعلامة [٤٢/أ] المقريزي[8] صاحب « الخطط والآثار »[9] كلام في هذه المسألة التي الكلام فيها ليراجعه من أراده من كتابه المذكور، وهذا الشريف / غير مدفوع عن القيام بوظائف[10] الكمال .

[ص١٣٢]

هذا مع ما له من المواظبة على الجمعة والجماعات ، وتلاوة القرآن ، وقيام الليل كما روي ، وحضور مجالس الذكر ، وقد تم له الحج أيام

---

(١) ما بين القوسين من ص (١٨٦) إلى هنا نقله المؤلف من العواصم والقواصم لابن الوزير (١٧٢/٨ - ١٧٦) ولم يشر إلى ذلك .

(٢) محمد بن عمر بن الحسن التيمي ، فخر الدين الرازي ، أوحد زمانه في المعقول والمنقول، عالم في التفسير والأصول والفقه (ت/٦٠٦هـ) .
انظر : الزركلي ، الأعلام ٢٠٣/٧ ؛ ترجمته في مقدمة محقق كتاب المحصول ، ص ٣٢ .

(٣) اسم الكتاب : المحصول في أصول الفقه ، حققه ودرسه د . طه جابر فياض العلواني . وطبعته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميّة عام ١٣٩٩هـ في ستة مجلدات .

(٤) انظر مبحث المصالح المرسلة في المحصول - الجزء الثاني ، القسم الثالث ، ص ٢١٨-٢٢٤.

(٥) كتاب البرهان في أصول الفقه لإمام الحرمين الجويني ، حققه د . عبدالعظيم الديب ، وطبع في مجلدين .
انظر : الطبعة الثانية ، دار الأنصار بالقاهرة ، ١٤٠٠هـ .

(٦) اسم الكتاب : قواعد الأحكام في إصلاح الأنام ، مطبوع .

(٧) عبدالعزيز بن عبدالسلام بن أبي القاسم السلمي ، سلطان العلماء ، فقيه شافعي بلغ رتبة الاجتهاد ، تولى الخطابة في الجامع الأموي بدمشق ، ثُمَّ انتقل إلى مصر وتولى بها القضاء والخطابة ، ثُمَّ اعتزل (ت/٦٦٠هـ) .
انظر : الزركلي ، الأعلام ١٤٤/٤ ؛ الكتبي ، فوات الوفيات ٥٩٤/١ .

(٨) أحمد بن علي بن عبدالقادر ، المؤرخ المشهور ، ولد ونشأ ومات في القاهرة ، ولي فيها الحسبة والخطابة والإمامة مرات (ت/٨٤٥ هـ) .
انظر : الزركلي ، الأعلام ١٧٢/١ ؛ الشوكاني ، البدر الطالع ٧٩/١ .

(٩) اسم الكتاب : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ويعرف بخطط المقريزي، مطبوع.

(١٠) الأصل : بوضايف .

سيادته، والزيارة لجده المصطفى عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام[1]، لا سيما وبين يديه السيد العلامة حسن بن خالد ، وهو من أكابر العلماء ، وتلك الأمور الواقعة من إقامة الحدود بمرأى ومسمع منه ، فلا يبعد مجراها على الوجه الذي ذكرناه ، فلا يتوجه عليه اعتراض بذلك كما عرفت ، والله أعلم .

وبعد وفاة الشريف حمود - رحمه الله تعالى - انحل عقد اجتماع جيشه :

وتفرقوا فرقًا فكلُّ قبيلة ... فيها أميرُ المؤمنين ومنبرُ[2]

وطلب السيد العلامة حسن بن خالد البيعة من رؤساء الجند للشريف أحمد بن حمود كما روي ، فمنهم من استعد ، وغالبهم منع ؛ لأنهم تعلّلوا أنه طلب البيعة لنفسه ، والعلم عند الله تعالى . وأمّا الأشراف فلم يبايع منهم أحد كما بلغ ، وبعد ذلك أشعل الجند على السيد المذكور نار الخلاف ، واحتسى بذلك الواقع من الهموم سلافًا بعد سلاف ، ولله القائل :

لا تلقَ دهرَك إلا غيرَ مكترث ... ما دام يصحب فيه روحَك البدنُ

فلا يديم سروراً ما سررت به ... ولا يرد عليك الفائتَ الحزنُ[3]

[ص١٣٣] / فاعتزل في ناحية عن أولئك القوم ، ولم يقابلهم بعتب ولا لوم ، وهم صمّموا على النزول إلى تهامة ، وعزموا على أن من اعترضهم أقاموا عليه بالقتال القيامة ، وما كان من ذلك الجند بعد وصولهم إلا أنهم سلموا إلى الشريف أحمد بن حمود القياد ، وبايعه من طلب بيعته من أولئك الأجناد ، وأشعروا في جميع ممالك والده (أنه قد تقلد جيدُ المملكة [٤٢/ب] الشريفَ أحمد)[4] ، ونفذت أوامره فيما يروم من كل مقصد ، ومدت الممالك جرانها لديه ، وأنشد لسان حالها بين يديه :

---

(١) الأصل في شد الرحال بقصد الزيارة أن تكون للمسجد النبوي ، ثم السلام لمن قصد ذلك على النبي ﷺ ، وهذا ما جاء به النص عنه عليه الصلاة والسلام : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ... الحديث » فجعل الشدّ للأماكن المذكورة .

(٢) البيت من الكامل .

(٣) البيتان من البسيط ، والقائل : المتنبي ، انظر : الديوان ٢٣٤/٤ .

(٤) هكذا في الأصل .

فألقت عصاها واستقر بها النوى ... كما قرَّ عينًا بالإياب المسافرُ[1]

وفي هذا العام توفي الوالد القاضي العلامة صفي الإسلام أحمد ابن حسن بن علي البهكلي ، كان - رحمه الله تعالى - من القضاة المشهورين ، ارتحل في طلب العلم إلى « زبيد » و« صنعاء » ونال الحظ الوافر من كل فن ، وكان له الذهن الوقاد ، والخاطر المنقاد ، فأتى من العلم في الزمن القصير ، ما لم يحصله غيره في الزمن الكثير . ولقي السيد العلامة محمد بن إسماعيل[2] الأمير - رحمه الله تعالى - وتلك الطبقة العالية ، وأخذ عنهم .

وكان مولده عام ثلاثة وخمسين بعد المائة والألف في شهر ذي القعدة الحرام بمدينة « صبيا » ، وتولى القضاء بمدينة « صبيا » مدة ، ثُمَّ ترك ذلك ، وسكن بلده / « هجرة ضمد » ، وكان يتردد منها إلى « أبي [ص١٣٤] عريش » وهو مع ذلك على حال رضي ، ومنهج سوي ، أوقاته معمورة بالطاعات ، من تدريس وذكر وتلاوة قرآن في كثير من الأوقات ، وله رسائل عديدة في مراجعات بينه وبين سيدي الوالد - رحمه الله تعالى - وبين علماء عصره ، وقد رأيت بعض ما دار بينه وبين سيدي الوالد - رحمه الله تعالى - في حكم صوم « يوم الشك » ، فبهرني منه ذلك التحقيق بعبارة جزلة ، وفصاحة ألفاظ . وناهيك أنه نادرة عصره ، وأصمعي دهره ، وأمَّا البلاغة فهو إمامها الذي إذا جلاّ في محرابها صلّى بعده الأدباء ، والضارب فيها بالسهم الوافر الذي أقر بالعجز عنه مصاقعة الخطباء ، وهو مجيد في النظم والنثر ، وشعره كثير ، فمن أحسن ما وقفت عليه من شعره هذه القصيدة[3] :

---

(١) البيت من الطويل .

(٢) الأصل : اسمعيل .

(٣) القصيدة من الطويل .

شرى(١) البرقُ من أرض الحجاز وأتهما   فهيج شوقًا في حشايَ وتيَّما
فما رعده إلا زفيرُ تولّهي   وما المزنُ إلاّ ودق جفني إذا هما
[٤٣/أ] / وما لمع ذاك البرق غير تنفس   تصعد من قلب الشجي تضرما
تسعّره نار الفراق وطالما   يعلّل نفسًا في عسى ولعلما
إذا ما شَدَت ورقاءُ تُطْرِبُ إلْفهَا   توهمتها تبكي لما بي ترحّما
وإن عبرت في سحرة نسمةُ الصبا   صبت بفؤاد حنَّ شوقًا إلى «الحمى»(٢)
فيا ساكني أكناف «رامة»(٣) هل لنا   إلى وردكم من نهلةٍ تذهب الظما
[ص١٣٥] / ويا وطني هل أنت باق كعهدنا   وقد ظلَّ فيك السحب يومًا وغيما
وهل ربعُك المعمور راق لناظر   إذا ما كساه النبت زهرًا وأنجما
وهل طافه من زائر العرب رائد   ليوطئه خفّاً هناك ومنسما
وهل خيمت في جزعه من ظعينة   ومدت إلى الأطناب كفّاً ومعصما
من البيض لكن عندها البيض جردت   وهن الدمى من دونها تسفك الدما
وحول خباها كلّ لدن مثقف   بكف كميٍّ للردى قد تلثما
جآذر أنس قد نصبن لعاشق   إذا رام مرماها نبالاً وأسهما
سقتك الغوادي يا ديار أحبتي   وجادك هطال الربيع وديّما
فيا زمن التفريق هل أنت مسعدي   إلى كم تجرعني من البين علقما
أما للنوى من عِدَّة قد تصرمت   ووقت التداني قد دنا لي وحتّما

(١) شرى في الأمر : لج وبالغ ، وفي البرق : تتابع لمعانه .
انظر : المعجم الوسيط ٤٨٣/١ .
(٢) الحمى : قرية تقع شرق الشقيري وهي تبعد عن ضمد بحوالي ٧ كم شرقًا .
انظر : العقيلي ، المعجم الجغرافي ، ١٥٥ ، زيارة ميدانية للباحث .
(٣) موقع على الطريق بين البصرة ومكة المكرمة في بني تميم ، يبعد عن البصرة بحوالي ١٢ مرحلة .
انظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ١٨/٣ .

هذا غزلها ، وبعدها مديح ، وهذه القطعة من أدبه تدل على كمال بلاغته ، ولطف عارضته . وقد رثاه ولده شيخنا القاضي العلامة عبدالرحمن بن أحمد بقصيدة بليغة لولا الإطالة لذكرتها . وقد أثبتها في غير هذا الموضع(١) ، وقوله : يجرْعني - بإسكان الراء في الفعل المضارع (المجرد) قد ورد مثله في شعر العرب ، وللنحاة في ذلك كلام معروف ، وأمّا قوله : من البيض إلى آخره [٤٣/ب] ففيه الجناس التام مثل قول ابن الرومي(٢) :

للسود في السود آثارٌ تركن بها   لمعاً من البيض تثني أعين البيض(٣)

/ ومعناه أن لليالي السود في اللّمم السود آثارًا تركن بها لمعًا من [ص١٣٦] الشعرات البيض تثني - أي تصرف - أعين البيض الكواعب الخرد الحسان ، وكون الشيب صارفا لأعين الحسان ، فهو متداول بين أهل هذا الشأن ، وقد أكثر من ذلك الشعراء في الجاهليَّة والإسلام ، وقد أحسن أبو العلاء المعري(٤) في قوله :

خبريني ماذا كرهتِ من الشيب   فلا علمَ لي بذنب المشيب
أضياءُ النهار أوْ وضح اللؤلؤ   أو أنه كثغر الحبيب
واذكري لي فضل الشباب وما   يجمع من منظر يروق وطيب
غدره بالحبيب أم حبه للغي   أم أنه كدهر الأديب(٥)

(١) انظر القصيدة ضمن ترجمة عبدالرحمن بن أحمد في عقود الدرر للمؤلف . الترجمة رقم (١٢٤) ، ومطلعها :
هل ينعم الرسم الخلي الداعيا   أم هل تجيب الدارسات مناديا
يا دار أهل العلم أين تيمموا   سكانك الشم الكرام مساعيا
(٢) علي بن عباس بن جرجيس الرومي ، من أشهر شعراء العصر العباسي (ت/٢٨٣هـ) .
انظر : فروخ ، تاريخ الأدب العربي ٢٤٠/٢ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ٤٢/٣ ؛ الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ٢٣/١٢ ؛ الأميني ، الغدير ٢٩/٣ .
(٣) البيت من البسيط .
(٤) أحمد بن عبدالله بن سليمان التنوخي ، أديب شاعر مشهور (ت/٤٤٩هـ) .
انظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ٩٤/١ ؛ زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربيَّة ٢٦٠/٢ .
(٥) الأبيات من الخفيف .

وهذا من تصرف الشعراء في تحسين الشيء وتقبيحه ، وقد كان ابن الرومي مِمَّن يخالف الناس ، ويعكس القياس ، فيذم الحسن ، ويمدح القبيح ، وهو القائل :

في زُخرف القول ترجيح لقائله ... والحقُّ قد يعتريه بعض تغيير
تقولُ هذا مجاج النحل تمدحه ... وإن تَعِب قلت ذا قيّ الزنابير[1]
مدحًا وذمّاً وما جاوزت مدحهما ... سحر البيان يري الظلماء كالنور[2]

والحريري[3] إنَّما فاق على من سواه بما أتى في مقاماته من مدح الشيء وذمّه ؛ كما فعل في المقامة الدينارية والتي فاضل فيها بين كتابة الإنشاء والحساب ، والتي ذكر فيها البكر والثيب ، والزواج والعزوبة ، [ص١٣٧] وغير ذلك ، ولعمري أن مثل هذا / هو البلاغة والقدرة على التلعب بالكلام ، وصحة التخيل والذوق ، لكن [٤٤/ أ] ابن الرومي مشى في طريق الناس في بيته الأول ؛ لأن المعلوم لكل ذي ذوق أن الصفاء والعذوبة والهناء إنَّما هي معصوبة بالشباب ، فإذا أتى زمن المشيب كدّر منهل العيش ، وغصص وارِدُهُ بكدر ضده ، وقد قال تعالى وهو أصدق القائلين : ﴿ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ ﴾[4] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ ﴾ [5] ، وما أحسن قول أبي العلاء :

وقد تعوضتُ من كل بمشبهه ... وما وجدت لأيام الصبا عوضا[6]

(١) الأصل : الزنانير ، والصواب من (ص) و (ع) .
(٢) الأبيات من : البسيط .
(٣) القاسم بن علي بن محمد بن عثمان ، أديب وعالم في اللغة ، اشتهر بمقاماته (ت/٥١٦ هـ) .
انظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ٢٢٧/٣ ؛ زيدان ، آداب اللغة العربيَّة ٣٨/٣ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ٢٢٥/٥ .
(٤) سورة النحل ، الآية ٧٠ .
(٥) سورة يس ، الآية ٦٨ .
(٦) البيت من البسيط ، انظر : سقط الزند لأبي العلاء المعري ، ٢٠٨ .

وما بكت العرب على فائت من الأحباب ، مثل بكاها على أيام الشباب ، (قال المفضل[1] : حضرت الرشيد وقد دخل عليه منصور النمري[2] فأنشده :

ما تنقضي حسرة مني ولا جزعٌ ... إذا ذكرت شبابًا ليس يرتَجِع
بَانَ الشباب وفاتتني بلذته ... صروف دهر وأيام لها خدع
ما كنت أوفي شبابي حسن غرته ... حتى انقضى فإذا الدنيا له تبع[3]

قال : فتحرك الرشيد ، وقال : أحسن ، والله لا يتهنَّى أحد بعيش حتى يخطر في رداء[4] الشباب)[5] .

ولو جمع ما قيل من الشعر في البكاء على الشباب[6] لجاء[7] في جزء مفرد ، وممَّا قلته في هذه المادة حين راعني لمعان المشيب ، وردن الشباب مني قشيب[8] :

بَانَ الشبابُ وجاء الشيبُ بالهرم ... فإن بكيت فما بالعهد من قدم
/قد راعني لُمعًا في العارضين غدت ... مثل النجوم بدت في جانح الظلم [ص١٣٨]
إن قلت شيبٌ بدا من قبل عادته ... يحكي لدرٍّ غدا في السلك منتظم
فليس ينفعني عذري بسرعته ... عند اللواتي كرهن البيض في اللمم
فليت عصرَ الصبا بالحسن دام لنا ... وليت أن زمان الشيب لَمْ يدم

(١) المفضل بن محمد الضبي ، أديب من رواة الشعر ، جمع بعض الأشعار المختارة للمهدي وسماها المفضليات ، مطبوع (ت/١٦٨هـ) .
انظر : زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربيَّة ٤١٢/١ .
(٢) منصور بن الزبرقان بن سلامة ، شاعر عباسي (ت/١٩٠هـ) .
انظر : الزركلي ٢٣٨/٨ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ٣٨٠/٥ .
(٣) الأبيات من البسيط .
(٤) الأصل : ردأ .
(٥) انظر : الغيث المسجم للصفدي ١٧٦/٢ .
(٦) الأصل : الشاب ، والصواب من ص .
(٧) الأصل : لجأ ، والتصحيح من ع .
(٨) الأبيات من البسيط .

ويعجبني في تعليل إسراع الشيب ما قاله شيخنا البدر الشوكاني[1] بلَّ الله ثراه بالرحمة :

[٤٤/ب] / إن شبتُ من قبل أترابي فلا عجبي ... فمثل ذا لبني الأيام قد وقعا

رأى الشبابُ صنيعي لا يوافقه ... فَفَرَّ إذْ لَمْ أجب داعيه حين دعا

وأقبل الشيب مسروراً بطلعته ... كالصبح بعد ظلام الليل قد طلعا

وأنشدني القاضي العلامة الأديب يحيى بن عبدالواسع العلفي[2] ونحن « بالروضة »[3] من منتزهات « صنعاء » عام ثلاثة وأربعين بعد المائتين والألف لنفسه عكس هذا المعنى وقال : إنه قال ذلك حين عثر على أبيات شيخنا المذكور :

قال العواذلُ ما بالُ الشباب له ... ملازماً ومشيب الرأس ما طلعا

فقلت إن مشيبي ساءه[4] عملي ... ففر إذ لَمْ أجب داعيه حين دعا

فأعرض الشيب مُزْوَرّاً[5] يقول لقد ... دعوته بفلاحي[6] قط ما سمعا[7]

بعد انفصال تلك الأجناد لم يزل السيد العلامة حسن بن خالد

---

(١) محمد بن علي الشوكاني ، عالم ومجتهد من كبار علماء اليمن ، ولي القضاء بصنعاء وأصبح قاضي القضاة من ١٢٢٩هـ إلى أن توفي عام ١٢٥٠هـ .
انظر : الشجني ، التقصار في جيد علاّمة الأمصار (مخطوط) ؛ الشوكاني ، البدر الطالع ٢/٢١٤ ؛ زبارة ، نيل الوطر ٢/٢٩٧ ؛ انظر ترجمته في هذا الكتاب في وفيات عام ١٢٥٠ هـ ؛ عاكش حدائق الزهر ، تحقيق : د . إسماعيل البشري ، ٣١ ؛
- Al - Amri , The Yemeni scholar .

(٢) في الأصل : العنفي ، والصواب العلفي ، شاعر وأديب يمني .
انظر : زبارة ، نيل الوطر ٢/٤٠٤ .

(٣) روضة أحمد : شمال مدينة صنعاء بمسافة ٥ كم وتدعى أيضاً روضة حاتم ، وهي مشهورة بضروب عنبها . انظر : المقحفي ، معجم المدن والقبائل اليمنية ، ١٨٣ .

(٤) الأصل : سأه .

(٥) في نيل الوطر لزبارة : حيرانًا ، انظر : ٢/٤٠٦ .

(٦) في نيل الوطر لزبارة : لفلاح ، انظر : ٢/٤٠٦ .

(٧) الأبيات من البسيط .

يتوصل إلى نظم / شمل عسير ، فاجتمع له منهم جمع كثير ، ولما كان [ص١٣٩] السيد المذكور عند الشريف حمود بمنزلة الواسطة من العقد ، وقد ناط به جلّ أموره لما علم منه صدق المؤازرة ، وعرف منه النصح له والمعاضدة .

وقد قيل لعبدالحميد الكاتب[1] : أيما أحب إليك أخوك أم صديقك ؟ فقال : أنا أحب أخي إذا كان صديقي ، وفي المثل « رب أخ لك لم تلده أمك »[2] . وقال أكثم بن صيفي[3] : القرابة تحتاج إلى مودة ، والمودة لا تحتاج إلى قرابة .

وكان الأشراف يرون إقعاد الشريف حمود له هذا المقعد ، وتأثيره عليهم مع أنه من الأجانب لا يليق ، ويرون أنهم الأحقاء بمقامه لكونهم عشيرته الأدنين ، وما زال يفرج بهم كل مضيق ، ولله القائل :

[٤٥/أ] / ما لمتُ دهري على شيء عصيت له
على الحوادث حتى جار في القسم[4]

ولكن الشريف حمود لا يلوي إلى قول قائل ، ولا يسمع فيه عذل عاذل ، ويرى كلام المتكلم في هذه المجرَّة من اللمم ، لا جرم أن المحب عن العذال في صمم ، وكان الشريف في آخر أيامه قد أوحش منهم النفوس ، وأودع بعضهم الحبوس ، ولم يغتفر لهم أدنى حاصل في الأقوال والأفعال ، ولله من قال :

---

(١) عبدالحميد بن يحيى بن سعد العامري ، عالم بالأدب من أئمة الكتاب ، يضرب به المثل في البلاغة ، ويقال : فتحت الرسائل بعبدالحميد وختمت بابن العميد ، قتل مع مروان ابن محمد في بوصير بمصر سنة ١٣٢هـ .
انظر : الزركلي ، الأعلام ٤/٦٠ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ٢/٣٩٤ .

(٢) قاله لقمان العادي لامرأة رأى معها رجلاً مستخلياً بها فسألها عنه فقالت : هو أخي .
انظر : الزمخشري ، المستقصى ٢/٩٣ .

(٣) أكثم بن صيفي بن رياح التميمي ، حكيم العرب في الجاهليَّة وأحد المعمرين ، أدرك الإسلام وقصد المدينة ومات في الطريق سنة ٩هـ .
انظر : الزركلي ، الأعلام ١/٣٤٤ ؛ ابن حجر ، الإصابة ١/١١٣ .

(٤) البيت من البسيط .

ومن لَمْ يغمضْ عينه عن صديقه   وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب

[ص١٤٠] ومن يتتبع جاهداً كل عثرة   يجدها ولم يسلم/له الدهر صاحب(١)

وكانوا منه مع هذا على جناح طائر من الحذر ، وقنعوا منه بالسلامة عن بذل النوال ورأوها(٢) غاية الوطر ، فلما لحق بالعالم الأخروي ظنوا أنهم بولاية ولده الشريف أحمد ينالون المراد ، ويرجعون إلى عادتهم السالفة من التكرمة والإمداد .

والمرء ما دام مَمْدوداً له أمل   لا ينقضي العيش حتى ينقضي العُمُرُ(٣)

فلم يزل قرابته يدلونه على الاستبداد في جميع أموره ، لأن العاجز من لا يستبد ، ويرشدونه إلى عدم مطاوعة أحد ممن يريد إقصاءهم عنه ، ويحذرونه من فعل والده ، فمال معهم إلى هذا التدبير ، وأظهر مباينة السيد حسن بن خالد والله أعلم بما أجنّه في الضمير .

ولما استقر مطرح السيد العلّامة حسن بن خالد بمن معه من الأجناد بوطنه قرية « ضمد » نصب هنالك الخيام ، ورفع إلى الشريف أحمد بمكتوب ، متضمناً أنه عضيده وأنه له كما كان لوالده ، ولا له غير ذلك مطلوب ، والشريف أحمد في الظاهر مصمم على عدم المساعدة في الخطاب ، ويرى أن السيد الحسن قد حاد عن طريق الصواب ، فتوسط جماعة من الأعيان منهم الشريف حسن بن شبير بن مبارك على أن يكون بين الرجلين الاجتماع [٤٥/ب] ما بين « وادي بلاج »(٤) و « جازان » ، [ص١٤١] ويتفاوضان فيما بينهما وما شاء الله كان ، / فرضي كل منهما هذا الرأي السديد ، والله – سبحانه – هو الفعال لما يريد ، فجمع الشريف أحمد

(١) البيتان من الطويل .
(٢) الأصل : ورؤها ، والتصحيح من ص .
(٣) البيت من البسيط .
(٤) واد صغير مأتيه من بني الغازي ، يلتقي بوادي جازان جنوب قرية القمري .
انظر : العقيلي . المعجم الجغرافي ، ٨٠ .

الأجناد الذين لديه ، ولبس الأشراف لأمات الحرب بين يديه ، وكان غالب الظن منهم أن ينفتح الشر بينه وبين السيد العلّامة حسن بن خالد ، لما كان ظهر لهم من الشريف أحمد من المقال ، مع أن المقادير تجري بخلاف ما يخطر بالبال .

فلما أن ترا[ءى] الجمعان ، جالت خيل الشريف في ذلك الفضاء براعة استهلال ، لانفتاح باب القتال في ذلك المجال الوسيع ، فلم يرض الشريف أحمد فعلهم بل قابلهم كما حُكي بالعتب والتقريع ، وانضم عقد الكلام في ذلك المقام على وقوف الشريف أحمد والسيد حسن بين الجيشين تحت شجرة ، وكل منهما يفيض على الآخر عُجَرَه وبُجَرَه(١) ، فطال بينهما بعد الاتفاق المجاذبة بأطراف الكلام ، وآل الأمر إلى أن بايع السيد الحسن الشريف ، وصار ما بينهما بالاتحاد أصفى من ماء الغمام ، وكأنه لم يكن جرى شيء من الخلاف ، وعاد الحال إلى اتفاق وائتلاف :

وكأنّما برقٌ تألق بالحِمى   ثُمَّ انطفى وكأنه لَمْ يلمعِ(٢)

وفي آخر ذلك اليوم توجهوا جميعًا إلى « أبي عريش » ، وسكنت أمور الناس من التشويش :

وعاد الناس بين رضًا وسخط   تفرقهم كأنواع الطباق(٣)

ودخلوا المدينة العريشية ، بأبهة ملوكيَّة ، وشارة / هاشمية ، [ص١٤٢] وضُربت المدافع للأفراح ، واستحال ذلك الغسق صباحًا أيّ صباح .

سانحة : قوله في بيت الشاهد تفرقهم كأنواع الطباق ؛ فالطباق : نوع من أنواع البديع ؛ لأن الرضى والسخط ضدان ، وأعظم [٤٦/أ]

(١) يعني همومه وأحزانه ، قاله علي بن أبي طالب لما رأى طلحة بن عبيدالله وهو صريع في وقعة الجمل ... إلى الله أشكو عُجَري وبُجَري ، معناه : همومي وأحزاني .
انظر : لسان العرب ، مادة : عجر .
(٢) البيت من الكامل .
(٣) البيت من الوافر .

شواهد المطابقة قوله تعالى : ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾﴾[1] . وكقوله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ للأنصار : « إنكم لتكثرون عند الفزع ، وتقلون عند الطمع »[2] . فانظر إلى البلاغة النبوية ، والمناسبة التامة ضمن المطابقة . ومن الشواهد الشعرية قول الحماسي[3] :

تأخرت أستبقي الحياة[4] فلم أجد ... لنفسي حياةً مثل أن أتقدما[5]

وقول ابن الدمينة[6] :

لئن ساءني أن نلتني بِمَسَاءةٍ ... لقد سرني أني خطرت ببالك[7]

والمطابقة عند المحققين من علماء البديع غير المقابلة ، والفرق بين المقابلة والمطابقة من وجهين :

أحدهما : أن المطابقة لا تكون إلا بالجمع بين ضدين ، والمقابلة تكون غالبًا تجمع بين ضدين في صدر الكلام ، وضدين[8] في عجزه ، ويبلغ الجمع بين عشرة أضداد خمسة في الصدر وخمسة في العجز .

والثاني : أن (المطابقة) لا تكون إلا بالأضداد والمقابلة تكون بالأضداد وغير الأضداد ، ولكن الأضداد أعلى رتبة وأعظم موقعًا ، ومن [ص١٤٣] معجز هذا الباب قوله تعالى : ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا

(١) سورة النجم ، الآيتان ٤٣ ، ٤٤ .
(٢) لم أعثر عليه بأي لفظ في معظم كتب الحديث .
(٣) الحماسي : نسبة إلى حماسة أبي تمام ، والبيت من مقطوعة للحصين بن الحمام المري ، انظر : أبو تمام ، الحماسة ١/١١٤ .
(٤) الأصل : الحيوة ، والتصحيح من ص .
(٥) البيت من الطويل .
(٦) عبدالله بن عبيدالله بن أحمد ، من خثعم ، شاعر بدوي من أرق الناس شعرًا ، وهو من شعراء العصر الأموي (ت/١٣٠هـ) .
انظر : الزركلي ، الأعلام ٤/٢٣٧ ؛ العباسي ، معاهد التنصيص ١/١٦٠ .
(٧) البيت من الطويل .
(٨) الأصل وص : ضدان .

فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ﴾[1] ، فانظر إلى مجيء الليل والنهار في صدر الكلام ، وهما ضدان ، ثُمَّ قابلهما في عجز الكلام بضدين ، وهما السكون والحركة على الترتيب ثُمَّ عبر عن الحركة بلفظ الإرداف . والتزم في الكلام ضربًا من المحاسن زائدًا على المقابلة ؛ فإنه عدل عن لفظ الحركة إلى لفظ ابتغاء[2] الفضل ، لكون الحركة تكون لمصلحة ولمفسدة ، وابتغاء الفضل حركة المصلحة دون المفسدة ، وهي تشير إلى الإعانة بالقوة ، وحسن [٤٦/ب] الاختيار الدال على رجاحة العقل وسلامة الحس ، وإضاءة الطرق إلى تلك الحركة المخصوصة واقعة فيه ليهتدي المتحرك إلى بلوغ الأرب ، ويتقي أسباب المهالك . والآية الشريفة سيقت للاعتداد بالنعم ، فوجب[3] العدول عن لفظ الحركة إلى لفظ هو ردفه ليتم حسن البيان ، فتضمنت هذه الكلمات التي هي بعض آية عدة من المنافع والمصالح التي لو عددت بألفاظها الموضوعة لها لاحتاجت في العبارة عنها إلى ألفاظ كثيرة ، فحصل في هذا الكلام بهذا السبب عدة ضروب من المحاسن ، ألا تراه - سبحانه وتعالى - كيف جعل العلة في وجود الليل والنهار حصول منافع / الإنسان قال : ﴿لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ﴾ [ص١٤٤] فجمعت هذه الآية الشريفة من أنواع البديع : المقابلة ، والتعليل ، والإشارة ، والإرداف ، وائتلاف اللفظ مع المعنى ، وحسن البيان ، وحسن النسق ؛ فلذا جاء بالكلام متلائمًا آخذًا بعضه بأعناق بعض ، ثُمَّ أخبرنا بخبره الصادق أن جميع ما عدّده من النعم بلفظ الحاضّ ، وما تضمنته العبارة من النعم التي يلزم من لفظ الإرداف بعض رحمته حيث قال بحرف التبعيض ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِ﴾ ، وهذا كله في بعض آية عدتها عشر كلمات ، فتأمل هذه البلاغة الباهرة ، والفصاحة الزاهرة .

(١) سورة القصص ، الآية ٧٣ .
(٢) الأصل وص : ابتغى .
(٣) المؤلف هنا يتكلم وكأنه يتحدث عن كلام بشر يوجب عليه ما يجب لغة وما يلزم الحذر منه ، وغفل عن أنه يعرض كلام الله تعالى ، والتعبير بالوجوب خطأ ظاهر في حق الله تعالى ، إذ لا يجب عليه شيء ، وما كتبه على نفسه إنما هو تكرم وفضل منه سبحانه .

ومن أمثلة المقابلة في السنة الشريفة قوله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِه وَسَلَّمَ : « ما كان الرفق في شيء إلا زانه ، والخرق في شيء إلا شانه »(١) ، فقابل - صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِه وَسَلَّمَ - الرفق بالخرق ، والزين بالشين ، بأحسن ترتيب وأتم مناسبة ، ومنه قوله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِه وَسَلَّمَ : « إن لله عبادًا جعلهم مفاتيح للخير [٤٧/أ] ومغاليق للشر »(٢) ، هذا في مقابلة اثنين باثنين ، وأمَّا مقابلة ثلاثة بثلاثة فقيل : إن المنصور الدوانيقي(٣) ثاني خلفاء بني العباس سأل أبا دلامة(٤) عن أشعر بيت في المقابلة فأنشده(٥) :

ما أحسنَ الدينَ والدنيا إذا اجتمعا ... وأقبح الكفرَ والإفلاسَ بالرجل

[ص١٤٥] / فالشاعر قابل بين أحسن بأقبح ، وبين الدين والكفر ، والدنيا والإفلاس ، قال ابن أبي الإصبع(٦) : لم يصل قبله مثله ، ومن مقابلة خمسة بخمسة قول أبي الطيب :

أزورهُمْ وسوادُ الليل يشفعُ لي ... وأنثني وبياضُ الصبح يُغْرِي بي(٧)

فأزورهم يقابل أنثني ، وسواد يقابل بياض ، والليل يقابل الصبح ،

(١) ورد عند مسلم في البر والصلة والآداب (٢٥٩٤) ؛ وعند أبي داود في الجهاد ، باب : ما جاء في الهجرة (٢٤٧٨) ؛ وأحمد في المسند ٥٨/٦ ، ١١٢ ، ١٢٥ ، ١٧١ .

(٢) ورد عند ابن ماجة في المقدمة ، باب : من كان مفتاحًا للخير (٢٣٧) .

(٣) أبو جعفر المنصور ، ثاني خلفاء بني العباس ، أطلق عليه لقب الدوانيقي نظرًا لبخله ، والدانق عملة ذلك الوقت (ت/١٥٨هـ) .
انظر : الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ١٥٤/٩ - ٢٢٢ ؛ الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ٥٣/١٠ - ٧١ .

(٤) زند بن الجون الأسدي ، أبو دلامة ، شاعر مطبوع ومن أهل الظرف والدعابة (ت/١٦١هـ) .
انظر : الزركلي ، الأعلام ٨٤/٣ ؛ العباسي ، معاهد التنصيص ٢١١/٢ .

(٥) البيت من البسيط .

(٦) زكي الدين عبدالعظيم بن عبدالواحد بن أبي الإصبع العدواني ، شاعر وعالم بالأدب ، ولد وعاش بمصر (ت/٦٥٤هـ) .
انظر : الزركلي ، الأعلام ١٥٦/٤ ؛ الكتبي ، فوات الوفيات ٦٠٧/١ .

(٧) البيت من البسيط .

ويشفع يقابل يغري ، ولفظ لي يقابل لفظ بي ، وهذا في غاية من الحسن .

وأمَّا ما قاله أبو بكر ابن حجة(١) في شرح بديعته من التنظير في المقابلة بين لي وبي بأن الباء واللام صلتا الفعل ، فلا تتم المقابلة الخامسة ، ثُمَّ حكم بترجيح (بيت) أبي دلامة المتقدم عليه ، فالحكم تَحَكُّم ، والتنظير غير صحيح ؛ لأن مقابلة لي للفظة بي صحيحة : لأن الشفاعة له ضد الإغراء به ، كأنه قال ذاك لي وهذا عليَّ . قال الشاعر :

فيوم علينا ويومٌ لنا ... ويومٌ نساءُ ويوم نُسَر(٢)

ألا تراه قابل عليهم بما لهم لما في ذلك من الإساءة(٣) والسرور ، ولله در شيخ الإسلام ابن دقيق العيد(٤) - رحمه الله تعالى - ما أصدق ذوقه ، وما أرق حاشيته ، حيث يقول : « قل لهؤلاء ؛ علماء المعاني والبيان والبديع : أتحسنون أن تقولوا مثل هذا - يعني أزورهم ... البيت - فإذا قالوا لا قل لهم : أي فائدة فيما / تصنعونه » انتهى . [ص١٤٦]

نعم ، ولَمْ يزل الشريف أحْمَد متفيئًا ظلال الإمارة ، قد ملأت [٤٧/ب] أحكامه أقطاره ، والحال فيما بينه وبين السيد الحسن جميل ، وهو على الحال الذي كان مع والده من التكريم والتبجيل ، ولكن الشريف أحمد قد استماله من استمال من غير نظر إلى ما قيل في هذا المجال :

(١) أبو بكر بن علي بن عبدالله الحموي المعروف بابن حجة ، شاعر وأديب وكاتب . تنقل بين مصر والشام (ت/٨٣٧هـ) .
انظر : الشوكاني ، البدر الطالع ١٦٤/١ ؛ السخاوي ، الضوء اللامع ٥٣/١١ .

(٢) البيت من المتقارب ، وهو للنمر بن تولب ، انظر : النويري ، نهاية الأرب ٢٣٤/٣ .

(٣) الأصل : الاساه .

(٤) محمد بن علي بن وهب ، من أكابر العلماء بالأصول ، ولد في ينبع بالحجاز وتنقل بين الشام ومصر ، وولي قضاء الديار المصرية إلى أن توفي عام ٧٠٢ هـ .
انظر : الزركلي ، الأعلام ١٧٣/٧ ؛ الشوكاني ، البدر الطالع ٢٢٩/٢ ؛ ابن تغري بردي ؛ النجوم الزاهرة ٢٠٦/٨ .

وإنَّما رجـــل الدنيا وواحدُها ... من لا يُعَوِّل في الدنيا على رجل[(١)]

فـحـسّن له المصـاحـبـة للأتراك ليـسكن عنه شـرهم في جـمـيع الأحـوال ، وتنسـد باب فـتنتـهم التي لم تزل تزلزل الأبطال ، كـمـا قـال صاحب « الصادح والباغم » :

وإن مَـنْ حـارب من لا يقوى ... لحربه جـرَّ إليـــه البـلـوى[(٢)]

لكن المقادير تجري بخلاف التقارير ، ولما كان السيد العلامة حسن ابن خـالد قـد حنكتـه التـجـارب ، ولم يقنع بغـيـر السـيف صـاحب ، لم يستـحـسن هذا الفـعـال في إصدار ولا إيراد ، ويرى أن تصـافي العـرب والعـجم لا يُمكن لأن بينهـمـا نسـبـة التـضـاد[(٣)]، لكنه لم يصغ إلى مقـاله ، ففعل ما أراد ، وأرسل بعض الأعيان لتغليق هذا الباب ، ويكون بواسطته تمام الخطاب ، وفي خـلال ذلك بدا له الخروج إلى بلاد « الخـمـيسين » ؛ لأنه قد كان أرسل إلى جهاتهم القاضي المقدام حسن بن عطيف الحكمي في طائفة من الأجناد ، لعله يتسلم منهم بعض المعونات الدوليـة[(٤)] ، وقد [ص١٤٥م][(*)] كان أشرف أمـرهم على تمام ، ففرق / المذكور من عنده من الأقوام ، لما قد سبق في علم الملك العـلاّم ، فمع علم أولئك القبـائل أنه لم يبق لديه غير فئة قليلة لا يخشى منهم قوة الدفاع ، تجمعوا من كل جانب وملؤوا تلك البقاع ، وجعلوه هو وأصحابه هدفـًا للرصاص ، ولم يراقبوا فيهم الله سـبـحـانه وتعـالى يوم التـقـاص[(٥)] ، وكـان هذا القـاضي من أعـوان الدولة

(١) البيت من البسيط وهو للطغرائي ، انظر : فرّوخ ، تاريخ الأدب العربي ٣/٢٣٤ .
(٢) البيت من الرجز .
(٣) هذه المقولة غير صحيحة ، وهي تنبئ عن عصبية مقيتة ، فقد جمع الدين أصحاب الألسن المختلفة والديار المتباعدة ، والفضل إنما يكون بالتقوى والعمل الصالح كما ورد بذلك الخبر عن الصادق ﷺ . ولو علل الأمر بما فعل أولئك وما عانته البلاد منهم فإن هذا أحرى من التعليل باللسان والجنس فحسب .
(٤) إشارة إلى الضرائب التي كان الأشراف يفرضونها على سكان المخلاف السليماني ، والمؤلف هنا يربط بين تلك الضرائب وبين ما كان يطلبه الأتراك من الشريف ، أو لعله يريد أن يلطف أو يفسر الموقف بالنسبة للأشراف .
(٥) وردت في الأصل غير معجمة الصاد ، فيمكن أن تكون : التقاص أو التقاض ، وكلاهما يتفق مع السياق ، والتقاص أرجح لضرورة السجع مع الرصاص التي قبلها .
(*) ورد رقم ١٤٥ و ١٤٦ مكرراً في نسخة ص ، فأشرت إلى ذلك بإضافة حرف (م) .

الحـمـودية ، وله أفـعـال تدل على بسـالة ونبـالة ، وكـان يقـدم في بعض المهمات ، ويعتمد عليه في أغلب الحالات ، ولله القائل :

[٤٨/أ] / هُوَ الجد حتى تفضل العين أختها ... وحتى يصير اليوم لليوم سيدا[(١)]

هذا مع ما نال من المعارف العلمية والمكارم المرضية ، ولما وصل الشريف أحمد إلى بلاد « الخميسين » بلغ فيهم المراد ، وحكّم فيهم السيف على ما جرى منهم من التجري والعناد :

في السيف جورٌ فاجتنب تحكيمه ... ما لَمْ يُضَع أمرُ المهيمن أو يُهَن[(٢)]

وتغلغل في تلك البلاد حتى وصل جبل « كحلان » ، وقد كان بلغ استئصال الترك « للدرعية » وأسرهم لأميرها عبدالله بن سعود في جماعة من قراباته وأصحابه بعد أن حوصروا مدّة ، وكان المحاصر له إبراهيم باشا[(٣)] من تحت نظر والده محمد علي باشا صاحب مصر ، وبذل / مجهوده في استئصال تلك الطائفة النجدية ، ولم يزل محاصرًا [ص١٤٦م][(*)] لهم حتى لم يَبْقَ لهم عين ولا أثر[(٤)] ، فأصبحوا خبرًا من الأخبار ، بعد أن غنت بذكرهم السمار ، ونفذت أوامرهم في كثير من الأقطار ، وبلغت غزاياهم أطراف العراق ، وطبقوا بالسرايا أغلب الآفاق :

(١) البيت من الطويل ، وهو للمتنبي ، انظر : الديوان ، ٢٨٦/١ .
(٢) البيت من الكامل .
(٣) أكبر أبناء محمد علي باشا ، تولى قيادة الجيوش التي أرسلت للقضاء على الدولة السعودية الأولى ، أنعم عليه السلطان بالباشوية مكافأة له على خدماته ، وكان يبلغ من العمر سبعًا وعشرين سنة ، تولى ولاية مصر بعد تنازل والده سنة ١٢٦٤هـ ، وتوفي بعد ذلك بسبعة أشهر . انظر : الزركلي ، الأعلام ٦٦/١ ؛ مردم ، أعيان القرن الثالث عشر ، ١٢٠ ؛ الرافعي ، عصر محمد علي ، ترجمة إبراهيم باشا ، ٥٦٧ - ٥٧٣ .
(٤) بدأ حصار الدرعية في غرة جمادى الثانية عام ١٢٣٣هـ ، واستمر الحصار لمدة خمسة أشهر تقريبًا حتى سقطت في الثامن من ذي القعدة من العام نفسه ، ولمزيد من المعلومات حول معارك الدرعية وصمودها ضد الغزاة . انظر : ابن بشر ، عنوان المجد ١٩٦/١ - ٢١٠ ؛ عبدالرحيم ، الدولة السعودية الأولى ٣٤٨/١ - ٣٥٥ .

تحكموا فاستطالـوا في تحكمهم ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ وعن قريب كأن الأمرَ لم يكنِ[١]

فأصبحت «الدرعية» مأوى للبوم، يتجاوب فيها الصدى[٢]، مؤذنةً أن هذه الدنيا متى ما أضحكت في يومها أبكت غدا[٣]، ينشدهم لسان الحال:

كأن لم يكن بين «الحجون» إلى «الصفا» ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ أنيسٌ ولَمْ يسـمـر « بمكة» سـامـر

ويجيب عنهم في ذلك المقال :

بلى نَحْـــنُ كنـا أهلهـا فـأبـادنـا ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ صروف الليالي والجدود العـواثر[٤]

ونطقوا بلسان الاعتبار أولئك النفر ، حين صاروا تحت الأسر ، بعد أن كانوا ولاة النهي والأمر :

ملكنا أقاليمَ البـــلاد فـأذعنت ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ لنا رغبة أو رهبـــة عظمـاؤها

[٤٨/ب] / فلما انتهت أيامُنا علقت بنا ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ شـــدائد أيام قليل رخـاؤها

وكـان إلينا في السـرور ابتسـامُها ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ فصار علينا في الهموم بكاؤها[٥]

وكان السيد العلامة حسن بن خالد ، وغيره من عقلاء الناس يرون أن بقاء « الدرعية » في المناوأة للأتراك اشتغال لهم عن الالتفات إلى هذه [ص١٤٧] البلاد ، وأنه لا يردهم عن التوجه إليها - بعد أن يصفو[٦] / لهم الجو - رادٌّ، ولقد رأيت خطّاً من السيد العلامة حسن بن خالد إلى شيخنا القاضي العلامة عبدالرحمن بن أحمد البهكلي يعظّم عليه أخذ «الدرعية»، ويراها

---

(١) البيت من البسيط .

(٢) هذا الكلام وما قبله وما بعده ، في أكثر من موضع يدل على موقف معاد للدعوة وأنصارها ، وإن كان قد قال شيئًا من كلام الإنصاف في موطنين من هذا الكتاب ، ويدل على تشف بما حدث وشماتة بأولئك القوم الداعين للصلاح والاستقامة . ولكن أبى الله تعالى إلا أن يتم نوره وتعود دولة الدعوة إلى ماضيها والمؤلف عايش عودتها ولم يلتفت لذلك ، عفا الله عنا وعنه .

(٣) لم يمض على الدرعية إلا سنوات قليلة حتى قامت المحاولات لبعثها من جديد إذْ تمكن الإمام تركي بن عبدالله من تأسيس الدولة السعودية الثانية عام ١٢٤٠هـ، فانتهاء مرحلة وقيام مرحلة أخرى عاصرها المؤلف وسمع أخبارها ولا يستدعي منه مثل هذا الوصف.

(٤) البيت والذي سبقه من الطويل ، وهما للمضاض بن عمرو الجرهمي .

(٥) الأبيات من الطويل .

(٦) الأصل : يصفا .

براعة استهلال للبلية ، بأنواع من ضروب الكلام يذيب قلب الجماد، ويفصح له باستيلاء أيدي الأتراك بعد أخذها على هذه البلاد ، والله أعلم من أين استمد هذا الخاطر فلعله برؤيا منامية[١]، على أنه قد ورد في صحيح البخاري : « قد كان فيما قبلكم من الأمم ناس محدّثون ، فإن يك في أمتي أحد فإنه عمر »[٢] ، هذا لفظ البخاري ، وفي رواية له : « لقد كان فيما قبلكم من أمم بني إسرائيل[٣] رجال يُكَلَّمون من غير أن يكونوا أنبياء، فإن يك في أمتي منهم أحد فعمر » . والمحدَّثون : الملهمون كما قاله مسلم في صحيحه ، وفي « نهاية » ابن الأثير : « أنهم الملهمون . والملهم هو الذي يُلقى في نفسه الشيء فيخبر به حدسًا أو فراسة . وهو نوع يختص به الله - تعالى - من يشاء من عباده الذين اصطفى مثل : عمر ، كأنهم حدثوا بشيء فقالوه » ، هذا لفظ « النهاية »[٤] ، وفي قراءة ابن عباس رضي الله عنه : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾[٥] ولا محدَّث كما في البخاري / وقد تكلم الحافظ ابن حجر العسقلاني في « فتح [ص١٤٨] الباري » في هذه المادة بما يشفي ويكفي ، من أحبه فليطالعه[٦] .

وللسيد الإمام محمد بن إبراهيم المرتضى[٧] الشهير بابن الوزير

---

(١) هنا أمران : **الأول :** أن حزن الشيخ حسن بن خالد في محله. حيث يرى بلاد الدعوة تنتهك والظلم على أهلها يمارس فلا غرو أن يحزن هو وغيره لما أصاب المسلمين من مكروه. **الثاني :** أن الحكيم يقرأ الحدث ويستنبط منه الدرس ، وهو يعرف سياسة الأتراك فلا يحتاج إلى خواطر منامات ليحلل الحدث ويتوقع حدوث ما حدث لبلاد الدعوة في بلاده بعد أن ينهي أولئك غرضهم هناك .

(٢) هكذا في الأصل ، والصواب : فإن يك منهم أحد فعمر ، رواه البخاري في فضائل الصحابة ، باب : مناقب عمر (٣٦٨٩) ، وفي الأنبياء (٣٤٦٩) : وفي مسلم في فضائل الصحابة (٢٣٩٧) .

(٣) الأصل : اسرايل .

(٤) انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ١/ ٣٥٠ .

(٥) سورة الحج ، الآية ٥٢ .

(٦) انظر : فتح الباري ، الجزء السابع ، ص ٥٠ - ٥١ .

(٧) من آل الوزير ، مجتهد وباحث من أعيان العلماء ، تعلم بصنعاء وصعدة ومكة ، له عدد من المؤلفات أبرزها : العواصم والقواصم ؛ إيثار الحق على الخلق ؛ الروض الباسم (ت/ ٨٤٠ هـ) .
انظر : الشوكاني ، البدر الطالع ٢/ ٨١ : السخاوي ، الضوء اللامع ٦/ ٢٧٢ .

- رحمه الله تعالى - مؤلف مشتمل على قوله تعالى : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ ﴾[1] ، من الأمور الكونية الغيبية فيكشفها لمن يشاء من رسله وأنبيائه وأوليائه ، [٤٩/أ] ومن الأمور الشرعية الإيحائية فلا يكشفها إلا لرسله وأنبيائه خاصة ، فقوله تعالى : ﴿ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾[2] من العام المراد به الخاص ، والمراد من الغيب في الآية المذكورة الشرعي الإيحائي[3] خاصَّة لا الكوني ، هذا معنى ما قال ، والكلام طويل ، وهذه[4] خلاصته .

على أن السيد العلامة حسن بن خالد حدَّث لنا بعض من يطّلع على أحواله أنه كان يجري على لسانه شيء من هذا الباب فيقع مثل ما يقول ، والرجل بمحلٍّ من التقوى والله - تعالى - يقول : ﴿ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ ﴾[5] ، والكرامات من الأولياء أهل الاستقامة واقعة ، ومن نسب إلى أئمة أهل البيت إنكارها فهو لا يدري ما يقول ، ومن تتبع تراجمهم وعرف أحوالهم وقف على كرامات لهم عظيمة ، ويوردها [ص١٤٩] بعضهم لبعض في تراجمهم / ويعدونها في مناقبهم ، ولولا خشية الإطالة لأتينا على ذكر شيء من ذلك لكن من أراد ذلك فليطلبه من تراجمهم في مظانها .

وممن قرر وقوع ذلك أحسن تقرير ، علامة العصر الأخير ، السيد الإمام محمد بن عز الدين المفتي[6] - رحمه الله تعالى - في كتابه في

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٥٥ .
(٢) سورة الجن ، الآيتان ٢٦ ، ٢٧ .
(٣) الأصل : الايحاي .
(٤) الأصل : وهذا .
(٥) سورة الأنفال ، الآية ٣٤ .
(٦) عالم وفقيه يمني ، إليه تنتهي أسانيد أهل اليمن ، وأكثر مصنفاته في علم الكلام ، ألف كتاب « البدر الساري » وشرح « تكملة البدر » و « واسطة الدراري » (ت/١٠٥٠ هـ) . انظر : النعمان ، العقيق اليماني ، مخطوط ، ٣٩٥ ؛ الشوكاني ، البدر الطالع ٢/٢٠٣ .

أصول الدين المسمى « واسطة الدراري » وفي شرحه « البدر الساري »[1] من أحبه فليراجعه فإنه شاف ، وللمنصف كاف .

وقد سمعت بعض أصحاب السيد المذكور يذكر أن ذلك أخذه من «علم الجفر»[2]، وقد رأيت كلامًا لبعض العلماء في شأن علم «الجفر» يقضي بعدم ثبوت ذلك ، مع أن صاحب « مفتاح السعادة » المشهور بالفاضل الرومي قرره ، وكثير من أئمة أهل البيت عليهم السلام يقولون بصحة ذلك، ويسندونه إلى جدهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - وصاحب البيت أدرى بالذي فيه ، ومع معرفتنا بالاستقراء التام لكمال تقواهم ، وبلوغهم من العلم مبلغًا لا يبلغه غيرهم[3]، وهم في أعلى طبقات الورع (نظن) أنهم لا يقررون إلا ما له وجود في الخارج ؛ بل نقطع بذلك ، وهم أعلم وأتقى لله - سبحانه - ممن يقول بعدم ثبوته بمراحل ، حتى إنَّ [٤٩/ب] السيد العلامة صارم الدين[4] قال في « بسامته »

(١) لَمْ أعثر على معلومات عن « واسطة الدراري » ، أمَّا شرحه المسمى « البدر الساري شرح واسطة الدراري في توحيد الباري » مخطوط برقم ٢٧٦٦ في المتحف البريطاني ، ورقم ٣٦ و ١٤٠ (علم الكلام) في مكتبة الجامع الكبير بصنعاء . انظر : الحبشي ، مصادر الفكر العربي الإسلامي ، ١٢٦ .
(٢) الجفر : ولد الشاة إذا عظم واستكرش ، وقد قالوا : إن الجفر صار يطلق على نوع من العلم لا يكون بالتلقي ولكن يكون من عند الله تعالى ، وقال بعض الشيعة : علم الجفر : هو علم الحروف الذي تعرف به الحوادث إلى انقراض العالم . ويقول الكليني إن الجفر فيه توراة موسى ، وإنجيل عيسى ، وعلوم الأنبياء والأوصياء ، ومن مضى من علماء بني إسرائيل ، وعلم الحلال والحرام ، وعلم ما كان ويكون ... إلخ . وأقول : هذه الأقوال ساقطة ، وعلم الجفر باطل في معناه وفاسد في مبناه ، ونسبته إلى الإمام علي - رضي الله عنه - أو إلى أحد أئمة أهل البيت نسبة كاذبة ، وفيه ادعاء علم الغيب وأنواع التنجيم وأصول السحر والكهانة مما يدل قطعًا على أنه من وضع أعداء الإسلام . لمزيد من المعلومات عن الجفر وما قيل فيه انظر : أبو زهرة ، تاريخ المذاهب الإسلاميَّة ٢/٥١١ ؛ أحمد جلي ، دراسة عن الفرق ، ٢٠١ .
(٣) هذه دعوى ليس عليها برهان ولا حقيقة من واقع ، بل الواقع أن العلم يؤتيه الله تعالى من يشاء منذ عهد الصحابة إلى أن تقوم الساعة ، وليس بلوغ ذروته وقفًا على من زعم المؤلف فيهم ذلك ، ومن آتاه الله تعالى من آل البيت علمًا فهو زيادة في المزية ونعمة أنعمها الله تعالى عليه ولم يقصرها عليه دون غيره .
(٤) إبراهيم بن محمد بن عبدالله ، المعروف بصارم الدين ابن الوزير ، من علماء اليمن الكبار ، اشتهر بقصيدته « البسامة » التي سبق التعريف بها (ت/٩١٤ هـ) . انظر : العمري ، مصادر التراث اليمني ، ٢٣٤ ؛ الشوكاني ، البدر الطالع ١/٣١ .

[ص١٥٠] في وصف إمام اليمن الهادي / يحيى بن الحسين[١] بن القاسم رحمه الله تعالى :

مَن خُصَّ بالجفر من أبناء فاطمةٍ   وذي الفقار ومن أروى ظما الفقَر[٢]

وفي ديباجة صحيفة زين العابدين[٣] المشهورة شيء من ذلك ، وليس في ذلك استحالة لا من جهة العقل ولا من حيث الشرع ، فإنه قد جاء في الأحاديث أن النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ – خطب فما من شيء كان أو يكون من يوم خلق الله الدنيا إلى أن دخل أهل الجنَّة الجنَّة ، وأهل النَّار النَّار إلا أخبر به ، قال بعض الرواة : « فما من أمير عشرة أو فما فوق إلاَّ أخبرنا به وبصفته ، حفظ ذلك من حفظه ، ونسيه من نسيه »[٤] . فغير بعيد أن يتناقل ذلك المحفوظ الذرية الطاهرة ، ويبعد كل البعد أن ينسي الله – تعالى – عباده ذلك العلم الذي حدّث به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، وإلا لما كان لتحديثه به فائدة ، وحاشاه من ذلك .

ومن اطلع على كتب الحديث عرف أن فيها من ذكر الملاحم شيئًا كثيرًا[٥] ، وقد قيض الله – تعالى – لحفظ كل علم رجالاً »[٥] ، فمن الممكن أن الله تعالى خصَّ صفوة الصفوة من أهل بيت النبوة بمعرفة ذلك العلم ، ولم يزل يتناقلونه بينهم، ويلقيه خاصتهم لخاصتهم[٦]، ومن أرادوا إخباره بذلك ممن ارتضوه من العلماء ، والمنقول من علم « الجفر »

(١) في الأصل : الحسن ، والصواب من ص ، سبقت ترجمته .
(٢) البيت من البسيط .
(٣) علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، يلقب بزين العابدين ، رابع الأئمة الاثني عشر عند الشيعة الإمامية ، اشتهر بالحلم والورع ، ولد ومات بالمدينة (ت/ ٩٤ هـ) .
انظر : الزركلي ، الأعلام ٥/٨٦ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ١/ ٣٢٠ .
(٤) ورد عند البخاري في بدء الخلق وفي القدر ، باب : ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ (٦٦٠٤) ؛ وعند مسلم في الفتن وأشراط الساعة (٢٨٩١) .
(٥) الأصل : شيء كثير ، رجال .
(٦) المصنف عفا الله عنا وعنه بعيد عن الصواب ، فشرع الله كامل والرسول ﷺ تركنا على المحجة البيضاء وليس لأحد دون أحد علم الغيب .

مسندٌ إلى الإمام جعفر الصادق[١] / وما بالعهد من قدم ، فلم يكن بينه [ص١٥١] وبين جده علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – إلا ثلاثة آباء ، وكفى به قربًا إلى باب مدينة العلم الذي قد خصه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بشيء من ذلك .

وقد ذكر الحافظ السيوطي في « الجامع الكبير »[٢] في « مسند علي » أنه أخرج ابن أبي شيبة[٣] ونعيم بن حماد[٤] عن علي – رضي الله تعالى عنه – وكان يقول : سلوني فوالله لا تسألوني عن فئة تقاتل مائة إلا أنبأتكم سائقها ، وقائدها ، وناعتكم ما بينكم وبين يوم القيامة[٥] ، ومن المعلوم أنه لم يستفد مثل ذلك إلا من صاحب الرسالة عليه الصلاة [٥٠/ أ] والسلام ، وقد أقام أبو العلاء المعري البرهان على من استبعد حصول « علم الجفر » بمرآة المنجم حيث قال :

لقد عَجبوا لأهل البيت لما   أتاهم علمهم في مسك « جفر »
ومرآة المنجم وهي صغرى   أرته كلَّ عامرة وقفرِ[٦]

وهذه – مرآة المنجم – ذكر السيد الإمام محمد بن إبراهيم الوزير

(١) جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين ، يلقب بالصادق لأنه لم يعرف عنه الكذب قط ، سادس الأئمة الاثني عشر عند الإمامية ، كان من أجلاء التابعين ، ولد ومات بالمدينة (ت/١٤٨هـ) .
انظر : الزركلي ، الأعلام ٢/١٢١ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ١/ ٢٩١ .
(٢) الجامع الكبير ، ويسمى أيضًا : جمع الجوامع ، طبع في القاهرة في مجمع البحوث الإسلاميَّة ١٣٩٤هـ .
(٣) عثمان بن محمد بن أبي شيبة الكوفي ، من حفاظ الحديث (ت/٢٣٩هـ) .
انظر : الذهبي ، ميزان الاعتدال ٣/ ٣٥ ؛ ابن حجر ، تهذيب التهذيب ٧/ ١٤٩ .
(٤) نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث الخزاعي ، أول من جمع المسند في الحديث ، كان من أعلم الناس بالفرائض (ت/٢٢٨هـ) .
انظر : الزركلي ، الأعلام ٩/ ١٤ ؛ ابن حجر ، تهذيب التهذيب ١٠/ ٤٥٨ .
(٥) انظر الخبر بطوله في مصنف ابن أبي شيبة ، كتاب الفتن (١٩٥٨٠) .
(٦) الأبيات من الوافر وهي للمعري ، انظر : اللزوميات ٢/ ٢٤٩ .

في كتابه «العواصم»[١] ما لفظه: «أنه اشتهر عند أهل العلم أن من خواص بعض المرايات أن يرى منها الدنيا كلها ، وهي المرآة المسماة بمرآة المنجم»، ثُمَّ قال : « وقد اشتهرت الرواية بل تواترت لي عن حي القاضي شرف [ص١٥٢] الدين حسن بن محمد النحوي[٢] / - رحمه الله تعالى - أنه رأى[٣] هذه المرآة مع بعض السياحين وأراه فيها أقاليم الدنيا ، ومدائن الإسلام، وأراه فيها ما يعرفه القاضي من بعض مزارع « صنعاء » وحوائطها : ليعرف صدقه فيما يجهله من سائر ما أراه من الأقاليم ومدائن الإسلام ، وحدثني بذلك عن القاضي غير واحد من الثقات »[٤] انتهى[٥] .

وهذا كله لا ينافي ما ورد في الصحيح : لما سأل السائل علياً[٦] رضي الله عنه[٧] : « هل خصكم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بشيء ؟ فقال : ما عندنا إلا كتاب الله تعالى ، أو ما في هذه الصحيفة ، أو فهم يعطيه الله من أراد » ، أو كما قال رضي الله عنه[٨]، فإن المراد ما عندنا من الأحكام الشرعية التي يعم التكليف بها[٩] ، فلم يخصهم بتكليف

(١) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم ، موسوعة كلامية ضخمة ، حققه شعيب الأرناؤوط ، وطبع في تسعة مجلدات ، انظر : الطبعة الأولى الصادرة عن مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤١٢هـ ، وقد خرج للمؤلف كتاب : الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم (مختصر العواصم) مطبوع في القاهرة .
انظر : الحبشي ، مصادر الفكر العربي الإسلامي ، ١١٩ .

(٢) حسن بن محمد النحوي ، من كبار علماء الزيدية في القرن الثامن ، تولى القضاء في صنعاء ، له كتاب : التذكرة الفاخرة في فقه العترة الطاهرة ، من الكتب الشهيرة في الفقه الزيدي (ت/٧٩١ هـ) .
انظر : العمري ، مصادر التراث اليمني ، ١٨٤ ؛ الشوكاني ، البدر الطالع ١/ ٢١٠ .

(٣) الأصل : راء ، والصواب من ص .

(٤) انظر : العواصم والقواصم ٨/ ٣٠٠ .

(٥) هذا كله ضرب من الخرافة، وكيف تخفى على الناس ويختص بها شخص على الرغم مما لها من أهمية؟! وهذه طريقة بعض الطوائف تبني أمورها على دعوى الاختصاص بحيث متى جوبهت بالحجة ادعت الخصوصية الكاذبة ، لأن الدين شرع الله للبشرية كافة أكمله بالنص على جميع الملأ، فأي اختصاص ينافي المحجة البيضاء فهو باطل وساقط.

(٦) الأصل : علي ، والصواب من ص .

(٧) سقطت (عنه) والزيادة من ص و ع .

(٨) ورد عند البخاري في العلم ، باب : كتابة العلم (١١١) ، وكذا رقم (١٨٧٠ ، ٣٤٧ ، ٣١٧٩) وورد عند مسلم في الحج (١٣٧٠) .

(٩) هذا تخصيص لما قاله الخليفة الراشد علي رضي الله عنه من الحق من وجه صحيح لهذا التخصيص وحمل للكلام على محمل لا يحتمله اللفظ ، بغرض إثبات هذا الزعم الباطل.

منها دون الناس لاشتراك المكلفين في التلبس بذلك ضرورة دينية لا الأمور الكونية ، فيكون القصر في ذلك غير حقيقي كما قرره أئمة المعاني في مثله .

ولقد خص النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - بعلم حال المنافقين حذيفة[١] حتى كان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - لا يصلي على أحد إلا إذا صلى عليه حذيفة كما ورد في الصحيح[٢] . وعلي - رضي الله عنه - أجلّ منه وأفضل ، فكيف يستبعد أن يخصه بشيء من ذلك القبيل[٣]، والله أعلم .

[ص١٥٣] وأمَّا « ذو الفقار » في بيت [٥٠/ب] / صارم الدين فالمراد به سيف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه . قال في القاموس : « وذو الفقار : سيف العاص بن منبه[٤] قتل يوم « بدر » كافرًا فصار إلى النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - ثُمَّ صار إلى علي » انتهى[٥] .

وذكر هشام الكلبي[٦] في « جمهرة النسب » أن القاتل للعاص هو علي رضي الله عنه وهو الآخذ للسيف منه[٧] .

(١) حذيفة بن حسل بن جابر العبسي ، واليمان لقب حسل ، صحابي من الولاة الشجعان الفاتحين ، تولى المدائن لعمر بن الخطاب ، له في كتب الحديث ٢٢٥ حديثًا . انظر : الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٢/ ٣٦٠ ؛ ابن الجوزي ، صفة الصفوة ، ٢٤٩ ؛ الزركلي ، الأعلام ٢/ ١٨٠ .

(٢) ورد الحديث في المعجم الكبير للطبراني ٣/١٦٥ ، وهو بتمام خبره في السنن الكبرى للبيهقي ٨/١٩٩ ، دار الباز ، مكة المكرمة ، ١٤١٤هـ .

(٣) تخصيصه ﷺ حذيفة رضي الله عنه بشيء عن المنافقين أمر معلوم ، ولذا كان الصحابة يسألون عما هو قد علم ، أما ما يدعى هنا فمجرد زعم ينفيه علي رضي الله عنه ، ويحاول من ابتدع أن يلزم به ويجعله حقيقة وهو منها بعيد.

(٤) العاص بن منبه بن الحجاج بن عامر ، من وجهاء قريش وصناديدهم ، قتله علي بن أبي طالب يوم بدر كافرًا . انظر : ابن هشام ، سيرة النبي ﷺ ٢/ ٣٦١ .

(٥) انظر : الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ٢/ ١٠٥ .

(٦) هشام بن محمد بن أبي النضر بن السائب الكلبي ، مؤرخ وعالم بالأنساب وأخبار العرب وأيامها (ت/٢٠٤هـ) .
انظر : الزركلي ، الأعلام ٩/ ٨٧ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ٥/ ١٣١ .

(٧) انظر : جمهرة النسب ، ١٠٢ .

وقال غير الكلبي : إن ذا الفقار أعطاه النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - لعلي رضي الله عنه ، والفقار - بفتح الفاء - جمع فقار الظهر ، يقال في جمعها : فَقار وفَقارات ، ويقال : ذو الفِقار بكسر الفاء أيضًا جمع فِقْرة بكسر الفاء وسكون القاف ، ولم يأت مثله في الجموع ، وسمي بذلك لأنه كان فيه ثماني عشرة فقارة .

وقد ذكر مصنف سيرة الإمام الهادي[1] أنه خرج إلى اليمن ومعه ذو الفقار وكتاب « الجفر » ، وقد حُكي عنه من الضربات ما ضاهت ضربات جده أمير المؤمنين ، (وممَّا ذكره المؤرخون أن علياً - رضي الله عنه - قتل من الخوارج يوم « النهروان » ألفي نفس ، وكان يدخل ويضرب بسيفه حتى ينثني ويقول : لا تلوموني ولوموا هذا ويقومه ، قال بعض شعراء الأندلس :

فَعاقَرَ سيفُك حتى انثنى — وعَرْبَدَ رُمحُك حتى انكسر
[ص١٥٤] / وكم نُبت في حربهم عن علي — وناب عن « النهروان » النهر[2]

ومن ضربات علي - رضي الله عنه - المشهورة ضربته « مرحبًا »[3] فإنه ضربه ضربة على البيضة فقدّها وقدّه نصفين ، وما أحلى قول أبي الحسين الجزار[4] يمدح من اسمه علي من الأمراء :

(١) مؤلف سيرة الإمام الهادي هو : علي بن محمد بن عبيدالله العباسي العلوي ، وقد حققها ونشرها سهيل زكار ، وصدرت عن دار الفكر في لبنان سنة ١٣٩٢هـ .
انظر : العمري ، مصادر التراث اليمني ، ٢٧ - ٢٨ .
(٢) البيتان من المتقارب .
(٣) أحد قادة اليهود وفرسانهم المشهورين ، صاحب حصن الوطيح والسلالم ، قتله محمد بن مسلمة في غزوة خيبر ، وقيل : علي بن أبي طالب رضي الله عنه . انظر تفاصيل مقتله ومقتل أخيه ياسر في ابن هشام ، سيرة النبي ﷺ ٣/٣٨٥ ؛ ابن الأثير ، الكامل ٢/١٤٨ .
(٤) يحيى بن عبدالعظيم بن يحيى بن محمد الجزار ، شاعر مصري ظريف ، كان جزارًا بالفسطاط وأوصله شعره إلى السلاطين والملوك (ت/٦٧٩هـ) . انظر : الزركلي ، الأعلام ٩/١٩٠ ؛ الأميني ، الغدير ٥/٤٢٦ .

أقول لفقري مرحبًا لتيقني — بأن عليًّا بالمكارم قاتله[1]

وضربته لعمرو بن ودّ العامري[2]، وكان جبارًا غليظًا عُتُلاً من الرجال فقطع فخذه من أصلها ، ونزل عمرو فأخذ فخذ نفسه وضرب بها عليًّا فَسَلِم، ووقعت في قوائم بعير فكسرتها، قال شرف الدين ابن الفارض[3]:

/ ذو الفقار اللحظ منها أبدًا — والحشا منّي عمروٌ وحَيِيّ[4])[5] [٥١/أ]

وقد ذكر أهل السير أن عدّة الذين قتلهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - بيده ثمانون ألفاً[6]، والأمر في وصفه يطول[7]، وإنّما هذا عارض من القول لأجل التبرك بذكره[8] ، وما أحسن ما قاله الصفي الحلي[9] رحمه الله تعالى :

أمير المؤمنين أرى كأنّي — ذكرتك عند ذي حسب صفا لي
وإن كررت ذكرك عند نغل — تكدر حاله وبغى قتالي
فليس يطيق طيب ثناك إلا — كريم الأصل محمود الخصال
فكنت إذا شككت بأصل مرءٍ — ذكرتك بالجميل من الفعال

(١) البيت من الطويل .
(٢) عمرو بن عبد ودّ العامري ، من بني لؤي ، فارس قريش وشجاعها في الجاهليَّة ، أدرك الإسلام ولم يسلم . قتله علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - في غزوة الخندق .
انظر : ابن هشام ، سيرة النبي ﷺ ٣/٢٤١ ؛ والزركلي ، الأعلام ٥/٢٥١ .
(٣) عمرو بن علي بن مرشد بن علي الحموي ، أشعر المتصوفين ويلقب بسلطان العاشقين ، في شعره فلسفة تتصل بما يسمى « وحدة الوجود » (ت/٦٣٢هـ) .
انظر : الزركلي ، الأعلام ٥/٢١٦ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ١/٢٨٣ .
(٤) البيت من الرمل .
(٥) ما بين القوسين من الصفحة السابقة إلى هنا نقله المؤلف من الغيث المسجم ٢/١٩٥ دون إشارة إلى ذلك .
(٦) لعل هذا من المبالغات في الإمام علي رضي الله عنه .
(٧) العقل يكذب هذا تمام التكذيب ، إذا ما عدد الغزوات والجموع التي قابلها علي رضي الله عنه حتى يكون قد قتل هذا العدد؟ هذه من مبالغات من يدعي التشيع لعلي رضي الله عنه وليس هذا من باب المدح له لو ثبت لأن القتل ليس مطلبًا إلا بحق ، ولم يثبت ذلك عنه بحق رضي الله عنه .
(٨) علي رضي الله عنه في غنى عن هذا الإطراء ، وإذا كان الأمر كذلك فالنبي ﷺ أفضل منه فليكن الذكر للنبي ﷺ والصلاة عليه .
(٩) عبدالعزيز بن سرايا بن علي بن القاسم ، شاعر وأديب عراقي (ت/٧٥٠هـ) .
انظر : الشوكاني ، البدر الطالع ١/٣٥٨ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ١٠/٢٣٨ .

[ص١٥٥] / فها أنا قد خَبَرتُ بك البرايا — فأنت محكٌّ أولاد الْحـلال[1]

يشير إلى الحديث المشهور : « لا يبغض علياً إلا ابن زنا أو حيضة »[2] والله أعلم وأحكم .

ولما دخلت سنة أربع وثلاثين بعد المائتين والألف طلع نجم الدولة التركية ، وبدأ كسوف بدر الدولة الأحمدية ، فبلغ انفصال الأتراك من « مكة المشرفة » بجموع تملأ الوهاد ، في أبهة سلطانية ، ومملكة روميّة ، وخيول كالسعالي ، وجنود تدكدك لها الشم العوالي ، مقدمهم رجل يسمى خليل باشا[3] ، وقصدهم القيام بحق الشريف علي بن حيدر ، ويبلغونه ما شاء ، ولا يبالون بمن صدّهم عن ذلك ، بل من اعترض لهم أوردوه أوعر المسالك ، وذلك التجهيز من تحت نظر باشا مصر - محمد علي باشا - حيث والشريف علي [بن حيدر] أسند أمره في النصر إليه ، وعوّل بعد الله تعالى عليه ، فلم يشعر السيد العلامة حسن بن خالد إلا وقد صدمه خبر انفصال ذلك الجيش اللهام ، المصحوب بفرسان النزال ، وأبطال الصدام ، فجمع من أهل تهامة [٥١/ب] من أراد ، وبادر إلى السراة وجمع جموعًا كثيرة ، ولله القائل :

وما ينفعُ الجيش الكثير اجتماعه — إذا لم يكن عون من الله يشمل[4]

---

(١) الأبيات من الوافر .

(٢) لم أعثر عليه في معظم كتب الحديث ، ولعله بلفظه هذا غير صحيح ، ولكن ورد في المعجم الكبير للطبراني ٣٧٤/٢٠ ما لفظه : لا يبغض علياً مؤمن ولا يحبه منافق ، وفي مسند أحمد عن أم سلمة نحوه ٢٩٢/٦ .

(٣) ابن أخت محمد علي باشا ، وأحد قادة جيوشه المبرزين ، أرسله محمد علي إلى الحجاز على رأس قوة مساندة لإبراهيم باشا سنة ١٢٣٤هـ ، فوجهه إبراهيم باشا إلى المخلاف السليماني مع الشريف علي بن حيدر للسيطرة عليها ، وبعد نجاحه في مهمته وعودته عين محافظًا لمكة المكرمة بدلاً من حسن باشا ، (ت/١٢٣٥هـ) .
انظر : إسماعيل البشري ، « حملة خليل باشا على إمارة (أبو عريش) » ؛ عبدالرحيم ، محمد علي وشبه الجزيرة العربيَّة ٧١/٢ ؛ دحلان ، خلاصة الكلام ، ٣٠٣ .

(٤) البيت من الطويل .

وتوجه بهم إلى لقاء الأتراك ، فلم يزل هو وأصحابه في انتظار لأولئك الأقوام ، ويظنون أنه لا مقصد لهم غير ملاقاتهم في ذلك / [ص١٥٦] المقام ، فانحرفوا عن التوجه تلقاء مطرحهم ، ومضوا إلى نحو طريق « أبي عريش » بسرعة ، فما راعه إلا خبر رحيلهم لمقصدهم . ولا شك أن « الحرب خُدعة »[1] . فقام وقعد لهذه المكيدات ، وعلم صدق قول (سيد) الخليقة عليه الصلاة والسلام : « اتركوا الترك ما تركوكم »[2] ، وذلك لما هم عليه من القوة والنجدة والمعرفة بالحيل الحربية والعُدة ، فأغار هو ومن معه من الجند على الأثر ، قصده أن يبلغ منهم ولو بعض الوطر ، حتى انتهى بهم السير إلى « وادي بيض »[3] وحصل هنالك التعويق ، وجعل المثل السائر : « سدّ عليكم ابن بيض الطريق »[4] . وفي أثناء مسير السيد الحسن كان كل مكان ينخزل منه ثلة من الناس ، فلم يصل « وادي بيض » إلا بجماعة قليلة ، وضاعت هنالك الحيلة والقياس :

والدهـرُ لا ينفك عن حدثانه — والْمَرءُ منقـادٌ لحكم زمانه

فدع الزمان فإنـه لم يعتمد — لِجَلاله أحـد ولا لهوانه

كالغيث لم يخصص بنافع صوبه — أفقًا ولم يَختر إذاً طوفانه

لكن لباريـه بواطن حكمة — في ظاهر الأضداد من أكوانه[5]

---

(١) يضرب لكل أمر احتيل فيه فتم بالحيلة ، قاله النبي ﷺ . انظر : الزمخشري ، المستقصى ٣١١/١ ، وورد الحديث في البخاري ، باب الجهاد ، ١٥٧ ؛ ومسلم ، باب الزكاة ، ١٥٣ وغيرهما .

(٢) ورد عند أبي داود في الملاحم ، باب : النهي عن تهييج الترك (٤٣٠٢) .

(٣) وادي بيض مآتيه من سراة جنب شرق قرى الدرب ، يصب في البحر على بعد حوالي ٣٥ كم جنوب بلدة الشقيق ، وقد أشار العقيلي إلى أنه يلتقي بوادي سمرة قبل المصب عند قرية « الشرفاء » من آل حدرة . انظر : الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ١٣٦ ؛ العقيلي ، المعجم الجغرافي ، ٨٤ .

(٤) ابن بيض : قال الأصمعي : كان رجل في الزمن الأول يقال له ابن بيض عقر ناقته على ثنية فسد بها الطريق ومنع الناس من سلوكها . انظر : لسان العرب ، مادة : بيض ؛ أمثال الميداني ٣٢٨/١ .

(٥) الأبيات من الكامل ، وقد وردت في الغيث المسجم للصفدي ٢٩٣/٢ دون إشارة إلى القائل .

وحين استقر في ذلك الوادي أيس عن الظفر بأولئك الثلة من الأجناد ، وتردد بين أن يسبق الجند التركي إلى قلعة قرية « ضمد » ، وبين الرجوع إلى بلاد السراة ، وكان غرّة جنده / « بني مغيد » وقائدهم [ص١٥٧] الشيخ سعيد بن مسلط[١] ، وأخوه لأمه علي بن مجثل [٥٢/أ] ، وهما ممن يجنح إلى معالي الأمور ، ولهما في الوفاء السموألي نصيب مشهور ، فوقع الشور منهما أن يرجع إلى بلادهم ، وينزلوه [٢] في الدفاع عنه كأولادهم ، وعقدوا له البيعة أن يؤوه وينصروه ، ويعزّروه ويوقروه ، فلما رأى خذلان أصحابه من أهل تهامة له ، وتفلتهم من بين يديه حتى إن بعضهم يعاهده بالليل ويفر بالنهار ، ولم يراقب في حفظ العهد الملك الجبار ، وهكذا عند حصول النوائب تتبين جواهر الرجال ، ويعرف من كان من أهل الوفاء ومن لا يثبت على حال ، قال صاحب « الصادح » :

إذا الرزايا أقبلت ولَمْ تقف فثم أحوال الرجال تختلف
وفي الخطوب تظهر الجواهر ما غلب الأيام إلا الصابر[٣]

ولله من قال في مثل هذا الحال :

جزى الله النوائب كلَّ خير وإن تك غَصَّصَت حلقي بريقي
وما مدحي لَها حبّاً ولكن عرفت بها عدوي من صديقي[٤]

فرجع معهم إلى نحو السراة ، وفي العين قذى ، وفي الحلق شجى ، بقلب قريح ، وخاطر جريح ، ممَّا شاهد ممن كان يظن بهم بلوغ المراد :

(١) سعيد بن مسلط بن مسفر بن عبدالرحمن ، أحد قادة عسير ، ومن الذين قبلوا الدعوة السلفية وتأثروا بها ، شارك في جميع الأحداث السياسية والعسكرية في منطقة عسير ، وتولى قيادة العسيريين في أكثر من معركة ضد قوات محمد علي باشا ، تولى إمارة عسير في ظروف صعبة عام ١٢٣٩هـ (ت/١٢٤٢هـ) .
لمزيد من المعلومات انظر : الحفظي ، تاريخ عسير ، ٨٢ - ٨٧ ؛ ابن مسفر ، أخبار عسير ، ٨٦ - ٨٨ .
(٢) الأصل و ص : وينزلونه .
(٣) البيتان من الرجز .
(٤) البيتان من الوافر .

كل المصائب قد تمر على الفتى وتهون غير شماتة الحساد[١]

وصحبه جماعة من أعيان هذه الجهات ، ولما طال المكث هناك / [ص١٥٨] تسأم بعضهم الإقامة ، وتوجه من غير إذنه ولا رضاه إلى تهامة ، حتى بلغني أن بعض أعيان السادة جاء يطلب منه الإذن ليرجع إلى الأوطان ، وقد كان يظن السيد الحسن أنه لا يفارقه ؛ لأنه يراه من أخص الخلان ، فأنشد عند ذلك قول من قال :

ما في زمانك من ترضى بصحبته ولا صديق إذا خاب الزمان وفى[٢]

[٥٢/ب] ولم يزل في جهات[٣] السراة في قلاقل . وسيأتيك خبر مقتله إن شاء[٤] الله تعالى .

ولما وصلت الأجناد التركية أطراف « أم الخشب » من المخلاف السليماني ، دخل الناس في طاعتهم ؛ القاصي منهم والداني ، وكان الشريف أحمد في أطراف جهة « كحلان » ، وحين بلغه خبرهم ركب جواده ، ولم يزل مغيراً حتى وصل مدينة « أبي عريش » ، ولم يصل إلى المدينة العريشية إلا ومن كان في قلعة « ضمد » واصلون ، أخرجهم منها الروع من غير أن يتصل بهم ما يكرهون ، وخليل باشا حينئذٍ طارح بمدينة « صبيا » ، فاستباح قبائل البلاد ما في قلعة « ضمد » بعد أن أحرقت القرية :

أضحت خلاءً وأمسى أهلها احتملوا أخنى عليها الذي أخنى على لبد[٥]

ولما تحقق للشريف أحمد خبر الأتراك ، وقد كان خالج فكره ما قد استماله به بعض من استمال ، وألقى إليه أنهم لا يريدون إلا أن يقيموك

(١) البيت من الكامل ، والقائل هو : عبدالله بن محمد بن عيينة .
(٢) البيت من البسيط .
(٣) الأصل : جهاة ، والصواب من ص .
(٤) الأصل : إنشا ، والصواب من ع .
(٥) البيت من البسيط ، وهو للنابغة الذبياني . انظر : الديوان ، ٣٨ .

في المملكة على حسب عادتك وعادة أبيك ، ولا يكدرون لك بالعزل ، إنَّما
[ص١٥٩] بالانتساب إليهم ، والدخول تحت طاعتهم تسكن عنك / حركات الفتنة ،
وتحط عن كاهلك الأثقال ، وما علم أن دون ذلك المقصد خرط القتاد ،
وأنهم إنَّما يريدون زحلفته(١) عن مقامه والإبعاد ، وإنَّما لانحلال
سلك المملكة شواهد تصيح على رؤوس العباد ، وبذل له بعض أعيان
الأشراف النصح في المقاتلة لهم والدفاع ، وعلى حسب المستطاع ، عملاً
بقول من قال(٢) :

عش عزيزًا أو مت وأنت كريم ... بين طعن القنا وخفق البنود

وقد كان عنده جملة من صميم « همدان » وغيرهم ، فلم يصغ أُذنًا
إلى قول ذلك النصيح ؛ بل رأى(٣) أن ذلك القول الحسن هو عين القبيح ،
وقد ورد في الحديث الصحيح : « إذا أراد الله أمرًا سلب ذوي(٤) العقول
عقولهم حتى يمضيه »(٥) أو كما قال عليه الصلاة والسلام . ولله القائل :

[٥٣/أ] / يقضى(٦) على المرء في أيام محنته ... حتى يرى حسنًا ما ليس بالحسن(٧)

فلما طرح خليل باشا في وادي « ضمد » راسله بالكلام بواسطة
الشريف راجح بن عمرو الشنبري ، وكان الشريف راجح هذا لا يصطلى

(١) زحلفته بالفاء أو زحلقته بالقاف ، وكلاهما بمعنى واحد ، والزحلقة تعني الدحرجة : تزحلق : تدحرج .
انظر : المعجم الوسيط ٣٩٢/١ .
(٢) البيت من الخفيف ، وهو للمتنبي ، انظر : الديوان ٣٢١/١ .
(٣) الأصل : راء .
(٤) الأصل وص : ذوو .
(٥) ورد الحديث هكذا : عن عمر - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا أراد الله تعالى إنفاذ قضائه وقدره سلب ذوي العقول عقولهم حتى يُنْفِذ فيهم قضاءه وقدره » .
انظر : مسند الشهاب لمحمد بن سلامة بن جعفر ٣٠١/٢ .
(٦) الأصل : تعمى .
(٧) البيت من البسيط .

بناره في الشجاعة والدهاء ، فوصل إلى « أبي عريش » وأبدى للشريف
أحمد الخطاب ، وحسّن له الدخول في طاعة الأتراك من أبواب . ولم
يشعر الناس إلا بخروج الشريف أحمد صحبة الشريف راجح . وحوادث
الأيام تصيح بزوال المملكة على رأسه بالنوائح ، فعند ذلك علم كل عاقل
أن هذا منتهى ملكه ، وغاية سير فلكه(١) .

[ص١٦٠] / هي السبيلُ فمن يوم إلى يوم ... كأنها ما تريك العينَ في النوم
لا تعجلنَّ رويدًا إنها دول ... دنيا تُنَقّلُ من قوم إلى قوم(٢)

فوافقهم وهم طارحون بوادي « ضمد » ، ولم يصل « أبو عريش »
إلا صحبتهم مأمورًا بعد أن كان سار وهو أمير ، مطلوقًا بينهم وهو في
الحقيقة أسير ، ولما نصب خليل باشا قبلي « أبي عريش » الخيام ،
ضربت المدافع من القلاع ، وكان يومًا شهده الخاص والعام .

ولما حصل الاستقرار ؛ أطلق الشريف يحيى بن حيدر من الاعتقال
« بالزهراء » لقصد الوصول إلى « أبي عريش » ، والذي استفاض تلك
الأيام بين الناس : أن الباشا سيقلده ولاية البلاد ، وذلك برضا من أخيه
الشريف علي(٣) ، ولكن جرى القضاء بغير ما في المراد ، فما وصل المدينة
العريشية(٤) إلا وقد علق به المرض ، ولم يلبث غير أيام قلائل ، وانتقل في
هذا العام إلى جوار الملك العلام ، وهذا غاية كل حي من الأنام :

(١) تختلف رواية خليل باشا في تقريره إلى محمد علي عن رواية المؤلف هنا ، فالمؤلف يشير إلى مفاوضات الإقناع للشريف أحمد بالقدوم على خليل باشا على أمل تنصيبه واليًا على المخلاف ، وعدم إقالته عن الإمارة ، ويشير خليل باشا إلى أن الشريف أحمد طلب الأمان ، وجاء إليه في معسكره في ضمد ، ومعه جميع خيوله واستسلم هناك .
انظر : وثيقة رقم ١٩٦٨٢ وتاريخ ١٤ ربيع الأول ١٢٣٤هـ الموافق ١١ يناير ١٨١٩م (خط همايون) من خليل باشا إلى محمد علي باشا ، محفوظة بأرشيف رئاسة الوزراء في إستانبول .
(٢) الأبيات من البسيط .
(٣) الشريف علي بن حيدر .
(٤) الأصل : العرشية .

أرى الدنيا الدنية لا تواتي   فعالج في التصرف والطلاب
ولا يغررك منها حسن برد   له علمان من ذهب الذهاب
فأولها رجاء من سراب   وآخرها رداءٌ من تراب(1)

[٥٣/ب] وكان هذا الشريف من أمجاد الرجال ، وله في المكارم الأيادي الطوال ، سلالة تلك السلسلة الذهبية ، وفرع الدوحة الحيدرية ، تولّى(2) « اللحية » مدة / من تحت نظر عمه الشريف حمود ، وبعد [ذلك] انتقل إلى « بجيلة »(3) يماني « وادي مور » وبنى بها قلعة عظيمة ، وأحيا بجنبها أرضًا للحراثة ، ولم يزل ساكنًا هناك في أحسن حال ، وأنعم بال ، حتى تغير عليه خاطر عمه ، فأودعه دار الأدب ، وقد علم الله سبحانه حقيقة ما هو السبب ، وبين يدي الحي القيوم ، يجتمع الخصوم . [ص١٦١]

ولم يزل الشريف أحمد في الظاهر مع الأتراك على الإجلال ، وهو يواصل خليل باشا في البكر والآصال ، وما برحت مطالبه له تتجدد للخيل وغيرها ، حتى صارت أكثرها لديه ، والباشا يمد له حبال الآمال ، بأنه سيقدم على هذه الجهة على حسب عادته ، فانتقش منه ذلك في لوح الخيال ، وما زال يواعده بأنه سيحصل له التأييد بذلك من السلطان بواسطة الوزير محمد علي باشا(4) ، وكل ذلك لأجل التسكين عليه ، ومد

(١) الأبيات من الوافر ، وهي لأبي العرب الصقلي ، انظر : الغيث المسجم للصفدي ٢/٤١٨ .
(٢) الأصل : تولا ، والصواب من ع .
(٣) قبيلة يمنية من بطون كهلان ، ولم أعثر على موقع بلدة أو قرية بهذا الاسم في معاجم اليمن ، ولعل المؤلف أشار إلى القبيلة وأراد الموقع .
انظر : المقحفي ، معجم المدن والقبائل ، ٤٣ .
(٤) في أثناء المفاوضات مع الشريف أحمد وطمأنته من خليل باشا بأنه يشفع له عند محمد علي باشا لإبقائه أميرًا على المخلاف السليماني ، كان خليل باشا يشير على محمد علي بضرورة إقالة الشريف أحمد ونقله إلى مكان آخر ، وهذا يؤيد ما ذكره المؤلف بأنهم مضمرون له خلاف ذلك .
انظر : وثيقة رقم ١٩٦٢٦ (خط همايون) وتاريخ ١٤ جمادى الأولى ١٢٣٤هـ ، الموافق ١١ مارس ١٨١٩م ، من محمد علي إلى الباب العالي ، محفوظة في إرشيف رئاسة الوزراء بإستانبول .

شبكة يصطادونه بها ، وإلا فهم مضمرون له خلاف ذلك ، حتى إنه بلغ أن الشريف علي بن حيدر أسرَّ إليه أن يغيب وجهه في بعض المحلات التي لا يُمكن اتصال يد الترك عليها ، فلم يحمل كلامه على النصح وأخبر بذلك الباشا خليل ، فعاتب / الشريف علي بن حيدر على هذا الصنيع . [ص١٦٢]

فما قابله بغير المغالطة ، وهكذا المقادير إذا حكمت على شخص بالإدبار ، صُمّت مسامعه عن النصح ، وعميت منه عن الإرشاد الأبصار ، وإلا فكان له في قبول هذه النصيحة مندوحة ، ولكن لا رادّ لما سبق في علم الله سبحانه ، فاتفق أن في بعض الأيام وصل إلى خليل باشا على حسب المعتاد ، فعرض عليه مرقومًا من الباشا محمد علي مضمونه طلب الوصول إليه ، والمثول بين يديه ، فأنزله في بعض تلك الخيام ، واستدعى ابن عمه الشريف منصور بن مسعود بن محمد(1) [٥٤/أ] ، وحُمل معه إلى بندر « جازان » ، وسارت بهم الجواري المنشآت ، وضمته ومن في صحبته كأنهم أموات ، وأصبح حديث سمر بعد أن زهى به القصر ، وراق به العصر ، وأُجلي عن بلاده ، وأُعري عن طارفه وتلاده ، [و] نبذته منابره وأعواده ، وبعد عنه أعوانه وأجناده ، ولم يزل أسِفًا يصعد زفراته ، وتطّرد اطّراد المذنب عبراته(2) .

وبعد مدة قريبة أرسل إليه الحرم ، ولم ترع فيهم الذمم ، وفارقوا النادي ، وهم يبكون بدموع كالغوادي ، والنوح يحدوهم . والبوح باللوعة لا يعدوهم ، ولما وصل إلى مصر نزل في بعض تلك القصور ، وكأنها لوحشتها عليه قبور :

/ ما حطك الدهر لما حطّ عن شرف   ولا تجنف من أخلاقك الكرما [ص١٦٣]
والله لو أنصفتك الشهب لانكسفت   ولو وفى لك دمع العين لانسجما(3)

(١) لم أعثر له على ترجمة .
(٢) لمزيد من المعلومات عن حملة خليل باشا ونتائجها انظر : د / إسماعيل البشري ، حملة خليل باشا على إمارة (أبو عريش) ، مطبوع .
(٣) البيتان من البسيط .

وبعد ذهابه : أخربت قلاع والده المنيعة ، وقصوره الشامخة الرفيعة ، وأصبحت مغبرة الأرجاء ، موحشة الأفناء :

يجيب بها الهام الصدى ولطالما ... أجاب القيان الطائر المترنما
كأن لم يكن فيها أنيس ولا التقى ... به الوفد جمعًا والخميس العرمرما(١)

ولم يزل معهم على هذا الحال ، حتى اختار الله - تعالى - له من هذه الدار الانتقال ، وكان - رحمه الله تعالى - من الملوك الصِّيد ، بناة المجد وبيوت القصيد ، يعد في أبطال الرجال إذا دعيت نزال ، وكان في السخاء كالسحاب الهامع ، ولا أقول كالرسم جامع مانع ، فبذلك نال الفخر الرائع ، ولله القائل :

إذا جادت الدنيا عليك فجد بها ... على أهلها من قبل أن تتفلت
فلا الجود يفنيها إذا هي أقبلت ... ولا البخل يبقيها إذا هي ولَّت(٢)

[٥٤/ب] وقد امتدحه الشعراء ، وغنّى بثناه الأدباء ، فمما قاله [ص١٦٤] أديب زمانه ، صاحبنا العلامة عبدالكريم بن حسين / العتمي - رحمه الله تعالى - هذه القصيدة(٣) :

نام الخلي وضمّته مضاجعُه ... والمستهام كراه لا يطاوعه
أطمعته فيك حتى حزت مهجته ... بأسرها واستقادته مطامعه
بخلت عنه بطيف منك يؤنسه ... فالله حسبك فيما أنت صانعه
ضيعت قلبًا قد استودعته فبما ... يلقى العميد وقد ضاعت ودائعه
لو كنت تعلم ما قاسى عليك وما ... تضمه فيك من وجد أضالعه
لم تُصغِ أذنًا إلى الواشي الذي قطعت ... ما بيننا صلة اللقيا قواطعه

(١) البيتان من الطويل .
(٢) البيتان من الطويل .
(٣) القصيدة من البسيط .

جهلت قدر الذي أوتيته فلذا ... غُبنت والله فيما أنت بائعه
سقى المنازل من غربي «كاظمة»(١) ... مُبَكِّرُ المزنِ تحدوه طلائعه
حتى أرى الروض مطلولاً جوانبه ... والزهر يعجب قانيه وفاقعه
وأحمد بن حُمود ناشر علمًا ... إذا بدا انصرفت عنه موانعه
يجر بحر خميس كله لجب ... وطالع النصر في الخيلين طالعه
متوج بالبها من فوق مفرقه ... وفي الوغى أسد يُردى مُضارعه
لَمْ يستطع هربًا منه محاربه ... وإن تكلّف أردته مصارعه
لا يعرف الخطب إلْمَامًا بساحته ... ولا يُلِمُّ بواديه قوارعه
إن نازل القرن أرداه(٢) وإن نزلت ... به العفاة تلقتها صنائعه
/ مبارك الإسم ميمون النقيبة مِنْ ... قومٍ منار علاهم لاح لامعه [ص:١٦٥]
فخارهم عَزَّ عن جبريل مبلغه ... لما دنا وأجلّ الطهر رافعه
/ يابن الذين لهم في كل مكرمة ... ذكر مدى الدهر لا تفنى شوائعه ٥٥/أ
إليك مدحة ذي ودٍّ له ثقة ... بأن مدحك مربوح بضائعه

وهذه القصيدة سحر بابل ، وتغريد بلابل ، وما أرق قوله : « بخلت عنه بطيف منك(٣) يؤنسه » ، ولا لوم في هذا البخل : فقد اعتذر عن بخل الطيف من قال :

لقد بَخِلَتْ حتى بطيف مسلم ... عليّ وقالت رحْمَة لنحيبي
أخاف على طيفي إذا جاء طارقًا ... وسادك أن يلقاه طيف رقيبي(٤)

(١) كاظمة : إحدى مدن الكويت حاليًا ، وقد أشار إليها ياقوت بأنها في الطريق بين البصرة والبحرين على سيف البحر ، وقد أكثر الشعراء من ذكرها . انظر : معجم البلدان ٤٣١/٤ .
(٢) الأصل : أراده ، والصواب من ع .
(٣) في الأصل وص : منه ، والصواب من القصيدة نفسها .
(٤) البيتان من الطويل .

(وعلى ذكر الخيال ؛ فما ولع به أحد ولوع أبي الوليد البحتري[1] ، ولا أبدع فيه مثل إبداعه ، حتى صار لاشتهاره بذلك مثلاً بين الأدباء ، يقال : خيال البحتري ، فمن ذلك قوله :

بلى وخيالٍ من « قتيلة » كلما ... تأوهت من وجد تعرض يطمع
ترى ما لا ترى من لقائه ... وتسمع أذني رجع ما ليس يسمع
ويكفيك من حق تَخَيُّل باطل ... ترد به نفس اللهيف وترجع[2]

وقوله :

قد كان مني الحزن[3] غبَّ تذكر ... إذ كان منك الصبر غبَّ تناسي
[ص١٦٦] / تجري دموعي حين دمعك جامد ... ويلين قلبي حين قلبك قاسي
ما قلت للطيف المسلم لا تعد ... تغشى ولا كفكفت[4] حامل كاسي[5]

ويقال : أول من طرد الخيال طرفة بن العبد[6] حيث قال :

فقل لخيال الحنظلية ينقلب ... إليها فإني واصل حبل من وصل[7]

وتبعه جرير[8] فقال :

(١) الوليد بن عبيد الطائي ، شاعر عباسي مشهور ، له كتاب الحماسة (ت/٢٨٤هـ) . انظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ٧٤/٥ ؛ زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربيَّة ٥٩/٢ .
(٢) الأبيات من الطويل ، انظر : الديوان ٢٤٥/٢ .
(٣) الأصل : الوجد ، والصواب من الديوان ، انظر : الديوان ٤٣٥/٢ .
(٤) الأصل : نهنهت ، والصواب من الديوان ، انظر : الديوان ٤٣٥/٢ .
(٥) الأبيات من الكامل ، انظر : الديوان ٤٣٥/٢ .
(٦) طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد البكري ، شاعر جاهلي ، قتله والي البحرين بأمر من عمرو بن هند وهو ابن عشرين عامًا (ت/٦٠ق هـ) .
انظر : الزركلي ، الأعلام ٢٢٤/٣ ؛ ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، ١٣٧ .
(٧) الأبيات من الطويل ، انظر الديوان ، ٩٢ .
(٨) جرير بن عطية بن حذيفة الخطفي ، من تميم ، أشعر أهل عصره في العهد الأموي (ت/١١٠هـ) .
انظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ٢٨٦/١ ؛ الزركلي ، الأعلام ١١/٢ ؛ ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، ٤٣٥ .

طرقتك صائدة القلوب[1] وليس ذا ... وقت الزيارة فارجعي بسلام[2]

حتى قال بعض الأدباء ردًا على جرير :

يا خجلة لجريرَ من ... قولٍ كفانا الله عاره
طرقتك صائدة الفؤاد ... وليس ذا وقت الزيارة
[٥٥/ب] / هل كان يلقى إن أتاه ... خيال من يهوى خسارة
أو كان قلب قد حواه ... من حديد أو حجارة[3]

وأين جرير وطرفة من قول الشاعر يعنف من عتب على الخيال :

الطيف أعشق منك إذ ... يأتي إليك وأنت راقد[4])[5]

ومثل قول جرير وطرفة لا يليق بالعشاق ، ألا ترى أنهم عابوا على ابن بقي[6] قوله :

حتى إذا مالت به سنة الكرى ... زَحْزَحْتُه « عني » وكان معانقي
أبعدته عن أضلع تشتاقه ... كي لا ينام على وساد خافق[7]

[ص١٦٧] وقالوا : إن من الجفاء مباعدة / الحبيب . وفضلوا عليه قول الآخر :

إن كان لا بُدّ من رقاد ... فأضلعي هاك عن وساد
ونَمْ على خفقها هدوًا ... كالطفل في نهنه المهاد[8]

(١) الأصل : الفؤاد ، والصواب من الديوان ، ٥٥١ .
(٢) البيت من الكامل ، انظر : الديوان ، ٥٥١ .
(٣) الأبيات من مجزوء الكامل ، وهي للصفدي ، انظر : الغيث المسجم ٢٤٢/١ .
(٤) البيت من مجزوء الكامل .
(٥) ما بين القوسين من الصفحة السابقة إلى هنا منقول من الغيث المسجم للصفدي ٢٤٢/١ - ٢٤٣ ، دون إشارة من المؤلف إلى النقل .
(٦) يحيى بن عبدالرحمن بن بقي الأندلسي ، شاعر أندلسي من أهل قرطبة ، اشتهر بإجادة الموشحات (ت/٥٤٠هـ) .
انظر : الزركلي ١٨٨/٩ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ٢٤٨/٥ .
(٧) البيتان من الكامل . انظر : فروخ ٢٦٠/٥ .
(٨) البيتان من المنسرح وهما للحكم بن عيال . انظر : الغيث المسجم للصفدي ٢٢٨/١ .

وقوله في الأبيات السابقة : « أخاف على طيفي » ... إلخ قد جرت عادة الشعراء بالحذر من الرقيب ، (وقد بالغ بشار[1] في الحذر حيث قال :

يروِّعه السرار بكل شيء ... مخافة أن يكون به السِرار[2]

وأخذه منه أبو نواس[3] فقال :

تركتني الوشاة نصب المشيرين ... وأحدوثة بكل مكان

ما أرى خاليين للسر[4] إلا ... قلت : ما يخلوان إلاّ لشاني[5]

وأخذه بعده أبو الطيب فقال :

لو قلت للدنف المشوق فديته ... ممَّا به لأغرته بفدائه[6][7]

وأخذه من ابن الخياط الدمشقي[8] فقال :

أغار إذا آنست في الحي أنّةً ... حذارًا عليه أن تكون لحبّه)[9]

[٥٦/أ] وأمَّا قوله : « وأحمد بن حمود » ، فهو اقتضاب ، وهو مذهب العرب في شعرهم ، ولكن حسن التخلص ، اعتنى به

(١) بشار بن برد العقيلي ، من أبرز الشعراء المولدين ، كان ضريرًا ، وأدرك الدولتين الأموية والعباسية ، اتهم بالزندقة فمات ضربًا بالسياط عام ١٦٧هـ .
انظر : الزركلي ، الأعلام ٢/٢٤ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ١/٢٤٥ .
(٢) البيت من الوافر ، انظر : الديوان ٣/٢٤٧ .
(٣) الحسن بن هانئ بن عبدالأول بن صباح ، شاعر العراق في عصره (ت/١٩٨هـ) .
انظر : الزركلي ، الأعلام ٢/٢٤٠ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ١/٣٧٣ .
(٤) الأصل : في الناس ، والصواب من الديوان ، ٦١٩ .
(٥) الأبيات من الخفيف ، انظر : الديوان ، ٦١٩ .
(٦) الأصل : بفدأيه ، والصواب من ص .
(٧) البيت من الكامل ، انظر : الديوان ١/٦ .
(٨) أحمد بن محمد بن علي التغلبي ، شاعر من الكتاب من أهل دمشق (ت/٥١٧هـ) .
انظر : الزركلي ، الأعلام ١/٢٠٧ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ١/١٢٧ .
(٩) البيت من الطويل ؛ وما بين القوسين من الصفحة السابقة إلى هنا منقول من الغيث المسجم للصفدي ٢/٣١٦ .

المتأخرون من أهل الأدب ، على أن بعض العرب حافظ عليه وهو أبدع وأحسن ، وقد اتفق له فيه مع الانسجام التورية ؛ لأن اسم ممدوحه / ممتنع في اصطلاح أهل العربيَّة ، وأمَّا قوله : « ضيعت قلبًا » [ص١٦٨] ... إلخ فهو وإن كان معنى مطروقًا بين أهل الأدب لكن قد سبكه في قالب الجزالة ، وتعداد محاسن هذه القصيدة يطول ، وفي هذا القدر كفاية .

وقد تولّى الشريف أحمد المملكة هذه المدة ، ولم تطل له الأيام ولم يساعده المقدور في نيل المرام ، وكان مولده سنة ست بعد المائتين والألف ، ووفاته بمصر عام خمس وثلاثين بعد المائتين والألف . ولله القائل :

ألا كل حي هالك وابن هالك ... وذو نسب في الهالكين عريق

إذا اختبر الدنيا لبيب تكشفت ... له عن عدو في ثياب صديق[1]

وبوفاته اندرست عنهم الآثار الملوكية ، وأتى الجديدان[2] على الدولة الحمودية ، وتعطلت عن إمارتهم المغاني ، ولم يبق إلا عاطر ذكرهم الجميل وهو العمر الثاني ، وقد بالغ في الموعظة للأنام ، من قال من الأعلام :

نهاية إقدام العلوم عقالُ ... وأكثر سعي العالمين ضلالُ

وأرواحنا في وحشة من جسومنا ... وحاصل دنيانا أذىً ووبال

وكم قد رأينا من رجالٍ ودولة ... فبادوا جَميعًا كلّهن وزالوا

وكم من جبالٍ قد علت شرفاتها ... رجال فزالوا والجبال جبال[3]

وذيلها بعضهم فقال : / [ص١٦٩]

(١) البيتان من الطويل .
(٢) الجديدان : الليل والنهار .
(٣) الأبيات من الطويل .

ولا جبل يبقى وإن طال مكثه ... فكل له بعد الوجود زوال

[٥٦/ب] / ستنسف نسفًا بعد طول قرارها ... تعود الجبال الشم وهي رمال

ولا النيّرات الزهر تبقى ولا السما ... ولا فلك عنه الفناءُ يُحال

ستفنى جميع الكائنات بأسرها ... مواعيد حق ما لهن مطال

تفرد بالبقاء وكل ما ... سواه بقاه باطل ومحال(١)

وبعد الفنا بعثٌ وحشرٌ وموقفٌ ... يكون نَجاة بعده ونَكال

وداران دار للنعيم مؤبد ... ودار عذاب ليس عنه زوال(٢)

وأمَّا السيد العلامة الحسن بن خالد الحازمي فلم يزل في قتال هو وأهل السراة ، وكلما داوى جرحًا سال جرح ، حتى كان نهاية الأمر أن تجهز جماعة من الأتراك قائدهم رجل يسمى سليمان سنجق(٣) (ومعهم الشريف محمد بن عون . في جماعة من القبائل ، وطائفة من مشايخ العرب منهم : فهاد بن سالم(٤) صاحب « بيشة » ، (ومشيط(٥)) بن سالم كبير شهران(٦)) كما بلغ . فدامت بينه وبين الجند التركي المَصَافّ(٧) مدة ، حتى كان ليلة (الخميس) ثالث وعشرين من شهر [ص١٧٠] شعبان من السنة المذكورة قصده الأتراك ، والتحم بينه وبينهم القتال / وتقارع باللهذميات الأبطال . وخفقت ريح النصر للسيد الحسن وأصحابه ، وولى الجند التركي الأدبار :

(١) البيت مكسور وهكذا ورد في جميع النسخ .
(٢) الأبيات من الطويل .
(٣) سليمان سنجق ، أحد قواد محمد علي في الحجاز ، لم أعثر على معلومات عنه .
(٤) فهاد بن سالم بن محمد بن شكبان الرميثين ، أحد قواد الدولة السعودية الأولى المشهورين ، وشيخ قبائل بيشة بعد وفاة والده سالم بن شكبان .
انظر : ابن مسفر ، أخبار عسير ٥٢ ؛ ابن بشر ، عنوان المجد ١/١٣٦ .
(٥) بياض في هامش الأصل ، والزيادة من ص .
(٦) سبق التعريف به في ص (١١١) .
(٧) المَصَافّ : موضع الحرب الذي يكون فيه الصفوف ، جمع مصفّ . انظر : لسان العرب ، مادة (صفف) .

وأضعف الرعب أيديهم فطعّنهم ... بالسمهرية مثل الوخز بالإبر(١)

وكانت عادته في جميع حروبه مهما منحه الله - تعالى - النصر على من قابله من الأجناد ينزل عن جواده ويسجد ، وهذا السجود مشروع : لأن سجود الشكر مستحب عند تجديد نعمة أو دفع نقمة . وقد صح فعله عن صاحب الشريعة عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام ، واقتدى به خلفاؤه(٢) الراشدون في فعل ذلك ، (إلا في هذه الوقعة : فلم يتم له ذلك لضيق الوقت) ، وبعد (انقضاء المعركة) وقف في طائفة من الخيل . وكان مِمَّا سبق في علم الله - تعالى - أنه اعتزل في شعب من تلك الجبال جماعة من بقايا المهزومين ، فأرسلوا رميات [٥٧/أ] ببنادقهم فأصابته من تلك رصاصة ، كان بها إزهاق روحه وخلاصه . فسقط من فوق جواده ميتًا ، وفاز بالشهادة(٣) ، وقد ورد في الحديث : « أن أشرف القتل قتل الشهداء »(٤) ، ولله القائل :

وهل مهجةُ الإنسان إلا طريدة ... يَحُوم عليها للحمام عقاب

يحث بها في كل يوم وليلة ... مطايا إلى دار البلى وركاب

ألا إن جسما يستحيل بجسمه ... وإن حياة(٥) تنتهي لخراب(٦)

/ وكان مولده - رحمه الله - تعالى سنة ثمان(٧) وثمانين ومائة [ص١٧١] وألف بوطنه قرية « ضمد » ، ونشأ على الطاعة والاشتغال بالعلم ، ولازم سيدي الوالد - رحمه الله تعالى - وبه تخرج ، ولا شيخ له غيره سوى

(١) البيت من البسيط ، وهو لأبي العلاء المعري . انظر : الديوان ، ٦٠ .
(٢) الأصل : خلفاه ، والصواب من ع .
(٣) انظر : تفاصيل المعركة في تاريخ عسير للحفظي ، ٨٢ .
(٤) لم أعثر على حديث بهذا النص ، ولكن وردت أحاديث كثيرة في فضل الشهادة وشرفها وأنها أفضل القتل . انظر : أبواب الجهاد وفضائله في كتب الحديث .
(٥) الأصل : حيوة .
(٦) الأبيات من الطويل .
(٧) الأصل : ثمانية .

ولا جبل يبقى وإن طال مكثه   فكل له بعد الوجود زوال
[٥٦/ب] / ستنسف نسفًا بعد طول قرارها   تعود الجبال الشم وهي رمال
ولا النيّرات الزهر تبقى ولا السما   ولا فلك عنه الفناءُ يُحال
ستفنى جميع الكائنات بأسرها   مواعيد حق ما لهن مطال
تفرد بالبقاء وكل ما   سواه بقاه باطل ومحال(١)
وبعد الفنا بعثٌ وحشرٌ وموقفٌ   يكون نَجاة بعده ونَكال
وداران دار للنعيم مؤبد   ودار عذاب ليس عنه زوال(٢)

وأمّا السيد العلامة الحسن بن خالد الحازمي فلم يزل في قتال هو وأهل السراة ، وكلما داوى جرحًا سال جرح ، حتى كان نهاية الأمر أن تجهز جماعة من الأتراك قائدهم رجل يسمى سليمان سنجق(٣) (ومعهم الشريف محمد بن عون ، في جماعة من القبائل ، وطائفة من مشايخ العرب منهم : فهاد بن سالم(٤) صاحب « بيشة » ، (ومشيط(٥)) بن سالم كبير شهران(٦)) كما بلغ . فدامت بينه وبين الجند التركي المَصَافّ(٧) مدة ، حتى كان ليلة (الخميس) ثالث وعشرين من شهر [ص١٧٠] شعبان من السنة المذكورة قصده الأتراك ، والتحم بينه وبينهم القتال / وتقارع باللهذميات الأبطال ، وخفقت ريح النصر للسيد الحسن وأصحابه ، وولى الجند التركي الأدبار :

(١) البيت مكسور وهكذا ورد في جميع النسخ .
(٢) الأبيات من الطويل .
(٣) سليمان سنجق ، أحد قواد محمد علي في الحجاز ، لم أعثر على معلومات عنه .
(٤) فهاد بن سالم بن محمد بن شكبان الرميثين ، أحد قواد الدولة السعودية الأولى المشهورين ، وشيخ قبائل بيشة بعد وفاة والده سالم بن شكبان .
انظر : ابن مسفر ، أخبار عسير ٥٢ ؛ ابن بشر ، عنوان المجد ١/١٣٦ .
(٥) بياض في هامش الأصل ، والزيادة من ص .
(٦) سبق التعريف به في ص (١١١) .
(٧) المَصَافّ : موضع الحرب الذي يكون فيه الصفوف ، جمع مصفّ . انظر : لسان العرب ، مادة (صفف) .

وأضعف الرعب أيديهم فطعّنهم   بالسمهرية مثل الوخز بالإبر(١)

وكانت عادته في جميع حروبه مهما منحه الله - تعالى - النصر على من قابله من الأجناد ينزل عن جواده ويسجد ، وهذا السجود مشروع : لأن سجود الشكر مستحب عند تجديد نعمة أو دفع نقمة . وقد صح فعله عن صاحب الشريعة عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام ، واقتدى به خلفاؤه(٢) الراشدون في فعل ذلك ، (إلا في هذه الوقعة : فلم يتم له ذلك لضيق الوقت) ، وبعد (انقضاء المعركة) وقف في طائفة من الخيل ، وكان ممَّا سبق في علم الله - تعالى - أنه اعتزل في شعب من تلك الجبال جماعة من بقايا المهزومين ، فأرسلوا رميات [٥٧/أ] ببنادقهم فأصابته من تلك رصاصة ، كان بها إزهاق روحه وخلاصه ، فسقط من فوق جواده ميتًا ، وفاز بالشهادة(٣) ، وقد ورد في الحديث : « أن أشرف القتل قتل الشهداء »(٤) ، ولله القائل :

وهل مهجةُ الإنسان إلا طريدة   يَحُوم عليها للحمام عقاب
يحث بها في كل يوم وليلة   مطايا إلى دار البلى وركاب
ألا إن جسما يستحيل بجسمه   وإن حياة(٥) تنتهي لخراب(٦)

[ص١٧١] / وكان مولده - رحمه الله - تعالى سنة ثمان(٧) وثمانين ومائة وألف بوطنه قرية « ضمد » ، ونشأ على الطاعة والاشتغال بالعلم ، ولازم سيدي الوالد - رحمه الله تعالى - وبه تخرج ، ولا شيخ له غيره سوى

(١) البيت من البسيط ، وهو لأبي العلاء المعري . انظر : الديوان ، ٦٠ .
(٢) الأصل : خلفاه ، والصواب من ع .
(٣) انظر : تفاصيل المعركة في تاريخ عسير للحفظي ، ٨٢ .
(٤) لم أعثر على حديث بهذا النص ، ولكن وردت أحاديث كثيرة في فضل الشهادة وشرفها وأنها أفضل القتل . انظر : أبواب الجهاد وفضائله في كتب الحديث .
(٥) الأصل : حيوة .
(٦) الأبيات من الطويل .
(٧) الأصل : ثمانية .

جماعة قليلين أو بالإجازات[1] ، وكان في الذكاء آية باهرة ، ومعجزة لكل حسود قاهرة ، فنال في أيام يسيرة من العلم ما عزَّ على غيره ، وأربى في تحقيقه على الأقران ، وسارت بذكره الركبان ، وبرع في علمي التفسير والحديث ، وإليه الغاية في معرفة الفقه ، والعلوم الآلية[2] ، وآخر مدته جعل همه الاشتغال بعلمي الكتاب والسنة ، والعمل بما قاد إليه الدليل ، والميل عن ما اختاره العلماء من الأقاويل ، وجزم بتحريم التقليد ، وألف في ذلك رسالة ، وقرر فيها أنه يسع الناس في هذه الأزمنة ما وسع الصحابة - رضي الله عنهم - من أخذ الحكم من دليله للمتأهل ، والعامي فوظيفته السؤال كما كان في عصر خير القرون .

ولما اشتهر عنه القيام التام في ذات الله - تعالى - في الإقدام والإحجام ، اختصه لمؤازرته أمير زمانه الشريف حمود ، فكان لا يصدر ولا يورد في أغلب الأمور إلا به ، وجعل نفسه متقيداً بما يقول في المسائل الشرعية لمحله من العلم ، فطار بذلك صيته في / جميع الأقطار ، [ص١٧٢] وقصده من كل ناحية [٥٧/ب] الأفاضل ، وأنضى الناس للمعرفة به من كل ناحية الرواحل .

ولم يزل يتجهز للغزايا ويسد الثغور بنفسه عن أمر الشريف حمود ؛ لأنه كان من الشجعان الأبطال ، إذا دعيت في الهيجاء نزال ، وآخر مدته جنح إلى العمل بظاهر الأدلة ، واختار لنفسه في المسائل الفرعيات

(١) الإجازة : هي إذن الشيخ لتلميذه برواية مسموعاته أو مؤلفاته ولو لم يسمعها منه ، ولم يقرأها عليه ، وذلك بقوله : أجزت لك أن تروي عني الكتاب الفلاني ، أو ما صح عندك من مسموعاتي .
لمزيد من التفصيل انظر : الصباغ ، الحديث النبوي ٢٠٢ - ٢٢٦ ؛ الخطيب البغدادي ، الكفاية في علم الرواية ، ٣٤٨ - ٣٨٣ .
- G . vajda and I . goldziher , EI 2 , article « Idjaza » .

(٢) العلوم الآلية : يقصد بها العلوم التي تكون وسيلة للعلم الشرعي المطلوب لذاته مثل النحو والصرف والبلاغة واللغة . انظر : الحازمي ، الدراسات النحوية في اليمن ، ١٥٢ ؛ وفي مفتاح السعادة لكبرى زاده ٧٥/١ : العلم المتعلق بالكتابة والعبارة والأذهان آلي البتة .

اختيارات منها : عدم الجهر بالبسملة في الصلاة الجهرية ، وله في ذلك رسالة مفيدة رجح فيها صحة حديث أنس بن مالك رضي الله عنه[1] ، ونفى عنه الاضطراب الذي قاله بعض الحفاظ ، وتأيد بنقل أئمة الحديث في ذلك وهذا هو مذهب الأئمة الثلاثة ، مالك[2] ، وأبي حنيفة[3] ، وأحمد بن حنبل[4] ، واختاره من أئمة أهل البيت الإمام محمد بن إبراهيم ابن الوزير وقرره في « العواصم » ، لكن السيد الحسن - رحمه الله تعالى - ألزم الناس بالعمل بما اختاره من الإسرار ، وأنكر عليه علماء وقته ، وجرت بينه وبين بعضهم مراجعة في ذلك الإلزام ، وأنه لا يحسن إلزام أحد بما يختاره العالم إلا أن يلتزم المقلد لذلك القول فلا بأس ، وأفضى الأمر بذلك المراجع أن أُزعج[5] من هذه الأوطان[6] ، وله القائل :

(١) حديث أنس المشار إليه هو : عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : صليت مع رسول الله ﷺ وأبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، فلم أسمع أحداً منهم يقرأ : بسم الله الرحمن الرحيم ، وفي رواية : « أن النبي ﷺ وأبا بكر وعمر كانوا يفتتحون الصلاة بالحمد لله رب العالمين » . أخرجه البخاري ، كتاب صفة الصلاة ، باب ما يقول عند التكبير ٢٢٦/٢ رقم ٧٤٣ ؛ وفي النسائي : باب ترك الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم ١٣٥/٢ .

(٢) مالك بن أنس بن مالك الأصبحي ، محدث وفقيه مشهور ، إمام دار الهجرة وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة ، وإليه تنسب المالكية (ت/١٧٩هـ) .
انظر : الزركلي ، الأعلام ١٢٨/٦ ؛ أبو زهرة ، تاريخ المذاهب ١٧٦/٢ - ٢٢٥ .

(٣) النعمان بن ثابت ، أبو حنيفة ، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة ، إليه ينسب المذهب الحنفي (ت/١٥٠هـ) .
انظر : الزركلي ، الأعلام ٤/٩ ؛ أبو زهرة ، أبو حنيفة .

(٤) أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني ، إمام المذهب الحنبلي وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة (ت/٢٤١هـ) .
انظر : الزركلي ، الأعلام ١٩٢/١ ؛ أبو زهرة ، أحمد بن حنبل .

(٥) غير واضحة في الأصل ، وأثبتناها من ص ، وفي ع : انتزح .

(٦) يشير المؤلف إلى محمد بن مهدي الحماطي الذي كان يرى الجهر بالبسملة ، وأن العمل بذلك من العمل المخير فيه العبد ، وهذا ضد رأي الحسن بن خالد الذي أمر المذكور بمغادرة البلاد ، فتوجه إلى صنعاء واستقر بها .
انظر : لمزيد من المعلومات ترجمة محمد بن مهدي الحماطي في حدائق الزهر لعاكش ص١٥٦ .

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبلاً أن تعد معايبه[1]

والحق : أن مسألة الجهر بالبسملة أو الإسرار في الصلاة الجهرية [ص١٧٣] ممَّا تعارضت فيه الأحاديث ، والمذهب الراجح في ذلك / أنه من العمل المخير فيه المكلف ، وبأي ذلك عمل فقد أصاب السنة .

ومنها : أنه يرى وجوب القصر في طويل السفر وقصيره من غير تحديد بمسافة ، وهذا هو مذهب طائفة من العلماء ، وإليه جنح ابن القيم في كتابه « زاد المعاد »[2] ورجحه بعض المتأخرين من أهل البيت ، وغير ذلك من المسائل الفرعية ، والخطب في ذلك يسير ، فالمسائل العمليات الظنيات المجال فيها رحيب ، وكل [٥٨/أ] مجتهد فيها مصيب .

وكان له - رحمه الله تعالى - قوة جنان في الصدع من غير مبالاة بأحد ، وعندما[3] حصل التعصب والتحزب من بعض المشتغلين بعلم الفروع ، والتمسك بكلام المفرعين المبني على التخريجات والمناسبات المعروفة في علم الأصول ، من غير نظر إلى دليل منع قراءة[4] الفروع في كل مذهب[5] من مذهب الشافعية ، ومذهب أهل البيت ، وغيرهم في حدود مملكة الشريف حمود ، وأمر بالقراءة في الحديث ، وحرّج على من اشتغل بغير ذلك .

وقد رأيت رسالة للسيد العلامة إسحاق بن يوسف الصنعاني[6]

---

(١) البيت من الطويل ، وهو ليزيد بن محمد المهلبي ، انظر : النويري ٣/ ٩٠ .

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد ، مطبوع أكثر من طبعة ، وقد حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه شعيب وعبدالقادر الأرنؤوط ، وطبع في خمسة مجلدات في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميَّة ، ١٣٩٩هـ .

(٣) الأصل : وعند أن .

(٤) الأصل : قراة ، والصواب من ص .

(٥) هكذا في الأصل ، ولعله يريد أن يقول : في كل من مذهب الشافعية ... .

(٦) إسحاق بن يوسف بن إسماعيل الصنعاني ، من علماء اليمن الكبار (ت/١٧٣هـ) . انظر : الشوكاني ، البدر الطالع ١/ ١٣٥ ؛ الحبشي ، مصادر الفكر العربي الإسلامي ، ٢٣٠ .

- رحمه الله تعالى - في الرد على من يمنع قراءة الفروع ، وأطال النفس في ذلك[1] ، وخلاصة ما قال : « إنه لا وجه لذلك ؛ لأن الفقه ثَمَرة الأحكام الواقعة في الكتاب والسنة ، / والفقه هو التعبير عما قاد إليه [ص١٧٤] ذلك اللفظ بالمعنى » ، ولعل السيد الحسن إنَّما منع التزام مذاهب آراء الرجال ، وأقوالهم العارية عن الاستدلال ؛ لأن الفقه في الدين هو معرفة الأحكام الشرعية عن أدلتها التفصيلية ، وهذا هو العلم النافع الذي صرح الكتاب والسنة بفضله وفضل حملته .

وأمَّا آراء الرجال المجردة عن ذلك فلا تسمى فقهًا ولا علمًا ، وهذا قد سبقه إليه جماعة من العلماء ، وألفوا فيه رسائل ، إنَّما الشأن في منع قراءة الكتب الفقهية ، ومن المعلوم أن كل كتاب منها تفاريعه الأكثر منها له مستند من الأدلة الشرعية ، وفيها أشياء مبنية على آراء الرجال واختياراتهم ، فسدُّ الباب على القارئ فيها لما اشتملت عليه من الرأي ليس ممَّا ينبغي ، والمسألة جديرة بالبسط ، وإنَّما هذا عارض من القول .

نعم ؛ في أيامه عمرت بالعلوم المدارس ، وانتعش من المعارف كل دارس ، وأسدى إلى العلماء من أهل وقته أنواعًا من [٥٨/ب] الإنعامات ، وكفاهم مهم دنياهم وأمرهم بنشر العلم في كل الأوقات ، فصارت جهاتنا منهلَ وارد ، وبغية قاصد ، وله رسالة سماها « قوت القلوب بمنفعة توحيد علام الغيوب »[2] ، وهي متضمنة / لبيان أدلة التوحيد العملي ، وإنكار ما [ص١٧٥] عليه غالب الناس من الاعتقادات المنافية لتوحيد العبادة بجميع أنواعه ، وله شرح على « منظومة عمدة الأحكام » للسيد العلامة عبدالله بن محمد

---

(١) اسم الرسالة : « الوجه الحسن المذهب للحزن لمن طلب السنة ومشى على السنن » ، مطبوع عام ١٣٤٨هـ . انظر : عاكش ، حدائق الزهر ، تحقيق إسماعيل البشري ، ٦٤ .

(٢) حققها الأستاذ / علي بن محمد أبو زيد الحازمي بعنوان مختلف وهو : قوت القلوب في توحيد علام الغيوب ، نشرت عن دار الشريف بالرياض ، ١٤١٧هـ .

بن إسماعيل الأمير[1] – رحمه الله تعالى – ولكنه لم يكمل وقد رأيت منه قطعة وتأملتها ؛ فرأيت فيها من التحقيق واستيفاء الأدلة ما أنبأ عن سعة اطلاعه وكمال عرفانه ، وله جوابات على مسائل عديدة ، ومراجعات بينه وبين علماء وقته ، وكلها مشحونة بالفوائد مربوطة بالدلائل .

ولقد رأيت رسالة إليه من قريبه السيد العلامة علي بن محمد بن عقيلي الحازمي[2] – رحمه الله تعالى – يذكّره فيها بالأحاديث الواردة في الكف عن تكفير أهل لا إله إلا الله ، فأجاب عليه بما يقضي بأن الترك كفار[3]، وقال فيها : « من أردت بأهل لا إله إلا الله ، أهم الترك الكفرة الفجرة » إلى آخر ما قال ، والذي يغلب على الظن أنه أراد كفر العمل ؛ يعني أن أفعالهم كفعل الكفار ؛ لأن غالب أجنادهم يرتكبون الأمور التي حرمها الشرع ، وهي ظاهرة فيهم فاشية بينهم ، هذا الذي ينبغي[4] حمل كلامه عليه ، وأمَّا كفر الاعتقاد فما أظن أن قصده / ذلك والله أعلم [ص١٧٦] بنيته ، مع أن ظاهر لفظه في تلك الرسالة يحتمله ، ولا أحمل كلامه على كفر التأويل ويكون في ذلك يلاقي اختيار الإمام المتوكل على الله إسماعيل ابن القاسم – رحمه الله تعالى – في هذه الطائفة كما هو مشهور ، وبين علماء أهل البيت مزبور ، لأنه قد حدثني بعض الأخصاء به من العلماء [٥٩/أ] أنه يجنح إلى رأي الإمام يحيى بن حمزة ، والمتأخرين من أهل البيت ، من عدم القول بكفر التأويل ، وهو الراجح لوضوح الأدلة القاضية بعدم تكفير أحد من أهل القبلة .

(١) ابن العلامة الشهير محمد بن إسماعيل الأمير ، من علماء اليمن المشهورين (ت/١٢٤٢هـ) .
انظر : الشوكاني ، البدر الطالع ١/٣٩٦ ؛ عاكش ، عقود الدرر ، الترجمة رقم (١٢٦) .

(٢) علي بن محمد عقيلي الحازمي ، من علماء ضمد ، تولى القضاء فيها للشريف علي بن حيدر مدة (ت/١٢٥٢هـ) .
انظر : عاكش ، عقود الدرر ، الترجمة رقم (١٤١) ؛ زبارة ، نيل الوطر ٢/١٦٠ .

(٣) التكفير على الجملة ولأمة بأسرها مزلق خطير ، والمتوخي للحق يتوقف عند الحكم بالكفر على أحد معين فردًا كان أو جماعة ، لكن يمكن الحكم بأن هذا الفعل مكفر أو كفر، دون التنزيل على الأفراد أو الجماعات إلاّ إذا كان قد صدر من الشخص أو الجماعة ما لا يحتمل إلا الكفر فعند ذلك له وجه. وذلك عن طريق الهيئة الشرعية المختصة.

(٤) غير واضحة في الأصل والزيادة من ص ، وفي ع : يحسن .

ومن رأى ما في « إيثار الحق »[1] وكتاب « العواصم والقواصم » لحافظ أئمة أهل البيت محمد بن إبراهيم الوزير عرف حقيقة ما ذكرناه ، فإنه أعاد الخلاف في مسائل أصول الدين بين « الأشاعرة والمعتزلة » لفظياً ، وهذا الذي ارتضاه الإمام الحسين بن القاسم – رحمه الله تعالى – صاحب « الغاية في علم الأصول الفقهية » وشرحها ، وهذا لا يكاد يصدق به إلا من خاض في علم الفريقين ، وصفقت به أمواج بحر المذهبين . وبعد ذلك يعرف أن هذا القول هو زبدة الحقائق ، وأن الخلاف إنَّما هو في العبارة لا غير ، وإلا فهم على اتفاق / في المعنى على تلك الطرائق ، [ص١٧٧] وكلهم قصدهم الوقوف على الحق ، وإن اختلفت العبارات ، وتراسلوا بما يقصر عنه في الواقع أقذال الرماح في الجدالات :

عباراتنا شتى ومعناك واحد   وكل إلى ذاك الجمال يشير[2]

وقد اختار في رسالته « قوت القلوب » أن جهال المسلمين الذين يعتقدون النفع والضر فيما سوى الله – سبحانه وتعالى – مشركون شركًا أكبر قبل التعريف لهم بجهل ما هم عليه وبعده ، (وقد وافقه (على ذلك)[3] شيخنا البدر الشوكاني – رحمه الله تعالى – في رسالته « الدر النضيد في إخلاص التوحيد »[4]) ورد في ذلك على السيد العلامة محمد ابن إسماعيل الأمير – رحمه الله تعالى – في رسالته المسماة « تطهير الاعتقاد »[5] ؛ لأنه اختار فيها أنهم قبل التعريف لهم بتحريم ما هم عليه

(١) اسم الكتاب : إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق ، طبع في القاهرة سنة ١٣١٨هـ .
انظر : الحبشي ، مصادر الفكر العربي والإسلامي في اليمن ، ١١٩ .

(٢) البيت من الطويل .

(٣) غير واضحة في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٤) طبع في القاهرة بتاريخ ١٣٥١هـ . انظر : - AL - Amri , The yemen , 196 .

(٥) تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد ، طبع في القاهرة عام ١٣٧٣هـ .
انظر : الحبشي ، مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن ، ١٣٧ .

ليسوا بمشركين شركًا[1] أكبر بل أصغر ، وأمَّا بعد التعريف لهم ، وإصرارهم على ذلك ، فهم مشركون شركًا أكبر ، ولكن الذي تطمئن إليه النفس ، وقاد إليه الدليل بحسب ما يظهر لي هو ما ارتضاه السيد محمد بن إسماعيل الأمير – رحمه الله تعالى – ، وهو أسلم لمن استبرأ لدينه وعرضه ، والله الموفق .

[٥٩/ب] وقد قيل في المترجم له قصائد جملة ، بعضها في المديح [ص١٧٨] له ، وبعضها جوابات عليه ؛ لأنه كان مجيداً في النظم / والنثر ، وله اليد القوية في الأدب ، فمما قاله شيخنا السيد العلامة الأديب محمد بن المساوى الأهدل[2] – عافاه الله تعالى – مادحًا له :

غريمُك في تعنيك الغرامُ　　　فلا حرجٌ عليك ولا ملامُ
وشم برق « الغوير »[3] له ابتسام　　　من « الدهنا »[4] إذا جنَّ الظلام
فإن مكرر اللمعان يدري　　　إشارته الكئيب المستهام
وممَّا بي من الأشجان ورقا　　　على غصن يطارحها الحمام
حمام الواديين بذات طلح　　　دهورًا لا ينيم ولا ينام
وما « بالأجرعين »[5] من الروابي　　　مراقيه ومنبره البشام

(١) الأصل : شرك .
(٢) محمد بن المساوى بن عبدالقادر الأهدل ، من علماء اليمن خاصة في علم النحو والمعاني ، مجيد في النظم والنثر (ت/١٢٦٦هـ) .
انظر : عاكش ، حدائق الزهر ، ١٦٤ ؛ زبارة ، نيل الوطر ٢/٣١٥ .
(٣) غير واضحة في الأصل هل هي الغوير أم الغرير ، ورجحت أنها الغوير لتداول هذا الاسم بين الشعراء ، وفي بلاد العرب أماكن كثيرة يطلق عليها : الغوير .
انظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ٤/٢١٦ ، ٢٢٠ .
(٤) قرية من قرى وادي بيش غرب قرية العالية .
انظر : العقيلي ، المعجم الجغرافي ، ١٨٤ .
(٥) لم أعثر على موقع في المخلاف السليماني أو اليمن بهذا الاسم ، وهناك موقع باليمامة ذكره ياقوت بهذا الاسم ، وأشار إليه ابن خميس بأنه شمال بلدة ثرمداء ، والأجرع والأجارع : اسم لكل منبسط رملي ينبت العشر والخروع والثمام والتنوم وغيره ويتعين بالإضافة .
انظر : ياقوت ، معجم البلدان ١/١٠٢ ؛ ابن خميس ، معجم اليمامة ١/٦١ .

يذكرني السوالف من ليال　　　كطيف الحلم شخّصه المنام
وإلفًا قد أُنيط به هيامي　　　فلما أن نأى زاد الهيام
فلا[1] آوى غرابَ البين وكرٌ　　　ولا شرق ولا غرب وشام
تَمشى في الربوع فبان صحبي　　　وجدوا في المسير وما أقاموا
وبان البان حتى بان أني　　　طليح[2] قد أضر به السقام
وقد كانت رماح بني لؤي　　　على أرجاء ما تحوي الخيام
فصافحت الأسنة غير وانٍ　　　وسالم عنّيَ البيض اقتحام
فوافاني الزمان بجيش همٍّ　　　عراني من كتائبه انهزام
ولكني زجرت مطيّ عزمي　　　إلى الحسن بن خالدَ والسلام
/ فتى علاّمة الدنيا جميعا　　　وفارسها إذا انحسر اللثام [ص١٧٩]
/ فكم لك في الوقائع من قضايا　　　نتيجتها إذا اشتد الزحام [٦٠/أ]
ومن نقط حروف مُهملات　　　بخطّي فيشكلها الحسام
من النفر الذين لهم عهود　　　من المختار تحملها الذمام
أما قال الرسول ألا احفظوني　　　فحينئذٍ لحاسده الرغام
إليك خريدة جرّت ذيولا　　　ومنطقها على الجوزا حزام
تتيه بأنَّ قائلها شريف　　　له نسب وآباء كرام
ومن تهدى لحضرته شريف　　　وفذٌّ جهبذٌ حبرٌ همام[3]

(١) بياض في الأصل ، والزيادة من ص و ع ، انظر أيضاً : عقود الدرر للمؤلف ، الترجمة رقم (٦٤) .
(٢) الطليح : المهزول ، والمجهود ، والمُعْيَى .
انظر : المعجم الوسيط ٢/٥٦٧ .
(٣) في عقود الدرر للمؤلف : إمام ، انظر : ترجمة الحسن بن خالد .

فسترا يابن بنت الطهر سترا   عليها إن منشأها الثمام[1]

في قوله : « فكم لك في الوقائع من قضايا » من علم البديع «التوجيه » لأن القضايا المنطقية معروفة ، والنتيجة تكون من مقدمتين من تلك القضايا . وما أبدع ما قاله شمس الدين ابن العفيف التلمساني[2] :

للمنطقيين أشتكي أبدًا   عين رقيب فليته هجعا

صادرها من أحبه فأبى   أن نَخْتلي ساعة ونجتمعا

كيف غدت دائما وما انفصلت   مانعة الجمع والخلوِّ معا[3]

وهذه الأبيات في غاية الحسن ، ولكن أورد بعضهم عليها إيرادًا فقال : « ظاهر[4] كلامه التعجب من هذه القضية ، والمراد في مثل هذا أن يتعجب ممَّا خرج عن القواعد ، وهذه القضية موجودة مستعملة ، وذلك قولك : العدد / إمَّا زوج وإمَّا فرد ، فهذه القضية مانع الجمع ، فإن [ص١٨٠] الزوجية والفردية لا يجتمعان ، ومانعة الخلوِّ ، فإن العدد لا يخلو من أحدهما » ، قلت : وهذا الإيراد [٦٠/ب] غير جيد لأن الشاعر أراد أن يتعجب من أمر وقع ، وهو أن عين رقيبه لم تهجع ، ولم تغمض لأجل الرقباء عليه أن يتصل بمحبوبه ؛ بل هي متصلة بهما، أي بالممارسة لهما ، فكان ذلك سبب منع الاجتماع بينهما ، ومع الخلو منهما بالآخر ، فقد منعت هذه العين المتصلة بهما من أن يجتمعا ، وأن يخلوا ، ولا يمنع الجمع والخلو عند المنطقيين إلا في المنفصلة فقط ، فتعجب من كون هذه العين متصلة ، ومنعت الجمع والخلو ؛ فإنه ليس من عاداتها ، فأراد أن يتعجب

(١) القصيدة من الوافر .
(٢) سليمان بن علي بن عبدالله الكوفي التلمساني ، شاعر أديب ، متأثر بالصوفية على مذهب ابن عربي (ت/٦٩٠هـ) .
انظر : الزركلي ، الأعلام ١٩٣/٣ ؛ الكتبي ، فوات الوفيات ٣٦١/١ .
(٣) الأبيات من الكامل .
(٤) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

من ذلك المخالف للمعنى المصطلح عليه عند المنطقيين الذين شكى الشاعر عليهم ، وهذا معنى بديع ، فلله ابن التلمساني ما أرق حاشيته ، وأعذب ناشئته . وأمَّا قوله : « ومنطقها على الجوزا حزام » فهو يشير إلى قول الشاعر :

لو لَمْ يكن نية الجوزاء خدمته   لَمَا رأيت عليها عقد منتطق[1]

والجوزاء قيل : هو نجم يقابل « الشعرى » الذي قال الله تعالى فيه : ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَىٰ﴾[2] ، وهذه[3] الآية نزلت في « خزاعة » ؛ لأنهم كانوا يعبدون الشعرى ، قال في « فتح الباري » : قال أبو حنيفة الدينوري[4] في كتاب « الأنواء » : الغدرة ، والشعرى العبور / والجوزاء [ص١٨١] في نسق واحد ، وهن نجوم مشهورة . قال : « وللشعرى ثلاثة أزمان : إذا رؤيت[5] غدوة[6] طالعة : فذاك صميم الحر ، وإذا رؤيت عشاء طالعة ؛ فذاك صميم البرد ، ولها زمان ثالث ، وهو وقت نوئها ، وإحدى كوكبي الذراع المعترضة هي « الشعرى » ، والغميصاء ؛ وهي تقابل الشعرى العبور والمجرة بينهما ، ويقال لكوكبها الآخر[7] الشمالي المرزم (مرزم الذراع) ، وهما مرزمان : هذا والآخر في الجوزاء ، وكانت العرب تقول : انحدر « سهيل » فصار يمانيّاً ، فتبعته « الشعرى » فعبرت إليه المجرّة [٦١/أ] وأقامت الغميصاء ؛ فبكت عليه حتى غمصت عينها » ، قال : «والشعريان: الغميصاء والعبور يطلعان معًا » انتهى[8] والله أعلم .

(١) البيت من البسيط ، وقد ورد في الغيث المسجم للصفدي ٣٥٧/٢ دون ذكر القائل .
(٢) سورة النجم ، الآية ٤٩ ، وقد سقطت كلمة هو في الآية وأضفناها .
(٣) بياض في الأصل ، والزيادة من ص و ع .
(٤) أحمد بن داود بن ونند الدينوري ، عالم في الهندسة وعلم الأنواء والنبات (ت/٢٨٢هـ) .
انظر : الزركلي ، الأعلام ١١٩/١ ؛ زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربيَّة ١٩٧/٢ .
(٥) الأصل : رايت .
(٦) بياض في الأصل وأثبتناها من ص و ع .
(٧) سقطت في الأصل وص وأضفناها من فتح الباري ٦٠٥/٨ .
(٨) انظر : فتح الباري ٦٠٤/٨ .

ومِمَّا قاله المترجم له مادحًا للشريف حمود رحمه الله تعالى :

هل الروض[1] معمور بأسنى المطالب ... وهل زرت «سلْعا»[2] في بدورٍ صواحب

وهل آض روض الحي من بعد ما ذوى ... فأصبح مجاجًا سليم المعاطب

وهل بت ترقى في المعارج مصعدًا ... إلى نحو بدر التم محمي الجوانب

فغرتها أبهى من الشمس إذ بدت ... بنور مضيء لا كشمس المغارب

ولِمَّتُها ليلٌ إذا ما نظرتها ... لها لثمُ ظهرِ الأرض أعظم واجب

وتبسم عن در[3] نضيد تخاله ... نُجوم سماء أو عقود الكواعب

[ص١٨٢] / وطرف مريض صادني بلحاظه ... ليغرقني في بحر تلك الكواكب

ولكن جاري من هواها غضنفر ... إلى سوحه قد جد سير الركائب

حليم يفيد الوافدين نواله ... ويكسي جسوم الوفد بيض الرغائب[4]

مضاهي ليوث الغاب من غير رهبة ... إذا خاف أسد الغاب من سيف ضارب

وأشبه بالبحر العظيم لهوله ... ولكنه لا يعتلى بالمراكب

دنا من جَميل القول في كل موطن ... بفعل المواضي وارتفاع المكاسب[5]

أبو المجد من عزم وعز ورفعة ... تردى ثياب المجد فوق الكواكب

(١) في حدائق الزهر للمؤلف : الربيع ، ص ٧٠ .

(٢) سلع : أحد جبال المدينة المنورة . انظر : الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ٢٣٦ ، وقد أكثر الشعراء من تضمين هذا الموقع .

(٣) في حدائق الزهر للمؤلف : ثغر ، ص ٧٠ .

(٤) بياض في الأصل وأثبتناها من ص مقارنًا بحدائق الزهر ، ص ٧٠ .

(٥) بياض في الأصل وأثبتناها من ص مقارنا بحدائق الزهر ، ص ٧٠ .

بعزم ابن عمرو[1] في سماحة حاتم[2] ... بحلم ابن قيس[3] مع وفاء لحاجب[4]

نأ[ى] عن رذيل الفعل في كل موقف ... له في رؤوس[5] الغدر جمع المضارب

مؤدٍ فروض الله في كل وقتها ... ومردٍ[6] رجالا مستحقي المناهب

حباه إله العرش من فضل جوده ... وأعطاه فخرًا بابتذال المواهب

/ مرادي بمن سوّى السماء بقوة ... وأحكمها بدعًا بإحكام غالب [٦١/ب]

دعائي بأن الله يبقيه دائما ... فيبني نُجودا شامخات المناصب

إذا ما أردت الإسم بالرمز ظاهرًا ... وتحقيقه فيها لعلم لطالب

فمن كل بيت بعد بيت تخلص ... خذ الحرف من أولاه يا ذا المطالب[7]

يريد أن بعد بيت التخلص من غزل القصيدة يبرز من أول كل بيت حرفا ، ومجموع ذلك اسم الممدوح / وهو حمود بن محمد ، وهذا سماه [ص١٨٣] بعض العلماء « تشجيرًا » وعدّه من فنون علم البديع[8] ، ولا مشاحة في الاصطلاح ؛ فإن فن البديع فن مواضعة واصطلاح لا فن تحجير ، من أراد الزيادة فيه زاد ، وقد زاد فيه شيخنا البدر الشوكاني - رحمه الله

(١) المقداد بن عمرو الكندي ، يعرف بابن الأسود . صحابي من الأبطال . أحد السبعة الذين كانوا أول من أظهر الإسلام . روى ٤٨ حديثًا . انظر : الزركلي . الأعلام ٨/٢٠٨ ؛ ابن حجر . الإصابة في تعريف الصحابة ٦/١٣٣ .

(٢) حاتم بن عبدالله بن سعد الطائي ، جاهلي يضرب به المثل في الجود (ت/٤٦ق.هـ) . انظر : الزركلي ، الأعلام ٢/١٥١ ؛ ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، ١٩٣ .

(٣) الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصن ، سيد تميم ، يضرب به المثل في الحلم (ت/٧٢هـ). انظر : موسى ، تهذيب سير أعلام النبلاء ١/٣٣٧ ؛ ابن الجوزي ، صفة الصفوة ٣/١٢٣ .

(٤) حاجب بن زرارة بن عدس التميمي ، من سادات العرب في الجاهليَّة ، يضرب به المثل في الوفاء (ت/٣هـ) . انظر : الزركلي ، الأعلام ٢/١٥٣ ؛ فروخ ، تاريخ الأدب العربي ١/١٧٤ .

(٥) الأصل : روس .

(٦) فى الأصل و ص : مؤدي ، مردي ، والتعديل من المحقق .

(٧) القصيدة من الطويل .

(٨) نوع من النظم يجعل في تفرعه على أمثال الشجرة ، والمشجر حديث العهد لم يعرفه القدماء ، وما ذكره المؤلف هنا يسمى تطريزا . انظر : بكري شيخ أمين ، مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني ، ١٨١ ، ٢٢٤ .

تعالى - نيفًا وأربعين نوعًا ، زيادة على ما ذكره البديعيون ، كالصفي الحلي ؛ وعز الدين الموصلي(١) ؛ وابن حجة ؛ ومن نحا نحوهم ، والذي ذكروه نحو مائة وخمسين نوعًا ، وقد ذكر شيخنا الشوكاني - رحمه الله تعالى - في مؤلفه « أدب الطلب »(٢) أن بعض علماء المغاربة أنهى ذلك إلى نحو سبعمائة(٣) نوع ، وهكذا كل علم سبيله الاصطلاح ، الباب يكون مفتوحًا فيه لدخول زيادة(٤) من المتأهل لذلك .

وهذه القصيدة جيدة ، وقوله : « بعزم ابن عمرو » وأراد به المقداد ابن عمرو ؛ وإنَّما نسب إلى الأسود لأنه تبناه ، وحاتم هو الطائي ، وابن قيس (المراد به)(٥) الأحنف ، وأحوالهم معروفة ، وأمَّا حاجب بن زرارة ، وقصته في الوفاء لما أن تدير(٦) هو وأهله أرض العراق ، وطلب منه [ص١٨٤] كسرى رهنًا فرهن قوسه ، ووفى لهم بما وعد ، فصار / ذلك معدودًا في مناقب بني تميم(٧) ، فلذلك قال أبو تمام الطائي(٨) يمدح أبا دلف العجلي(٩) من قصيدة :

(١) علي بن الحسين الموصلي ، شاعر وأديب من أهل الموصل (ت/٧٨٩هـ) .
انظر : الزركلي ، الأعلام ٩١/٥ ؛ ابن حجر ، الدرر الكامنة ٤٣/٣ .
(٢) حققه عبدالله الحبشي ، طبع في صنعاء عام ١٩٧٩م .
انظر : - al - Amri , the yemen , 196 .
(٣) بياض في الأصل وأثبتناها من ص و ع .
(٤) بياض في الأصل وساقطة من ع وأثبتناها من ص .
(٥) بياض في الأصل وأثبتناها من ص و ع .
(٦) تدير المكان : اتخذه دارًا .
(٧) بنو تميم : قبيلة نجدية مشهورة من مضر بن عدنان .
لمزيد من التفاصيل انظر : الحقيل ، كنز الأنساب ، ٩٧ - ١١٠ ؛ النمري ، الإنباه على قبائل الرواة ، ٨٢ .
(٨) الأصل : الطاي ، وهو حبيب بن أوس الطائي ، أبو تمام ، شاعر عباسي وأديب من أمراء البيان (ت/٢٣١هـ) .
انظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ٣٣٤/١ ؛ الزركلي ، الأعلام ١٧٠/٢ .
(٩) القاسم بن عيسى بن إدريس بن معقل ، أمير الكرخ وسيد قومه ، من أبرز الأمراء الأجواد والشعراء الشجعان ، عمل لهارون الرشيد والمأمون والمعتصم (ت/٢٢٦هـ) .
انظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ٢٣٦/٣ ؛ الزركلي ، الأعلام ١٣/٦ .

إذا افتخرت يومًا تَميم بقوسها   وزادت على من وطّدت من مناقب
فأنتم « بذي قار »(١) أمالت سيوفكم   عروش الذين استرهنوا قوس حاجب(٢)

[٦٢/أ] وقوله « مع وفاء » - بإسكان مع - واللغة الفصحى في مع أن تكون العين من مع متحركة ، قال بعض الأدباء : ما عمر بيت فيه مع ولا نهضت قافية مقيدة ، وهذا كلام من ذاق البلاغة وارتضع أخلافها ، وما أحسن ما استعمل معًا في القافية أبو الطيب حيث قال :

أرخت ثلاث ذوائب من شعرها   في ليلة فأرَتْ ليالي أربعا
فاستقبلت قمر السماء بوجهها   فأرتني القمرين في وقت معا(٣)

وما أعجب قول بعضهم :

ألا حلّ بي عجب عاجب   تقاصر وصفي عن كنهه
رأيت الهلال على وجه من   رأيت الهلال على وجهه(٤)

وهذا في غاية الحسن ، يظنه الناظر بادي الرأي تكريرًا إلى أن يتأمل معناه ، فيرقص له طربًا ، ومن ذلك قول القائل :

قالت لترب معها منكرة   لقتلتي هذا الذي نراد من
/ قالت فتى يشكو الهوى متيم   قالت بمن قالت بمن قالت بمن(٥) [ص١٨٥]

معناه : قالت بمن هو متيم ؟ تستفهم من تربها ، قالت لها : بالتي قالت بمن ، وهو مأخوذ(٦) من قول أبي الطيب :

(١) موقع بين الكوفة وواسط في العراق ، انظر : ياقوت ، معجم البلدان ٢٩٣/٤ ؛ وفي هذا الموقع كانت معركة « ذي قار » المشهورة التي انتصر فيها العرب على الفرس .
انظر : ابن الأثير ، الكامل ٢٨٥/١ - ٢٩٢ .
(٢) البيتان من الطويل .
(٣) البيتان من الكامل .
(٤) البيتان من المتقارب .
(٥) البيتان من الرجز ، والبيت الأول مكسور .
(٦) بياض في الأصل وأثبتناها من ص و ع .

قالت وقد رأت اصفراري من به   وتنهدت فأجبتها : المتنهد[١]

وفي البيتين عيب من العيوب الشعرية وهو « الإيطاء »[٢] في القافية : لأن من في القافيتين ، ولو (كانت إحداهما)[٣] للاستفهام والأخرى موصولة كالوسطى في قوله : « قالت بمن » لكان خالصا من العيب ، وهذا الذي ظاهره التكرير هو نوع من البديع الجديد يسمى إيهام « إيهام التوكيد » ، وأحسن ما ورد فيه قول ابن الرومي :

تعشقت أحوى لي إليه وسائل   وإصلاح أحوالي لديه لديه

أمرّ بـه مستعطفًا متلطفًا   فينقل تسليمي عليه عليه

[٦٢/ب] / فلا كان واش كدّر الصفو بيننا   ونغّص تحبيبي إليه إليه[٤]

وقول أبي الطيب : « فاستقبلت قمر السما » إلى آخره ، هو ينظر إلى قول الشاعر :

رأتْ قمرَ السماء فأذكرتني   لياليَ وصلنا بالرقمتين[٥]

كلانا ناظر قمرًا ولكن   رأيت بعينها ورأت بعيني[٦]

[ص١٨٦] / وهذان البيتان قد اختلف في معناهما ، والذي يظهر أن هذا الشاعر يشير إلى أن قمر السماء من عشاق محبوبته ، وأن محبوبته رأته ذات ليلة ، فكسته برؤيتها له نور جمالها ، ومحاسن صفاتها ، وألقت عليه شبهها ، وأعارته اسمه فأذكرت هذا العاشق بتلك الليلة التي وصلته

(١) البيت من الكامل .
(٢) الإيطاء في القافية : هو إعادة اللفظ نفسه بمعناه ذاته في القافية قبل سبعة أبيات ، أمَّا إذا اختلف معناه فلا بأس . انظر : ممدوح حقي ، العروض الواضح ، ١٤٤ .
(٣) الأصل : كان أحدهما .
(٤) الأبيات من الطويل .
(٥) اسم يطلق على عدد من المواضع ، ذكر منها ياقوت عشرة أماكن ، ولعل أقربها هنا موقع قريب من البصرة في العراق .
انظر : ياقوت ، معجم البلدان ٥٨/٣ .
(٦) البيتان من الوافر .

« بالرقمتين » ، فإنها بوصلها[١] له أفنته عن صفاته ، وغلبت عليه بصفاتها ، حتى صارت معه كالقمر الواحد كلاهما ينظره ، ولهذا قال : « كلانا ناظر قمرًا » واحدًا تعدد مظهره ، لكنها تنظره بعينه وهي عين المحبة ؛ لأن[٢] المحب صار محبوبًا ، وهي تنظر بعينها لأنها أعارته عينا رآها به فكان البصر لها نفسها ، وهذا من مبالغة الشعراء ، وتغلغلهم في فنون التخيلات الفكرية التي يذوقها ذو الفهم السليم .

نعم ؛ وحازم المنسوب إليه المترجم له هو أحد جدوده ، وهو حازم ابن علي بن عيسى ، وتدريج نسبه كما نقلته من خطه : حسن بن خالد بن [ص١٨٧] عز الدين بن محمد بن موسى بن مقدام بن حواس بن مقدام/ بن علي بن الهمام بن محمد بن حسن بن حازم بن علي بن عيسى بن حازم بن حمزة ابن محمد بن علي بن أحمد بن قاسم بن داود بن إبراهيم بن محمد بن يحيى بن عبدالله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط - رضي الله عنه - بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرّم وجهه .

نسب تحسب العلا بحلاة   قلدتها نُجومها الجوزاء[٣]

[٦٣/أ] وفيها توفي القاضي العلامة شرف الدين حسن بن أحمد ابن حسن البهكلي[٤]، وكان من القضاة المعتبرين ، ومن العلماء العاملين ، وهو أحد أدباء العصر ، وممن ضاهى السماكين[٥] في الرفعة والقدر ،

(١) الأصل : بوصلة ، وتم التعديل ليستقيم السياق .
(٢) بياض في الأصل وأثبتناها من ص .
(٣) البيت من الخفيف .
(٤) من علماء المخلاف السليماني ، ومن أعوان الحسن بن خالد الخازمي ، تولى القضاء في مدينة « أبو عريش » ، كان مجيداً في النثر والشعر ، (ت/١٢٣٤هـ) .
انظر : عاكش ، حدائق الزهر ٢٠٨ ؛ الشوكاني ، البدر الطالع ٢٢٣/١ .
(٥) نجمان نيّران ، أحدهما : السّماك الأعزل ، والآخر : السماك الرامح ، ويقال : إنهما رجلا الأسد .
انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة : سمك .

حيرت الأفكار بدائعه ، فنثره كالنثرة(1) ، وشعره كالشعرى(2) ، فمن شعره جوابًا على بعض أصحابه :

زلالاً سقينا من معانيـك أم ندا(3) … شـمـمناه أم زهـراً من الروض أم رندا
بلى ذاك نظم جـاء من خير ناظم … حبينا بـه فـاشكر لناظمه حـمدا
همام هو « النظّام » في سرد نظمه … وأحـمد منـه في السـباق إذا عـدا
حميد المساعي من سَمَا فرع جوده … وصار له في كل مكرمة إسْدا
فلا زال سباقا إلى كل غايـة … ومعروفه النامي لوفد العلا رفدا
يقيم إذا ما انهد ركنا من العلا … ويبني أساسا للمعالي قد انهدا
حكيت معان أيها الحبر لَمْ ينل … سواك ذراها حيث كنت لها فردا
[ص١٨٨] / وقلدتنا من نظمك الدر أسمطا … زهونا به فخـرًا وحزنا بها مجـدا
وقد حررت أقلامك الغر نحـونا … معاهد أنفـاس نعمنا بها عهدا
أدرت كـؤوسا من ودادك طالما … رشفنا به تأكيـد ودٍّ على ودّا(4)
وهيجت أشجانًا وصابيت مغرما … وكاتبت رقًا من هباتك مستفدا
يحنّ إذا مـا حـنّ شوقا إليكم … ويستوقف الركب المجد إذا شدّا
لحى(5) الله دهرًا لَمْ يَجد لي بوقفةٍ … وعصر زمان لم يدع(6) للنوى سدا
فغـرس ودادي في رياضك باسق … ونشر ثنائي يبعث الشوق والوجدا

(1) النثرة : كوكب في السماء تسميه العرب نثرة الأسد ، وهي من منازل القمر .
انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة : نثر .
(2) الشعرى : كوكب نيِّر يقال له المرزم .
انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة : شعر .
(3) الأصل : ندى ، والتعديل من حدائق الزهر للمؤلف ، ٢٠٨ .
(4) الصواب : على وُدٍّ ، ولعل الشاعر استجاز ذلك للضرورة الشعرية .
(5) الأصل : لحى .
(6) في حدائق الزهر للمؤلف : لم يزل ، ص ٢٠٩ .

ودم رافلاً في ثوب عـزٍ مكللاً … بتيجان أعلام الكمالات بل أندى(1)

[٦٣/ب] قوله : « همام هو النظّام » يعني به إبراهيم بن سيار(2) . من كبار أئمة « المعتزلة » ، وهو مشهور باللسن والبلاغة ، وخلافه مشهور في « الجوهر الفرد »(3) في علم الكلام ، وقد تلاعب الشعراء في معنى « الجوهر الفرد » ، وسبكوه في قالب الغزل ، فمما قاله ابن سناء الملك(4):

ولو أبصر النظّام جوهر ثغرها … لَمَا شك فيه أنه الجوهر الفرد
ومن قال إن الخيزرانـة قدّها … فقولوا له إياك أن يسمع(5) القدّ(6)

ومحاسن هذه القصيدة كثيرة ، وكان مولد المترجم له تقريبًا في سنة أربع(7) وتسعين بعد المائة والألف ، ووفاته في هذا العام ، رحمه الله تعالى وإيانا .

وفيها : توفي السيد العلامة حسين بن عقيلي الحازمي ، نشأ ببلده / هجرة « ضمد » وقرأ على علماء بلده ، ولازم سيدي الوالد - رحمه الله [ص١٨٩]

(1) القصيدة من الطويل .
(2) إبراهيم بن سيار بن هانئ البصري ، فيلسوف من أئمة المعتزلة . انفرد بآراء خاصة تابعته فيها فرقة من المعتزلة سميت « النظامية » (ت/٢٣١هـ) .
انظر : الزركلي ، الأعلام ٣٦/١ ؛ ابن حجر ، لسان الميزان ٦٧/١ .
(3) الجوهر الفرد : لفظ محدث من ألفاظ المتكلمة يقول به بعض المعتزلة ومن وافقهم من الأشعرية وغيرهم لنفي صفات الله تعالى ، ويعرفون الجوهر الفرد بأنه : الجزء الذي لا يتجزأ ولا يقبل القسمة في ذاته ، وإثبات الجوهر الفرد ممَّا أنكره السلف والفقهاء وأهل الحديث ، والكلام فيه بالنفي أو الإثبات من البدع التي ليس لها أصل . انظر : تفصيل الحديث حول الجوهر الفرد في : ابن تيمية ، الفتاوى ١٣٤/٨ ؛ نفسه ، درء تعارض العقل والنقل ١١٨/١ .
(4) هبة الله بن جعفر بن المعتمد ، شاعر من النبلاء ، مصري المولد والوفاة (ت/٦٠٨هـ) .
انظر : الزركلي ، الأعلام ٥٧/٩ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ١١٢/٥ .
(5) بياض في الأصل وفي ص ، وأثبتناها من ع .
(6) البيتان من الطويل .
(7) الأصل : أربعة .

الفصل الثاني
في ذكر الشريف علي بن حيدر وأيامه

هو علي بن حيدر بن محمد بن أحمد بن محمد [بن] خيرات .

نسب كأن عليه من شمس الضحى نورًا ومن فلق الصباح عمودا[1]

هو بطل تتضاءل عنده الأبطال ، ويقصر عن مقامه عنترة العبسي[2] إذا دعيت نزال ، لا يهاب في الوغى بارقة الرماح ، ولا يدخل قلبه روع الصفاح ، يكسر بطعنه طوال الصعاد ، وتتثلم بضرباته السيوف الحداد ، إن حضر الوغى كان المقدم في منازلة الشجعان ، وإن جال / في [ص١٩١] الهيجاء فهو السابق إلى الطعان ، مع كرم نفس يفضح الغمام ، وحُلم أثبت من شمام[3] ، وحسن شهامة يقصر عنه كعب بن مامة[4] ، قد حنكته التجارب في جميع الأحوال ، وجرت عليه أمور عراض طوال . فلذلك فاق بدهائه كملاء الرجال ، يسوس الرعايا بحسن رعايته ، ويحكم فيهم بلطف إيالته ، يُخشِّنُ [٦٤/ب] في موضع التخشين ، ويلين في مكان التليين .

وقد تقدم سبب خروجه من الأوطان ، ومفارقته لمواضع السكان ، وكان وصوله مع خليل باشا [في] شهر ربيع أول عام أربعة وثلاثين بعد المائتين والألف ، ولما وصلوا الأتراك إلى هذه الجهات ، ودخلت ممالك

---

(١) البيت من الكامل ، وهو لأبي تمام ، انظر : الديوان ٨٨ .

(٢) عنترة بن شداد العبسي ، من شجعان العرب وشعرائهم المشهورين في الجاهليَّة (ت/٦١٥م) .
انظر : زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربيَّة ١٠٨/١ ؛ فروخ ، تاريخ الأدب العربي ٢٠٧/١ .

(٣) شمام : جبل بالعالية ويقال : له رأسان يسميان ابني شمام .
انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة : شمم .

(٤) ورد في الأصل : سعد بن مامة ، والصواب ما ذكر ، وهو : كعب بن مامة الإيادي ، أحد أجواد العرب ، قال الواحدي في أمثاله : كان كعب فيما قيل أجود من حاتم الطائي .
انظر : البغدادي ، خزانة الأدب ١١٠/٤ .

الشريف حمود تحت أيديهم من أطراف « حيس » إلى منتهى المخلاف السليماني ، فطمع إمام « صنعاء » في هذا التاريخ وهو عبدالله بن أحمد المتوكل الملقب المهدي[1] ، في رجوع البلاد اليمنية التي كانت تحت آبائه إليه ، من « وادي مور » إلى « حيس » ؛ لأنها كانت مضافة فيما سلف إلى مملكة آبائه ، فوصل رأي سلطاني بإطلاق هذه الجهات المذكورة إليه ، وبلغ أن الباشا خليل عرض هذه البلاد على الشريف علي ، وأنه مأمور أن لا يطلقها على المهدي / [ص١٩٢] إلا بعد أن يمنع منها الشريف ، فما كان من كمال الشريف وحسن بصره بالعواقب إلا[2] الإعراض عنها .

يشاهد أعقاب الأمور بعقله ... كما شاهد المحسوس بالعين ناظر[3]

وقنع بما تحت آبائه الأقدمين من الممالك ، ولا شك أن (مع) امتداد المملكة لا سيما في هذه الأزمنة الأخيرة ، لا بد يخترم النظام ، وتكثر الآثام ، لاتساع دائرة التكليف بالأنام ، وتخفيف التكليف من اللطف الخفي .

وبعد أن قرر خليل باشا يد الشريف على هذه الجهات ، وإطلاق المهدي على البلاد اليمنية ؛ استدعى أجناده الذين كانوا حافظين قلاع اليمن ، ومع وصولهم إليه توجه إلى الشام : في ذي القعدة الحرام من هذا العام[4] .

/ إذا الدولة استكفت به في ملمة ... كفاها فكان السيف والكف والقلبا[5]

---

(١) إمام اليمن خلال الفترة من ١٢٣١ - ١٢٥١هـ ؛
انظر : الشوكاني ، البدر الطالع ١/٢٧٦ ؛ زبارة ، نيل الوطر ٢/٦٤ ؛
- al - Amri , the yemen , 75.

(٢) سقطت في الأصل ، والزيادة من ص و ع .

(٣) البيت من الطويل .

(٤) انظر لمزيد من التفاصيل : إسماعيل البشري ، « حملة خليل باشا على إمارة (أبو عريش) » ، مطبوع .

(٥) البيت من الطويل وهو للمتنبي ، انظر : الديوان ١/ ٦١ .

وتوجه الشريف مشيعًا له إلى نحو قرية « الشقيق »[1] ، وفارقه بعد ذلك راجعًا إلى « أبي عريش » ، ومع وصوله إليه صفا له الجو من المشاركة في الأمر ، وجرى له بما يريد من سعادة الدهر ، ولله القائل :

إذا أنت أُعطيت السعادة لَمْ تبل ... وإن فوّق الأعداء نحوك أسهما

وإن نظرت شزرًا إليك القبائل ... ثنتها على أعقابهن المناصل[2]

والتفت إلى ترتيب البلاد ، وقرر الأمور وضبط الأطراف / [ص١٩٣] والحدود ، ونفذ فيها أوامره على حسب المجهود . وكان ينتقل في أطراف بلاده ، وعين السعادة تجري بإسعاده .

السنة الخامسة والثلاثون بعد المائتين والألف ، فيها ((وصل الخبر بوفاة[3] الشريف أحمد بن حمود بمصر أسيرًا)) ، وفيها كانت وفاة القاضي العلامة عبدالقادر بن علي العواجي[4] (بمصر أسيرًا ، وكانت[5] وفاته ووفاة الشريف أحمد بن حمود في وقتين متقاربين ، وهذا القاضي) من نجباء العصر وأدبائه[6] ، ومن أفاضله وعلمائه[6] ، له إلمام تام بأغلب الفنون ، عارف بأساليب النظم والنثر ، وَلي قضاء بندر (اللحية) مدة ، حتى[7] كان وصول الأتراك إلى اليمن فأسروه ، وتوجهوا به إلى مصر وبها مات ، وله مقالات[8] جيدة ، وقصائد بديعة ، فمما وجدته من شعره

---

(١) بلدة على ساحل البحر الأحمر شمال جازان بحوالي ١٥٠ كم .
انظر : العقيلي ، المعجم الجغرافي ، ٢٣١ ؛ كحالة ، جنرافية شبه جزيرة العرب ، ٦٢ .

(٢) البيتان من الطويل ، وهما لأبي العلاء ؛ المعري ، انظر : سقط الزند ، ١٩٦ ؛ وقد ورد الشطر الثاني في البيت هكذا : نكص على أعقابهن المعابل .

(٣) الأصل : بوفات .

(٤) عبدالقادر بن علي بن الحسن العواجي ، من علماء المخلاف السليماني ، أديب وشاعر ، تولى قضاء اللحية للشريف حمود حتى أسره الأتراك سنة ١٢٣٤هـ (ت/١٢٣٥هـ) .
انظر : عاكش ، حدائق الزهر ، ٢١٢ ؛ زبارة ، نيل الوطر ٢/٥٢ .

(٥) الأصل : وكان .

(٦) الأصل : أدباه ، علماه .

(٧) ساقطة في الأصل ، والزيادة من ص و ع .

(٨) بياض في الأصل والزيادة من ع ، وفي ص : مقاطيع .

أيام هو بمصر ولعله يتشوق « الأحد »[1] وسكانه هذه القصيدة :

أذكـرتني بـزورة فـي الخيــــال ... غـادة جيـــدهـا كجيـد الغـزال

غـادةٌ كـالذكـا[2] سنـاءً وكـالبـد ... رِ جَـمـالاً عن ودهــا لست سـالي

لحظهـا والعيـــــون منهـا وقـدّ ... الظبـا والمها وسـمر العـــــوالي

أذكرتني وأضرمت[3] في فـؤادي ... نار وجـــــدٍ وهيـجت بلبـالي

[٦٥/ب] / طارحتني ما كنت أعتـاد منهـا ... من عتـاب زيـادة فـي الـدلال

[ص١٩٤] / أذكرتني بوصلها في خيـال ... مـا مضى يقظـــة بتلك الليالي

طال ما قد نعمت بالوصل منها ... وعيون العيـون في اشتغـال[4]

وقطفت الدهان من روضة الخد ... بأيـدي الوشـــــاة غيـر مبـالي

ولكم قـد خمشت منها نهوداً ... حققت قـد غدا لها البرد قالي

لَمْ يكن عن رضىً فـراقي ولكن ... سـبـحـت بيننا يـــد العـذال

لَمْ أكن من جناتهـــا علـم الله ... وإني بحـرها اليـوم صـالي[4]

أتـراني أنسـى التي عـرف القلـ ... ـب هواهـا وكـان إذ ذاك خـاليـا

لست أنسـى والله ذاك المحيـا ... في نعيم أو في جحيـم أصالي

كيف أنسى وظلمة الليل عندي ... إن دجت شعرها لدى[5] الإسبال

وضيـاء الصبـاح مـا هـــو إلا ... من سنا وجهها مفيـد الهلال

واضطـرام[6] البروق ما هو إلا ... خشيـــــة أن تصيبه بالنبال

وانصبـاب[6] السحـاب ما هو إلا ... من عيوني أرخصتـه لا أبالي

(١) أحد المسارحة ، بلدة تبعد حوالي ٣٠ كم جنوب شرق « أبو عريش » .
(٢) الذكاء : الشمس .
(٣) الأصل : أضمرت ، والصواب من ص و ع .
(٤) هذا تضمين لبيت الحارث بن عباد المشهور .
(٥) الأصل : لد ، والصواب من ص و ع .
(٦) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص و ع .

يا زمانـاً فيـــــه قضينا اشتياقا ... أترى عـائـــــداً زمـان الوصـال

كاد قلبي يـذوب شـوقـًا وحزنـًا ... إن تذكـرت مـا مضى من ليال

إن يكن ما بقي سوى الذكر منها ... ذهبت مـهـجتـــي وزاد وبالي

يا فـؤادي هـــوِّن عليك قليـلاً ... كل شـيء مـصـيــــره للزوال

لا سعاد تبقى ولا دميـة القصر ... ومـا في الوجـود حتى الرمـال

/ كل شيء تفنيه هذي[1] الليالي ... غيـر ربي وصــــالح الأعمـال [ص١٩٥]

فالتفتْ مقبـــلاً إلى الله تحظى ... ببلوغ المـــــراد والآمــال

/ واسأل الإجتماع منـــه بِمَن ... تهواه من حبة[2] ومن أطفال[3] [٦٦/أ]

أقول : انظر إلى هذه القصيدة ، فآثار الوجد عليها لائحة ، وهو شعر يشبه النوح ، يدل أن قائله شدة الغرام قد أذابه ، وأنه قد استحكم فيه داء[4] الشوق والصبابة ، قوله « ذكاء » هو من أسماء الشمس وإدخال آلة التعريف عليه على ضرب من التأويل ، كدخولها على أسماء الأعلام ، وقوله : « لحظها » البيت : فيه من البديع « اللف والنشر »[5] ، ومن أحسن ما سمعت فيه مع التورية قول القاضي العلامة البليغ علي بن محمد العنسي[6] رحمه الله تعالى :

(١) الأصل : هذه ، والتعديل من حدائق الزهر للمؤلف ليستقيم الوزن ، ٢١٣ .
(٢) في حدائق الزهر للمؤلف : أحبة ، ٢١٣ .
(٣) القصيدة من الخفيف .
(٤) الأصل : دا ، والصواب من ع .
(٥) اللف والنشر : هو ذكر متعدد على جهة الإجمال ، أو التفصيل ، ثُمَّ ذكر أشياء على عدد ذلك كل واحد يرجع إلى واحد من المتقدم ، ويفوض إلى عقل السامع رد كل واحد إلى ما يليق به .
انظر : زغلول ، الألوان البديعية ، ٩٤ .
(٦) عالم وشاعر يمني ، كان قاضيًا لبلدة العدين (ت/١١٣٩هـ) .
انظر : الشوكاني ، البدر الطالع ٤٧٥/١ ؛ زبارة ، نشر العرف ٢٥١/٢ .

يقولون صِفْ لي عن وصيٍّ محمد ... أكان لغالي المدح أهلاً فنطنبا

وما ذكروا من خلقه فلقد غدا ... شَاه من الألحان أطرى وأطربا

ومن قدّ في أيام « خيبر »(١) سيفه ... فقلت لهم أهلاً وسهلاً ومرحبا(٢)

وهذا الشعر هو السحر الحلال، والسهل الممتنع فيما يقال. وأمّا (قوله: ولكم)(٣) خَمّشت منها نهودًا، ففيه « الإيهام »(٤)، لكن إسناد [ص١٩٦] القلى إلى البرد الكائن على النهود، لايحسن، ولعله أراد / بالقلى التأثير على ضرب من المجاز مثل قول الشاعر:

نسمات النسيم تَجرح خديـ ... ـه ولَمس الحرير يدمي بنانه(٥)

ولكن بشاعة لفظ: القلى مرّرت عذوبة هذا البيت، وإن صح تأويل معناه. وأمّا قوله: « لم أكن من جناتها » إلى آخره، فهذا من أبيات الحارث بن عباد(٦) المشهورة، وإيراده هنا على طريق التضمين، وهذا البيت قد أكثر الأدباء من تضمينه، ولكن أحسن من سبكه في قالب الغزل ابن العفيف التلمساني في قوله:

وعيون أمرضن جسمي وأضرمـ ... ـن بقلبي لواعج البلبال

---

(١) خيبر: بلدة تقع على بعد حوالي ١٤٠كم شمال المدينة المنورة، لها شهرة تاريخية، وكانت تابعة لإمارة حائل ثُمّ أصبحت تابعة لإمارة المدينة المنورة.
انظر: كحالة، جغرافية شبه جزيرة العرب، ٢٥٩؛ الجاسر، المعجم الجغرافي ٢/٥٥٠.

(٢) الأبيات من الطويل.

(٣) غير واضحة في الأصل، وأثبتناها من ص و ع.

(٤) الإيهام: الجمع بين معنيين غير متناسبين بلفظين لهما معنيان متناسبان باعتبار أصليهما، ولكن أحد المعنيين غير مراد.
انظر: زغلول، الألوان البديعية، ٢٥.

(٥) البيت من الخفيف.

(٦) ورد الاسم في الأصل و ص و ع: عبادة، والصواب ما ذكر وهو: الحارث بن عُبَاد بن قيس بن ثعلبة، حكيم وشاعر جاهلي، كان سيدًا لقبيلة بكر أثناء حرب البسوس (ت/٥٠ ق.هـ).
انظر: الزركلي، الأعلام ٢/١٥٧؛ فروخ، تاريخ الأدب العربي ١/١٢٧.

وخدود مثل الرياض زواهٍ ... ما لأيام حسنها من زوال

/ لَمْ أكن من جناتها علم الله ... وإني بحرِّها اليوم صالي(١) [٦٦/ب]

فقد جعل جناتها من الجنى لا من الجناية؛ فبذلك كان رشيقا، وكانت هذه اللفظة فريدة عقد على جيد هذا البيت. وأمّا قوله: « أتراني أنسى » إلى آخره؛ فهو يشير إلى قول القائل:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى ... فصادف قلبًا خاليًا فتمكنا(٢)

((**وفيها** خرج الشريف محمد بن منصور بن ناصر(٣) مخالفًا على الشريف علي بن حيدر، واستقام بقرية « الحسيني » من وادي « صبيا » أيامًا، وقصده الشريف / علي بن حيدر إلى القرية المذكورة، فخرج قبل [ص١٩٧] وصول الشريف علي هاربًا إلى أطراف جبال « الحسّاب »(٤)، ثُمّ كادت الحرب تقع(٥) بين أهل « الحسيني » ومن(٥) انضاف إليهم وبين(٥) الشريف علي، ثُمّ سعى(٥) في الصلح بين الفريقين من سعى على رهائن (من أهل) « الحسيني »، ورجع بعد ذلك عنهم الشريف علي.

وفي رمضان من السنة المذكورة؛ قتل جماعة من السادة بني النعمي النازلين « بالعذير »(٦) قرية من أعمال « وادي مور » قتلهم أناس من قبائل « وادي مور » غدرًا، والحكم لله العلي الكبير.

وفي آخر الحجة الحرام من السنة المذكورة رجع من رجع من حاج

---

(١) الأبيات من الخفيف.

(٢) البيت من الطويل.

(٣) هو ابن منصور بن ناصر، أمير صبيا الذي سبقت ترجمته.

(٤) جبال معروفة تنسب إلى قبيلة تسكنها تسمى الحُسّاب، تصاقب جبل هروب من الناحية الشمالية، وتبعد حوالي ٥٠ كم شمال شرق صبيا.
انظر: العقيلي، المعجم الجغرافي، ١٤٧.

(٥) سقطت في الأصل، والزيادة من ص.

(٦) قرية بالقرب من اللحية على وادي مور. انظر: الأكوع، هجر العلم ومعاقله في اليمن ٢/٦٣٩.

اليمن من طريق تهامة ، فوصلوا إلى محل يسمى (« الهضب »[1] ، وبها بئر يردها المسافرون ؛ فوردها جماعة من حجاج المخلاف وغيرهم ، نحو الثمانين فيما بلغ ، وانهدمت البئر المذكورة فهلك من حولها)[2] وانهارت البقعة التي تحف بها ، فهلك المذكورون جميعا ، فسبحان من بيده ملكوت كل شيء)) .

السنة السادسة والثلاثون بعد المائتين والألف : فيها جعل الشريف ابن عمه الشريف زيد بن ناصر بن محمد[3] عاملاً على « صبيا » ومخلافها[4] مع مشاركة إخوانه له في محصول البلاد ، محافظة على الوفاء لما سبق من أخيهم الشريف منصور بن ناصر من / [ص١٩٨] المعاضدة في سالف الزمان ، وقد ورد في الحديث « إن حسن العهد من الإيمان »[5] ولكنه بعد مدة من توليه نجم منه الخلاف[6] ، وقطع أسباب الإتلاف ، ويُمكن أنه أراد الاستقلال بمملكة « صبيا » والمخلاف ، فجمع عليه الشريف الجنود ، ووصل إلى سفح « صبيا » ونشر لحربه البنود ، ودخل أطراف المدينة وحرقها ، ودام الحصار جملة من الأيام والمدافع تثور ، وكان عاقبة الأمر أن طلب الشريف زيد الإصلاح فأسعده الشريف بذلك ، وبذل له الأمان مراعاة لصلة الأرحام : ولأن حقيقة الواقع ما قاله بعض فضلاء الأنام :

لا تصغ إن شر دعا فالشر إن ... تنهض له ينهض وإن تسكن سكن[7]

وسديد رأي لا يُحرك فتنة ... سكنت وإن حَرّكْتَهُ الفتن اطمأن[8]

(١) لم أعثر على معلومات عن هذا المكان .

(٢) ما بين القوسين ساقط في هامش الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٣) لم أعثر له على ترجمة .

(٤) الأصل : ومخلافه ، والصواب من ص .

(٥) ذكره البخاري في الأدب ، انظر : فتح الباري ٢٥٨/١٠ ، وذكر ابن حجر أنه أخرجه الحاكم والبيهقي في الشعب .

(٦) بياض في الأصل ، والزيادة من ص و ع .

(٧) الأصل : تسكن ، والصواب من ص و ع .

(٨) البيتان من الكامل .

وبعد هذا الواقع كله صرفه الشريف عن العمالة .

وفيها : في ربيع الأول كانت وفاة السيد العلامة محمد بن أحمد خديش[1] ، على علو سن ، تولى القضاء بجهات « وادي تعشر »[2] و « خُلَب »[3] مدة من الزمان ، ثُمَّ صرف عن ذلك وكان من العارفين بالمذهب الهدوي[4] ، وهؤلاء الأشراف « الجواهرة » من الأشراف « العماريين » من نعمة الكبرى ، كما أفاده بعض العلماء .

((وفيها خرج الشريف محمد بن أحمد بن حيدر[5] إلى « وادي بيش » باستدعاء جماعة من السادة النعميين (وغيرهم ، مخالفًا على عمه الشريف علي بن حيدر ، / [ص١٩٩] فاستقر هناك أيامًا إلى شهر ربيع أول ، وتقدم الشريف علي بن حيدر على المخلاف ، وكان مقام الشريف محمد بقرية « الملحا »[6] ، ومع وصول الشريف علي إلى أطراف « بيش » شرد أهل « الملحا » ومن انضاف إليهم ، وكذلك الشريف محمد ، وتفرقوا في الحواز ، وأحرق الشريف علي بن حيدر قرية « الملحا » ، وأقام هنالك أيامًا ، ثُمَّ طلب جمهور من خالف الأمان ، فأمنوا ، ثُمَّ بعدها طلب الشريف محمد بن أحمد ومن معه من كبار السادة الأمان ، فأمنوا

(١) الأصل : حديش . والصواب من عقود الدرر للمؤلف ، الترجمة رقم (١٩٩) .

(٢) من أشهر أودية منطقة جازان ، مآتيه من خولان صعدة باليمن ، تلتقي فيه أودية الملح ، والغاوية والمغيالة ، ويمر عبر قرى قبائل بني حمد وبني شبيل ويصب في البحر الأحمر .
انظر : العقيلي ، المعجم الجغرافي ؛ المقحفي ، معجم المدن والقبائل ، ٧٠ .

(٣) واد مشهور في منطقة جازان مآتيه من سراة خولان ، ومن أشهر روافده وادي ذهبان وشرانه وامجاره ودهوان ، ويصب في البحر الأحمر .
انظر : العقيلي ، المعجم الجغرافي ، ١٦٨ ؛ الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ١٣٥ .

(٤) نسبة إلى الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين ، واضع أسس الهدوية الزيدية ، ومؤسس دولة الأئمة باليمن (ت/٢٩٨هـ) .
انظر : العمري ، مصادر التراث اليمني ، ١٣٣ .

(٥) لم أعثر له على ترجمة .

(٦) قرية صغيرة على وادي بيش ، وهي من قرى المخلاف القديمة . انظر : العقيلي ، المعجم الجغرافي ، ٢٩٨ .

جميعًا ، وعاد كل واحد إلى وطنه ، آخرهم عودًا في شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة ، ولم يحصل في هذه الحادثة قتل ، ولا أخذ [٦٧/أ] أموال))[١] .

وفي السنة السابعة والثلاثين بعد المائتين والألف : فيها كانت وفاة السيد العلامة الأديب عماد الإسلام يحيى بن محمد الأمير القطبي ، وهو من أدباء العصر ، ومن فاق الأقران في إجادة النظم والنثر ، مع ذهن حاضر ، وخاطر إلى إبراز اللطائف مبادر ، وله بالفروع وعلم الحديث إلمام، وأمَّا معرفة أيام الناس ، وشعر المتقدمين والمتأخرين من الأدباء ، فله الاطلاع التام ، أخذ من علماء زمنه مثل سيدي الوالد رحمه الله تعالى ، والقاضي العلامة عبدالرحمن بن حسن البهكلي وغيرهما ، وكان نادرة [ص٢٠٠] زمانه ، وأصمعي أوانه ، له قصيدة / من بحر الرجز طويلة ، ردَّ بها على بعض معاصريه في اعتراضه على الشيخ العلامة أحمد بن عبدالقادر الحفظي[٢] صاحب « رجال »[٣] في قصيدته التي سماها « جواهر اللآل في مدح الآل »[٤] ، وتلك الأرجوزة قد اطلعت عليها ، وهي في غاية الحسن والإجادة ، مع ما حوته من كمال الإفادة ، لولا خشية الإطالة لذكرتها ، وهي مشهورة ، وقد تقدم مرثاته في سيدي الوالد رحمه الله تعالى ، و (القليل إلى)[٥] الكثير يشير .

---

(١) ما بين القوسين مطموس في هامش الأصل ، وأثبتناه من ص .

(٢) أحمد بن عبدالقادر بن بكري العجيلي ، من علماء رجال ألمع المشهورين ، هاجر في طلب العلم إلى اليمن واتصل بعلماء الحرمين ، أيد الدعوة السلفية عند ظهورها وناصرها ، وبث مَبادئها في منطقته (ت/١٢٢٦هـ) .
انظر : الحفظي ، نفحات من عسير ، ٢٣ ؛ زبارة ، نيل الوطر ١/١٢٦ .

(٣) رُجَال ، بضم الراء وفتح الجيم ، من قرى بني ظالم في بلاد رجال ألمع في عسير ، تقع على مسافة ٤٥ كم غرب مدينة أبها .
انظر : الجاسر ، المعجم الجغرافي ٢/٦٢٢ ؛ - Cornwallis , Asir , 60 .

(٤) توجد منها نسخة مخطوطة بتاريخ ١٣٠٤هـ ، بمكتبة الحبشي في اليمن .

(٥) ساقطة في الأصل والزيادة من ص .

السنة الثامنة والثلاثون بعد المائتين والألف : لم يشعر الشريف إلا وقد وصل إليه جيش من « يام » مقدمهم رجل يسمى محمد بن حديش ، فطرحوا قبلي « أبي عريش » ، ودام الحصار بينه وبينهم أيامًا ، ووقعت في البين حرابات ، أفضت إلى جراحات ، في الأشراف وفي غيرهم ، وانتهى الحال إلى الصلاح ، وسداد الأمور ، ولعلّه دس الشريف إلى أكابر الجيش لتسكين الفتنة مالاً ، وله مراهم في القلوب لا توجد في كتاب مالا ، فقرّ الناس بذلك الإصلاح النواظر ، وأمنت الرعايا وطابت منهم الخواطر ، وقد كان وصل الشريف زيد بن ناصر إلى مطرح « يام » ، وانتهى بعد الصلح رحيل العسكر إلى اليمن [٦٧/ب] . ؛ رجوع زيد بن ناصر إلى « صبيا » ، وحرك هناك الفتنة ، وشد الشريف بجنوده إليه ، وحاصره أيامًا وآخر الأمر عامله / بالمسامحة والعفو ، وبعد ذلك عمّل [ص٢٠١] الشريف على « صبيا » ومخلافها ولده الشريف الحسين[١] ، فاستقر على ذلك مدة .

((**وفي سنة أربعين بعد المائتين والألف**))[٢] فيها حصل (بين الشريف الحسين) وبين أهل مدينة « صبيا » النزاع ، وأفضى ذلك إلى أن صار خرق الفتنة ذا اتساع ، وانحصر بقلعة « صبيا » هو (وأصحابه) والتحم بينه وبين أهل المدينة القتال ، وأرسل عليهم ما في بطون البنادق ، ورماهم بكل فاقرة من حالق ، وعدم أهل المدينة القرار في تلك الأوطان ، والتفت عليهم حلقتا البطان ، وأنشد لسان حاله :

ألا لا يجهلن أحـــــدٌ علينا   فنجهل فوق جهل الجاهلينا[٣]

وكان الشريف في جهة « الشقيق » لموجب طلاب وصله من أحمد

---

(١) الحسين بن علي بن حيدر ، ترجمته وسيرته تستغرق الفصل الثالث من هذا الكتاب .

(٢) يلحظ أن المؤلف قد انتقل إلى سنة أربعين دون ذكر لسنة تسع وثلاثين .

(٣) البيت من الوافر ، وهو لعمرو بن كلثوم ، انظر : الشنقيطي ، ٤٩ .

باشا(١) ؛ لأنه (وصل لقتال)(٢) أهل السراة ، فاستدعى الشريف للاستعانة به بلزوم الأطراف (المحادّة لبلاده)(٢)، ولم تزل تبلغه تلك الأخبار ، وما يشيعه أهل « صبيا » في اعتراضه (عند رجوعه) إلى هذه الديار ، وشاهد حالهم :

[ص٢٠٢] / (مُنى إن)(٢) تكن حقًا تكن أحسن المنى ... وإلا فقد عشنا بها زمنًا رغدا(٣)

(فلما فرغ)(٤) الشريف مِمَّا هو بصدده توجه راجعًا ، وسلك في طريقه غربي مدينة « صبيا » فتلقاه أهل « صبيا » وفي بالهم أنهم سيفتحون القتال ، فقابلهم الشريف لكمال سياسته بالإهمال ، وأرسل إليهم من يستفهم منهم ما هو المقصود ، وما الموجب لهذا الأمر الغير المحمود ، فأبدوا ضروبًا من الشكايات ، واشترطوا في الرجوع إلى الطاعة ما أرادوه من الأمور الموافقات ، ولله القائل : [٦٨/ أ]

وينتخب المقهور كل تَعِلَّةٍ ... ولا بد للمغلوب أن يتعللا(٥)

فبذل لهم الشريف تلك المطالب في الظاهر لقصد تسكين الشر في ذلك الحال ، ونقل عنهم ولده الشريف الحسين ، وهو مع ذلك مضمر في نفسه لهم المعاقبة ، والأخذ بتلك الأمور التي هي غير مناسبة ، نظرًا إلى قول القائل :

لئن كنت محتاجًا إلى الحلم إنني ... إلى الجهل في بعض الأحايين أحوج
ولي فرس للحلم بالحلم ملجم ... ولي فرس للجهل بالجهل مسرج

(١) أحمد باشا يكن ، القائد العام لقوات محمد علي باشا في الجزيرة العربيَّة ، أصبح محافظًا لمكة المكرمة وحاكمًا عامًا على الحجاز بعد وفاة خليل باشا عام ١٢٣٥هـ ، وتشمل اختصاصاته مناطق الحجاز ونجد وعسير واليمن .
انظر : عبدالرحيم ، محمد علي وشبه الجزيرة العربيَّة ٢/ ٧١ - ٧٢ .
(٢) بياض في الأصل والزيادة من ص .
(٣) البيت من الطويل .
(٤) بياض في الأصل والزيادة من ص .
(٥) البيت من الطويل .

فمن شاء تقويمي فإني مقوَّم ... ومن شاء تعويجي فإني معوَّج(١)

فأرسل إلى « نجران » بطلاب لقبائل « يام » ، وأفصح لهم بما هو القصد / والمراد ، وأمرهم أن يكون الطريق على وادي « بيش » . وأن [ص٢٠٣] يكدروا بسطوتهم على أهل « صبيا » ومخلافها صفو العيش ، جزاءً(٢) على ما صدر منهم مِمَّا يكلم الصدور ، لا سيما من القدح في الأعراض المصونة ، والتعدي على فرع الشجرة النبوية بما لا يحسن ، وقد قال بعض الحكماء(٣) « اللسان كالسبع إن أطلقته أكلك »(٤) ولله القائل :

احفظ لسانك أيها الإنسان ... لا يلدغنك إنه ثعبان
كم في المقابر من قتيل لسانه ... قد كان هاب لقاءه(٥) الشجعان(٦)

وحفظ العرض أن يتطرق إليه شيء من الخلل هو أحد الضروريات الخمس ، التي هي مراعاة في كل ملة من الملل ، وقد جمع تلك الخمس السيد العلامة محمد بن إسحاق بن المهدي(٧) - رحمه الله تعالى - في قوله :

(١) الأبيات من الطويل ، وهي لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ، انظر : تيمور ، ٢٨ .
(٢) الأصل : جزا .
(٣) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص و ع .
(٤) مثل : لم أعثر عليه في معجم الأمثال القديمة للدكتور عفيف عبدالرحمن ؛ أو في معجم الأمثال العربيَّة لرياض عبدالحميد مراد .
(٥) الأصل : لقاه .
(٦) البيتان من الكامل .
(٧) أصبح إمامًا لليمن بعد وفاة القاسم بن الحسين ، دخل في صراع طويل ضد المنصور بالله الحسين بن القاسم ، وبعد سيطرة المنصور على الإمامة تفرغ محمد بن إسحاق للعلم (ت/١١٦٧هـ) .
انظر : الشوكاني ، البدر الطالع ٢/ ١٢٩ ؛ الحبشي ، مصادر الفكر العربي الإسلامي ، ٦٢٧ .

جاءت بحفظ الضروريات خمستها — كل الشرائع في كل الأحايين
حفظ النفوس وحفظ العرض مع نسب — يا ذا الذكاء وحفظ العقل والدين[1]

[٦٨/ب] وتفصيل ما يتفرع على هذه الخمس الضروريات من الأحكام مدون في كتب الأصول ، ويكفيك قوله ﷺ لمعاذ بن جبل[2] رضي الله عنه : « أمسك عليك هذا وأشار إلى لسانه ، فقال يا رسول الله : [ص٢٠٤] أنؤاخذ بما / نتكلم به ؟ قال : وهل يكب الناس على مناخرهم في النَّار إلا حصائد ألسنتهم »[3] . وهذه اللفظة الصادرة منه صلى الله عليه وآله وسلم من أبلغ الكلام وأحسنه ؛ لأنه شبَّه ما يتلفظ به الإنسان بالزرع المحصود ، وشبَّه اللسان بالمنجل ، فكما أنه يقطع ولا يميز بين الرطب واليابس ، والجيد والرديء ، فكذلك لسان بعض الناس ، فيكون استعارة مصرحة ، والجامع خلط النفيس مع الرديء من غير تمييز ، والاستثناء مفرغ ؛ لأن في الاستفهام معنى النفي ، أي ما يكب الناس في النَّار إلا ما تلفظ[4] به (ألسنتهم أي)[5] من الكلام القبيح شرعًا ؛ فهو عام مخصوص ، والتركيب من باب (قصر المفعول)[5] على الفاعل إفرادًا ، والقصر ادعائي للمبالغة ، إذ العمل القبيح (كذلك ، فالمراد)[5] أكثر ما يكب في النَّار ، وإسناد الكبّ إلى الحصائد وهو لله - سبحانه - مجاز (عقلي و)[5] استعارة مكنية والله أعلم .

---

(١) البيتان من البسيط .
(٢) معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الخزرجي ، صحابي جليل ، شهد بدرًا وأحدًا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، بعثه رسول الله ﷺ قاضيًا ومرشدًا لأهل اليمن ، له ١٥٧ حديثًا، توفي بالأردن سنة ١٨هـ .
انظر : الزركلي ، الأعلام ١٦٦/٨ ؛ ابن الجوزي ، صفة الصفوة ١٩٥/١ .
(٣) رواه الترمذي في الإيمان : باب ما جاء في حرمة الصلاة (٢٧٤٩) وقال : حسن صحيح ، ١٢٤/٤ ؛ وابن ماجة في الفتن : باب كف اللسان في الفتنة (٣٩٧٣) .
(٤) الأصل : يتلفظ ، والصواب من ص .
(٥) بياض في الأصل ، والزيادة من ص .

وفي سنة ((إحدى وأربعين[1])) **بعد المائتين والألف** : انفصل[2] « يام » من « نجران » ، وفي عزمهم حذف ضمير القصة من ذلك الشأن ، فلما بلغ أهل « صبيا » والمخلاف انفصالهم اهتموا بذلك ، وسعوا في / تحصيل ما يحصل به الدفاع عند المعارك ، فاجتمع رأيهم أن يكونوا على المدافعة يدًا واحدة ، وأن يكون في قرية « أم الخشب » محط ترحالهم لا محط الفائدة ، لأن بالاجتماع يحصل الانتفاع ، كما قال الشاعر :

كن لاجتماع الرأي مجتهدًا — ودع التفرق إنه نحس
/ زهر النجوم لوَ انها اجتمعت — لَمْ يبق لا قمر ولا شمس[3] [٦٩/أ]

فلم يشعروا إلا وقد صدمهم الجيش النجراني . فحينئذ استولى على تلك الجموع الرعب وضاعت الأماني ، ولم يقابل إلا بعضهم لبعض « يام » ، فأسقوهم كأس[4] الموت بواسطة البنادق والحسام . فانهزم أولئك عن ذلك البراح ، ولم يصبروا على مصافحة الصفاح ، واختلاف خرصان الرماح ، وأسر منهم الكثير ، وقتل من رؤساء أهل « صبيا » ومن غيرهم جمّ غفير ، مع أنهم كانوا يظنون لكثرة جموعهم أن يستولوا على جيش أهل « نجران » ، وما علموا أن من دون ذلك اختلاف المران ، وانعكاس المشرفية ، واطراد الأعوجية ، وما وصل من وصل إلى « صبيا » إلا وقد أيس من الحياة ، والعاقل يعلم أن كل ما أصابه فهو عقوبة على ما كسبت يداه وجناه .

((وكانت / الواقعة يوم ثاني وعشرين في شهر صفر)) وحينئذ طاب [ص٢٠٦] للشريف ما وقع من قبائل « يام » ، (مع أن في وصولهم)[5] مشقة عليه لكثرة مطالبهم العظام ، لكن لشدة ما قد عانى من المخالفين (له من)[5]

---

(١) الأصل : وأربعون .
(٢) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص و ع .
(٣) البيتان من الكامل .
(٤) الأصل : بكأس ، والتعديل ليستقيم السياق .
(٥) بياض في الأصل ، والزيادة من ص .

أولئك الأقوام لا يرى أنها لا تقمع رؤوسهم غير تلك السيوف ، ولا يقوِّمُ اعوجاجهم إلا إذاقتهم كؤوس الحتوف ، فالحال كما قال الشاعر :

قد استشفيت من داءٍ بداءٍ   فأقتل[1] ما أعلك ما شفاكا[2]

وبعد ذلك استقر الحال ، وضاعف عليهم المال ، على طريقة العقوبة والنكال .

وفيها : كان مبادئ ترافع الأسعار ، بسبب قلة الأمطار ، وآخر الأمر عدم الحبوب ، ونسي الحبيب المحبوب ، وانكشفت[3] بذلك عورات ، ومات بالقحط عالم من الناس ، وأُكلت الميتات ، وذهب غالب الدواب ، وناهيك أن تفصيل ما وقع [٦٩/ب] فيها من الشدائد يطول ، وامتدت إلى أوائل اثنين وأربعين ، والحكم لله العزيز الحكيم ، فالعبد قاصر فكره عن حكمة الله - تعالى - البالغة في أفعاله وأقواله ، ولا يسعه غير التسليم :

أيها المعتاظ بالنوم السهر   ذاهلاً يسبح في بحر الفكر
سلّم الأمر إلى مالكه   واصطبر فالصبر عقباه الظفر
[ص٢٠٧] / لا تكوننْ آيسًا من فَرَج   إنَّما الأيام تأتي بالعبر
كدر يحدث في وقت الصفا   وصفًا يحدث في وقت الكدر
وإذا ما سر دهر مرة   ساء[4] أهليه ومهما ساء[4] سر
فارض عن ربك في أقداره   إنَّما أنت أسير للقدر[5]

(ودامت الشدة إلى السنة الثانية والأربعين) ، وبعد ذلك أنعم الله

(١) الأصل : وأكثر ، والصواب من ديوان المتنبي ٢/٣٩٠ .
(٢) البيت من الوافر ، وهو للمتنبي ، انظر : الديوان ٢/٣٩٠ .
(٣) الأصل : وانكشف ، والصواب من ص .
(٤) الأصل و ص : سأ ، والصواب من ع .
(٥) الأبيات من الرمل .

سبحانه على عباده بالأمطار ، وبارك في الثمار ، وصلحت (الأحوال ، وأدرّ)[1] الله - سبحانه - شآبيب الكرم والنوال ، فله الحمد دائمًا على كل حال .

السنة الثانية والأربعون بعد المائتين والألف فيها : (كانت وفاة)[1] الشريف الماجد العلامة الحسن بن شبير بن مبارك بن محمد بن خيرات (كان - رحمه)[1] الله تعالى - صليب القناة في ذات الله تعالى . وهو من أبطال الرجال ، (وممن ارتقى)[1] ذروة المجد والكمال ، وفي آخر مدته جعل إليه الشريف حمود بواسطة السيد العلامة حسن بن خالد الحازمي عهدة القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتعليم الناس أمور دينها ، فقام بذلك ، وسلك من إرشاد الناس أحسن المسالك ، وله معرفة بالفقه وغيره تميزه على أقرانه ، وكانت قراءته على الوالد القاضي العلامة عبدالرحمن / بن حسن البهكلي ، وعلى سيدي الوالد رحمه الله تعالى ، [ص٢٠٨] وبعد وصول الأتراك أودع دار الاعتقال ، وجرت عليه أمور كدرت منه البال ، ولله القائل :

لعمرك ما الدنيا بدار إقامة   ولكنها دار انتقال لِمَن عقل [٧٠/أ]
إذا أضحكت أبكت وإن هي أقبلت   تولّت وإن أعطت فأيامها دول[2]

وفيها : توفي القاضي العلامة ضياء الدين إسماعيل بن عبدالرحمن بن حسن البهكلي ، كان - رحمه الله تعالى - ذا دراية[3] تامة بعلمي الفقه والفرائض ، أخذ عن والده وغيره من علماء وقته ، وتولّى القضاء بمدينة « أبي عريش » ، وكان حسن الأخلاق ، بشاشًا في وجوه الرفاق ، وقد رثاه أخوه القاضي العلامة أديب العصر علي بن

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص و ع .
(٢) البيتان من الطويل .
(٣) الأصل و ص : درية ، والصواب من ع .

عبدالرحمن[1] بقصيدة طالعها :

(الرضا بالقضا)[2] أخا الصبر عزمه   وقضايا الإلـه تَجري بحكمه[3]

وهي طويلة .

وفيها : كانت وفاة الوالد التقي الناسك حسن بن عبدالله بن عبدالعزيز[4] ، مولده سنة إحدى وسبعين ومائة وألف ، وكان من أفاضل عباد الله تعالى ، لا همّ له غير تلاوة القرآن ، والاشتغال بما يقربه إلى [ص٢٠٩] الله - تعالى - في كل أوان ، هذا مع سلامة صدره ، وصلاح / سريرته ، وكان لا يترك التهجد في جميع الليالي[5] ، ولم يزل محافظًا على صيام الأيام الفاضلات ، والقيام بوظائف الطاعات ، مع الزهد الحقيقي في هذه الدنيا ، وعدم الميل إليها بالكلية ، فحاله حال أهل الزهد والكمال ، ومقامه في التقوى يقصر عنه فضلاء الرجال ، وقد اتصف بمحاسن الخلال ، وعرف حقيقة هذه الدار التي هي سريعة الزوال ، وهكذا من عقل عن الله - سبحانه - أوامره ونواهيه : فهو يقصر نفسه على ما ينفعه في آخرته التي هي دار القرار ، والله يرحمه برحمته الواسعة .

((**وفيها** وقع الصلح))[6] **وفيها** : آخر هذه السنة نجم من أهل

(١) علي بن عبدالرحمن بن الحسن البهكلي ، أديب بليغ ، تولى الخطابة في جامع أبو عريش ، ثُمَّ أسند إليه فيها القضاء بعد وفاة أخيه إسماعيل عام ١٢٤٢هـ (ت/١٢٧٤هـ) . انظر : عاكش ، عقود الدرر ، الترجمة رقم (١٤٧) .

(٢) الأصل وص : القضا بالرضى ، والصواب من عقود الدرر للمؤلف ، الترجمة رقم (٥٣) .

(٣) البيت من الخفيف .

(٤) عمّ المؤلف ، وله ترجمة في نيل الوطر لزبارة ٣٣٩/١ ؛ وفي عقود الدرر للمؤلف ، الترجمة رقم (٧٧) .

(٥) بياض في الأصل وأثبتاها من ص ، وفي ع : لياليه .

(٦) وردت هذه العبارة في الهامش مع إشارة من المؤلف إلى الموضع الذي يرغب أن تكون فيه ، وقد أثبتها ناسخ ص كما أراد المؤلف ، ونحن نوردها كذلك على الرغم من أنه لا يفهم منها شيء ، ولعل المؤلف يقصد الصلح بين أمير أبو عريش علي بن حيدر ، وأمير عسير علي بن مجثل .

السراة على الشريف الخلاف ، وكان رئيسهم الأمير علي بن مجثل ، وكانت يده قد امتدت على أهل بلاده ، وبلغ فيهم بالأوامر والنواهي أقصى مراده [٧٠/ب] « وكان قد اتفق بينه وبين الشريف صلح[1] على أن «صبيا » ومخلافها يكون إلى الأمير ، وتبقى عسكر الشريف مترتبين في قلعة « صبيا » مدة معلومة ، فإن قامت قائمة من الأتراك وإلا فينزع الشريف عسكره ، فوصل إلى الشريف قبل انقضاء المدة نحو سبعمائة مقاتل من طريق أحمد باشا ، / فمشى الشريف علي بن حيدر [ص٢١٠] إلى « ضمد » ولما بلغ الحوازمة خروجه ، سروا بالليل قبل وصوله ، وكان الرؤساء فيهم))[2] السيد الأمجد أحمد بن حسين[3] ، والسيد الماجد محمد بن حسن بن خالد[4] ((فالتجؤوا بالأمير علي بن مجثل)) لما بينهم (وبينه من سابق المعرفة)[5] ، وقد قيل : « إن المعارف في أهل النهى ذمم »[6] ، وأرادوا أن يتخلصوا به عن ما لحقهم فيما يرون من الشدة .

إنّ الليالـيَ لَمْ تحسن إلى أحد   إلا أساءت إليه بعد إحسان[7]

فلم يزالوا يفتلون منه في الذروة والغارب ، فأسعدهم على النزول إلى تهامة ولعل له في ذلك مآرب .

إنَّما تنجح المقالة في المرء   إذا وافقت هوىً في الفؤاد[8]

(١) لعل في هذا ما يوضح الإشارة إلى الصلح التي وردت آنفًا .

(٢) هذا الجزء غير واضح وساقط بعضه من هامش الأصل ، وأثبتناه من ص و ع .

(٣) أحمد بن حسين الحازمي ، لم أعثر له على ترجمة .

(٤) محمد بن الحسن بن خالد الحازمي ، ابن الحسن بن خالد وزير الشريف حمود وأحد رجال السيف والقلم في المخلاف السليماني ، ولعل هذه العلاقة قد نشأت نتيجة لدور والده في إمارة عسير أثناء الصراع مع الأتراك .

(٥) في الأصل : وبين من قدم من سابق المعرفة ، والتعديل من ص .

(٦) شطر بيت للمتنبي في عتاب سيف الدولة ، وصدر البيت : وبيننا لو رعيتم ذاك معرفة ، انظر : الديوان ، ٣٧٠/٣ .

(٧) البيت من البسيط .

(٨) البيت من الخفيف ، وهو للمتنبي ، انظر : الديوان ٣١/٢ .

((فنزل الأمير بجنوده على « صبيا » ، وكان في القلعة الشريف حيدر بن ناصر[1] عاملاً من طريق ابن عمه الشريف علي بن حيدر ، ووقع بينهم الحرب ، وأرادوا استئصال القلعة فحماهم من بها عنها ، فرجعوا خائبين ، وولوا مدبرين ، بعد أن قتل من جند الأمير كثير ، وبعد ذلك جنح الأمير إلى المسالمة ، وبذل للعسكر المترتبين في القلعة مالاً ، فخرجوا من القلعة وأطلقوها عليه ، فجعل فيها جماعة من جنده كبيرهم [ص٢١١] رجل / يسمى مغرمًا[2] ، وارتحل إلى السراة ، وكان هذا الواقع في شهر رمضان)) [٧١/أ] ، وبعد مدة قريبة طلعت السفن مرة أخرى بجند من الأتراك ، وبأيديهم من المنايا سفاح وسفاك ، وكان في قلعة « صبيا » أولئك الجماعة من عسير مترتبين ، ولذلك القطر محافظين ، فما راعهم إلا مبتدأ هذا الخبر ، فعلموا أن الوجه إليهم ، ولو قدر عليهم لاستأصل (منهم العين)[3] والأثر ، ولله القائل[4] :

أحسنت ظنك بالأيام إذ حسنت ... ولَمْ تخف سوء ما يأتي به القدر
وسالَمتك الليالي فاغتررت بها ... وعند صفو الليالي يحدث الكدر[5]

فحشد الشريف بمن معه من الأتراك إليهم ، وساروا بالمدافع بين يديهم ، فلما وقفوا بتلك الساحة . أعدموا لأولئك النفر بسبب المدافع الراحة ، ولم تزل تقذف بتلك القلل ، حتى تركت جوانب القلعة كالطّلل ،

(١) حيدر بن ناصر بن محمد بن أحمد بن خيرات ، ابن أخي الشريف علي بن حيدر ، تولى إمارة صبيا بعض الوقت ، وتوفي بعد تأدية الحج سنة ١٢٥١هـ .
انظر : عاكش ، عقود الدرر ، الترجمة رقم (٨٦) ؛ زبارة ، نيل الوطر ١/٤١٣ .
(٢) الأصل : مغرم ، وهو : مغرم بن مشاري .
انظر : النعمي ، تاريخ عسير ، ١٧٨ .
(٣) بياض في الأصل والزيادة من ص وفي ع : لاستأصلوهم للعين .
(٤) بياض في الأصل وأثبتناها من ص و ع .
(٥) البيتان من البسيط .

فحينئذٍ علم أولئك الجماعة أن لا طاقة لهم في البقاء ، ورأوا[1] أن طلب الأمان والخروج لهم فيه النجا ، فقد قال الشاعر :

إذا لَمْ تستطع شيئًا فدعْهُ ... وجاوزْهُ إلى ما تستطيع[2]

فبذل لهم الشريف الأمان ، وعفا عنهم فيما كان ، وهكذا الحليم يضبط نفسه عند [٧١/ب] الغضب ، ويبذل العفو / عند المقدرة ، وفي [ص٢١٢] ذلك يقول القائل :

لا تنتقم إن كنت ذا قدرة ... فالعفو من ذي قدرة أصلح
واصفح إذا أذنب شخص عسى ... تلقى إذا أذنبت من يصفح[3]

واستولى الشريف على تلك الجهة ، وجعل في « صبيا » عاملاً ، ورجع إلى مستقره سالمًا غانمًا .

((ولما بلغ الأمير علي بن مجثل هذا الواقع ، ثارت الحفيظة من هذا الخبر الفاجع ، فجنَّد جنوده ، وعقد بنوده ، وتوجه إلى قتال الشريف ، وحين وصل إلى ساحة « أبي عريش » قابله الشريف بالمناوأة ، وحشد من عنده من الأجناد والفرسان من أهل البلاد الكفاة ، فخرج وحوله[4] أبطال الأشراف ، متقلدين المشرفية وبأيديهم القنا الرعاف ، وبين يديه العساكر ، وهو يزأر زئير الأسد الكاسر ، قد لبس للحرب اللأْمة ، وعليه من البسالة والشهامة علامة ، فحين تراءى[5] الفريقان ، وكاد أن ينفتح الحرب العوان ، (وغنى طائر) الظفر ، عند هز الرماح وإشامة السيف الأبتر :

(١) الأصل : ورؤا ، والصواب من ص .
(٢) البيت من الوافر وهو لعمرو بن معد يكرب . انظر : النويري ، ٧٠ .
(٣) البيتان من السريع .
(٤) الأصل : وأحواله ، والصواب من ص و ع .
(٥) الأصل : تراء .

فتقت لكم (ريح الجلاد بعنبر)[١]   وأمدهم فلق الصباح المسفر[٢]

توسط من يحب الإصلاح أنه يستقر حيث هما الصفان ، وتقع (منه المفاوضة)[٣] فيما به صلاح الشأن ، سدًا لهذا الحادث العبوس ، الذي لا ينجلي إلا بعد ذهاب (نفوس ، وكان)[٣] الشريف علي ذا خبرة بمواقع [ص٢١٣] الأمور ، فرأى أن الصلح خير ، وأن في فتح الشر ضيرًا / وأيّ ضير ، فطال بين الفريقين بواسطة الرسل ترديد الكلام[٤] ، وآل أمر الصلح إلى سداد وتمام ، على إضافة « صبيا » وما والاها إلى الأمير علي بن مجثل ، ورجع الأمير إلى بلاده ، والتأمت على ذلك الصلح أحوال ، وكفى الله المؤمنين القتال)) .

فائـدة :

البيت المستشهد به الذي هو : « فتقت لكم ريح الجلاد بعنبر » هو مطلع قصيدة ابن هانئ الأندلسي[٥] ، المعروف بـ « متنبي الغرب » هو عندهم نظير أبي الطيب « متنبي الشرق » ، دارت في معناه بين علماء « صنعاء » مذاكرات ، أفضت إلى مكابرات ، ثُمَّ جعل الحكم في المسألة لبعض علمائها ، فوجه السؤال إليه ، فتكلم على معناه في كراسة ، وجاء بما جاء على مثله في الشعر ، ومحصل ما قاله : « (أن معناه)[٦] أنها حُببت إليكم الحرب ، فإذا هبت لكم ريحها استروحتم إليها ، وسارعتم[٧] إلى مباشرتها كأنكم تشمون بها عنبرًا لستم لها بكارهين ، ولا عن التسرع ،

(١) بياض في هامش الأصل وأثبتناها من ص و ع .
(٢) البيت من الطويل ، وهو لابن هانئ الأندلسي . انظر : الديوان ، ٢٢٣ .
(٣) بياض في هامش الأصل ، وأثبتناها من ص و ع .
(٣) بياض في هامش الأصل ، وأثبتناها من ص و ع .
(٤) يشير النعمي إلى أن الذي تولى المفاوضات بين الطرفين هو شيخ بني ظالم أبو طائف ، وشيخ بني جونة مشاري بن حسن ، وهما من مشايخ رجال ألمع .
انظر : تاريخ عسير ، ١٧٨ .
(٥) محمد بن هانئ الأزدي ، أشعر المغاربة على الإطلاق ، في شعره نزعة إسماعيلية (ت/٣٦٢هـ) . انظر : الزركلي ، الأعلام ٧/٣٥٤ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ٤/٤٩ .
(٦) بياض في الأصل وأثبتناها من ص و ع .
(٧) بياض في الأصل وأثبتناها من ص ، وفي ع : ورغبتم .

لها بمبطئين » ، وغير بدع فكثير من الأبيات يقع فيها بين الأدباء محاورة ، وكل واحد يسبق إلى فهمه معنى . انظر إلى قول ابن الرومي :

ومن العجائب أن معنى[١] واحدًا   هو منك (سهم وهو مني مقتل)[٢]

فقد وقع فيه بين أديبي عصرهما ابن نباته : [٣] والصفدي[٤] ما هو / معروف كما أورده الصفدي في « الغيث الذي انسجم »[٥] ، ومحصِّل [ص٢١٤] الإشكال : « كيف يُمكن أن يكون العضو الواحد هو سهم ومقتل معًا في حالة واحدة ، وحاصل الجواب : أن عضوًا واحدًا[٦] هو منك سهم ، وهو مني سبب مقتلي ، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه ، وهو كثير كما هو معروف في مظانه ، وذلك مستفيض في كلام [٧٢/أ] الأدباء [ألا] ترى أبا الطيب كيف يقول :

وأنا الذي اجتلب المنية طرفه   فمن المطالب والقتيل القاتل[٧]

فإنه ادعى للعين أنها السبب في اجتلاب المنية ، فالذنب عند الأدباء كلهم للعين ؛ لأنها تسبب بنظرها إلى هلاك الفؤاد ، والدواوين ملآنة بهذا المعنى ، وهو أشهر من أن يورد عليه شاهد ، وأمَّا من قال : إن المقتل القلب ، وأن ذلك جارٍ على عادة الشعراء ، وأنشد قول الأرّجاني[٨] :

(١) الأصل : عضوًا ، والصواب من الديوان ١/١٨ .
(٢) الأصل : لي سهم ومني مقتل ، والصواب من الديوان ١/١٨ ، والبيت من الكامل .
(٣) جمال الدين محمد بن محمد الجذامي ، شاعر وأديب ، من الكتاب المترسلين العلماء بالأدب (ت/٧٦٨هـ) .
انظر : الزركلي ، الأعلام ٧/٢٦٨ ؛ الشوكاني ، البدر الطالع ٢/٢٢٥ .
(٤) خليل بن أيبك الصفدي ، صلاح الدين ، أديب ومؤرخ ، كثير التصانيف الممتعة ، تولى ديوان الإنشاء في صفد ومصر وحلب (ت/٧٧٦هـ) .
انظر : الزركلي ، الأعلام ٢/٣٦٥ ؛ زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربيّة ٣/١٦١ .
(٥) اسم الكتاب : الغيث المسجم في شرح لامية العجم ، مطبوع في مجلدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٣٩٥هـ .
(٦) الأصل : واحد ، والصواب من ص .
(٧) البيت من الكامل وهو للمتنبي ، انظر الديوان ٣/٢٥٠ .
(٨) أحمد بن محمد بن الحسين ، ناصح الدين ، شاعر يغلب عليه الرقة والحكمة ، ولي القضاء بتستر (ت/٥٤٤ هـ) .
انظر : الزركلي ، الأعلام ١/٢٠٩ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ١/١٣٤ .

أعيناي كفّا عن فؤادي فإنه ... من البغي سَعْي اثنين في قتل واحد(١)

وقال آخر :

عوقب قلبي وجنى ناظري ... ورُبَّما عوقب من لا جنى(٢) ...)(٣)

فهو لم يحم حول المعنى الأول الذي يستميل عن(٤) ذوي(٥) الذوق [ص٢١٥] السليم طربًا ، ولا ينقضي له من حسن معناه عجبًا / .

السنة الثالثة والأربعون بعد (المائتين والألف)(٦) تحرك الأمير علي بن مجثل ثانيًا إلى جهات تهامة ، ووصل بجنود كثيرة ، واستقر (مطرحه قبلي)(٦) « أبي عريش » ، وأرادوا إعادة ذلك الخوض القديم ، والبقاء على ما كان من السداد القويم ، فإن تعذر الصلح تراسلوا بما في أجواف البنادق ، وتخالفوا بالرماح وأطراف الصفاح ، ولقد كان هذا الأمير بمعزل عن الالتفات إلى هذه الجهات ؛ لأنه قد علم أنها مورد دونه ذهاب المهجات ، وإنّما حسّن له من حسّن فاستمالته المقالات(٧) . ولله القائل :

الحرب أول ما تكون فتيةً ... تسعى بزينتها لكلِّ جهول

حتى إذا اشتعلت وشبَّ ضرامُها ... عادت عجوزًا غير ذات حليل

شمطاء جزّت رأسها وتنكرت ... مكروهة للشم والتقبيل(٨)

(١) البيت من الطويل .
(٢) البيت من السريع .
(٣) انظر : الغيث المسجم للصفدي ٢/٢٣ – ٢٤ .
(٤) غير واضح في الأصل هل هي: عن أو عند، وأظنها زائدة ؛ لأن بحذفها يستقيم السياق.
(٥) الأصل : ذو .
(٦) بياض في الأصل وأثبتناها من ص و ع .
(٧) يشير المؤرخ النعمي في تاريخ عسير ، ١٧٨ إلى أنّ سبب حملة الأمير علي بن مجثل على « أبو عريش » مرة ثانية هو نقض الصلح من الشريف ، وإخراجه للحامية العسيرية من صبيا ، ولعل المؤلف هنا لا يعلم ذلك ، أو لا يريد الإشارة إلى نقض الصلح من الشريف علي ، خاصة أنه يكتب هذا الكتاب أثناء حكم ابنه الشريف الحسين بن علي بن حيدر .
(٨) الأبيات من الكامل ، وهي لعمرو بن معديكرب ، انظر : الديوان ، ١٤٢ .

[٧٢/ب] ولما علم به الشريف برز لظاهر المدينة العريشية ، ومعه فرسان الصدام ، وآساد الالتحام ، وحين أحس الجند الشامي تحضيره الحرب للحوادث ، علموا أنه الخطب الكارث ، فرتب الأمير جنوده ، ونشر بنوده ، ووطّن أصحابه على الثبات ، وعرفهم ما هم قادمون عليه ، وعلى الذي هم قادمون إليه / وكان هذا الشريف علي بن حيدر أسدًا من أسود [ص٢١٦] الله . وسيفًا من سيوفه المنتضاة ، تتجلى على يديه المعارك السود ، وتنجد بروعه براثن الأسود ، فجعل « الحمران »(١) والمدافع في قلب الصف ، وكادت أن تستعر نار الحرب ، ويقام في تلك العرصة سوق الطعن والضرب ، فهيأ الله - تعالى - بعد ذلك أسباب السداد ، وتم الصلح على إضافة « صبيا » إلى الأمير علي بن مجثل هي وما والاها من تلك (البلاد ، ورجع كُلّ)(٢) منهما إلى مكانه ، وقد تقررت الأمور . وصلح بصلاح ذات (بينهما الجمهور)(٣) ، وجعل الأمير عاملاً على « صبيا » ومخلافها السيد الماجد محمد بن حسن بن خالد (والشريف أقام)(٤) في بلاده ، ولديه طائفة من جند الباشا محمد علي المسمّين (الحمران ، الذين نظمهم)(٥) بزي الإفرنج ، ورتب أمورهم في السلم والحرب (على أساليبهم)(٦) كما ذلك معروف ، ولديه أيضًا جماعة من الخيّالة المغاربة .

ولأهل العلم كلام طويل في حكم التزيي(٧) بزي الكفار لا حاجة إلى إيراده ؛ لأن مثل هذه الأمور مبناها على الأمور الدولية لا الدليلية ، وما كان سبيله ذلك فالكلام فيه من إشغال الحيز ، مع أن المسألة أشهر

(١) الحمران : الجنود الأتراك ، انظر : وصف المؤلف لهم أدناه .
(٢) بياض في الأصل وأثبتناها من ص وفي ع : الجهات ورجع كلاً .
(٣) بياض في الأصل وأثبتناها من ص وفي ع : البين الجمهور .
(٤) بياض في الأصل وأثبتناها من ص وفي ع : وأقام الشريف علي بن حيدر طائفة .
(٥) بياض في الأصل وأثبتناها من ص وفي ع : الحمران إلا أن نظامهم .
(٦) بياض في الأصل وأثبتناها من ص وسقطت من ع .
(٧) الأصل : التزي .

عند أهل العلم من الشمس ، ومن تكلم من أهل العلم في مثل هذه المسالك الدولية / التي قد جرى عليها الملوك لم يقابل بغير الاستهزاء والسخرية ، [ص٢١٧] ولكن الشارع قد علم أن في آخر الزمان لا يتمكن المسلم [٧٣/أ] من الإنكار ، فجعل مراتب الإنكار ثلاثًا[1] : اليد ، ثُمَّ اللسان ، ثُمَّ القلب كما ورد في الحديث[2] ، فمن بقي في قلبه حياة أنكر بقلبه (عند تعذر اليد واللسان) ، وإن سكت في الظاهر عما ينكر في الشرع ، فلم يكن سكوته تقريرًا لاحتمال أنه أنكر بقلبه ، ومن أنكر ذلك من العلماء في الكتب المؤلفة ، فهو قد أدَّى ما عليه ؛ لأن القلم أحد اللسانين ، فتبين أنه لا حجة لأحد في سكوت عالم على تقرير ما يخالف الشرع ، أمَّا أنه أنكر بقلبه أو لظنه عدم التأثير ، ومثل ذلك يسقط عنه الوجوب المستلزم الإخلال به الإثم ، وهذه إشارة ، وفيها كفاية ، والله - سبحانه - ولي الهداية .

وهذا الشريف علي يعتزي[3] في الظاهر إلى محمد علي باشا ، ولم تزل المكاتبة بينه وبينه دائرة بواسطة صاحب « مكة » أحمد باشا ، والأمور فيما بينه وبينهم جميلة ، والخطبة يعلن بها في المنابر للسلطان من آل عثمان ، واستغنى بهؤلاء الأجناد في حفظ البلاد عن غيرهم من همدان ، وقد حدثني من أثق [به] عن الشريف أنه ذكر له ما معناه أن المصاحبة للأتراك (والاعتزاء إليهم)[4] لم يكن / عن رغبة أو جهل بحقيقة [ص٢١٨] ما هم عليه من الأمور الجارية على غير قوانين الشريعة[5] ، ولله القائل :

(١) الأصل و ص و ع : ثلاث .
(٢) رواه مسلم في باب الإيمان (٤٩) ؛ والترمذي في الفتن : باب ما جاء في تغيير المنكر ؛ وأبو داود في الصلاة : باب الخطبة يوم العيد ، وفي الملاحم : باب الأمر والنهي .
(٣) اعتزى إلى فلان انتسب إليه صدقًا أو كذبًا ، والعزوة الانتساب . انظر : المعجم الوسيط ٦٠٥/٢ ؛ والمؤلف هنا يشير إلى ارتباط المخلاف السليماني بحكم محمد علي باشا أثناء سيطرته على الجزيرة العربيَّة قبل خروجه منها بموجب معاهدة لندن عام ١٢٥٦هـ/١٨٤٠م .
(٤) بياض في الأصل ، والزيادة من ص ، وفي ع : والاعتداد بهم والاعتزاز .
(٥) بياض في الأصل ، والزيادة من ص و ع .

وقد يتزيا بالهوى غير أهله ويستصحب الإنسان من لا يلائمه[1]

لكن مع انفتاح فتنة أهل السراة عليه ، وسعايتهم فيما يعود ضرره إليه ، وعدم مراعاتهم لحرمته لو قدروا ، فما يرى يسعه إلا المصاحبة لمن ذكر ، ليدفع به شر هؤلاء ، نظرًا إلى قول الشاعر :

إن الحكيم إذا ألَمَّ بِجِسْمِهِ داءان[2] مختلفان داوى الأخطرا[3]

وكان في هذه المدة كل واحد حافظ أطرافه غير متعد على الآخر .

السنة السادسة والأربعون بعد المائتين والألف : فيها كانت [٧٣/ب] وفاة شيخنا السيد العلامة الحافظ المتأله[4] الرباني القاسم بن محمد بن إسماعيل الأمير[5] ، كان - رحمه الله تعالى - في العلوم إمام أهل التحقيق ، والمجلي في قصبات الإتقان والتدقيق . روح جسم العبادة ، وحليف النقاء والزهادة ، نهاره صائم ، وليله قائم ، مولده تقريبًا سنة ثمان[6] وستين ومائة وألف ، أخذ عن والده شيخ الإسلام وهو في أوائل البلوغ كما حدثني بذلك ، ولازم جماعة من محققي « صنعاء » كالعلامة علي بن هادي عرهب[7] ، وغيره ، حتى دقق / في جميع المعارف العلمية ، [ص٢١٩] وفاق أهل عصره في العلوم النقلية والعقلية ، إذا تكلم في مسألة لم يترك

(١) البيت من الطويل وهو للمتنبي . انظر : الديوان ٣٢٧/٣ .
(٢) الأصل : دان .
(٣) البيت من الكامل .
(٤) لفظ « المتأله » لا بأس بإطلاقه فقد ذكره أبو نعيم في حلية الأولياء ٢٣/٣ ، وذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء ٢٩٢/٦ ، وفي سير أعلام النبلاء في ترجمة ابن عطاء ٢٥٥/١٤ قال عنه : « الزاهد العابد المتأله » . وهي دارجة في بعض كتب التراث بمعنى كثرة التعبد والخضوع لله .
(٥) انظر ترجمته أيضًا في البدر الطالع للشوكاني ٥٢/٢ ؛ نيل الوطر لزبارة ١٨٠/٢ .
(٦) الأصل : ثمانية .
(٧) من علماء اليمن المشهورين خاصة في النحو والصرف والمعاني والبيان ، تولى قضاء الروضة - إحدى ضواحي صنعاء - ثُمَّ نقل إلى كوكبان (ت/١٢٣٦هـ) . انظر : الشوكاني ، البدر الطالع ٤٩٩/١ ؛ زبارة ، نيل الوطر ١٦٤/٢ .

بعده مقالاً لقائل ، أو خاض في ثبج المشكلات وإيضاحها فمن ذا له يناضل ، أنفق ريعان شبيبته في التنقير عن خفايا (علوم الآلات)[1] ، حتى صار المرجع فيها لحل المشكلات ، وفي آخر مدته أقبل (على درس الحديث)[2] ، ومعرفة رجاله ، فبلغ في ذلك مبلغ الحافظ من أمثاله ، (وكان مؤثرًا للخمول)[3] والعزلة ، تاركًا لفضول العيش ، مطرحًا للعادات التي (عليها الناس)[4] في الملبوس وغيره ، ولا يحب الشهرة في شيء من أمره ؛ بل (مقبل على ما يعنيه)[4] ، لا يمضي عليه وقت في غير درس أو تدريس أو تلاوة أو ذكر ، (لا يتصل بأحد)[4] من أرباب الوظائف إلا لحاجة ، ومن رآه بديهة أحبه ، فهو من عباد الله الذين إذا رؤوا ذُكر الله ، كما جاء وصفهم في الحديث النبوي[5] ، قد علاه نور العبادة ، فوجهه ساطع بالأنوار ، وعليه من العبادة آثار ، وكان كثيرًا ما ينشد قول الإمام الغزالي[6] :

[ص٢٢٠] تركت هوى ليلى وسعدى بمَنزل ... وعدت إلى مصحوب أول منزل

[٧٤/أ] / ونادتنيَ الأشواق مهلاً فهذه ... منازل من يهوى رويدك فانزل[7]

وهذا يشعر بأنه لا ملحظ له إلا إلى ما فيه رضى مولاه ، وأنه لا يشتغل بما سواه ، وهكذا حال من علم أن المقام في الدنيا قليل ، وأنه بإتعابه لنفسه في مخالفة هواه يكون عقباه الراحة في دار الحيوان ، ولعمر الله إنه لمن العباد الذين وصفهم الشاعر في قوله :

إن لله عبادًا فطنا ... طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا

زهدوا فيها فلما علموا ... أنها ليست لِحَيٍّ وطنا

(١) بياض في الأصل وأثبتناه من ص و ع .
(٢) بياض في الأصل وأثبتناها من ص وفي ع : على معرفة علم الحديث .
(٣) بياض في الأصل وأثبتناها من ص وفي ع : وأخيرًا جنح إلى من كانوا يعملوا الخمول .
(٤) بياض في الأصل وأثبتناها من ص و ع .
(٥) رواه ابن ماجة في الزهد ، باب : من لايؤبه له (٤١١٩) .
(٦) محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي ، فيلسوف متصوف ، حجة الإسلام ، له نحو مائتي مصنف (ت/٥٠٥هـ) .
انظر : الزركلي ، الأعلام ٧/٢٤٧ ؛ بدوي ، مؤلفات الغزالي ؛ رضا ، أبو حامد الغزالي .
(٧) البيتان من الطويل .

جعلوها لُجَّة واتخذوا ... صالح الأعمال فيها سفنا[1]

فلقد صفا قلبه لله - تعالى - في جميع الأحوال ، وتحقق بصفة الصوفية الذين[2] صفت قلوبهم عن سيئات الأعمال[3] ، ولله القائل[4] :

لا تحسبن لباس الصوف في ملأ ... يدعى به بين أهل الفضل بالصوفي[5]

وإنَّما من صفا قلبًا ومال إلى ... صقالة النفس من أوساخها صوفي[5]

هذا مع التواضع الذي لم يكن فيمن هو أدنى منه بكثير ، وحاله فيما أعتقد يلحق بحال السلف الصالح من قدماء أهل بيت النبوة عليهم السلام ، الجامعين لإمامة العلم والعمل ، لما هو عليه من العبادة ، والتأله وحسن السمت والإنابة ، وقد أخذت عنه في علم الحديث / وأصوله ، [ص٢٢١] وفي علم التفسير ، وفي علم العربيَّة ، وفي علم المنطق وغيره ، جزاه الله عني خيرًا ، وقد أوردت بعضًا من مناقبه في كتابي « حدائق الزهر »[6] .

هيهات لا يأتي الزمان بمِثله ... إن الزمان بمِثله لبخيل[7]

وفيها كانت وفاة الوالد القاضي العلامة حسين بن أحمد النعمان[8] ، كان من العلماء الفضلاء ، ومن الحكام النبلاء ، له اليد

(١) الأبيات من الرمل .
(٢) الأصل : اللذين .
(٣) إن كان المراد بالتصوف الزهد بالدنيا وترك التعلق بها ، فهذا مما يندب إليه ، دون أن يلجئ نفسه للناس بحجة الزهد والعفة عن المتاع الزائل . وإن كان المراد بهذا المصطلح ما أصبح عليه كثير من أتباعه من ادعاءات لا أساس لها في الشرع ، وابتداع ما لم يأت به النص من القرآن أو السنة ، ولم يؤثر عن سلف الأمة من الصحابة الكرام والتابعين الأخيار كما هي حال الأكثرين من أصحاب الطرق المتفرعة عن هذا المصطلح فهذا كله مما ابتدع ولو كان خيرًا لسبقنا إليه من كانوا في خير القرون رحمهم الله .
(٤) بياض في الأصل وأثبتناه من ص .
(٥) البيتان من البسيط ، وهما للحسين بن إسماعيل الشوكاني . انظر : البدر الطالع للشوكاني ١/٢٢٣ .
(٦) حدائق الزهر في ذكر الأشياخ أعيان الدهر ، حققه ودرسه وعلق عليه د . إسماعيل بن محمد البشري ، مطبوع عام ١٤١٣هـ .
(٧) البيت من الكامل وهو لأبي تمام ، انظر : الديوان ، ٣٧٥ .
(٨) من علماء المخلاف السليماني ، عمل قاضيًا في الشقيري قرب ضمد خلال حكم الشريف علي بن حيدر .
انظر : عاكش ، عقود الدرر ، الترجمة رقم (٧٣) ؛ زبارة ، نيل الوطر ١/٣٧٧ .

الطولى في علم الفروع ، وله رحلة إلى « صعدة » [٧٤/ب] وأخذ عن مشايخها ، وأخذ عن سيدي الوالد رحمه الله تعالى ، وكان يباشر الحكم على طريق الاحتساب ، مع الورع الشحيح ، والعقل الرجيح ، قلَّ أن يجلس بين يديه خصمان إلا ويرضيان ما يقول ، لما هو عليه من حسن الطوية ، رحمه الله تعالى وإيانا .

وفيها حشد الأمير علي بن مجثل لأجناده ، وانفصل من بلاده ، ومر بأطراف بلاد الشريف ، ولم يحصل منه شيء يوجب التعنيف ، حتى وصل « دوغان »(١) من بلاد « صليل » ، وفيه قلعة شامخة بناها الشيخ إبراهيم ابن علي الكلفود ، وقد كان (الشيخ إبراهيم)(٢) قد تأثل بالخيل والأتباع والعبيد ، واستقل بنفسه ، وفعل من الأفعال المنكرة ما يريد ، من غير تقيد بقانون شرعي ، وأطلق القبائل الذين / يده عليهم على الضعفاء [ص٢٢٢] والمساكين ؛ فأذاقوهم أنواع التعذيب ، ونهبوا أموالهم ، واستباحوا (النفوس بغيًا)(٣) ، ولم يراقبوا من هو على كل شيء رقيب .

وقد ذكر في « الأحكام (السلطانية » للماوردي)(٤) ترتيب ما يلزم السلطان فيها في من تحت يده ، من التفقد (والأخذ عليهم أن)(٥) لا يظلموا أحدًا ، ولا ينقضوا عهدًا ، ولا يهملوا ركنًا من (أركان الشريعة ؛ فإنه)(٦) إلى استئصال الدولة الذريعة ، من أراده فليراجعه .

(١) قرية يمنية صغيرة ، تبعد حوالي ٤٥ كم شمال شرق الزيدية . انظر : G & H map .
(٢) بياض في الأصل وأثبتناها من ص و ع .
(٣) بياض في الأصل وأثبتناها من ص وفي ع : النفس والعرض .
(٤) بياض في الأصل وأثبتناها من ص و ع ؛ وكتاب الأحكام السلطانية والولايات الدينية مطبوع في دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٣٩٨هـ .
والماوردي هو : علي بن محمد بن حبيب ، من العلماء الباحثين وقاضي القضاة في عهد القائم بأمر الله العباسي (ت/ ٤٥٠ هـ) . انظر : الزركلي ، الأعلام ١٤٦/٥ .
(٥) بياض في الأصل وأثبتناها من ص ، وفي ع : والأخذ على أيديهم بأن .
(٦) بياض في الأصل وأثبتناها من ص ، وفي ع : أركان الشريعة يؤول .

وقد عرف (بالاستقراء التام)(١) ، وهو مشاهد لأولي الأحلام ، في سالف الأيام ، أن من تعرض لهتك (حرم الشريعة) وأركان الإسلام لن يفلح أبد الآباد ، ولا يهمله رب العباد ، ومما حفظ من حكمة الأوائل ، أن رب العالم يمهل الملوك على الجور ما لم يأخذوا في هدم أركان الشريعة ، ومن هدْم أركانها عدم التقيد بقيد الشرع : من أخذ الأموال ، واستباحة النفوس ، ونقض العهود ، وقد ورد في الحديث الصحيح : « اتقوا دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب »(٢) ، وقد ورد [٧٥/أ] أنه يستجاب له في ذلك ، ولو كان كافرًا فإنه إنما يطلب الله حقه أو كما قال / صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ . [ص٢٢٣]

وقد عوجل الكلفود بما فعل ؛ لأن فعله أغلبه بغي . وقد حكي في « الكشاف » عن محمد بن كعب القرضي(٣) أنه قال : « ثلاث من كن فيه كن عليه : البغي والنكث والمكر » . انتهى .

ومصداق ذلك من كتاب الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنفُسِكُم ﴾(٤) ، ﴿ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾(٥) ، ﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾(٦) ، الآيات الثلاث ، قال في « الكشاف » : وكان المأمون(٧) يتمثل بهذين البيتين في أخيه :

(١) بياض في الأصل وأثبتناها من ص و ع .
(٢) رواه البخاري في باب المظالم ؛ ومسلم في باب الإيمان [١٩] ؛ والترمذي في باب البر .
(٣) محمد بن كعب بن سليم ، تابعي جليل من أئمة التفسير (ت/ ١٢٠هـ) .
انظر : ابن حجر ، تهذيب التهذيب ٤٢٠/٩ ؛ الأصبهاني ، حلية الأولياء ٢١٢/٣ .
(٤) سورة يونس ، الآية ٢٣ .
(٥) سورة الفتح ، الآية ١٠ . (الأصل : الآية فيها خطأ وهو (ومن نكث) والصواب ما أثبت).
(٦) سورة فاطر ، الآية ٤٣ .
(٧) عبد الله بن هارون الرشيد ، الخليفة العباسي السابع ، تولى الخلافة من ١٩٨هـ إلى تاريخ وفاته في عام ٢١٨هـ .
انظر : الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ٢٢٦/٩ - ٢٩٣ ؛ الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ١٨٣/٩ .

ياصاحب البغي إن البغي مصرعه   فاعدل فخير فعال المرء[1] أعدله

فلو بغى جبل يومًا على جبل   لاندك منه أعاليه وأسفله[2]

وبعد أن مات الكلفود تخلف بعده ولده، وسار تلك السيرة، فلم (يشعر وهو)[3] متفيِّئ لظلال الأمان، غير ملاحظ لحوادث الزمان، إلا وقد بلغه هذا الخبر[4] الذي يبلد الأذهان :

يا راقد الليل انتبه   إن الخطوب لها سُرى

ثقة الفتى بزمانه   ثقة محللة العرى[5]

وما ذاك إلا من انتقام الله تعالى وعدله، وإلا فما كان يظن بالأمير علي بن مجثل أن يستقل لقصد تلك الجهات، فخيم الجند على فناء قلعة [ص٢٢٤] « دوغان »، وانحصر أولاد الكلفود / وأتباعهم في ذلك المكان، ولم يزل الكلام يدور بينه وبينهم حتى انخرط المتقدم منهم في سلك طاعة الأمير، وبعد ذلك كأنه ظهر للأمير علي بن مجثل من حاله ما ظهر، والله أعلم بحقيقة الواقع، فاستصفى جميع ما يملك الكلافيد من الخيل وغيره [٧٥/ب]، وأخربت القلعة، وأصبحت أثرًا بعد عين، وكانوا قضاءً لما سبق عليهم للخلق من الدَّين، ولله القائل :

ومن يجعل الضرغام بازًا لصيده   تصيّده الضرغامُ فيما تصيدا[6]

وبعد أن انضافت البلاد التي كانت تحت الكلفود إلى الأمير جعل عليها عاملاً الشريف حسن بن بشير بن محمد بن أحمد بن محمد بن خيرات[7]، وألقى زمام أمرها ونهيها إليه، وانفصل إلى وطنه وقد

(١) الأصل : المراء، والصواب من ص و ع .
(٢) البيتان من البسيط .
(٣) بياض في الأصل وأثبتناها من ص، وفي ع : فلما كان .
(٤) بياض في الأصل وأثبتناها من ص، وفي ع : الأمر .
(٥) البيتان من مجزوء الكامل .
(٦) البيت من الطويل وهو للمتنبي، انظر : الديوان ٢٨٧/١ .
(٧) لم أعثر له على ترجمة .

استفاد من الأموال ما يحسن السكوت عليه، وشاهد حاله :

ولست أبالي بعد إدراكي العلا   أكان تراثًا ما تناولت أو نهبا[1]

وفي هذا العام كانت[2] وفاة الشريف الأمجد، الباسل الأوحد، أبي الأشبال محمد (بن علي بن حيدر[3] كان)، [4]، رحمه الله تعالى، من الشجعان المشاهير، وفي الكرم عديم (النظير، وهو أحد)[5] أركان مملكة والده، وكان يتولّى أكثر الأمور، وعليه فيها (المعوّل، وله في الوقائع)[6] أفعال تدل على أنه من ذلك الطراز / الأول، وكانت[7] وفاته [ص٢٢٥] (بعد أن قضى فريضة)[8] الحج، عقيب وصوله من تلك المواطن العظام، وذلك ممًّا يكون (له إن شاء الله تعالى)[8] حسن الختام، فقد ورد في الحديث الصحيح : « أن الحج يهدم ما كان (قبله »[9]، وحمل على)[10] نعشه من قريته « الخضراء »[11] إلى المدينة العريشية، وقبر في مقبرة آبائه :

طَودٌ تحمله ظهر السرير وهل   تحمَّلتْ جبلاً من قبله السرر

طوته أيدي الردى طيّ الرداء ولم   يزل ثناه بطيب النشر يُذكر

هُدّت مباني المعالي يوم مصرعه   ومرتع المَجْد والعلياء مندثر[12]

(١) البيت من الطويل وهو للمتنبي، انظر : الديوان ٦٠/١ .
(٢) الأصل : كان .
(٣) له ترجمة أيضًا في نيل الوطر لزبارة ٢٩٣/٢ .
(٤) بياض في الأصل وأثبتناها من ص و ع .
(٥) بياض في الأصل وأثبتناها من ص، وفي ع : وكان أحد .
(٦) بياض في الأصل وأثبتناها من ص، وفي ع : المدار، وله في الوقائع .
(٧) الأصل : وكان .
(٨) بياض في الأصل وأثبتناها من ص و ع .
(٩) رواه مسلم في باب الإيمان (١٢١) .
(١٠) بياض في الأصل وأثبتناها من ص وع .
(١١) ذكر العقيلي سبع قرى تحمل هذا الاسم، وهي قرية تبعد حوالي ٧ كم على وادي جازان. انظر : المعجم الجغرافي، ١٦٧ .
(١٢) الأبيات من البسيط .

وهو أكبر أولاد الشريف ، وكان مولده سنة ست بعد المائتين والألف ، ومن مآثره[١] بناء « قلعة الخضراء » وإحياء شريج[٢] بجنبها على « وادي جازان » .

وفي هذا العام ، وآخر [٧٦/أ] عام ستة وأربعين ؛ ظهر في « مكة » وباء عام ، ومات منه عوالم من الأنام ، وأكثر الناس يزعم أنه طاعون ، وقد جزم ابن قتيبة[٣] بأن « مكة المشرفة » مشاركة « للمدينة المنورة » في عدم دخول الطاعون لها ، ونقله جماعة من العلماء وأقروه ، آخرهم النووي[٤] ، لكنه دخلها في الطاعون العام سنة تسع وأربعين وسبعمائة .

[ص٢٢٦] قال الجلال السيوطي : « ويدل للمشاركة ما أخرجه أحمد بسند / جيد عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « المدينة ومكة محفوفتان بالملائكة ، على كل نقب منهما ملك ، لا يدخلهما الدجال ولا الطاعون »[٥] .

قال الشيخ علّان الصديقي[٦] في كتابه « مثير شوق الأنام »[٧] : « وقوله : فإن ثبت ؛ يدل على عدم ثبوته ، ففي « شفاء الغرام »[٨] في

(١) بياض في الأصل وأثبتناها من ص و ع .
(٢) الشَّرْج : مسيل الماء من الهضاب ونحوها إلى السهل . وشَرَج الوادي : منفسحه . انظر : المعجم الوسيط ١/٤٨٠ .
(٣) عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، من أئمة الأدب ومن كبار المصنفين (ت/٢٧٦هـ) . انظر : الزركلي ، الأعلام ٤/٢٨٠ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ٢/٢٤٦ .
(٤) يحيى بن شرف الدين بن مُري بن حسن النووي ، علاَّمة في الفقه والحديث (ت/٦٧٦هـ). انظر : الزركلي ، الأعلام ٩/١٨٤ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ٧/٢٧٨ .
(٥) رواه البخاري في الطب : باب ما يذكر في الطاعون (٥٧٣١) ؛ ومسلم في الحج (١٣٧٩) ؛ والترمذي في باب الفتن .
(٦) محمد بن علي بن محمد علّان بن إبراهيم الصديقي ، مفسر وعالم بالحديث ، من أهل مكة (ت/١٠٥٧هـ) . انظر : الزركلي الأعلام ٧/١٨٧ ؛ المحبي ، خلاصة الأثر ٤/١٨٤ – ٨٩ .
(٧) مثير شوق الأنام إلى حج بيت الله الحرام ، مطبوع .
(٨) شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، طبع بتحقيق عمر عبدالسلام تدمري ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٤٠٥هـ .

سنة تسع وأربعين و (سبعمائة ، كان الوباء)[١] الكثير « بمكة » ، ويفهم من كلام الحافظ ابن حجر في خاتمة كتابه الموضوع في الطاعون (أن عدّه فيما) ذكر قول من وصفه ، وعظّم شأنه ، والظاهر أن هذا الوصف تجوّز .

وأطلق الطاعون[٢] على الوباء [بسبب] وقوع الموت بكثرة لكل منهما ، وصاحب « شفاء الغرام » مؤرخ محقق أدرى[٣] بشأن الواقعات من غيره ، والوباء غير ممتنع ، إنَّما الممتنع الطاعون ، لأنه (قال فيه)[٤] صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « وخز أعدائكم الجن »[٥] وهو من الحسن بمكان ، هذا ما ذكره العلامة محمد بن علي بن علّان في شرح أذكار النووي[٦] ، وإلى نحوه أشار الحافظ ابن حجر في « فتح الباري »[٧] ، فعلى هذا يكون الحاصل في « مكة المشرفة » إنَّما هو الوباء ، ومن سماه طاعونًا ، فقد تجوَّز .

وفي هذا العام توفي صاحبنا الفقيه الأديب البليغ العلامة عبدالكريم بن حسين العتمي ثُمَّ الزبيدي ، هو أديب يعبث بدر البيان ، ويقوده بألين زمام البنان / ، الفصاحة أصغر صفاته . والبلاغة عفو [ص٢٢٧] خطواته ، يرضى [٧٦/ب] بعفو الطبع ، ويقنع بما يخف على السمع ، أخذ عن علماء زمانه ، ولازم شيخنا الحافظ عبدالرحمن بن سليمان مدة ، وأخذ عنه واستفاد منه ، ولازم القاضي العلامة محمد بن أحمد

(١) بياض في الأصل والزيادة من ص وفي ع : وسبعمائة وقع .
(٢) بياض في الأصل وأثبتناها من ص وسقطت من ع .
(٣) بياض في الأصل وأثبتناها من ص وفي ع : له معرفة .
(٤) بياض في الأصل وأثبتناها من ص وفي ع : في قوله .
(٥) رواه الإمام أحمد في المسند ٤/٣٩٥ .
(٦) اسم الكتاب : الفتوحات الربانية على الأذكار النووية ، طبع في القاهرة عام ١٣٥٨ هـ بعناية جمعية النشر والتأليف الأزهرية .
(٧) انظر : فتح الباري لابن حجر ١٠/١٩٠ – ١٩١ .

مشحم[١] وغيره، وله قصائد كثيرة مدونة بأيدي الناس، لو جمعت لجاءت في مجلد، وهو فيما أعتقد لا يساويه أحد من أهل زمانه في إجادة النظم، وأمَّا النثر فإجادته فيه دون إجادة النظم، وذلك بالنسبة إلى نظمه، وإلا فهو مجيد فيه، وبيني وبينه مطارحات في مسائل أدبية، وأخذت عنه بعض علوم الأدب، فمن مختار شعره:

نووا بالنوى فاستمطروا عَبَراتي … وأهل الغضا شبّوه في المهجات

(جفًا لم يكن في حسبتي)[٢] مذ هويتهم … وما كنت قد أخطأت في حسباتي

(ومن يك بالسمر اللدان) منعمًا[٣] … فإني جنيت المرّ من سمرات

(أسكان «نعمان العقيق»)[٤] أسلتم … بوادره سفحًا على وجناتي

(وما هو إلا أن رأيتم)[٥] بمفرقي … بياضًا فساءت عندكم حسناتي

(أمّا كنت ردفًا)[٦] في النصيف إذا دجا … دجا الصرف خدنا في ملا الخلوات

رويدكم[٦] حادي الركاب فإنّما … حملتم على كوم المطي حياتي

جزيتكم شكر الصنيع ولَمْ أقل … كما قالت الخنساء للشجرات

[ص٢٢٨] / وإني وإن كنت العريق حضارة … لأشغف حبًا في ظبا الفلوات

بدور خدور ما القصور منازل … ولا طلعت من هالة الحجرات

---

(١) محمد بن أحمد بن يحيى بن جار الله، من علماء اليمن الأدباء، تولى القضاء في أكثر من مكان باليمن، وله أكثر من خمسين مؤلفًا (ت/١١٨١هـ).
انظر: الشوكاني، البدر الطالع ٢/١٠٢؛ زبارة، نشر العرف ٢/٤١٢.

(٢) بياض في الأصل وأثبتناه من ص.

(٣) بياض في الأصل وأثبتناه من ص، وفي ع: فإن كان غيري صار.

(٤) بياض في الأصل وأثبتناه من ص، وفي ع: فإن كان من ماء العقيق.
ونعمان: اسم واد جنوب مكة المكرمة، والعقيق من أودية المدينة المنورة. انظر: الجاسر، المعجم الجغرافي، ٢/١٣٣٣؛ الهمداني، صفة جزيرة العرب، ٢٣٦.

(٥) بياض في الأصل وأثبتناه من ص، وفي ع: وإن لاح مني بياض.

(٦) بياض في الأصل وأثبتناه من ص و ع.

ولا خطرت والمرط يَمحو رسومها … تَمايل في ترب وبين لدات

على أنني أنسى الهوى إن تخطرت … نسيم الصبا مسكية النفحات

/يذكرني صحبي الألى[١] ورفاقتي … وأهل ووادي عمدتي وثقاتي [٧٧/أ]

تدار علينا أكؤس من فكاهة … ألذ وأشهى من جنى الوجنات

رعى الله أيامًا نعمت بقربها … نعمت بها والدهر في غفلات[٢]

قوله: «وأهل الغضا شبّوه» استخدام[٣]، وهو والتورية[٤] من أشرف أنواع البديع، حتى أفردهما صلاح الدين الصفدي بمؤلف سماه «فضُّ الختام عن التورية والاستخدام»[٥] وهو مأخوذ من قول البحتري:

فسقى الغضا والساكنيه وإن هم … شبوه بين جوانحي وضلوعي[٦]

وقوله: «أسكان نعمان العقيق أسلتم بوارده»: استخدام أيضًا، وهو مأخوذ من قول ابن نباتة[٧]:

إذا لم تفض عيني «العقيق» فلا رأت … منازله بالقرب تبهى وتبهر

وإن لَمْ تواصل عادة السفح مقلتي … فلا عادها عيش (بمعناه أخضر)[٨]

---

(١) الأصل: الأولى.

(٢) القصيدة من الطويل.

(٣) الاستخدام: هو أن يراد بلفظ له معنيان أحدهما، ثُمَّ يراد بضميره معناه الآخر. أو يراد بأحد ضميريه أحد المعنيين، ثُمَّ يراد بالضمير الآخر معناه الآخر.
انظر: زغلول، الألوان البديعة، ٩١.

(٤) التورية: وتسمى الإيهام، وسميت التورية بهذا الاسم لأن المتكلم بها يستر المعنى البعيد بالقريب.
انظر: زغلول، الألوان البديعية، ١٥.

(٥) فضُّ الختام عن التورية والاستخدام، تحقيق: د. المحمدي عبدالعزيز الحناوي، طبع عام ١٣٩٩هـ في دار الطباعة المحمدية بالقاهرة.

(٦) البيت من الكامل.

(٧) البيتان من الطويل.

(٨) بياض في الأصل وأثبتناها من ص وفي ع: فلا عاد هاتيك المنازل منظر.

[ص٢٢٩] وقد تيسر له الاستخدام في البيت الأول والثاني ، مع / الانسجام البديع، وسيلانهما(١) بالرقة، وهذان البيتان من قصيدة له نبوية(٢)، عارض بها قصيدة عمر بن (أبي ربيعة(٣))(٤) المسماة «قصب السكر» التي طالعها :

أمن آل نُعمٍ أنت غادٍ فمبكر ... غداة غدٍ أم رائح فمبكر(٥)

وشهرتها تغني عن إيراد شيء منها .

نعم ؛ ولما استقرت العمالة للشريف حسن بن بشير على تلك الجهات استوطن قرية « مور » ، وكان هو والشريف الحسين بن علي بن حيدر ؛ وهو إذ ذاك عامل من تحت نظر والده على « الزهراء » يحصل بينهما المشاجرة في مساقي الماء ، ورُبَّما طال في تلك المجرة ترديد الكلام ، وأفضى [في] بعض الأوقات إلى الخصام :

فإن النَّار بالزندين تورى ... وإن الحرب أوله كلام(٦)

[٧٧/ب] وفي أثناء ذلك يقع بينهما التوسط من أعيان الناس ، ولكن لَمْ يندمل ذلك الجرح بل لم يزل في انبجاس ، فانفتحت بينهما أبواب الفتنة ، وكل منهما مجد فيما يدفع به عن نفسه المحنة .

ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه(٧) ... يهدّم ومن لا يظلم الناس يظلم(٨)

ولم يزل الأمر في زيادة ، وكل منهما يغزو الآخر إلى أطراف بلاده ،

(١) بياض في الأصل وأثبتناها من ص ، وسقطت في ع .
(٢) ليس واضحًا من كلام المصنف المراد بالقصيدة النبوية ، ولعله مبالغة في غير محلها في وصف القصيدة .
(٣) عمر بن عبدالله بن أبي ربيعة المخزومي ، شاعر أموي تميز شعره بالرقة والغزل (ت/٩٣هـ) .
انظر : الزركلي ، الأعلام ٢١١/٥ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ١١١/٣ .
(٤) بياض في الأصل وأثبتناها من ص و ع .
(٥) البيت من الطويل .
(٦) البيت من الوافر .
(٧) الأصل : بسنانه ، والصواب من ديوان زهير بن أبي سلمى ، انظر : الديوان ، ١٢٤ .
(٨) البيت من الطويل ، وهو لزهير بن أبي سلمى ، انظر : الديوان ، ١٢٤ .

حتى دخلت سنة ثمان(١) / **وأربعين بعد المائتين والألف** ؛ بعث الأمير علي [ص٢٣٠] ابن مجثل طائفة من الجند رئيسهم رجل يسمى مريحًا ، وفي ظاهر الأمر ليتلافى القضية ، ويصلح الشأن ، ويكشف عن حقيقة الواقع ، ليتبين من (هو المعتدي على الآخر)(٢) ، وفي الباطن إمداد للشريف حسن بن بشير ؛ لأنهم يرون (أن ذلك الصلح قد طرأ) عليه التغيير .

(ولو علم الإنسان)(٢) ما هو كائن ... لعاش مدى الأيام وهو مصون

(ولكن قضاء)(٢) الله ستر محجب ... تَحار عقول عنده وظنون(٣)

(فلما وصل مريح)(٤) إلى أطراف بلاد الشريف اهتم بشأنه . وبعث ليعرب له (عن حاله)(٥) بعض أعوانه ، فألقى إلى ذلك الرسول أنه لا قصد له غير الإصلاح ، ولا يميل إلى غير سد هذا الرقع الذي لم يزل في انفساح ، وجعل بذلك مراقيم وثيقة ، ولم يستعمل فيها المجاز بل صرح بالحقيقة ، ولله القائل :

إذا لم تصن عرضًا ولَمْ تَخش خالقًا ... وتستحي مخلوقًا فما شئت فاصنع(٦)

فلما وصل إلى أطراف « الزهراء » وقد علم الشريف الحسين بما اتفق ، فما عامله بغير الجميل ، ولا قابله إلا بالتكريم والتبجيل ، ومع هذا فقد ظهر له منه [٧٨/أ] من الخلاف ما ظهر ، ولكنه / تغافل ، « والمؤمن [ص٢٣١] ثلثاه تغافل »(٧) كما جاء في الخبر .

وحسبكمُ هذا التفاوت بيننا ... وكل إناءٍ بالذي فيه ينضح(٨)

(١) الأصل : ثمانية .
(٢) بياض في الأصل وأثبتناها من ص و ع .
(٣) البيتان من الطويل .
(٤) بياض في الأصل وأثبتناه من ص ، وفي ع : ولما أن مريحًا يغزوا .
(٥) بياض في الأصل وأثبتناه من ص ، وفي ع : عن تطرق .
(٦) البيت من الطويل .
(٧) لم أجد هذا الخبر في كتب الحديث المشهورة ، ولعله قول أحد السلف .
(٨) البيت من الطويل .

ولما استقر بقرية « مور » ، دخل بوصوله على الشريف حسن بن بشير السرور ، وحين علم الشريف الحسين ما هم عليه خاطبهم بلسان الرسائل ، طمعًا في تسكين الدهماء كما هو شأن العاقل ، فما التفتوا إلى ذلك المقال ، بل قلبوا دست[١] الكلام ، وأنّ الشريف الحسين هو المعتدي في الفعال ، فحاكمهم إلى الشريعة الغراء ، ورأى أن ذلك أولى وأحرى ، حتى إن بعض علماء السادة بعث في هذه المجرة إليهم بمكتوب ، وما عاملوه بغير المغالطة التي هي عصًا يتوكأ عليها المبطل في كل مطلوب ، ولله القائل :

لهوى النفوس سريرة لا تعلم ... (عرضا رميت وخلت)[٢] أني أسلم[٣]

فحين علم الشريف الحسين أن قصدهم قتاله ، حاكمهم إلى (السيف البتار)[٤] ورأى أنَّ بسوى ذلك لا يندفع عنه به العار ، وأنشد لسان حاله (في هذا المقام)[٥] قول بعض أدباء الأنام :

السيف أصدق أنباء من الكتب ... في حده الحد بين الجد واللعب[٦]

[ص٢٣٢] / بيض الصفائح لا سود الصحائف في ... متونهن جلاء الشك والريب[٧]

وقد كان اجتمع لدى الشريف حسن بن بشير جماعة من أهل الخيل ، فعبأ هو ومريح الجنود ، ونشروا للقتال البنود ، وخرجوا من «مور» تزهو بهم بالخيلاء البقاع ، وقد عمهم السرور بما قد منّتهم به من بلوغ الآمال الأطماع ، ولله القائل :

(١) الدّست : اللباس ، وصدر المجلس ، ودست الوزارة : منصبها ، ودست اللعبة ، ويقال : فلان حسن الدست : شطرنجي ماهر . انظر : المعجم الوسيط ١/٢٨٢ .
(٢) بياض في الأصل وأثبتناه من ص ، وفي ع : عرضًا وخلت .
(٣) البيت من الكامل وهو للمتنبي ، انظر : الديوان ٤/١٢١ .
(٤) بياض في الأصل وأثبتناه من ص و ع .
(٥) بياض في الأصل وأثبتناه من ص ، وفي ع : ولله القائل .
(٦) بياض في الأصل وأثبتناها من ص و ع .
(٧) البيتان من البسيط والقائل : أبو تمام ، انظر : الديوان ١/٤٠ .

كم ضاحكٍ والمنايا فوق هامته ... لو كان يعلم غيبًا ماتَ من كمدِ

من كان لَمْ يعط غيبًا في بقاء غدٍ ... ماذا يفكره في رزق بعد غده[١]

[٧٨/ب] ولما بلغ مسامع الشريف الحسين الخبر . برز بمن عنده من الجند والخيل ، وهم جماعة قليلون لا يظن بهم قضاء الوطر ، فلما وصلوا بأطراف « وادي مور » في قرية يقال لها « اللِّجام »[٢] . نادت الداهية على أولئك صمي صمام ، لا خلف ولا قدام . ووقع ما وقع . وارتفع مرتفع[٣] ، واتضع من اتضع ، وانجلت المعركة عن ذهاب روح مريح في ذلك البراح ، وأنشد لسان الحال بين يدي الشريف الحسين بإفصاح . ليتحفه بالنوع الجديد من البديع المسمى دفع الجحود ، بلوازم الوجود :

وقائلة يا فارسَ الخيل هل ترى ... أبا ولدي عنه المنيةُ ولّت

فقلت لها لا علم لي غير أنني ... رأيت عليه المشرفيةَ سُلّتِ

(ودارت عليه الخيل)[٤] دورين بالقنا ... وحامت عليه الطير ثُمَّ تدلت[٥]

/ (فرجع الشريف الحسين إلى)[٦] « الزهراء » ، وقد محا عنه [ص٢٣٣] العار بلسان السيف ، ورجع (أولئك الجند إلى « مور » وهم)[٧] يستفهمون عن صورة الواقع بلِمَ وكيف ، ولله القائل :

(من اقتضى بسوى)[٨] الهندي حاجته ... أجاب كلَّ سؤالٍ عن هَلٍ بِلَمِ[٩]

(١) البيتان من البسيط .
(٢) لم أعثر على معلومات عن هذه القرية في المعجمات اليمنية .
(٣) هكذا في الأصل ولعلها : وارتفع من ارتفع .
(٤) بياض في الأصل وأثبتناها من ص و ع .
(٥) الأبيات من الطويل .
(٦) بياض في الأصل وأثبتناها من ص ، وفي ع : ورجع الشريف إلى .
(٧) بياض في الأصل وأثبتناها من ص ، وفي ع : وهم .
(٨) بياض في الأصل وأثبتناها من ص ، وفي ع : من لم يكفل سوى .
(٩) البيت من البسيط وهو للمتنبي ، انظر : الديوان ٤ / ١٦٠ .

(ورفع الشريف)[1] الحسين إلى والده بما اتفق ثَمَّ ، فعلم أنها « شنشنة ورثها من حيدرة[2] لا من أخزم »[3] .

وحين بلغ الأمير علي بن مجثل صورة الواقع ، لاحت له في الاستيلاء على تهامة بروق المطامع ، ولبس جلد النمر من الغضب ، ورأى أن هذا لنزوله أقوى سبب ، فلم يزل يجمع الجنود من مملكته من كل مكان ، ويعمل الحيلة فيما يبلغ به إلى هذا الشأن ، فانفصل بجنود كثيرة العدد ، مستصحبًا بما جمعه للقتال من العدد ، فلما وصل إلى مدينة « صبيا » نصب هنالك الخيام ، وأعلن بما يروم من مقصده للخاص والعام ، وكان شيخنا [٧٩/أ] السيد العلامة أحمد بن إدريس المغربي[4] هناك ، فاتفق أن حضر لديه الأمير علي بن مجثل في رؤساء جنده ، فأفاض عليه مراده ، فبذل له النصح في ترك القتال والميل إلى الصلح ، وأورد له الأحاديث الدالة على تعظيم أهل بيت النبوة ، وأورد له أفعال [ص٢٣٤] الملوك الماضية فيهم ، وما اتفق لهم بسبب ذلك من / المعاجلة بالعقوبة والزوال ، وأن من نوى فيهم بالشر رماه الله – تعالى – بالتمزيق والنكال ، وأطال له في هذه المجرة بصنوف ضرب الأمثلة المقال ، وكان معنى جوابه : أمَّا هؤلاء الأشراف ، ففضلهم غير منكور ، وإنَّما بمخالطتهم لجند الأتراك ، انسحب عليهم حكمهم لِمَادة الاشتراك ، فأجاب عليه : أن لا حجة في يديك لقتالهم ، لكنه لم يصغ سمعًا لمقاله ، ولم ير إلا المضي على ما هو السبب في ترحاله ، وأقول[5] :

(١) بياض في الأصل وأثبتناها من ع ، وفي ص : ورجع الشريف .
(٢) بياض في الأصل وأثبتناها من ص ، وفي ع : الحسين .
(٣) أصل المثل هكذا : شنشنة أعرفها من أخزم ، ويضرب به المثل في الشبه .
انظر : الزمخشري ، المستقصى ٢/١٣٤ .
(٤) ستأتي ترجمته كاملة في وفيات عام ١٢٥٣هـ . انظر أيضًا : عاكش ، حدائق الزهر ، ١١٩ – ١٣٤ ؛ الأهدل ، النفس اليماني ، ١٦٠ ؛ القنوجي ، أبجد العلوم ، ١٨٢ .
(٥) البيت من الرجز .

أوردها سعد وسعد مشتمل ما هكذا (تورد يا سعد الإبل)[1]

والمخالطة لمن هو مثل الأتراك لضرب من المصلحة قد (أجازه جمهور العلماء)[1] ، وفي هذه المسألة للعلماء مؤلفات ، ومن كان سليم الصدر ، فهو (يفتح لأخيه)[1] المؤمن أبواب التأويلات ، ولا يستلزم كونهم أعوانًا لهم ، وأجنادًا (لهم أنهم) يتخلقون بأخلاقهم ، أو يمشون في طرائقهم ، وهذا غير مخلص من الله (تعالى ، ولا)[1] يسوغ أن تنصب لهم العداوة المنجزة إلى القتال ، بذلك السبب الذي له في طرق التأويل مجال ، ويدخل بذلك في محاربة الله تعالى ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ؛ فإنه صحّ عنه صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال : « أنا سلم لمن سالمتم حرب لمن حاربتم »[2] / يشير إلى أهل بيته عليهم السلام ، ومن [ص٢٣٥] كان حرباً لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فهو محارب لله سبحانه بلا شك[3]، ولكن هيهات [٧٩ /ب] أن يقبل الأمير منهم والمأمور قول نصيح ، أو يميلون إلى كلام عالم أعجمي أو فصيح ، وذلك أنه قد انتقش في أذهانهم ، كلام من يدعي العلم من أصحابهم ، مع أن ذلك العلم بالجهل مغشوش ، وقد جعلوا فتاويهم العاطلة عن الدليل باستباحة دماء المسلمين وأموالهم بازيًا يصطادون به الدرهم المنقوش ، ولله القائل :

عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى وبالمشتري دنياه بالدين أعجب
وأخيب من هذا من ابتاع دينه بدين سواه فهو من دين أخيب[4]

وقد صدق عليهم الحديث وهو قوله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « إنّ الله لا ينتزع العلم انتزاعًا بعد أن يهبه ، بل ينزعه بموت العلماء ، فإذا لم يُبْقِ عالمًا اتخذ النَّاس (رؤساء جهالاً فاستفتوهم)[5] ، فيفتون بغير علم

(١) بياض في الأصل وأثبتناها من ص وع .
(٢) رواه الترمذي في المناقب : باب ما جاء في فضل فاطمة (٣٩٦٥) ؛ وابن ماجة في المقدمة : باب فضل الحسن والحسين (١٤٥) ؛ وأحمد في المسند ٢/٤٤٢ .
(٣) هذا الجزم غير صحيح ، فالحديث الذي ساقه إنما هو في حق معينين ، وتنزيله مع كل من يتصل بنسب آل البيت لتكون حرب أحد منهم حربًا للرسول ﷺ ، تنزيل باطل. ثم إن هذه الحرب شارك فيها أناس من الأشراف كذلك مع جند السراة ، فأي الفريقين سينزل عليه الحديث من وجهة نظر المؤلف .
(٤) البيتان من الطويل .
(٥) بياض في الأصل وأثبتناها من ص و ع .

فيَضلِون ويُضلِون »(١) أو كما قال صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

نعم)(٢) فعزم الأمير على وصول « أبي عريش » ، ولما بلغ (الشريف الخبر أحرق المدينة)(٣) العريشية ، وجمع الأجناد الذين لديه ، وملأ بهم تلك البقاع ، / (واجتاز أهل المدينة إلى)(٣) السور الذي على « الديرة » [ص٢٣٦] وعلى الله - سبحانه - الدفاع ، وقد كان (انضاف إلى الأمير أشراف)(٤) قرية « البيض »(٥) على سبيل المداراة فيما يظهر ، والله أعلم بما أعلنه (المرء وما أسر)(٦) ، ولله القائل :

ما دمتَ حيّاً فدار الناس كلَّهم ... فإنَّما أنت في دار المداراتِ

من يدرِ دارى ومن لم يدر سوف يُرى ... عما قريب حليفًا للنداماتِ(٧)

وميلاً منهم إلى المصانعة ؛ التي فيها مدافعة عن الشر أي (مدافعة ، وقد)(٨) قال زهير بن أبي سلمى(٩) في معلقته :

ومن لَمْ يصانعْ في أمور كثيرة ... يضرس بأنيابٍ ويوطأ بمنسمِ(١٠)

وطرح الأمير غربي « أبي عريش » ، فأطلق عليهم أجناد الشريف

(١) رواه البخاري في العلم : باب كيف يقبض العلم (١٠٠) ، وفي الاعتصام : باب ما يذكر في ذم الرأي (٧٣٠٧) ؛ ومسلم في العلم (٢٦٧٣) .
(٢) بياض في الأصل وأثبتناها من ص و ع .
(٣) بياض في الأصل وأثبتناها من ص ، وفي ع : ومر بهم إلى .
(٤) بياض في الأصل وأثبتناها من ص ، وفي ع : الأشراف خرجوا إلى جهة .
(٥) البيض : قرية على ضفة وادي جازان الشمالية .
انظر : العقيلي ، المعجم الجغرافي ، ٨٤ ؛ الجاسر ، المعجم الجغرافي ، ١/١٨٦ .
(٦) بياض في الأصل وأثبتناها من ص ، وفي ع : وأسر .
(٧) البيتان من البسيط .
(٨) بياض في الأصل وأثبتناها من ص و ع .
(٩) زهير بن أبي سلمى بن ربيعة بن رياح المزني، حكيم الشعراء في الجاهليَّة (ت/١٣ ق.هـ).
انظر : الزركلي ، الأعلام ، ٣/٨٧ ؛ ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ١/٨٦ .
(١٠) البيت من الطويل ، انظر : الديوان ، ١٢٢ .

(١) المدافع وجرعوهم بذلك في البكر والعشايا السم الناقع ، وفي بعض أيام الحصار عبأ الأمير الجنود ، وقسَّم عليهم البيارق ، وأمرهم بالإقدام على أولئك الأقوام ، وإرسال ما في أجواف البنادق ، فرجعوا إلى ساحة « أبي عريش » حيث مجرى العوالي ومجرى الجياد ، وصدق بين الفريقين هنالك الجلاد ، وهلكت بذلك الحرب عوالم ، واصطدمت جماجم ، وكان ذلك يومَ عُبوس ، ذكر بحرب « داحس والبسوس »(٢) ، وقد كاد الجند الشامي أن يستولي على تلك القلاع ، وبعضها دُخِلَت ، ولكن حال عن تمام المقصود كل سيف قطاع .

وحينئذ برز إلى ظاهر البلد / ملاعب الأسنة والصوارم ، [ص٢٣٧] والأسد الكاشر الضيارم ، علي بن حيدر ، في عصابة من عشيرته لهاميم الحرب ، وشطار الطعن والضرب ، وقد كان خرج من أصحاب الأمير كثير من أهل الخيل ، وفيهم من فرسان قحطان أسود النزال جماعة ، فقابلهم الشريف في سبعة نفر من أولاده وأتباعه ، وجال في تلك الساحة بهم ، فجرّع أولئك الخيالة (كؤوس الردى)(٣) ساعة بعد ساعة ، وحياهم بحد المشرفي وأطراف القنا ، (وأرسل عنان فرسه كل عناء)(٤) . وأبان الشريف علي بن حيدر عن شجاعة جده علي بن أبي طالب (يوم الأحزاب ، وانفرد)(٤) مثله بحسن الأحدوثة عند لقاء كثير من فرسان الخيل بالطعن والضراب .

والناس ألف منهم كواحد ... وواحد كالألف إن أمر(٥) عنا(٦)

(١) من بداية القوس هنا إلى نهايته في صفحة (٣٢٣) مفقود في الأصل وأكمل من ص و ع.
(٢) داحس والبسوس : حربان منفصلتان في الجاهليَّة ، فهناك حرب داحس والغبراء بين عبس وذبيان ، وأحداثها مبسوطة في كتب التاريخ والأدب ، انظر : ابن الأثير ، الكامل ١/٣٤٣ - ٣٥٥ ، وهناك حرب البسوس بين بكر وتغلب ، وهي أيضًا مبسوطة في كتب التاريخ والأدب ، انظر : ابن الأثير ، الكامل ١/٣١٢ - ٣٢٤ .
(٣) ع : السم الناقع .
(٤) سقطت في ع وكتب مكانها : بياض بالأصل .
(٥) ص : أمرأ .
(٦) البيت من الرجز .

وطال ما بين الرعيلين التشاجر بأطراف الرماح ، والتصافح بأكف الصفاح ، وانتهى الأمر أن قهرت بآخر المعركة العصابة الحسنية ، وتولت طائفة الخيل النجدية[1] :

وأبرق[2] الصبح يبدو قبل أبيضه ... وأول الغيث قطر ثُمَّ ينسكب[3]

ناهيك أنه لم ينج من العطب ، إلا من سعد بخته بالهرب ، ولما وصلوا إلى مطرحهم وهم ما بين قتيل وجريح ، وداعي الردى بين خيامهم [ص٢٣٨] يصيح ، وبات الأمير في « ليلة نابغية ، وأحزان/ يعقوبية» : لأنه تحقق أنها قد انكسرت سورة الأجناد ، ومع الحاصل فيهم لا يبلغ بهم المراد ، وطلبوا المشورة بينهم في ترميم الصلح والإياب على ما بهم من قرح ، فبينما هم في هذا يخوضون ، وعلى مشورتهم يتلاومون ، إذ طرقهم خبر جماعة من الأتراك قائدهم رجل يسمى تركي بن الماس[4] ، قد خلع طاعة مخدومه محمد علي باشا ، وهو متوجه إلى اليمن متصاعد الأنفاس ، فوقع مع الأمير وأصحابه الإشكال في مطلوبه ، فأرسلوا من يكشف خبره وكلَّفوا لذلك بمركوبه ، ولما وصلوا إليه أخبرهم أنه للأمير معين ، وأن قصده بعد

---

(١) يقصد المؤلف قوات علي بن مجثل .

(٢) الأصل و ص : وإن برق ، والتعديل من المحقق .

(٣) البيت من البسيط .

(٤) تركي بيلمز هو لقب قائد ثورة الجنود غير النظاميين في الحجاز ، واسمه الحقيقي محمد أغا ، وقد قام بثورته ضد محمد علي باشا في مطلع ١٢٤٨هـ ، بسبب تأخر مرتبات الجنود لمدة تزيد على عشرة أشهر بسبب انشغال محمد علي في حروب الشام ، وقد مرت الثورة بعدة مراحل في جدة ومكة والمدينة المنورة ، وزاد في حدتها تشجيع السلطان محمود الثاني للثوار ضد محمد علي باشا ، وعندما أرسل محمد علي باشا قوة ضخمة بقيادة أحمد باشا يكن نقل قادة الثورة حركتهم باتجاه اليمن نظرًا لخبرتهم بالمنطقة أثناء حروب محمد علي باشا ضد عسير ، وقد تصادق تركي بيلمز مع علي بن مجثل مؤقتًا وسيطر على الساحل اليمني إلى المخا ، ولما ظهرت منه أفعال تدل على فساده وعدم انضباطه قام علي بن مجثل بقيادة قوة من عسير تمكنت من مهاجمة تركي بيلمز وقواته في المخا ، وقضى عليهم ، وفر تركي بيلمز وبعض أعوانه على ظهر باخرة إنجليزية إلى بومباي ثُمَّ إلى البصرة ، حيث واصل نشاطه المضاد من هنا .
انظر : عبدالرحيم ، محمد علي وشبه الجزيرة العربيَّة ٢/١٧١ - ١٩١ ؛ أباظة ، الحكم العثماني في اليمن ، ٣٩ ؛ Play fair , Arabia Felix , 141 - 144 .

إعانته التوجه إلى اليمن بيقين ، ويطلب الموافقة على هذا المرام ، وأنهما يكونان أعوانًا[1] على ما هم بصدده مدى الأيام ، وكان معه جماعة من العسكر التركية أهل البسالة ، وصحبته عدة من المدافع وجماعة من الخيالة ، فلما سمع الأجناد الذي عند الشريف بقدومه والوصول ، حل بهم الوجل الذي تعذر معه القرار والحلول ، ورأوا أن لا طاقة لهم على مقابلة هذا الرجل[2] :

ولا لوم فيما لا يطاق وإنَّما ... يلام الفتى في المستطاع من الأمر[3]

فثبتهم الشريف وهوّن عليهم المراد ؛ فما نفع فيهم المقال ، ولا انتقش لهم ذلك الخطاب في خيال ، ولله - سبحانه - حكمة فيما يجري [ص٢٣٩] من الأفعال / والأقوال :

ولله في طيّ المقادير حكمة ... تَدِقُّ فعن إدراكها العقل يحجب[4][5]

فما كان من الشريف إلا إلزامهم[6] بالاستكانة والصبر ، حتى تقع المفاوضة بينه وبين الأمير في الصلح على أحسن أمر ، فبعد اللتيا والتي أسعدوا بالمراد ، فانتظم الحال على الصلح وهو على مضض ، والأقدار تجري بخلاف قصد المراد ، ولله القائل :

وإذا شَهِدت الكائنات بقول كن ... شاهدت كل الحادثات ملاحا[7]

وبعد ذلك خرج الشريف إلى مخيم الأمير ، وقرروا القواعد فيما بينهم وأكدوها بالعهد خشية من التغيير[8] ، وركب الجند (الذي من

---

(١) ص : أعوان .

(٢) كتب في ع بعد هذه الكلمة : ولله القائل من الأوائل .

(٣) البيت من الطويل .

(٤) الأصل و ص : محجوب ، والتعديل من المحقق ليستقيم الوزن .

(٥) البيت من الطويل .

(٦) ص : التزامهم .

(٧) البيت من الكامل .

(٨) الشروط والقواعد التي تم الاتفاق عليها هي :
١ - تسليم المدينة صلحًا إلى الأمير علي بن مجثل .

طريق محمد علي باشا عند الشريف البحر)[1] ، وكان ذلك في هذه الحادثة نهاية الأمر ، وأقام الأمير عائضًا[2] في قلعة « دار النصر » « بأبي عريش » ، وفي قواعدهم أن ذلك مدة يسيرة ريثما تسكن الأمور عن التربيش ، وبعد ذلك طوى الأمير علي بن مجثل خيامه وارتحل ، وقد قضى ممًّا قصده غاية الأمل ، ولله در القائل[3] :

تأمّل القَدَر المحتوم وَارْضَ بِهِ ... فإنَّما وَزَن الدنيا بميزان
يظل يزداد فيها كل منتقص ... (علا ويهبط فيها كل رجحان)[4]

وتوجه تركي بن الماس هو وأصحابه إلى اليمن ، وأطاروا من أعين [ص٢٤٠] أهله بجورهم / الوسن ، وقد كان عاملاً في اليمن كله السيد الماجد دريب ابن عبدالله[5] من جهة إمام « صنعاء » عبدالله بن أحمد الملقب « المهدي »، فاستسلم عليه المذكور خلعة الإمارة[6] بشفا الصفاح ، وأطراف الرماح ،

= ٢ - خروج الحامية التركية الموجودة في أبو عريش إلى الحجاز واستبدالها بحامية عسيرية .
٣ - بقاء الأمير علي بن حيدر في الإمارة كنائب لأمير عسير .
انظر : النعمي ، تاريخ عسير ، ١٨٢ : العقيلي ، تاريخ المخلاف السليماني ٥٠٨/١ .

(١) ع : الذي عند الشريف من طريق محمد علي باشا البحر .
(٢) عائض بن مرعي ، ولد يتيمًا إذ كان أبوه قد قتل عام ١٢١٣هـ في بيشة أثناء محاولة رد القوات السعودية عن عسير ، احتضنه أمير عسير آنذاك ابن عمه محمد بن أحمد اليزيدي ثُمَّ انتقل إلى رعاية الأمير سعيد بن مسلط أمير عسير (١٢٣٩ - ١٢٤٢هـ) فنشأ في بيوت الإمارة ، وفي جو مليء بالأحداث والحروب ، فاستفاد من ذلك الخبرة والتجرية السياسية والقتالية ، شارك سعيد بن مسلط وعلي بن مجثل في أثناء حكم كل منهما ، وكان من أبرز القادة العسيريين ، تولى الإمارة بعد وفاة علي بن مجثل سنة ١٢٤٩هـ .
انظر : الحفظي ، تاريخ عسير ، ٨٨ ؛ عاكش ، الدر الثمين ، ٢٨ ؛ حمزة ، قلب جزيرة العرب ، ٣٥٤ .
(٣) البيتان من البسيط ، وهما للتهامي ، انظر : الغيث المسجم للصفدي ٢٨٦/٢ .
(٤) سقطت من ع وكتب مكانها : بياض بالأصل .
(٥) لم أعثر له على ترجمة .
(٦) هكذا في ص ولعله يريد أن يقول : فاستلم منه المذكور خلعة الإمارة .

وتسلطن بالجبروت ومعاملة الرعايا بالأمور القباح ، واستباح جميع تلك الممالك ، وسلك من السيرة بأهلها أخبث المسالك ، ولم يزل على تلك الحالة وهو مقيم ، والرعايا يمدون أكف الدعاء في كل صباح وعتيم . فقد قيل :

أتهزأ بالدعاء وتزدريه ... وما يدريك ما صنع الدعاءُ
سهام الليل لا تخطي ولكن ... لها أمد وللأمد انقضاءُ[1]

وقد علم الله سبحانه وتعالى المصلحة في ذلك فإنه العدل الحكيم ، فما لنا والاشتغال بما طوي عنا علمه ، فسبيلنا الإذعان والتسليم ، ولله درّ من يقول :

يا من تفكر في الدنيا وشغلتها ... شغلت أنت بأفكار وأشغال
دع المقادير تَجري في أعنتها ... ولا تبيتن إلا خالي البال
ما بين غمضة عين وانتباهتها ... يقلب الدهر من حال إلى حال
لا يعجز الله عن أمر يدبره ... رفع الوضيع وهدم الشامخ العالي[2]

ولَمْ تزل الكتب تتواتر من الأمير علي بن مجثل لطلب شيء من المال ، فحصّل له / المذكور حصة وافرة يطيب بها الحال ، وهكذا شأن [ص٢٤١] غالب الناس ، وقد عبر عن هذا الواقع من قال :

فلو عقل الدينارُ صلّوا لأجله ... وصاموا وقالوا أنت ربُّ العوالِمِ[3]

(وهو مع ذلك لا يأتمر بما جاء من الأمير ، بل يعامل مقاصده بالمخالفة من غير خوف نكير ، حتى كان خاتمة الأمر أرسل إليه أن يوصل إلى حضرته السيد دريب ؛ لأنه قد كان في أسرهم بعد تلك القلاقل عليه

(١) البيتان من الوافر .
(٢) الأبيات من البسيط .
(٣) البيت من الطويل . واستدلال المصنف بهذا البيت لا يليق بمؤرخ ينتسب للعلم أن يتهم الناس في نياتهم مثل هذه التهم العظيمة ، وينزل الأمثال والأقوال عليهم بأعيانهم ويتدخل في سرائرهم ، ومبعث ذلك التعصب المكاني والفكري ، خاصة إذا علم أن علي ابن مجثل حينما لم يرتض سيرة تركي بيلمز هاجمه هو وجنوده وقضى عليهم واضطره للفرار من المكان إلى خارج المنطقة بعيدًا . انظر التعليق (٤) من الصفحة (٢٩٨) وانظر كلام المؤلف نفسه ص (٣٠٧) .

فأوصلوه إلى « الحديدة » ، وقتلوه - رحمه الله تعالى - وفاز بالشهادة ، وقد كان سيدًا ماجدًا ذا كرم ومروءة تامة رحمه الله تعالى ، ولله در القائل :

نحاذرُ أحداث الليالي وقلَّ ما خلا من توقيهن قلب لبيب)[1]
ونرتاب بالأيام عند سكونها وما ارتاب بالأيام غير مريب
وما الدهر في حال السكون بساكن ولكنه مستجمع لوثوب[2]

وفي **شهر جمادى الآخرة** من هذه السنة : رمي بالنجوم وماجت وتطايرت ، ودام ذلك إلى قريب الفجر ، وشاهد الناس في تلك الليلة عجائب ، فسبحان القادر على كل شيء ، وقد ذكر العلامة العامري في « غربال الزمان » في عام تسعة وتسعين وخمسمائة وقوع مثل ذلك ثُمَّ قال : « ولم يعهد هذا إلا زمان ظهور النبي صَلَّى اللَّه عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ » انتهى .

[ص٢٤٢] وقد ذكر بعض العلماء المفسرين عند الكلام على قوله تعالى / : ﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ ﴾[3] ما لفظه : الآية فيها أنه إذا حصل في العالم تغير غير معتاد دلَّ على أنه مقدمة لحادث ، وقد جرى مثل هذا في مثل النجوم ذوات الأذناب ، ولا ينافي هذا قوله - صَلَّى اللَّه عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - في الشمس والقمر : « لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته »[4] أو كما قال صَلَّى اللَّه عَلَيهِ وَآلِهِ

(١) ما بين القوسين من الصفحة السابقة إلى هنا ساقط في ع وكتب مكانها : بياض بالأصل وقضت عليها دابة الأرض على جمل منها ومنها هذه الأبيات .
(٢) الأبيات من الطويل ، وهي لصالح بن صالح التشتريني . انظر : الغيث المسجم للصفدي ٣٣٩/٢ .
(٣) سورة الجن ، الآية ١٠ .
(٤) رواه البخاري في الكسوف : باب الصلاة في كسوف الشمس (١٠٤٣) ، وباب الدعاء في الخوف (١٠٦٠) ؛ ومسلم في الكسوف (٩١٥) .

وَسَلَّمَ ؛ لأنه إنَّما نفى أمرًا خاصًا ؛ ألا ترى قوله[1] : « إنهما آيتان من آيات الله يخوف الله بهما عباده » ؛ فالتخويف إنَّما يكون عند لزوم حادث عادي ، انتهى .

([2] **وفيها** : في شهر شعبان كانت وفاة الوالد القاضي العلامة عبدالرحمن بن أحمد بن حسن البهكلي ، هو شيخنا الحافظ القدوة ، قد انعقد الإجماع على غزارة علمه ، وانفراده بالفضل على كل مبرز بألمعيته وفهمه ، لَمْ ينكر فضله الجم إلا مكابر ، ولا غض في شأنه قرين ولا معاصر ، مولده - رحمه الله تعالى - بمدينة « صبيا » عام اثنين وثمانين بعد المائة والألف ، وربا في حجر والده أحمد ، ولم يزل يهديه إلى الطريق الأحمد ، وأخذ عنه في بعض المختصرات ، ولازم سيدي الوالد - رحمه الله تعالى - مدة طويلة ، يرتشف من معين علومه ، ويعتصر من صائبات فهومه ، حتى برع في الفقه والنحو والأصول .

وارتحل [إلى] مدينة « صنعاء » / وقرأ على مجدد زمانه السيد [ص٢٤٣] الإمام عبدالقادر بن أحمد الكوكباني ، وغيره من علماء « صنعاء » ولازم شيخنا البدر الشوكاني ، والسيد المحقق علي بن عبدالله الجلال[3] ، وأخذ عن السيد الحافظ عبدالله بن محمد الأمير ، وتبحر في جميع العلوم وفاق الأقران ، وصار المشار إليه في تحقيق المعارف بالبنان ، واشتهر صيته بالتحقيق ، وسار بذكره الركبان ، وآخر مدته اشتغل بالسنة النبوية ودرسها ، حتى صار له القدم

(١) ص : قال .
(٢) من هنا إلى نهاية القوس في ص (٣٠٧) ساقط في ع .
(٣) علي بن عبدالله بن أحمد الجلال ، من علماء صنعاء المشهورين وتولى بها القضاء (ت/١٢٢٥هـ) .
انظر : الشوكاني ، البدر الطالع ٤٦٩/١ ؛ زبارة ، نيل الوطر ١٤٥/٢ .

الراسخ(١) فيها ، واعتنى بالتفسير وبرع فيه ، ابتدأ في شرح على « المجتبى » للحافظ النسائي سماه « تيسير اليسرى شرح المجتبى من السنن الكبرى »(٢)، وقد طالعت بعضه فوجدته في غاية التحرير والإتقان، بلغ فيه إلى قريب الحج وعاقه عن إتمامه الحمام ، يسر الله على يد المتأهلين كماله ، وله « مرقات الثقات بمعرفة طبقات رجال الأمهات »(٣) أطلعني - رحمه الله تعالى - على قطعة منه وهو مفيد في بابه ، وله « الأفاويق الهامية بتراجم البخاري والتعاليق »(٣) ، وله رسائل جمة وفوائد مهمة .

ولما ترقيت إلى سن الطلب ، وتأهلت لترقي العلم ارتحلت إليه ، ولازمته مدة وأخذت عنه في كثير من العلوم ، وبعنايته ارتشفت كؤوس المنطوق والمفهوم ؛ لأنه كان نادرة أهل/ عصره في الذكاء وإيراد اللطائف ، [ص٢٤٤] مع النقادة التامة لما يرد من الأبحاث ، وكان من صفته أن من ورد إليه ممن ينتسب إلى العلم لا يتركه من المذاكرة لاختبار(٤) حاصله من العلم ، ويعطي كل مُجالِس حقه من الإرشاد ، ويورد الإشكالات على من حضر لديه ، فمن فتح الله عليه أجاب ، وإن لم يهتد لذلك قام بحل الإشكال على طريق الصواب ، وكان له الإنعام التام على الوافدين إليه من الطلبة والأرحام ، والمحبين من الأنام ؛ لأنه تولى القضاء في « بيت الفقيه ابن العجيل » من طريق إمام « صنعاء » في زمانه علي بن العباس ، الملقب

(١) هكذا وردت ، وفيها خطأ لغوي لأن القدم مؤنثه كما نص عليها الفيروزآبادي حيث قال: وهي الرجل ، مؤنثة ، وقول الجوهري : واحد الأقدام : سهو ، صوابه : واحدة جمع أقدام ، والصواب أن يكون النعت : الراسخة .
انظر : القاموس المحيط ، ولسان العرب ، مادة : قدم .

(٢) توجد منه نسخة مخطوطة في ثلاثة مجلدات بالمكتبة الغربية بجامع صنعاء الكبير ، رقم ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ حديث . انظر : الحبشي ، مصادر الفكر العربي الإسلامي ، ٧٠ .

(٣) لم أعثر على معلومات بشأنه .

(٤) ص : والاختبار ، ولا يستقيم بذلك السياق .

المنصور بالله ، عام اثني عشر بعد المائتين والألف ، واستمر على ذلك إلى أن مات ؛ فقام بوظائف العدل ، ولعمري إنه جمّل منصب القضاء ، ولم يتجمل به ، وكان منهلاً لكل وارد من أهل هذه الجهات ، ويبذل المستطاع في غالب الأوقات .

ليس العطاء من الفضول سماحةً ... حتى تَجود وما لديك قليل(١)

وفي آخر مدته استدعاه من يظنه صديقًا ، وجعل له في مشروب سمّاً ، وحصل له من ذلك غاية الضرر ، ولاطفه الله تعالى . وإنَّما سرى فيه الضعف الموجب لعدم الحركة / من يومئذٍ إلى أن توفاه الله سبحانه ، [ص٢٤٥] وكانت له اليد الطولى في البلاغة ، فمما قاله مورِّيًا في هذه المتفقة :

سألت الناس هل سَمَّى طبيبي ... لعلتي التي أضنته ممَّا
وما النوع الذي أضنى عظامي ... وقد وهنت فقال الناس سمَّا(٢)

وطلب مني إجازة ذلك فقلت :

وشخص كاشح للخبث آتٍ ... وعن طُرق الصواب تراه أعمى
رمى حبر العلوم بداءِ سُقْمٍ ... فضر الناس لَمَّا حلَّ جسما
خصيصًا بالطبيب سألت يومًا ... أهل سمى لداءٍ قال سمّا(٢)

ومما له ، وفيه الجناس المركب :

حنيني إليكم لا على الجرع واللوى ... وشوقي إليكم لا بدار الأجارع
ذكرت ليالي وصلكم وادّكاره ... تأجج نارًا في الحشى والأضالع
فليت زمانًا كان للوصل جامعًا ... يؤوب بهاتيك الليالي الجوامع

(١) البيت من الكامل .

(٢) الأبيات من الوافر .

ليالي منها للتلاقي مسرة   ولا واحد منا يقول الجوى معي[1]

وأشعاره كثيرة ما بين غزليات ومدائح وغيرها ، لو جمعت لجاءت في مجلد ، وهو مجيد في النظم والنثر ، وإجادته في النثر أقوى من إجادته في النظم ، وإن كان في كل منهما مجيدًا . ممَّا كتبه إليَّ مهنئًا :

[ص٢٤٦] / لقد أكثر الناس التهاني ووسعوا   طرائقها في كل ضرب وقافيه

وطوراً يَجوبون العروض لينجدوا   إلى كلمات للبلاغات قافيه

ولكنها إن لَم تكن في الذي لها   به الفخر ما كانت لدى القوم وافيه

وأمَّا إذا كانت لبدر العلا الذي   تجمّع فيه الفضل من كل ناحيه

بعلم وآداب حواها وما نرى   فريقًا له في المكرمات كما هيه

فتلك التي يعنى بها كل ناطق   وتصدح ذات الطوق فيها علانيه

نهنيك يا كفو التهاني عن يد   صعودك برج الشمس بيضاء ناقيه

دنوت إليها تقهر النور بالسنا   وما قيل إن الشمس صفراء دانيه[2]

وأتبعها بنثر بديع تركت إيراده اختصاراً ، وهذا جوابي :

أتت تتمشى في الطِّراس[3] علانيه   خريدة فكر بالبدائع جاليه

تدلت لها زهر النجوم فنفّضت   عليها سناها فهي من ذاك باهيه

وقد سلبت معنى الرياض لأنها   حوت لفنون الزهر من كل ناحيه

وقالوا أشعّت نسمة الصبح إنها   أرادت تحاكي لطفها وهي ساريه

بمنظرها الغيد الغواني تسابقت   فتلك لأمراض اللواحظ شافيه

وقد قال لي البدر المنير شقيقها   فما بال هذي الشمس حمراء طافيه[4]

---

(١) الأبيات من الطويل .

(٢) القصيدة من الطويل .

(٣) الطِّرس : الصحيفة ، وتجمع : طروس وأطراس .
انظر : المعجم الوسيط ٢/٥٦١ .

(٤) طفَّ الشيء - طَفًّا : طفا وارتفع ، والشمس : دنت للغروب .
انظر : المعجم الوسيط ٢/٥٦٥ .

فقلت له لما غدت ضرة لها   تغير منها لونها فهي ذاويه

أبن لي إمام العصر ماذا بعثت لي   فإن قلت سحرًا قال لي الناس قافيه

/ وقد لعبت بالناس صهباء حسنها   فأفكارهم في الحال سكرى [و] صاحيه [ص٢٤٧]

وما ارتكبوا عن جهلهم بمقامها   وقد عرفوا تلك الرؤوس الثمانيه

ولكنها قد أعجزت كل ناظم   فآياتها للنظم والنثر ماحيه

اخاتِمَة الحفاظ نفسي لك الفدا   ولا زلت في فضل وخير وعافيه

بعثت إلينا بالتهاني وإنني   لأحقر عن تلك التهاني مقاميه[1]

والمراد بالرؤوس الثمانية المعروفة في علم المنطق التي هي مبادئ العلوم كما لا يخفى على متطلع ، وقد كتبت إليه قصيدة عينية طويلة ، ووقع منه جواب طويل بديع أثبتُّ ذلك في « حدائق الزهر »[2] ، ورثاه جماعة ، وقلت فيه مرثاة[3] ، ولولا أن الترجمة قد طالت لأوردت شيئًا ممَّا قيل ، والله يغفر لنا وله ، ويرحمنا وإياه ، ويلحقنا به صالحين آمين)[4] .

السنة التاسعة والأربعون بعد المائتين والألف: فيها عزم الأمير علي ابن مجثل على انتزاع اليمن من أيدي تركي بن الماس وأصحابه ، وأراد أن يكون مضافًا إلى ما تحت يده من البلاد ، وذلك أنه كثرت إليه الشكايات من رعايا اليمن ، ممَّا حصل عليهم من الظلامات ، ورفع إليه علماء اليمن بأنك أنت السبب في إدخالهم اليمن ، فلا براءة لك من الله - تعالى - إلا بإخراجهم / ومناجزتهم ، فلما رأى أن الأمر متضيق عليه توجه إلى تلك [ص٢٤٨]

---

(١) القصيدة من الطويل .

(٢) انظر : حدائق الزهر ، ص ٨٦ - ٩٠ ، وفيه القصيدتان التي أشار إليهما المؤلف .

(٣) توجد القصيدة التي رثاه بها في حدائق الزهر ، ص ٩١ ، ومطلعها :
دها الخطب الذي أجرى الدموعا   وصيّر دمع أجفاني نجيعا

(٤) سقط ما بين القوسين من ص (٣٠٣) إلى هنا من ع .

الديار بجيش جرار ، ولم يلق في طريقه كيدًا حتى « زبيد »، فتحصن الأتراك بتلك (القلعة ، وبذلوا الجهد في الدفاع لأنهم أهل قوّة ومنعة)[1]، ولكن كان منتهى الأمر أن استولى عليهم الأمير ، وأخذ عليهم ما تحت أيديهم من نقير وقطمير ، ما طار طير وارتفع ، إلا كما طار وقع » ، ولله القائل :

كما يَدينُ الفتى يُدانُ   حَقا بميزانه يُزان[2]

وبعد ذلك توجه الأمير إلى « المخا »[3] ، وقد هب له ريح النصر رخاء ، وكان تركي بذلك الحرب يوم الجمعة ثاني شعبان به مقيمًا ، فلم يترك حيلة فيما يقع به الدفاع ، ولكن سبق القضاء بما سبق ، وكل تدبير عند حلول المقادير في ضياع ، فكانت الدائرة عليه وعلى أصحابه ، وحصل في الفريقين قتل ذريع ، وأغلبهم من جند الأمير ، ولكن لذة الغلبة هوّنت عليه ذلك الخطب الخطير ، فبعض أولئك القوم بعد ذلك الحادث الذي حيّر الأفكار طلب من الأمير الأمان ، فوقع في الذلة والصغار ، وأمّا [ص٢٤٩] تركي فتحصن بمركب كان في البحر الزخار / وذفّ بجناحيه ذلك الغراب ، حتى غيبه البحر العباب ، وكان ذلك لنجاته أحد الأسباب ، وانتهت مملكته لهذه الديار ، وانقطعت عن منتهى سيره الأخبار[4] ، ولله در القائل لمن كان ذا اعتبار :

(١) ع : الأبراج وما قصروا في الدفاع .
(٢) البيت من مجزوء الرجز .
(٣) مدينة مشهورة على ساحل البحر الأحمر غرب تعز بمسافة ٩٤ كم ، كانت تسمى قديمًا « موزًا » وقد مثلت دورًا تاريخيًا كبيرًا منذ عهد الحميريين إلى العصر الحديث، حيث تعد بوابة بحرية رئيسة لليمن ، تصدت للعديد من الحملات العسكرية من قبل الطامعين في اليمن ومن أهمها حملات البرتغاليين والإنجليز والأتراك ، وباسمها يسمى نوع من البن الذي يستعمله الأوروبيون : Moka .
انظر : المقحفي ، معجم المدن والقبائل ، ٣٦٧ .
(٤) لمزيد من التفصيل حول ثورة تركي بيلمز ودوره في اليمن وحملة علي بن مجثل على المخا لإخراجه من اليمن . انظر :
عبدالرحيم ، محمد علي وشبه الجزيرة العربيّة ٢/١٧١ ؛ أباظة ، الحكم العثماني في اليمن ، ٣٩٠ ؛ النعمي ، تاريخ عسير ، ١٨٣ ؛ جاد طه ، سياسة بريطانيا في جنوب الجزيرة العربيّة ، ٥٩ ؛ عسيري ، عسير ، ١٥١ ؛
- Playf air , Arabia Felix , 141 .

إذا كنت في نعمة فارْعَها   فإنَّ المعاصي تُزيلُ النِّعَمْ
وداوم عليها بشكر الإله   فإن الإله سريعُ النِّقَمْ
(وإياك والظلم مهما استطعت   فظلمُ العباد شديد الوَخَمْ
وسافرْ بقلبك بين الورى   لتنظرَ آثارَ مَنْ قد ظلَمْ
فتلك مساكنهم بعدهم   شهودٌ عليهم ولا تتهمْ
وما كان شيء عليهم أضر   من الظلم وهو الذي قد قصمْ
فكم تركوا من جنان ومن   قصور وأخرى عليهم أطمْ
صُلوا بالجحيم وفات النعيم   وكان الذي نالَهم كالحلمْ)[1]

واستباح جند الأمير البندر ، واستفادوا أموالاً لا تحصى واختلط المعروف بالمنكر ، وجرت أمور من الأجناد لا يرضاها رب العباد ، وما عدل من جارت جنوده ، ولا راقب الله تعالى من تعدى حدوده . ولله در القائل :

/ ستخلّي الدنيا وما لك منها   غير ما نلتَ أو تزودت منها [ص٢٥٠]
ويكونُ الحديثُ بعدَك فانظر   أيَّ أحدوثة تُحب فكنها[2]

وما فارق البندر إلا وقد أنشبت المنية فيه الأظفار ، ومسَّ جلده من الألم ما لم يقر معه قرار ، فلم يزل يتكلف الركوب على دابته ، وحمل فوق السرير على الرقاب ، حتى وصل [إلى] وطنه السراة . وتجرع من كأس الموت الصاب ، ولم ترد المنايا عنه الخيل والخول ، وقدم على الله تعالى فقيرًا إلى ما قدمه من العمل[3] :

(١) القصيدة من المتقارب ، وقد سقط ما بين القوسين في ع وكتب الناسخ مكانها : إلى آخرها ، وهي نحو ثمانية أبيات ، قضت عليها دابة الأرض من الأصل .
(٢) البيتان من الخفيف .
(٣) يلحظ القارئ التحامل غير المقبول من مؤرخ يفترض أن يرصد الأحداث ويستخرج الدروس والعبر بتجرد ، لكن المؤلف يبالغ في المدح في حق من أعجب به لأي سبب ، ويبالغ في الشماتة في حق من لم يرق له ، كما هو الشأن في تشفيه بحق علي بن مجثل حتى في وفاته مع ما له من فضل في تخليص تلك البلاد من سطوة تركي بيلمز.

هي الدنيا تقــــولُ بملء فيها حذارِ حذارِ من بطشي وفتكي
فـلا يغـــــــرركمُ مني ابتسـام فقولي مضحك والفعل مبكي[١]

(وهذا الأميـر كـان فيـه شجـاعة وإقـدام ، ولاحظتـه السعـادة في النقض والإبرام ، ومـا توجه إلى بلد إلا ويحـصل له الفـتـوح ، وملك من قـريب « الطائف » إلى أن تملك « المخـا » وتلك الجـهـات ، وكـانت مـدة مملكته تسع سنين)[٢] .

وبعد وفاته قام بالأمر عائض بن مرعي بوصاية منه (له بذلك ، وهو من عشيرته بني مغيد)[٣] ، ولما كان الأمير علي بن مجثل لم يف للشريف علي بن حيدر (بما وقع عليه الصلح الذي كان)[٣]، وعامله بما لا يليق بمقامه العظيم الشأن ، واستولى على القطع والحقوق ، ولم يبق [ص٢٥١] لنفاق الشروط عنده سوق ، رأى أن بموته قد (برئ / من العهد ،)[٤] ولا يرضى أن يدخل بعده تحت طاعة أحد ، فبعث عائض إليه (رسله فلم يتلقاهم بالقبول)[٥] ، وصرح لهم بعدم الإذعان ، وترجح له أن أفعالهم الصادرة منهم إنّما بالطعن والضرب ، وإن مصاحبتهم والاعتزاء إليهم بعد ذلك الحاصل لا يكون ؛ لأن التودد إلى الأعداء من فنون الجنون ، ولله در القائل :

لا يغـرنك التودد من قـــــو م فـإن الوداد منهــــم نفـاق
والقلوب الغـلاظ لا ينزع الأحـ قاد منها إلا السيوف الرقاق[٦]

(١) البيتان من الوافر ، وقد وردت في جواهر الأدب للهاشمي ٢/٤٨٣ دون ذكر القائل.
(٢) سقطت من ع .
(٣) سقطت العبارة من ع .
(٤) ع : انحلَّ عقد الاتفاق المصدق .
(٥) ع : المراسيل لأجل الموافاة بالقبول .
(٦) البيتان من الخفيف .

« فرجع الرسل على أعقابهم بخفي حنين »[١] ، ولقنوا عائضًا ما فاه به أبو الحسين ، فجمع من عنده من الأجناد ، وأراد أن يبلغ ممن ناوأه المراد ، فانفصل من بلاده ، والعجلة تسوقه والمنية تجره بقياده ، ولما بلغ مدينة « صبيا » توقف يومين ، وارتحل ، وكان مسيره بين العـيدين ، وقد اختـلف أهل العلم في إنشاء القتال في الأشهر الحرم ؛ (وهي واحد فرد وثلاثة سرد ؛ رجب وذو القعدة وذو الحجة ومحرم) فالجمهور من العلماء قالوا : إن تحريم القتال في الأشهر الحرم منسوخ بقوله تعالى : ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾[٢] الآية ، ولكن نازع في ذلك بعض المحققين من المتأخرين / فقال : إن حرمة القـتال في الأشهر الحرم والبلد الحرام [ص٢٥٢] إلى يوم القيامة لقـوله تعـالى : ﴿ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾[٣] ، وقـوله تعـالى : ﴿ لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ ﴾[٤] ، وذلك دليل واضح على منـع القتال في الشهر الحرام ، والبلد الحـرام ، ومن السنة الحديث الصحيح أو المتواتر معنى : « ألا إن دماءكم وأموالكم وأعراضـكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا »[٥] ، فهذا الحديث وما في معناه دال على دوام الحرمة في البلد الحرام ، وامتناع النسخ .

وليس لمدعي النسخ متشبث إلى قوله تعالى : ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾[٦] ، وغايته العموم لأجل الألف واللام ، وهو ظني ، ثُمَّ

(١) أصل المثل : رجع بخفي حنين ، وقيل : أخف من خفي حنين ، ويضرب به المثل في الخيبة والخلف . انظر : الزمخشري ، المستقصى ١/١٠٥ .
(٢) سورة التوبة ، الآية : ٥ .
(٣) سورة البقرة ، الآية : ١٩١ .
(٤) سورة المائدة ، الآية : ٢ .
(٥) رواه البخاري في العلم : باب قول النبي ﷺ : « رب مبلغ أوعى من سامع » (٦٧) ، ومسلم في القسامة (١٦٧٩) .
(٦) سورة التوبة ، الآية : ٥ .

هو مخصوص إجماعًا ، فبعضهم يشترط الاحتجاج به ، وبعضهم يضعفه(١) ، مطلق بالنسبة إلى الأزمان ، ثُمَّ حديث أبي شريح في عام الفتح ، لكنه مصرح بتأبيد التحريم ، فلا يرد عليه نسخ ، وكذلك ما هو في معناه ممَّا هو معروف في محله ، وحديث : « كحرمة بلدكم هذا » في حجة الوداع وهي متأخرة عن آية براءة المذكورة ؛ لأنها في حجة أبي بكر قبيل حجة الوداع بسنة ، فقد عرفت ضعف دلالة الآية ، وأنها مُخرج منها البلد الحرام ، ولم تشمل الشهر الحرام ، مع تأخر آية المائدة الصريحة [ص٢٥٣] في الشهر الحرام ، مع / شيوع تأخر المائدة ، إذا حققت هذا علمت أن تحريم البلد الحرام ، والشهر الحرام ، محكم لعدم الدليل على النسخ ، والأدلة التي عورض بها دليل الجواز أوضح من الشمس ، مع أن المانع في مقام المنع وليس عليه دليل . هذا حاصل ما قاله ذلك المحقق ، وهذا في حكم قتال أهل الشرك ، ونحوهم ، فما بالك بقتال المسلمين بعضهم لبعض ، فلا حول ولا قوة إلا بالله .

نعم ، فلم يراع عائض الحرم الثلاث(٢) ؛ بل إنه تقدم على أولئك القوم وعاث ، ولما نزل ساحة المدينة العريشية ، ولم يكن مع الشريف غير ما حواه سور « الديرة » ، والقلاع مرتبة ببعض العساكر ، وإلا فأهل المدينة أكثرهم من جانب عائض ، وكان مطرحه قبلي البلد ، وفاوض الشريف بكلامٍ (مثله لا يعتمد)(٣) فأضرب الشريف عن كلامه صفحًا ، وطوى عن مقاله كشحًا (لأ[نه] رأى أنه لشهامته لا يعطي الدنية)(٤) من نفسه ما أمكن الدفاع ، وأن المحاكمة إلى (المثقفة السمر والصوارم)(٥) بها قطع النزاع .

(١) ص : يستضعفه .
(٢) ذكر ناسخ ع بعد هذه الكلمة ما يلي : الشهر والإسلام وكونهم من أهل البيت النبوي .
(٣) ع : لا يحسن مثله .
(٤) ع : فلم تغلق من المدينة .
(٥) ع : إلى الحرب .

على قدر أهل العـزم تأتي العزائم (وتأتي على قدر الكرام المكارم
ويعظم في عين الصغير صغارها وتصغر في عين العظيم العظائم)(١)

فلم يزل عائض يدبر أمر قومه ، ويطلب الشور منهم في إقدامه وإحجامه :

شاور أخاك / إذا تأتيك نائبة يومًا وإن كنت من أهل المشوراتِ [ص٢٥٤]
فالعين تنظر منها ما نأى ودنا ولا ترى نفسها إلا بمرآةِ(٢)

فأجمع الرأي أن يكون التبكير على أولئك الأقوام . والحال على خلاف ما قاله بعض أدباء الأنام :

باكرْ صبوحك أهنى العيش باكره فقد ترنَّم فوق الأيك طائره(٣)

فتقدم الجيش العسيري وبيدهم الأعلام . وصدق منهم في مبادئ الأمر الإقدام ، وأراد من أراد منهم الاستيلاء على تلك الثغور ، وقد سبق في علم الله - تعالى - أن بُدن الله تعقر من دون تلك القصور . وأمَّا بعضهم فدخل بعض تلك القلاع ، فصار هدفًا للرصاص ، ولم يكن له (بعد ذلك)(٤) من قومهم الخلاص ، فمضوا كأمس الدابر . ولحقوا بأهل المقابر ، وذهب منهم في ذلك اليوم عوالم ، صارت لحومهم طعمة للقشاعم .

وكان الشريف [في] ذلك اليوم قد أصابه ألَمٌ لم يستطع معه الحركة ، فتقدم في خيل الأشراف الشريف جمّ المناقب ، يحيى بن أبي طالب(٥) فخرج بمن معه غربي البلد ، ووقع الاتفاق بجماعة من الخيَّالة

(١) سقطت في ع وكتب مكانها : البيتان . وهما من الطويل ، والقائل المتنبي ، انظر : الديوان ٣/٢٧٨ .
(٢) البيتان من البسيط .
(٣) البيت من البسيط .
(٤) سقطت في ع .
(٥) لم أعثر له على ترجمة .

رئيسهم السيد المقدام الماجد ، محمد بن حسن بن خالد ، وتجاولوا ساعة في تلك الساحة الواسعة ، (ووقع منهم بأطراف الرماح المنازعة ، وأبدى العماد من حميد أفعاله ، ما شهد له بالشجاعة / والبسالة ، وأمَّا [ص٢٥٥] بعض خيالة عائض فكانوا)[١] في إثر العسكر المتقدمين ، على الإقلاع ملازمين ، ولأعقابهم مقتفين ، مع أن خروجهم بقلوب فاسدة ، وعزيمة مائدة :

وخيل ما يَخِرّ لها طعين ... كأن قنا فوارسها ثُمَام[٢]

(ورجع من بقي منهم)[٣] إلى مطرحهم بالبدار ، وقد تقلدوا طوق الذلة والصغار ، وعلموا أن البغي مصرعه بالعيان ، وصاح لسان حالهم مِمَّا وقع بهم : الأمان ، فلما شاهد عائض تلك الأمور التي تابع فيها نفسه الأمارة ، وهو في براعة استهلال الإمارة ، رأى أنْ لا نجاة له غير الفرار ؛ لأنه لا يأمن صولة ذلك الأسد الكرار ، فأشعر الجند بما أراد ، وركب الجواد ، وأنشد لسان حاله :

إذا أنكرتني بلدة أو نكرتها ... خرجت مع البازي عليَّ سواد[٤]

فوصل إلى « صبيا » بقلب مذعور ، وجناح مكسور ، وطلبه السيد محمد بن حسن بن خالد في بقاء جماعة من الجند لديه لحفظ القلعة معه ؛ لأنه قد بنى السيد المذكور في « صبيا » قلعة شامخة ، فما كان منه إلا الاعتذار ، وعدم مساعدته في هذا الأمر ؛ لأنه يراه من ارتكاب الأخطار ، فأعمل الرواحل / في السير حتى [ص٢٥٦]

(١) ع : فوقع منهم ما وقع ، وكان الأمير عائض .
(٢) البيت من الوافر وهو للمتنبي . انظر : الديوان ٤/٧١.
(٣) ع : وتراجعوا .
(٤) البيت من الطويل ، وهو لإبراهيم الوزير . انظر : الشوكاني ، البدر الطالع ١/٣٢ .

وصل السراة ، وهناك أفرخ روعه[١] .

وقد كان بلغ مسامع الشريف انفصال جند من « مكة المشرفة » من طريق أحمد باشا لأجل الإعانة له ، فساعده المقدور بوصولهم في أسرع وقت ، ولاحظه بما يريد البخت ، فتلقاهم وهو باسم من الأفراح ، ولسان حال الليالي يناديه بالظفر والفلاح ، ولما وصلوا إليه تجهز لأخذ « صبيا » ومخلافها ، والسعادة تنجده بإسعافها ، والسيد محمد بن حسن بن خالد لما بلغه الحاصل ، همَّ بالمدافعة عن نفسه ، وقد جرى بخلاف ذلك القضاء النازل ، فخذلوه أهل (المدينة الصبيانية)[٢] وكان يظن بهم الظنون ، ويعتقد أنهم إذا همه حادث (عنه يدفعون)[٣] .

يعد الفتى إخوانه لزمانه ... (وأعدى له من طرفه ما أعدَّه)[٤][٥]

ولما أعيت عليه الحيل ، وضاق ذرعًا من حلول هذا الحادث الجلل ، أسرَّ إلى بعض الناس أن يتشفع له لدى الشريف في بذل الأمان ، على ما هو عليه (من الإجلال)[٦] من غير هوان ، فأسعف بمطلوبه من غير تفنيد ، وحلم عليه بعد القدرة على ما يريد .

(١) كما هي عادة المؤلف في محاولة إبراز الأشراف ومكانتهم وشجاعتهم ، ولكن لا يُمكن قبول هذا الوصف عن الأمير عائض بن مرعي ، وهو المشهود له بالشجاعة والإقدام ، والمؤلف يثني في كتابه : الدر الثمين على عائض فيقول : وكان هذا الأمير فيه شجاعة وإقدام ... وما توجه إلى بلد إلا وحصلت له الفتوح .. فالتفت إلى ضبط المملكة بجأش ثابت وقدم أرسخ من الثوابت ... وأذاق أولئك في حروبهم السم الزعاق ، ورقم السيف على صفحات المملكة بالدم المهراق .
انظر : عاكش ، الدر الثمين في ذكر المناقب والوقائع لأمير المسلمين ، ٢٨ .
(٢) ع : صبيا بالمدينة .
(٣) يقومون بواجبه وهم له لا ينقلبون .
(٤) البيت من الطويل .
(٥) ع : سقط عجز البيت وكتب مكانه : البيت .
(٦) سقطت في ع .

كلّ حلـــم أتى بغير اقتدارٍ   حجـــة لاجئ إليهـا اللئام(1)

فخرج من القلعة وزفراته تتصاعد ، والقلب ناره من ألم الحسرة [ص٢٥٧] يتواقد ، وأنشد لسان حاله ، مع عدم بلوغ / آماله :

صفـا للألى قـبلي بـوادر دهـرهم   ولَمْ يَصْفُ لي مذ جئت من بعدهم عصرُ

فجـاؤوا إلى الدنيـا وعصـرهمُ ضـحًى   وجئت وعصري من تأخره عصرُ(2)

وتوجه إلى السراة حيث لَمْ تساعده الأيام ، وبعد مدة توفاه الله تعالى إلى رحمته ، و ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾(3) .

ثُمَّ انقضت تلك السنون وأهلها   فكأنها وكأنهم أحـــلام(4)

وكان من قرية « الزيدية » إلى « المخا » عمال الأمير علي بن مجثل فيها ، وهم من تحت نظر عائض بعد وفاته ، وأمَّا جهاتنا هذه فقد استولى عليها الشريف .

السنة الخمسون بعد المائتين والألف : فيها وصل جند كثيف (كبيرهم محمد أمين)(5) من طريق أحمد باشا ، وصحبتهم كتب إلى الشريف متضمنة إرسال ولده الشريف الحسين مع هؤلاء الأجناد ، لاستخلاص البلاد اليمنية من أيدي أولئك العمال ، فتوجهوا ، وكان في البحر مركب يسير (بسير الجند من طريق البر ، وفيه من)(6) آلات الحرب ما لا يوجد في هذه الجهات ، من (المدافع الكبار والقنابر)(7) ،

(1) البيت من الخفيف ، وهو للمتنبي ، انظر : الديوان ٤/ ٩٣ .
(2) البيتان من الطويل .
(3) سورة الرحمن ، الآيتان : ٢٦ ، ٢٧ .
(4) البيت من الكامل .
(5) سقطت في ع ، ولم أعثر على معلومات عن محمد أمين .
(6) ع : معهم بسيرهم حاملاً .
(7) ع : الذخائر والمطعومات .

فسار الشريف الحسين حتى طرح بهم على قلعة الماء الحالي ببندر الحديدة ، وكان فيها جماعة من عسير أهل ثبات ونجدة ، فلم تزل المدافع (بالقلل إليهم تدفع)(1) / حتى تركت تلك القلعة كالبلقع ، فلاذوا بطلب [ص٢٥٨] الأمان ، (حين علموا أن)(2) لا مغيث لهم من أميرهم « حتى يؤوب القارضان »(3) ، وبعد ذلك ذلَّ العامل بالبندر هو والأجناد الذين معه ، ورأى السلامة في تغليق باب الشر ، وترجح له ترك البلد . والخروج سالمًا من سطوة ذلك الأسد ، فخرج بأمان الله ثُمَّ أمان الشريف الحسين على أحسن حال ، ولَمْ يكدر له بالتخويف بال ، وأنشد لسان حاله قول من قال :

فلا تغرنّك الدنيا بما رفعت   فلا حقيقة فيما يرفع الآل(4)

وبعد ذلك انفض ختم اليمن ، وألقى أهله إلى الشريف الحسين الرسن ، ودخلت تحت أيدي الأتراك تلك البلاد ، وكان خاتمة عسير فسبحان المتصرف في العباد(5) .

لكل شيء أمــد وينقضي   ما غالب الأيام إلا من رضي(6)

وفي هذه السنة في شهر جمادى الأخرى : كانت وفاة شيخنا(7) محمد بن علي الشوكاني ، (8) هو قاضي الجماعة ، شيخنا شيخ

(1) ع : عليها .
(2) سقطت في ع .
(3) يضرب به المثل في التأبيد واليأس ، وقصة المثل في المستقصى للزمخشري ١/ ١٢٧ .
(4) البيت من البسيط .
(5) لمزيد من المعلومات عن حملة محمد علي باشا على اليمن انظر : عبدالرحيم ، محمد علي باشا وشبه الجزيرة العربيَّة ٢/ ١٩٧ ؛ العمري ، مائة عام من تاريخ اليمن الحديث ، ٢٥٨ .
(6) البيت من الرجز .
(7) ع : الإمام القاضي .
(8) من هنا وحتى نهاية القوس في ص (٣٢٦) أسقطه ناسخ ع عمدًا وكتب يقول : إلى آخر ما ساقه المسير إلى الترجمة المطولة حذفناها اختصارًا .

الإسلام، المحقق العلامة الإمام، سلطان العلماء، إمام الدنيا، خاتمة الحفاظ بلا مراء ، الحجة النقاد ، عالي الإسناد ، السابق في ميدان الاجتهاد، المطلع على حقائق الشريعة وغوامضها، العارف بمقاصدها[1]، وعلى الجملة فما رأى مثل نفسه / ولا رأى من رآه مثله علمًا وورعًا وقيامًا بالحق بقوة جنان ، [ص٢٥٩] وسلاطة لسان ، قد أفرد ترجمته تلميذه الأديب محمد ابن حسن الشجني الذماري[2] بمؤلف سماه «درة التقصار في جيد عالم الأقاليم والأمصار»[3] قصره على ذكر مشايخه ، وتلامذته ، وسيرته ، وما انطوت عليه شمائله ، وما قاله من شعر ، وما قيل فيه ، جاء في مجلد ضخم .

مولده يوم الاثنين الثامن والعشرين من شهر ذي القعدة الحرام ، سنة اثنتين وسبعين بعد المائة والألف ، كما أخبرني بذلك في بلده « هجرة شوكان »[4] ، ونشأ على العفاف والطهارة ، وما زال مُذْ دَبّ ودرج يجمع الشتات ، ويحوز المكرمات .

له قراءة على والده ، ولازم القاضي إمام الفروع في زمنه أحمد بن محمد الحرازي[5] ، وانتفع به في الفقه وأخذ النحو والصرف عن السيد العلامة إسماعيل بن حسن[6] ، والعلامة عبدالله بن إسماعيل

---

(١) هذا الكلام فيه من المبالغات ما لا يحمد لمن يكتب في سير الناس . والإمام الشوكاني عالم له قدره، ترك بعد موته رحمه الله مؤلفات نافعة تنبئ عن عقل راجح، وعلم غزير، لكن المبالغات بهذه الصورة وغيرها مما لا يحسن في حق الكاتب ولا المكتوب عنه.

(٢) من تلاميذ الشوكاني ومن علماء اليمن (ت/١٢٨٦هـ) .
انظر : زبارة ، نيل الوطر ٢/٢٥٧ ؛ سيد ، مصادر تاريخ اليمن ، ٣٠١ .

(٣) مخطوط بالمكتبة الغربية لصنعاء ، وتوجد نسخة في مكتبة أميري في إستانبول برقم (٢٥٢٥) وأخرى بمكتبة محمد بن علي الأكوع بتعز .
انظر : الحبشي ، مصادر الفكر العربي الإسلامي ، ٤٥٧ .

(٤) قرية صغيرة في منطقة خولان ، جنوب شرق صنعاء .
انظر : الحجري ، مجموع بلدان اليمن وقبائلها ٣/٤٥٨ ؛
- al - Amri , The yemen , 103 .

(٥) أحمد بن محمد بن أحمد بن مطهر ، وصفه الشوكاني بأنه شيخ شيوخ الفروع (ت/١٢٢٧هـ) .
انظر : الشوكاني ، البدر الطالع ١/٩٦ ؛ زبارة ، نيل الوطر ١/١٩٧ .

(٦) إسماعيل بن الحسن بن أحمد بن الحسن ، من علماء اللغة العربيَّة في اليمن (ت/١٢٠٦هـ) . =

النهمي[1] ، والعلامة القاسم بن محمد الخولاني[2] ، وأخذ علم البيان والمنطق والأصلين عن العلامة حسن بن محمد المغربي[3] . والعلامة علي ابن هادي عرهب ، ولازم في كثير من العلوم مجدد زمانه عبدالقادر بن أحمد الحسني الكوكباني ، وأخذ في علم الحديث عن الحافظ / علي بن [ص٢٦٠] إبراهيم بن عامر[4] ، وغير ذلك من المشايخ في جميع العلوم العقليَّة والنقلية ، حتى أحرز جميع المعارف ، واتفق على تحقيقه المخالف والمؤالف ، وصار المشار إليه في علوم الاجتهاد بالبنان ، والمجلي في معرفة غوامض الشريعة عند الرهان .

له المؤلفات في أغلب العلوم ، منها « نيل الأوطار شرح منتقى الآثار » لابن تيمية[5] في أربعة مجلدات ، لم تكتحل عين الزمان بمثله في التحقيق ، وأعطى المسائل حقها في كل بحث على طريق الإنصاف ، وعدم التقيد بمذهب الأسلاف ، وتناقله عنه مشايخه فمن دونهم ، وطار في الآفاق في حياته ، وقرئ عليه مرارًا وانتفع به العلماء ، وكان يقول : إنه لم يرض عن شيء من مؤلفاته سواه ، لما هو عليه من التحرير ، وكان تأليفه

= انظر : الشوكاني ، البدر الطالع ١/١٤٥ : زبارة ، نيل الوطر ١/٢٦٧ .

(١) عبدالله بن إسماعيل بن حسن بن هادي ، من علماء صنعاء وكان والده واليًا عليها (ت/١٢٢٨هـ) .
انظر : الشوكاني ، البدر الطالع ١/٢٧٦ ؛ زبارة ، نيل الوطر ٢/٦٩ .

(٢) الاسم الصحيح : القاسم بن يحيى الخولاني ، من علماء اللغة والفقه (ت/١٢٠٩هـ) .
انظر : الشوكاني ، البدر الطالع ٢/٥٣ ؛ زبارة ، نيل الوطر ٢/١٨٤ .

(٣) الاسم الصحيح : حسن بن إسماعيل بن الحسين المغربي ، نسبة إلى « مغارب » صنعاء (ت/١٢٠٨ هـ) .
انظر : الشوكاني ، البدر الطالع ١/١٩٥ ؛ زبارة ، نيل الوطر ١/٣١٩ .

(٤) علي بن إبراهيم بن علي بن إبراهيم بن أحمد الشهيد ، من علماء صنعاء (ت/١٢٠٧هـ) .
انظر : الشوكاني ، البدر الطالع ١/٤١٦ ؛ زبارة ، نيل الوطر ٢/١٠٦ .

(٥) صحة اسم الكتاب : نيل الأوطار في شرح منتقى الأخبار ، طبع في القاهرة سنة ١٣٤٧هـ .

في أيام مشايخه ، فنبهوه على مواضع منه حتى تحرر ، وله التفسير الكبير المسمى « فتح القدير الجامع بين فني الدراية والرواية من التفسير »(١) ، وقد سبقه إلى التأليف في الجمع بين الدراية والرواية العلامة محمد بن يحيى بهران(٢) ، فله تفسير في ذلك عظيم ، لكن [ص٢٦١] تفسير شيخنا أبسط وأجمع وأحسن ترتيبًا / وترصينًا ، وقد ذكر الحافظ السيوطي في « الإتقان »(٣) أنه جعله مقدمة لتفسيره ، وجامع للدراية والرواية سماه « مطلع البدرين ومجمع البحرين »(٤) ، وله مختصر في الفقه على مقتضى الدليل سماه « الدرر البهية »(٥) وشرحه شرحًا نافعًا سماه « الدراري المضيئة »(٦) أورد فيه الأدلة التي بنى عليها ذلك المؤلف ، وله « وبل الغمام حاشية على شفاء الأوام »(٧) للأمير الحسين بن محمد ، وله « در السحابة على مناقب القرابة والصحابة »(٨) ، وله « الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة »(٩) ، وله « إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول »(١٠) ويعز جمعه في نظمه وترصيفه ، وحسن ترتيبه وتصنيفه .

---

(١) طبع وتوزيع دار الباز للنشر والتوزيع – مكة المكرمة في خمسة مجلدات .

(٢) من علماء اليمن المشهورين في القرن التاسع (ت/٩٥٧هـ) .
انظر : الشوكاني ، البدر الطالع ٢٧٩/٢ ؛ العمري ، مصادر التراث اليمني ، ٢٤١ .

(٣) الإتقان في علوم القرآن ، مطبوع أكثر من طبعة ، منها عام ١٩٣٥م في مطبعة مصطفى البابي الحلبي .

(٤) لم أعثر على معلومات عنه .

(٥) الدرر البهية في المسائل الفقهية ، طبع في القاهرة بإشراف الأستاذ قاسم غالب .

(٦) الدراري المضيئة في شرح الدرر البهية ، طبع في القاهرة عام ١٩٢٨م .

(٧) توجد منه نسخة مخطوطة بخط المؤلف بالمكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء رقم ٣٠٣ (حديث) .

(٨) حققه د . حسين بن عبدالله العمري ، ضمن رسالة الدكتوراه بجامعة (Durham) ، بريطانيا .

(٩) طبع في الهند عام ١٣٠٣هـ .

(١٠) في أصول الفقه ، طبع في القاهرة سنة ١٣٤٧هـ ، وتكررت طباعته .

وله « السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار »(١) ، وكان تأليفه في آخر مدته ، ولم يؤلف بعده شيئًا فيما أعلم ، وقد تكلم فيه على عيون من المسائل ، وصحح من المشروح ما هو مقيد بالدلائل ، وزيّف(٢) ما لم يكن عليه ، وخشّن العبارة في الرد والتعليل ، والسبب في ذلك أنه نشأ في زمانه جماعة من المقلدة الجامدين على التعصب في الأصول والفروع ، ولم تزل المصاولة والمقاولة بينه وبينهم دائرة ، ولم يزالوا / [ص٢٦٢] ينددون عليه في المباحثة من غير حجة ، فجعل كلامه في ذلك الشرح في الحقيقة موجهًا إليهم في التنفير عن التقليد المذموم ، وإيقاظهم إلى النظر في الدليل : لأنه يرى تحريم التقليد ، وقد ألف في ذلك رسالة سماها « القول المفيد في حكم التقليد »(٣) ، وقد تحاماه لما حواه جماعة من علماء الوقت ، وأرسل عليه أهل جهته بسببه سهام اللوم والمقت ، وثارت من أجل ذلك فتنة في « صنعاء » بين من هو مقلد ، وبين من هو متقيد بالدليل(٤) ، توهمًا من المقلدين أنه ما أراد إلا هدم مذهب أهل البيت ؛ لأن « الأزهار » هو عمدتهم في هذه الأعصار ، وعليه في عبادتهم والمعاملة المدار ، وحاشاه من التعصب على من أوجب الله - تعالى - محبتهم ، وجعل أجر نبينا - صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - في تبليغ الرسالة مودتهم ؛ لأن له الولاء التام لهم ، وقد نشر محاسنهم في مؤلفه « در السحابة » بما لَمْ يخالج بعده ريبة لمرتاب ، وله العناية بحفظ مذهبهم ؛ فإنه أفنى شبابه

---

(١) طبعت منه أجزاء بتحقيق الأستاذ قاسم غالب .

(٢) زيَّف النقود وغيرها : عملها مغشوشة ، وزيف قوله أو رأيه : فنده وأظهر باطله ، وصغَّره وحقَّره . انظر : المعجم الوسيط ٤١١/١ .

(٣) صحة اسم الكتاب : القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد ، حققه : محمد منير الدمشقي وطبع سنة ١٣٤٠ هـ .

(٤) انظر حول هذه الفتنة ضد الإمام الشوكاني : من أعلام اليمن ، قاسم غالب أحمد ومحمود إبراهيم زائد ٥٤ – ١٠٢ .

في الدرس والتدريس في ذلك ، وعندي أن من جملة العناية هذا الشرح ، فإن من تأمله حق التأمل بعين الإنصاف ، عرف أنه بيان لمَا اقتضاه متن « الأزهار » من الأدلة الصحيحة ؛ لأنه جاء فيه بأدلة لم توجد في غيره ، [ص٢٦٣] وأوضح مآخذها / من الكتاب والسنة على أبدع أسلوب ، وقد اطلعت على غالب شروح « الأزهار » ، فلم أرَ في شرحها ما يدانيه في إيراد الأدلة ، وإنَّما أنه لم يرتض ما بني في ذلك الكتاب من التفاريع على القياس الذي علّته المناسبة أو تخريج ، وسبيل الإمام في ذلك سبيل المفرعين من سائر المذاهب الإسلاميَّة ، فإن كتبهم الفروعية ممزوجة بذلك .

على أن كلامه مع الجميع من أهل المذاهب ؛ لأن المأخذ واحد ، والرد واحد ، وإن كان في الحقيقة أن الخطب يسير ، والخلاف في المسائل العمليات الظنية سهل ؛ لأنها مطارح أنظار ، والاجتهاد يدخلها ، والمصيب من المجتهدين في ذلك له أجران ، والمخطئ له أجر ، وإنَّما تنبيه العالم بالخطأ على ذلك الخطأ للمقلد لابأس به : لئلا يقلد في الخطأ فإنه مؤاخذ به مع أنه من قلده معفو عنه في ذلك ، وهذه الطريقة رُبَّمَا يحمد عليها من قصده ذلك ، ولا يخرج المجتهد ما اجتهد فيه ، ونبه على الخطأ بحسب ما ظهر له عن توليه لأهل بيت النبوة صلوات الله عليهم ؛ لأن التولي في جانب ، وبيان الخطأ في جانب ، ورُبَّما يحمده ذلك المجتهد الذي قد أصَّل ما هو خطأ في كتبه ؛ لئلا يتبعه في ذلك الخطأ من يتبع ، [ص٢٦٤] وهذا شأن / أهل العلم في كل زمان ومكان ما بين راد ومردود عليه ، وكل مأخوذ من قوله ومتروك إلا صاحب العصمة عليه أفضل الصلاة والسلام .

وقد ذكر السيوطي في كتابه « الخصائص » : أن من خصائص هذه الأمة أن لا يقر بعضهم بعضًا على الخطأ ، ولو كان أحب حبيب إليه ، ومن طالع الكتب الإسلاميَّة في الفروع والأصول على اختلاف أنواعها

عرف ذلك ، وهان عليه سلوك هذه المسالك ، ومن وزن الأمور بالإنصاف لا تخفى عليه الحقيقة ، ومن جمد على التقليد وضاق عطنه)[1] [٨٠/أ] عن مدارك الاستدلال فما له والاعتراض على المجتهدين ؛ فقد علم أن كل مجتهد مصيب ، ولا ينبغي له أن يضايق المجتهد في اجتهاده لأجل يوقفه في موقفه الذي هو التقليد ، وقد تفضل الله - تعالى - عليه بالاجتهاد .

ولكل عرفت منهم مقامًا ... شرحه في الكتاب مِمَّا يطول[2]

والتقليد لا يجوز إلا لغير المجتهد ، والاجتهاد عند أئمة أهل البيت - رضي الله عنهم - غير متعذر كما يقوله غيرهم ، ومن اعترض على المجتهد فيما أدى إليه اجتهاده ، فقد تحجّر الواسع[3] ، وجرى على نهج لا سلف له فيه من أهل العلم .

نعم ؛ أنا قد حررت « مقاصد السيل الجرار » في مؤلف سميته «نزهة / الأبصار من السيل الجرار »[4] وهو وافٍ بالمقصود من [ص٢٦٥] إيراد تلك الأدلة ، من غير تعرض لما يقع به بسط الألسنة من الناس ، وللمترجم له تاريخ حافل سماه « البدر (الطالع بمحاسن من بعد القرن)[5] السابع » ، جرى فيه من ذلك الوقت إلى زمانه ، وابتدأ فيه (بذكر عابد اليمن إبراهيم)[6] الكينعي الولي المشهور ، وله جملة رسائل من مطولات (ومختصرات ، وقد)[6] جمعت فتاويه ورسائله فجاءت في مجلدات وسمها ابنه (العلامة علي بن محمد)[6]

---

(١) ما بين القوسين من صفحة (٢٩٧) إلى هنا مفقود في الأصل وتم إكماله من ص و ع .

(٢) البيت من الخفيف .

(٣) في هامش نسخة ص كتب الناسخ ما يلي : نعم ، واعتراض صاحب الترجمة على الإمام عليه الصلاة والسلام من تحجر الواسع .

(٤) لم أعثر على معلومات حول توفر نسخة من هذا المخطوط للمؤلف .

(٥) بياض في الأصل وأثبتنا الزيادة من ص .

(٦) بياض في الأصل وأثبتناها من ص .

« بالفتح الرباني »[1] ، وله في الأدب اليد الطولى ، وله أشعار كثيرة مدونة قد رتبها ابنه المذكور على حروف المعجم فجاءت في ديوان ، كتب إليه أديب عصره السيد محمد بن هاشم بن يحيى الشامي[2] وإلى رفيقه العلامة حسين بن أحمد السياغي[3] يسألهما على سبيل المطارحة عن الشوق ؛ هل هو من قسم المشكك[4] ، أو من قسم المتواطي[5] المعروفين[6] في علم المنطق ، بهذه الأبيات البديعة :

يا نيّري فلك العلياء دام لنا ... من نور علمكما ما يكشف الظلما

[٨٠/ب] / ماذا تقولان فيما قد تقرر بالـ ... إجماع حقق هذا من به حكما

قالوا بأن شهادات القلوب إذا ... قامت بصدق وداد صار ملتزمًا

ومن أحب امرأً صح القياس له ... قطعا بأنهما في السلك قد نظما

[ص٢٦٦] / وإنَّما الشوق من قسم المشكك هل ... فيه اعتراض قياس في استوائهما

وقد ترددت في تقريره فأفيـ ... دا مغرمًا صار مشتاقًا لوصلكما[7]

فأجاب المترجم له وأجاد ما شاء :

(١) اسم الكتاب : الفتح الرباني من فتاوى الشوكاني ، مخطوط في مجلدين بمكتبة الجامع الكبير الغربية في صنعاء برقم ١٨٣ (فقه) . انظر : الحبشي . مصادر الفكر العربي الإسلامي ، ٢٤٣ .

(٢) محمد بن هاشم بن يحيى الشامي ، أديب وزاهد يمني (ت/١٢٠٧هـ) . انظر : الشوكاني ، البدر الطالع ٢٧٢/٢ ؛ زبارة ، نيل الأوطار ٣٢٢/٢ .

(٣) حسين بن أحمد بن حسين بن أحمد بن علي ، من علماء صنعاء (ت/١٢٢١هـ) . انظر : الشوكاني ، البدر الطالع ٢١٥/١ ؛ زبارة ، نيل الوطر ٣٦٦/١ .

(٤) المشكك هو اللفظ الذي يدل على شيء بمعنى واحد في نفسه ، ولكن يختلف ذلك المعنى بين أفراده من جهة أخرى ؛ كالتقدم والتأخر .. إلخ ، انظر لمزيد من المعلومات : د . فريد جبر وآخرون ، موسوعة مصطلحات علم المنطق عند العرب ، ٨٨٥ - ٨٨٦ .

(٥) المتواطئ هو اللفظ يدل على أعيان متعددة بمعنى واحد مشترك بينهما ، كدلالة اسم الإنسان على زيد وعمرو.. إلخ . انظر : لمزيد من المعلومات المرجع السابق ، ص ٨٣٧ .

(٦) الأصل : المعروفان .

(٧) انظر : القصيدة كاملة في ترجمة محمد بن هاشم بن يحيى الشامي ، البدر الطالع ٢٧٢/٢ ، وهي من البسيط .

يا ابن البهاليل والأطواد من مضر ... والمنعمين بسيب يخجل الديَما

(قد دل نظمُك للدر الثمين بلا)[1] ... شك بأنك بَحر بالعلوم طما

(ورمت إبداء عتب في ملاطفة)[1] ... وقد أسأت ببعدي فاحتمل كرما

(فالشوق بالشوق منقاس)[1] ومعتبر ... قضى بذلك خير الرسل والحكما

(وإن تشكك بالتشكيك)[1] فهو على ... تواطؤٍ باتحاد الجنس قد نظما

(وموجبات ودادي)[1] فيك ما سلبت ... ولا غدا عقد ودي عنك منفصما

(محصلات ودادي)[1] ما رضيت لها ... عنك العدول ولا أوّلتها عدما

(وقد تآلف شملانا) على نَمَط ... لنا نتائج ود تَمنع العقما[2]

وهذه القطعة من شعره [تدل] على أنه مفرد بليغ . ولا مفرد سواه يوصف بالبلاغة ، وقد تم له التوجيه بالقضايا المنطقية الموجبة والسالبة والمحصلة والمعدولة ، وله القائل :

والحسنُ يظهرُ في شيئين رونقه ... بيت من الشعر أو بيت من الشعر[3]

وقد أخذت عنه في كثير من الفنون العلمية ، وأخذت عنه غالب مؤلفاته [٨١/أ] وبموته طفئَ على اليمن مصباحهم المنير ، ولا أظن يرون مثله في تحقيقه للعلوم والتحرير ، وقد جرت بيني وبينه مكاتبة (أدبية) ، ومراسلة بمسائل علمية ، هي عندي مثبتة / بخطه . [ص٢٦٧]

وكان قد توفي قبله بمدة يسيره ابنه العلامة علي بن محمد ، وهو أحد محققي العلماء ، وممن لازم والده في جميع المعارف ، حتى بلغ ذروة العلوم تحقيقًا وتدقيقًا ، وقد شاركته في الأخذ على والده في كثير من مقرراته رحمه الله تعالى . وقد كنت قلت في والده مرثاة ، وأشركته فيها

(١) بياض في الأصل وأثبتناها من ص .

(٢) القصيدة من البسيط .

(٣) البيت من البسيط .

لولا الإطالة لذكرتها)[1] .

وفي هذه السنة : توفي السيد العلاّمة عبدالرحمن بن سليمان الأهدل ([2] هو شيخنا السيد الحافظ محدث اليمن ، والماشي على أحسن سنن ، فريد العصر (وحجته) ، ومربع الأوان وإمام قبلته ، هو من بيت بالفضل مشهور ، ولهم في الحديث تجارة لن تبور ، وإليهم منتهى طرف الرواية بالديار اليمنية في زمننا .

(مولده في شهر ذي القعدة الحرام)[3] سنة تسع وسبعين ومائة وألف ، نشأ (رحمه الله تعالى في حجر والده ، وغذاه بالعلوم)[3] والعرفان ، وبرع في سائر الفنون النقلية (والعقلية ، وزاحم مشايخه في التحقيق)[4] ، ولَمْ يزل ملازمًا لوالده مدة حياته ، وأخذ عن (المحقق عبدالله بن عمر) الخليل[5] ، وعن عمه السيد العلامة أبو بكر بن يحيى[6] ، وعن السيد (أحمد بن سليمان الهجام)[7] والشيخ أحمد بن حسن الموقري[8] ، وله مشايخ كثيرون أخذًا (وإجازة ، قد أتى على)[1]

---

(١) ما بين القوسين من صفحة (٢١٧) إلى هنا أسقطه ناسخ ع عمدًا وكتب يقول : إلى آخر ما ساقه المسير إلى الترجمة المطولة حذفناها اختصارًا .

(٢) ما بين القوسين من هنا إلى ص (٣٢٨) أسقطه ناسخ ع عمدًا وكتب : وقد طال المسير بما يجدي .

(٣) بياض في الأصل وأثبتناها من ص .

(٤) بياض في الأصل وأثبتناها من ص .

(٥) عبدالله بن عمر الخليل الزبيدي ، من علماء زبيد المشهورين في العلوم العقليّة (ت/١١٩٣ هـ) .
انظر : زبارة ، نشر العرف ٢/١٢٩ ؛ الأهدل ، النفس اليماني ، ٤٠ .

(٦) أبو بكر بن يحيى بن عمر الأهدل ، من علماء زبيد .
انظر : القنوجي ، أبجد العلوم ، ١٧٧ ؛ الأهدل ، النفس اليماني ، ٨٦ .

(٧) بياض في الأصل وأثبتنا الاسم من ص ، ولم أعثر على ترجمة لصاحب الاسم .

(٨) أحمد بن حسن الموقري ، من علماء زبيد في القرن الثاني عشر الهجري (ت/١٢٠١ هـ) .
انظر : الأهدل ، النفس اليماني ، ٤٧ ؛ القنوجي ، أبجد العلوم ، ١٧٥ .

أكثرهم في ثبتٍ له ، وله الحفظ البارع ، والاطلاع التام على (متون الأحاديث)[1]/ ، ولَمْ أرَ مثله في العناية بالعلم ، والاشتغال به ، بحيث إنه [ص٢٦٨] يقيد بالكتابة كل ما استحسنه ، فمجامعه موارد الفوائد ، (وأسفاره قلائد الفرائد)[1] ، وله الشفقة التامة بطلبة العلم ، والتواضع لكل مستفيد ، والإصغاء للمسترشد ، دمث الأخلاق سهل الجانب للصغير والكبير ، طارحًا أبهة العادة ، لا جرم فهو إمام أهل الزهادة ، وله اليد الطولى في علوم القوم ، ويحل مشكلات كلامهم [٨١/ب] حين يسأله المتأهل ، وأوقاته مستغرقة بالطاعات ، ومجلسه معمور بالعلوم النافعات ، وله مقام عريق في التقوى والانقطاع إلى الله - تعالى - بكليته : فهو من أئمة العلم والعمل . له من المؤلفات « فتح القوي حاشية على المنهل الروي »[2] لوالده سليمان ، وهو شرح منظومة مجد الدين[3] صاحب « القاموس »[4] في مصطلح الحديث ، وتلك الحاشية بديعة حرر فيها جملة فوائد . ومدَّ من خزانة فكره للطالبين موائد ، وله شرح على « بلوغ المرام »[5] بلغ فيه فيما أظن إلى كتاب البيوع ، وله مجاميع في العلوم للفوائد جامعة ، ومؤلفات مختصرة في التصريف والبيان ، وغير ذلك من الرسائل ، والأجوبة على المسائل ، ممَّا لعلها تجيء مجلدًا ضخمًا : لأن إليه منصب الفتيا بالقطر اليماني .

لازمته مدة ، وأخذت عنه في غالب الفنون ، وهو الذي أمرني أن

---

(١) بياض في الأصل وأثبتناها من ص .

(٢) توجد نسخة منه مخطوطة في مجلدين بمكتبة الآصفية ٤٢٨ (حديث) .

(٣) محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، من أئمة اللغة والأدب ، كان مرجع عصره في اللغة والحديث والتفسير (ت/٨١٧هـ) . انظر : الزركلي ، الأعلام ٨/١٩ ؛ الشوكاني ، البدر الطالع ٢/٢٨٠ .

(٤) القاموس المحيط ، مطبوع في ٤ مجلدات ، طبع أكثر من طبعة .

(٥) بلوغ المرام من أدلة الأحكام ، لابن حجر العسقلاني ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت .

[ص٢٦٩] أشرح منظومة « المدخل في المعاني والبيان »(١) للسيد العلامة / إبراهيم ابن محمد شرعان(٢) ، وهي منظومة بديعة ، وقد (كتبت عليها شرحًا بسيطًا)(٣) ، وقد تم بحمد الله تعالى ، ووسمت ذلك الشرح « روض (الأذهان شرح منظومة)(٣) مدخل المعاني والبيان »(٤) ، وقد قرظه جماعة من أعيان (الوقت ، قد أتيت)(٥) على ذكرهم في « حدائق الزهر » ، ومما أفادني به ما كتبه إلي وقد (أصابه عارض رحماني)(٥) ما لفظه : « وأظن أني قد ذكرت لكم في كتاب قبل هذا (نكتة ذكرها)(٥) الحكيم الحموي صاحب كتاب « البيان في علم الطب » في كتابه الجليل الذي أفرده في الطب النبوي على صاحبه أفضل الصلاة والسلام ، أنه بلغ من حذاقة المغنين في إقليم الأندلس أنهم ينظرون في نبض العليل ثُمَّ يغنونه بصوت يناسب حاله ، فيحصل الشفاء عاجلاً بابتهاج الروح وانشراحها بذلك النغم المذهب ، بقدرة الله تعالى لما بذلك العليل من الداء والسقم ، فسبحان من علم الإنسان ما لم يعلم » انتهى بلفظه .

وقد قيلت فيه مراثٍ(٦) مستجادات [٨٢/أ] ، ولأدباء عصره فيه مدائح مدونة بأيدي المشتغلين بالأدب من أهل اليمن ، ومع شهرة ذلك لا حاجة بنا إلى إيراد شيء منه ، لأنه ينافي الاختصار(٧) :

وإذا استطال الشيء قام بنفسه ... وصفاتُ نور الشمس يذهبُ باطلا)(٨)

(١) مؤلف هذا الكتاب هو عبدالرحمن بن أحمد بن عبدالغفار ، عضد الدين الأيجي ، عالم بالأصول والمعاني والعربيَّة (ت/٧٥٦هـ) . انظر : الزركلي ، الأعلام ٦٦/٤ ؛ الشوكاني ، البدر الطالع ٣٢٦/١ .

(٢) لم أعثر له على ترجمة .

(٣) بياض في الأصل وأثبتناها من ص .

(٤) لا توجد معلومات حول هذا المخطوط .

(٥) بياض في الأصل وأثبتناها من ص .

(٦) الأصل : مراثي .

(٧) البيت من الكامل .

(٨) ما بين القوسين من صفحة (٣٢٦) إلى هنا أسقطه ناسخ ع عمدًا ، وكتب يقول : وقد طال المسير بما يجدي .

السنة الحادية والخمسون بعد المائتين والألف / فيها توفي (الوالد [ص٢٧٠] العلامة التقي أحمد بن إبراهيم النعمان ، كان من الفضلاء ، ومن الزهاد الكملاء ، ارتحل إلى « صعدة » ، وقرأ في علم الفروع والأصول الدينية . ورجع إلى وطنه قرية « الشقيري » ، ولم يزل مقبلاً على الله تعالى في جميع أوقاته ، قانعًا بالرزق الحلال ، عازفًا نفسه عن الدنيا في جميع الأحوال ، مع ورع صادق ، والتفات إلى ما يقربه إلى الله في جميع الطرائق ، وله كرامات مشهورة ، وأحوال مذكورة ، رحمه الله تعالى (وإيانا .

وفيها في شهر رجب)(١) كانت وفاة الشريف العلامة الفاضل بشير ابن شبير بن (مبارك بن محمد بن خيرات)(١) ، كان من أهل العلم والفضل ، والاشتغال التام (بالعلم ، لازم سيدي الوالد)(١) - رحمه الله تعالى - مدة حياته ، ولازم السيد العلامة حسن بن خالد ، (وكتب بيده)(١) مؤلف والدي المسمى بـ « مشارق الأنوار »(٢) ، ونسخ « سبل السلام »(٣) (وكان له المعرفة)(٤) التامة بما تضمنه الكتابان من المباحث العلمية ، بحيث إنه يستحضر أكثر مسائلهما لشدة عنايته بهما، وتردد إلى « مكة المشرفة » للحج ، ولَمْ يزل في اشتغال / بما يعنيه من العلم [ص٢٧١] والطاعات ، إلى أن اختار الله له النقلة إليه ، وقبره بمدينة « أبي عريش » رحمه الله تعالى)(٥) .

(١) بياض في الأصل وأثبتنا الزيادة من ص .

(٢) لم أعثر على معلومات عن هذا الكتاب سوى ما ذكره المؤلف في كتابه حدائق الزهرمن أنه في أربعة مجلدات من القطع الكبير . انظر : حدائق الزهر ، ١٥ .

(٣) مؤلفه محمد بن إسماعيل الصنعاني المعروف بالأمير (ت/١١٨٢هـ) ، وهو مطبوع عدة طبعات .

(٤) بياض في الأصل وأثبتنا الزيادة من ص .

(٥) من بداية القوس في أعلى الصفحة إلى هنا ساقط في ع ومكتوب ما يلي: التقي أحمد ابن إبراهيم النعمان والشريف العلامة بشير بن بشير .

وفي هذه السنة : كان قد بلغ محمد أمين المقصود من ملك اليمن ، وانخراط أهله في سلك الطاعة ، وقد كان رفع إلى الباشا [٨٢/ب] محمد علي صاحب مصر بما ناله من الأماني ، وابتسمت له به ثغور الدهر مما يوجب التهاني ، فجهز من طرفه إبراهيم باشا[١] - ويقال : إن محمد علي خاله - مقلدًا مملكة القطر اليماني ، فخرج في جيش جرار ، فلما وصل إلى بندر « القنفذة »[٢] توجه إلى بلاد السراة ، لقطع من هناك لأنهم أصل المناوأة ، فسلك طريقًا وعرة لا تسلكها الجيوش في العادة ، حتى وصل إلى قرية « الشعبين »[٣] وطرح بأجناده ، فتداعى عليه الرجال من تحت أحجار تلك الجبال ، وسارحوه بالقتال وراوحوه ، ولكأس البلايا علانية أذاقوه ، فقتل من أصحابه الكثير : وأسر منهم من أسر ؛ فضاقت عليه الأمور ، وعدم الراحة لما عانده المقدور ، وقد كان في جند يملأ الفضاء ، وحال يرتضى ، ففر هو ومن معه (من خفيف العساكر)[٤] وأصبح / وقد خلف تلك البلاد وراء ظهره ، و (أنشد لسان حاله قول الشاعر)[٤] : [ص٢٧٢]

شتانَ ما يومي على كورها ... ويوم حيانٍ (أخي جابر[٥])

---

(١) شقيق أحمد باشا يكن والي الحجاز من قبل محمد علي باشا ، عين قائدًا للقوات التي أرسلها محمد علي للسيطرة على اليمن سنة ١٢٥١ هـ .
انظر : عبدالرحيم ، محمد علي ، ٢٠٦/٢ .

(٢) ميناء على البحر الأحمر ، لعب دورًا مهمًا في تاريخ عسير والمخلاف السليماني في القرن الثاني عشر والثالث عشر الهجري ، يبعد حوالي ٣٥٠ كم جنوب ميناء جدة .

(٣) من قرى رجال ألمع بل هي حاضرتها الآن ، تبعد حوالي ٥٨ كم جنوب مدينة محايل .
انظر : أطلس عسير ، خارطة رقم ٣٢ .

(٤) بياض في الأصل وأثبتناها من ص .

(٥) البيت من السريع وهو للأعشى ،
انظر : الديوان ، ١٤٧ .

وكان التعرض في)[١] مبادئ وصوله لقتالهم لا يغني ، ومن أمثال (العرب : « على نفسها براقش)[١] تجني »[٢] ، وحين عاين الموت جهرة ، وأيس (من الظفر بأهل تلك الجبال)[٣] ، توجه إلى بندر « القنفذة » . ورأى أن المضي لما (هو بصدده أولى من)[٣] معاناة تلك الأهوال :

بقدر الصعود يكون الهبوط ... فإياك (والرتب العالية)[٣]

وكن بِمَقامٍ إذا ما وثبت ... تقوم و (رجلاك في عافية)[٣]

(وكان دخول إبراهيم باشا بندر « الحديدة » آخر يوم الخميس رابع جماد أول) ، فقدم في مركب من المراكب البحرية إلى بندر « الحديدة » ، (فتلقاه الشريف الحسين) ومحمد أمين بالإجلال والإكرام ، وأنشد لسان الحال قول ([٤] أبي تمام :

لزموا مراكز الندى وذراه ... وعدتنا عن مثل ذاك العوادي

غير أن الربى إلى سبل الأنواء ... أدنى والحظ حظ الوهاد[٥]

فأشعر بباشويته أهل قطر اليمن ، وجعل « الحديدة » مستقر مملكته والوطن ، وقسم عساكره في البلاد لأجل الحفظ لها ، وأنشد لسان الحال حين رقا / دست الإمارة وحلها ، قول جمال الدين بن نباتة ، [ص٢٧٣] وردد بذلك في أغلب أوقاته :

هي الحظوظُ فخذ منها بما وهبت ... ولا تقل عاليًا قدري ولا دونا

يُعد ذا دون هذا في مشابهته ... وقس على ما تراه السين والشينا[٦]

---

(١) بياض في الأصل وأثبتناها من ص .

(٢) أصل المثل : على نفسها جنت براقش ، وهي كلبة نبحت على جيش فدلتهم على أهلها فأوقعوا بهم ، ويضرب لمن أتاه الشر من نفسه .
انظر : الزمخشري ، المستقصى ١٦٥/٢ ؛ ابن منظور ، لسان العرب (برقش) .

(٣) بياض في الأصل وأثبتناها من ص ، والبيتان من المتقارب .

(٤) انظر : نهاية القوس في صفحة (٣٣٣) .

(٥) البيتان من المديد ، انظر : ديوان أبي تمام ، ٧٦ .

(٦) البيتان من البسيط .

فأمَّا محمد أمين بعد ذلك فرجع من حيث أتى بعد أن بلغ من الدنيا بعض المأمول ، ولا أقول أقنعه الدهر من الغنيمة بالقفول ، وأمَّا الشريف الحسين فكان في ظن الناس أن تضاف إليه (ممالك اليمن ، لكمال عنايته)[1] في استخلاصها ، ولكن قد عرف أن الدهر يعكس (المقاصد ، ويراقب ... ويراصد)[2] ، خلقًا ألفه الناس من سجاياه ، وطبعًا (رمى به الخلق من سهام جناياه)[3] :

فقد تدنو المقاصد والأماني ... فتعترض (الحوادث والمنون)[4][5]

وهذا شيء معروف ، وفي النثر والنظم موصوف ، (قال أبو الطيب)[6] :

أريد من زمني ذا أن يبلغني ... ما ليس يبلغه في نفسه الزمن

ما كل ما يتمنى المرء يدركه ... تجري الرياح بما لا تشتهي السفن[7]

ولكن القدر يناديه بصوت قد أطرب عن قريب ، ستنال هذا المطلب ، وستكون المملكة / [ص٢٧٤] إليك بالاستقلال عائدة ، وإنَّما هذه مقدمات لتحصيل الزرع وبيدك جنى الفائدة ، ومع هذا فهو عندهم في الظاهر أنفس من الزمرد الأخضر ، وأعز على خواطرهم من الكبريت الأحمر ، يودعون دراري كلامه فيما يصلح للمملكة أصداف قلوبهم ، ويحملون أثقال جنابه على عيونهم ، فضلاً على جنوبهم ، فبمجرد أن يشير عليهم لشوره يأتمرون ، وعلى تقلب أنفاسه يميلون ، ولكن غسل يده من أوضار التعلق

(١) ع : مماليكه .
(٢) ع : الأيام .
(٣) ع : يرميهم من كنانته ببلاياه .
(٤) ع : دونها المثبطات بالثواني .
(٥) البيت من الوافر .
(٦) ع : قال الشاعر
(٧) البيتان من البسيط ، انظر : ديوان المتنبي ٤/٢٣٤ .

بما هم به من الإمارة متعلقون ، واتخذ مدينة « الزهراء » وطنًا ، وتركهم في طغيانهم يعمهون ، وجاءه من محمد علي باشا مقرر في بندر « اللحية » يقوم ببعض المقصود ، وأقبل على شأنه ، والاشتغال بالمذاكرة مع أهل العلم والآداب ، وتعوض عن تلك الحالة بما هو أزكى منها عند أولي الألباب ، وقد تعوض عنها فضل راحته عن الهموم ، (وعن أخذ على التبع)[1] ، وكان إذا ناب إبراهيم باشا مهمٌّ من الأمور ، كان هو الصدر في تلك الصدور ، والقائم بأعباء ذلك الأمر ، والمتصدي لكل صعب وعر ؛ لأنه قد أعطاهم العهد على الطاعة . فما يسعه غير الوفاء وإن قابلوا / بعدم المكافأة (على حسن صنيعه بالجفاء)[2] . [ص٢٧٥]

ومن جملة المهمات : أن « يام » لم يزالوا يمدون (أيديهم لأخذ تهامة)[3] لما فطموا عن مألوفهم في محصول البلاد (تارة من يد ملوكها ، وتارة)[4] بأيدي الظلمة ، ففي آخر هذا العام نزلوا من « وادي بيش » ، (فعظم على الباشا ذلك الأمر وتكدر)[5] عليه صافي العيش ، فعول على الشريف في ذلك الخطب ، وأنه سيرسل إليه بأقوام ، وأنه يكون هو المتولي لدفع « يام » ، فأذعن في القيام بذلك المطلوب ، وصار في ذلك الجيش هو المقدم واليعسوب ، فوصل إلى « أبي عريش » بذلك الجيش الحاوي لأبطال الرجال ، واستمد الإذن من والده وربَّما لم يحمد ذلك الفعال ، لكون هذه الفئة جندهم عند اصطدام البلايا ، وكم قد تجلت بهم لهم ولسلفهم من رزايا)[6] [٨٣/أ] ، والناس في غاية الخوف ،

(١) هكذا وردت في ص .
(٢) سقطت في ع .
(٣) ع : حبائل مطامعهم إلى تهامة .
(٤) سقطت في ع .
(٥) ع : تجهيزًا على الباشا ليكدروا .
(٦) ما بين القوسين من صفحة (٣٣١) إلى هنا مفقود في الأصل ، وتم إكمال النقص من ص و ع .

وأكفهم مادة بالدعاء إلى الله - تعالى - في النصر عليهم ، لما قد عرفوه من أذيتهم ، وما قد أسدوه من المكاره إليهم .

فانفصل الشريف الحسين من « أبي عريش » لكفاية الناس هذا المهم ، ورفع هذا الخطب الملم ، ولما وصل مدينة « صبيا » لم يزل [ص٢٧٦] يدبر الرأي فيما به بلوغ الغاية / ؛ لأنهم قد نزلوا بمطرحهم قرية « العداية »[(١)] ، عملاً بقول الشاعر وهو في الإرشاد بالغ النهاية :

وللمعادي[(٢)] رتب في الحجا الرأي ثُمَّ الكيد ثُمَّ الكفاح
قد يغلبِ المرءُ بتدبيره ألفًا ولايغلبهم بالسلاح

فأنتج فكره الولود ، أن يهجم عليهم غفلة بالجنود ، وبعد بلوغ الوطر يرجع بمشيئة الله إلى « صبيا » ، فما شعر « يام » إلا وقد ظهر للجيش قتام ، فالحازم منهم من اتصل بإمساك السلاح ، وتعبؤوا للقتال ، ولكن قد لاح أن ليس فيهم فلاح ، فأرسل عليهم الأتراك بما قد أحكموه بالهندسة ، وانقضت عليهم من بطون المدافع (قلل تصغر)[(٣)] عندها السهام المقرطسة ، ودارت بهم تلك العساكر التي (شرر الجحيم لها أسلحة ، وطارت الخيل)[(٣)] للطعن فيهم بلا أجنحة ، فانكسر عند ذلك جند (هم المتكاثر ، ودارت عليهم بالهزيمة)[(٤)] الدوائر ، وهلك منهم جمع مستكثر ، واستولى على مطرحهم ، (فأصبحوا حديث سمر)[(٤)] ، وتفرقوا في الفلوات شذر مذر ، ورجع الشريف الحسين (بالأجناد إلى «صبيا » في بقية ذلك)[(٤)] اليوم ، وقد أشفى القلوب بما صنع بأولئك [ص٢٧٧] القوم ، ووصل (إلى « أبي عريش » تخفق)[(٤)] على / رأسه [الرايات]

(١) قرية من قرى صبيا تبعد عنها غربًا حوالي ٦ كم ، وهي بلدة قديمة ذكرها الهمداني .
انظر : العقيلي ، المعجم الجغرافي ، ٢٩١ ؛ الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ٢٣١ .
(٢) لعلها : وللمعالي ، ولم أعثر على القائل ، والبيتان من السريع .
(٣) بياض في الأصل وأثبتناها من ص .
(٤) بياض في الأصل وأثبتناها من ص و ع .

بالظفر ، وقد ساعده بما يريده القدر ، ومِمَّا قلته (مهنئًا له في هذه القضية)[(١)] بعد بلوغه للأمنية[(١)] :

ما هز للسيف بين الخيل والخول مثل الحسين الشريف (الباسل البطل)[(١)]
حاز الشجاعة إرثًا من أبيه ومن مولى البرايا أمير المؤمنين علي
وانظر وقائعه في كل معركة تحيي المآثر من صفين[(٢)] والجمل[(٣)]
لا يرهب الجيش إن قلوا وإن كثروا ما مثله أبدًا في الناس من رجل
/ ليث إذا صال في يوم الوغى وله كف كريم كمثل العارض الهطل [٨٣/ب]
يلقى الحروب بوجه باسمٍ طلق ولا يداخله شيء من الوجل
أروى القواضب من نحر العدا ولقد غدا بذلك للخطية الدبل
نال المكارم حتى صار مرتفعًا برغم ذي حسد حقّاً على زحل
فالنصر قائده في كل واقعة والسعد ساعد في حل ومرتحل
هذا هو المجد لا من بات مفترشًا ذات الخمار على التعطير والقبل
يا ابن الرسول ويا خير الكرام ومن أضحت فضائله في الناس كالمثل[(٤)]
إنا نهنّيك بالنصر الذي افتخرت به الليالي على ذي الأعصر الأول
وهو المبشر بالفتح المبين لكم ونيلك الملك في مستقبل الأجل
لاقيت قومًا أخافوا الخلق كلهم فلم يُلاقوا بغير الذلِّ والفشل

(١) بياض في الأصل وأثبتناها من ص و ع .
(٢) صفين : موقع بقرب الرقة على شاطئ الفرات ، وبها سميت المعركة بين الإمام علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما ، سنة ٣٧هـ .
انظر : الطبري تاريخ الأمم والملوك ٥/٥ ؛ ابن الأثير ، الكامل ١٤١/٣ .
(٣) الجمل : موقعة الجمل بين أصحاب الإمام علي بن أبي طالب وأصحاب عائشة رضي الله عنهما سنة ٣٦هـ .
انظر : الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ٥٠٨/٤ ؛ ابن الأثير ، الكامل ١٠٥/٣ .
ومن المناسب هنا أن نستدرك على المصنف رحمه الله أن المتقرر عند أهل السنة والجماعة الإمساك عما وقع بين الصحابة رضي الله عنهم وعدم الخوض فيه ، وعدم إثارته ، والمؤلف - عفا الله عنا وعنه - يثير مثل هذه الأمور التي هي فتنة ، وكان الأولى به ترك أمرها، لأن الجميع قدم إلى ما قدم، وليست مما يفاخر فيه، وإنما مما يتألم له.
(٤) هذه مبالغات لأن الممدوح ليس ابنًا للرسول ﷺ ، وليس كل من انتسب لآل البيت عُدَّ ابنًا للرسول عليه الصلاة والسلام . ثم إن هذا المدح يصح ويقبل لو كان القتال الذي يذكره قتالاً مشروعًا ، وهو في حقيقته فتن بين المسلمين كان الأولى التألم لوقوعها لا التباهي بوقوعها بين المسلمين .

حملت بالخيل فيهم غير منعطف ... ولوك أدبارهم خوفًا من الأسل

(فروا (سراعًا ولم يلووا على أحد)[1] ... وما لهم بك عند الحرب من قبل

[ص٢٧٨] / (وأصبحوا عبرة بين الورى وهم)[1] ... قوم تعدوا بِمَا جاؤوا من الزلل

(وعادة الله [2]فيمن قد طغى)[1] وبغى ... لا بد يوقعه في أسوأ العمل

(والحمد لله حمدًا دائمًا)[1] أبدا ... شكرًا لنعماه بالتفصيل والجمل

(ودم معافى على خيرٍ)[1] وفي نعمٍ ... في الملك في خصب عيش غير منفصل

(فأنت ليث الوغى)[1] في كل نائبةٍ ... نعده لدفاع الحادث الجلل

وإنّ أيامك الغرا لنا غرر ... إذ صر رتبة أهل العصر والدول

وهاك نظمًا يسيرًا قد تضمنه ... مدح لعلياك في وقت من العجل

ولَمْ أقل فيه إلا صدق مدحكم ... وما ذكرت به شيئًا من الغزل

فاقبله فضلاً وقابل بالقبول له ... لا زال قدرك فوق الشمس والحمل

ثُمَّ الصلاة على المختار من مضر ... محمد وجَميع الآل عن كمل[3]

[٨٤/أ] وفي قولي : « ونيلك الملك » ((إلخ)) أخذت ذلك عن بعض علماء اليمن من طريق الكشف ، وكان ذلك كما كان ، كما سيأتيك وقت زمانه في أثناء هذا التسيير ، وأهل هذه الطريقة يسلم لهم حالهم)[4] .

وفي خلال مدة إقامة الشريف الحسين في « الزهراء » بنى القلعة

(١) بياض في الأصل وأثبتناها من ص .

(٢) التعبير بالعادة في حق الله تعالى ليست مما أثر أو وردت في نص أو خبر ، وإنما الوارد « سنة الله تعالى » .

(٣) القصيدة من البسيط .

(٤) ما بين القوسين من أعلى الصفحة إلى هنا أسقطه ناسخ ع عمدًا وكتب : وهي طويلة واستيعابها مِمَّا ينافي الاختصار .

التي على بلاده « الكاملية »[1] ، وهي قلعة شامخة البنيان . وهي شرق « وادي مور » في أحسن مكان .

وفيها : كانت وفاة شيخنا السيد العلامة عبدالرحمن بن محمد الشرفي [2] هو سيد سامَى الثريا فخرًا ، وتفنن / في جميع العلوم فصار [ص٢٧٩] بحرًا ، من بيت في العلم والسيادة طويل الدعائم ، وقد عجنوا بالتقوى والفضل وحسن المكارم ، يرجع نسبهم إلى الإمام محمد بن القاسم عم إمام اليمن الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم ، فهم قاسميَّة ، ومسكنهم بلاد « الشرف » ، وإنَّما انتقل بعض آباء المترجم له إلى « زبيد » ، واتخذها وطنًا ، وبها ولد صاحب الترجمة ، ونشأ بها على العفاف والطهارة ، وطلب العلم حتى بلغ النهاية في جميع فنونه : من فقه ونحو وتصريف وأصول ، وأمَّا علم القراءات[3] فهو المجلي في ميدانه ، والسابق في تحقيقه على أقرانه ، حتى صار المرجع في هذا الفن في القطر اليماني ، وله مشاركة جيدة في علم الحديث ، وكان كثير الاطلاع بحيث ينقل في المسألة الواحدة ما لا يخطر بالبال من الأقوال .

(أخذ عن مشايخ)[4] وقته كالشيخ العلامة عبدالله بن الأمين الخليل ، ولازمه مدة ، وبه انتفع ، (وأخذ عن الشيخ الزين بن عبدالخالق)[4] ، وعن والده المحقق عبدالخالق[5] ، وأخبرني أنه أخذ عن

(١) قرية صغيرة في اليمن تبعد عن الزهرة حوالي ١٧ كم شرقًا .
انظر : الحجري ، مجموع بلدان اليمن وقبائله ٢/٦٦١ .

(٢) انظر : نهاية القوس في ص (٣٣٩) .

(٣) الأصل : القرات .

(٤) بياض في الأصل وأثبتناها من ص .

(٥) الزين بن عبدالخالق بن علي المزجاجي الزبيدي ، من علماء زبيد (ت/١٢٠٩هـ) .
انظر : زبارة ، نيل الوطر ١/٤٢٠ .
ووالده : عبد الخالق بن علي . وقيل بن علاء الدين . بن محمد باقي المزجاجي ، عالم فاضل ومحقق في كثير من العلوم (ت/١٢٠هـ) . انظر : الأكوع . هجر العلم ومعاقله في اليمن (المزجاجة) ٤/٢٠٣٥ .

سـيدي (الوالد رحمـه الله تعالى . وله مشـايخ)[1] كثيرون من أهل « صنعاء » ، بعضهم بالسماع كالسيد الحافظ عبدالله (بن محمد [ص٢٨٠] (الأمير ، وبعضهم بالإجازة[2])[3] ، وله بالعلم / اشتغال عظيم ، وحرص على الفوائد على اختلاف (أنواعها ، وكان لا يفتر عن)[3] الدرس والتدريس ، انتفع به كثير من فضلاء جهاتنا ، وغيرهم (وأخذت عليه في الفقه)[3] والنحو ، وفي علم القراءات قرأت عليه الشاطبية ، « وشرحها »[4] لشُعْلَة[5] ، (ولازمته مدة ، ولم أر مثله)[6] في تواضعه وحسن أخلاقه ولطافته ، وقد أثمر تواضعه الرفعة له عند الناس كما هو مصداق الحديث النبوي « من تواضع لله رفعه »[7] فصار عند الناس

---

(١) بياض في الأصل وأثبتناها من ص .

(٢) السماع والإجازة طريقتان من طرق تحمل الحديث عند المحدثين وتعريفهما بإيجاز :
أ - السماع : هو أن يسمع المتحمل (الطالب) من لفظ شيخه سواء أحدثه الشيخ من كتاب يقرؤه أم من محفوظاته ، وسواء سمع الطالب وكتب أو سمع فقط ولم يكتب ، والسماع أعلى أقسام طرق التحمل عند المحدثين ، وللسماع ألفاظ يستعملها راوي الحديث تدل عليه ، وهي : حدثنا ، أخبرنا ، أنبأنا ، سمعت ، ذكر لي ، قال لي .
ب - الإجازة : هي إذن الشيخ لتلميذه برواية مسموعاته أو مؤلفاته ولو لم يسمعها منه ، ولم يقرأها عليه ، وذلك بقوله : أجزت لك أن تروي عني الكتاب الفلاني ، أو ما صح عندك من مسموعاتي .
انظر لمزيد من التفصيل : الصباغ ، الحديث النبوي ، ص ٢٠٢ ؛ الطحان ، تيسير مصطلح الحديث ، ص ١٥٦ .

(٣) بياض في الأصل وأثبتناها من ص .

(٤) الشاطبية : قصيدة في القراءات ، واسمها الحقيقي : حرز الأماني ، وهي مطبوعة ، وصاحبها : القاسم بن فيرة بن خلف الشاطبي ، إمام القراء (ت/٥٩٠هـ) .
انظر : الزركلي ، الأعلام ١٤/٦ ، وشرحها يسمى : كنز المعاني في شرح الأماني ، مطبوع .

(٥) هو : محمد بن أحمد بن محمد الموصلي ، المعروف بشعلة ، من علماء القراءات (ت/٦٥٦هـ) .
انظر : الزركلي ، الأعلام ٢١٧/٦ .

(٦) بياض في الأصل وأثبتناها من ص .

(٧) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٤٦/٨ وأصله في صحيح مسلم كتاب البر والصلة ، باب استحباب العفو والتواضع ٢٠٠١/٤ ، رقم ٢٥٨٨ .

بسبب ذلك بالمقام الأعلى ، وذكره بكل ثناء حسن يتضوع بينهم كالمسك بل هو أغلى ، وكان يؤثر الخمول في حاله وقاله ، ويعزف نفسه عن الدنيا ، ولا يتأنق في لباسه بل على حسب ما اتفق ، فحاله حال الزاهدين ، رحمه الله تعالى وإيانا .

وكان متقلداً لمنصب الفتيا « بزبيد » [٨٤/ب] . وفتاويه كلها مسددة ، وقد اطلعت له على رسائل جمة ، بعضها جوابات دلّت على علم غزير ، وعلى جودة ذكاء وبراعة تحقيق ، وله مع علماء زمانه مراجعات ومذاكرات ، في غالبها يفوز بالحق ويفلجهم بالحجة ، وكان كثير الذكر والتلاوة والعبادة ، وفي آخر عمره كُفَّ بصره / ومن حرصه على العلم لا [ص٢٨١] يترك الاشتغال به ؛ بل يأمر من يقرأ عليه في أي كتاب يريده . وقد حضرت عنده في مواقف عديدة بعد أن كُفَّ بصره ، ويأمرني بالإملاء عليه ، فأمليتُ كثيراً من كتب الفقه ، وبعضاً من الحديث ، وكثيراً من «مغني اللبيب »[1] في النحو)[2] رحمه الله تعالى .

وفيها : كانت وفاة الشريف الماجد العالم حيدر بن ناصر بن محمد ابن أحمد بن (محمد) بن خيرات ، هو من كملاء الأشراف ، وممن اتصف بالشمائل اللطاف ، له معرفة تميزه على أبناء جنسه ، أخبرني أنه أخذ في علم الفروع على الوالد العلامة حسين بن عبد العزيز النعمان[3] ، وله عناية بالمطالعة للكتب العلمية ، (واستفاد بذلك كثيراً)[4] ،

---

(١) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ومؤلفه : جمال الدين بن هشام (ت/٧٦١ هـ) ، حققه وعلق عليه د . مازن المبارك ومحمد علي حمد الله ، مطبوع عدة طبعات أولها عام ١٩٦٤م .

(٢) ما بين القوسين من صفحة (٣٣٧) إلى هنا أسقطه ناسخ (ع) عمداً حيث يقول : وقد أطال القاضي في ترجمته بما يجدي .

(٣) من علماء المخلاف السليماني ، كان قاضياً في صبيا (ت/١٢٢٥ هـ) .
انظر : عاكش ، عقود الدرر ، الترجمة رقم (٧٦) .

(٤) بياض في الأصل وأثبتناها من ص .

وكان يحب المذاكرة للعلماء ، ولا يفتر عن المراجعة (وله تعلق بأصول الدين ، ولم يزل يورد)[١] الإشكالات في ذلك العلم ، ويطلب حلها من علماء (ذلك الشأن ، وبيني وبينه مراسلات)[١] أنبأت عن تأهله للبحث ، وقد تولى عمالة « صبيا » (وحمدت سيرته ، وكانت وفاته بعد)[١] تأدية فرض الحج مع رجوعه إلى وطنه ، ودفن في (بعض جزائر البحر ، رحمه الله تعالى)[١] .

السنة الثانية والخمسون بعد المائتين والألف : (فيها تزايدت [ص٢٨٢] الشدة على الناس) وكان ابتداء ترافع الأسعار / من سنة إحدى وخمسين ، (ولَمْ يزل الأمر في تضايق)[١] ، واستمرت الأزمة على الناس ، وحل بهم من القحط البأس ، (ولطف الله بعد) ذلك بسبوغ الأمطار ، وتراخصت الأسعار ، فلله الحمد والمنة (على نعمه التي)[١] لا انتهاء لها ولا انحصار .

وفيها : كانت وفاة السيد العلامة الفاضل علي بن محمد بن عقيلي الحازمي ، (هو من العلماء العاملين ، أخذ عن مشايخ وقته كسيدي الوالد رحمه الله تعالى ، والعلامة حسن بن خالد ، وارتحل إلى « زبيد » وأخذ عن علمائها ، وله رحلة إلى « صنعاء » وكان متوليًا للحكومة بقرية « ضمد » على سبيل الحسبة ، وأحكامه منوطة بالسداد ، وله مهاجرة في « مكة المشرفة » ، ولم يزل على الحال المرضي حتى نقله الله تعالى من هذه [٨٥/أ] الدار إلى دار القرار بقريته « ضمد »)[٢] رحمه الله تعالى وإيانا ، آمين .

السنة الثالثة والخمسون بعد المائتين والألف: كانت وفاة السيد الإمام أحمد بن إدريس الحسني المغربي نسبًا ([٣] هو من ذرية الإمام

(١) بياض في الأصل وأثبتناها من ص .
(٢) ساقط في ع .
(٣) انظر نهاية القوس في صفحة (٣٤٢) .

إدريس بن عبدالله المحض[١] ، وهو من السادة الإدريسية الساكنين بالغرب ، وهم أشهر من أن تنشر أخبارهم ، وهو شيخنا إمام العارفين ، وقدوة الزاهدين ، ورأس المتقين ، قد صفا قلبه وقالبه لله ، فصارت الطاعة له سجية وجبِلّة ، وظهرت عليه أنوار العبادة ، وصار له التأله والذكر / عادة ، أوقاته مشغولة بالطاعات ، لا تكاد تسمعه يتكلم بشيء [ص٢٨٣] من المباحثات[٢] ، بل إمّا ذاكر أو تالٍ[٣] أو مجيب سائل ، وله في بدايته رياضات من صيام وصلاة وتلاوة ، لقي مشايخ وقته ، فأخذ عنهم علم الطريقة[٤] ، وأكبر شيخ له كما أخبرني الشيخ العارف عبدالوهاب التازي ، حتى صار في أوان شبابه إمام القوم ، وقدم على قدم التجرد من بلده المغرب إلى « مكة المشرفة » سنة (أربع عشرة بعد المائتين)[٥] والألف .

ولَمْ يزل يدأب في الطاعة ، وجعل مبلغ همه (الاشتغال بالتنقير عن خفايا الكتاب)[٥] العزيز ، حتى إنه حدثني أنه قصر فكره نحو ثلاثين سنة على (استخراج اللطائف من كتاب الله تعالى)[٥] موكلاً فهمه لاستنباط العلوم (منه) على اختلاف أنواعها ، (فصار بذلك ترجمان القرآن ، وسارت)[٥] بذكره في تحقيق علم التفسير الركبان ، وصار إذا تكلم في تفسير آية (قرآنية فيأتي بما يبهر)[٥] السامع من أنواع العلوم ، مِمّا يدل على أن ما أعطي إنَّما هو موهبة من (الله تعالى . والكلام في)[٥]

(١) إدريس بن عبدالله بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، مؤسس دولة الأدارسة في المغرب سنة ١٧٢هـ وإليه نسبتها (ت/١٧٧هـ) .
انظر : ابن خلدون ، تاريخ المبتدأ والخبر ، ٢٣/٤ ؛ الأصفهاني ، مقاتل الطالبيين ، ٤٨٧ ؛ الزركلي ، الأعلام ٢٦٧/١ .
(٢) هكذا في الأصل ولعلها : المباحات .
(٣) الأصل : تالي .
(٤) الطريقة الصوفية : الأحمدية .
(٥) بياض في الأصل وأثبتناها من ص .

علم الموهبة معروف ، وقد استوفى الكلام فيه في « لطائف المنن »[1] لأبي العباس المرسي[2] ، ويدل على صحته قوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾[3] ، وقوله تعالى : ﴿ إن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾[4] .

[ص٢٨٤] ومال إلى الاشتغال بعلم الحديث / حتى صار من حفاظه ، وجعل الكتاب والسنة إماميه ، وتقيد بهما حالاً وقالاً ، ومشى على سنن السيرة المحمدية طريقة وفعالاً ، ولم يكن له في زمانه من يدانيه في الحفظ والاستحضار ، وحسن التعبير في إيراد المسائل والإصدار ، لو أن كلامًا أذيب له صخر ، أو أُطْفِئَ به جمر [٨٥/ب] أو عوفي به مريض ، أو جبر به مهيض ، لكان كلامه الذي يقود سامعه إلى السجود[5] ، ويجري في القلوب كجري الماء في العود :

فترى المعالي طوع بالغ أمره ... فكأنه ملك البيان بأسره[6]

وكان مدة إقامته « بمكة المشرفة » تجري بينه وبين علمائها (المراجعة) فيفلجهم بالحجة ، ولا يستطيع منهم أحد أن يقاومه في المراجعة ، لما هو عليه من سرعة البادرة والاتساع في المعارف العلمية ، وله قوة فكر في أخذ الدليل من الكتاب والسنة ، استنباطًا وانتزاعًا ، وهو لا مذهب له غير ما دلَّ عليه الدليل من كتاب وسنة ، وكان يكافح أولئك

(١) اسم الكتاب : لطائف المنن في مناقب المرسي وأبي الحسن ، مطبوع ، ومؤلفه ليس كما ذكر المؤلف هنا بل هو : أحمد بن محمد بن عبدالكريم بن عطاء الله الإسكندري (ت/٧٠٩هـ) .
انظر : الزركلي ، الأعلام ٢١٣/١ ؛ الشوكاني ، البدر الطالع ١٠٧/١ ؛
- G . Makdisi EI 2 . article { Ibn Ata Allah } .

(٢) أحمد بن عمر الأنصاري ، فقيه متصوف ، أصله من المغرب ، وقيل من مرسية في الأندلس ، ونزل الاسكندرية وبها توفي عام ٦٨٦ هـ .
انظر : النبهاني ، جامع كرامات الأولياء ٥٢٠/١ - ٥٢٢ ؛ الزركلي ، الأعلام ١٧٩/١ .

(٣) سورة البقرة ، الآية : ٢٨٢ .

(٤) سورة الأنفال ، الآية : ٢٩ .

(٥) هذا الكلام مجانب للصواب ، والوصف المذكور إنما يتحقق في كلام الله تعالى الذي لو أنزل على جبل لخشع وتصدع ، أما كلام البشر فيبقى كلام بشر لا يصح أن يوصف بأكثر من ذلك وأي كلام سيأتي يقود إلى السجود ، فإن كان تلاوة لكلام الله فليس له فيه مزية، وإن كان من كلامه وهو بشر، فما جعل شيء من كلام عامة البشر بهذه المزية.

(٦) البيت من الكامل .

بتزييف هذه المذاهب ، والعكوف على ما مضى عليه الناس من التقليد ، ويعلن لهم بأن قَصْرَ الحق على هذه المذاهب المعروفة من البدع . وأن الجزم بتعذر الحكم من دليله لا مستند له ، وأنه من تحجُّر الواسع : لأن فضل الله ـ سبحانه ـ غير (مقصور على شخص دون)[1] / شخص ، [ص٢٨٥] والفهم الذي هو شرط التكليف قد منحه الله ـ تعالى ـ على كل (أحد ، ولو كان مختصًا به أحد دون)[1] (أحد) ، أو زمان دون زمان ، لما قامت الحجة على العباد بالكتاب (والسنة ، وهذا لا يرتضيه أحد ، وهذا) الصنيع من كفران النعمة ، وقد تكلّم في هذه المسألة (جماعة من أهل العلم ، وأفردها الشيخ)[1] صالح الفلاّني[2] بمؤلف[3] ، وأحسن من أجاد في الكلام على (هذه المسألة الإمام محمد بن إبراهيم)[4] الوزير أودعه في « عواصمه »[5] .

نعم : فانحرف عنه علماء (« مكة » لهذا السبب . ولله در القائل :

ألا قل لمن بات لي حاسدًا)[6] ... أتدري على من أسأت الأدب
(أسأت على) الله في فعله ... لأنك لَمْ ترض لي ما وهب[7]

(ومع هذا أنهم)[8] إذا أشكلت عليهم مسألة دسوا إليه من يسأله ، فيجلّيها لهم ، وقد نشر الله ـ تعالى ـ له من الصيت ، وحسن الذكر ما ملأ

(١) بياض في الأصل وأثبتناها من ص .

(٢) صالح بن محمد بن نوح بن عبدالله العمري ، المعروف بالفلاّني ، نسبة إلى فلاّن بالسودان ، عالم بالحديث ، مجتهد من فقهاء المالكية بالمدينة المنورة (ت/١٢١٨هـ) .
انظر : الزركلي ، الأعلام ٢٨١/٣ ؛ القنوجي ، التاج المكلل ، ٤٣٣ .

(٣) لعل هذا الكتاب : إيقاظ همم أولي الأبصار للاقتداء بسيد المهاجرين والأنصار ، مطبوع .

(٤) بياض في الأصل وأثبتناها من ص .

(٥) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم ، سبق التعريف به .

(٦) بياض في الأصل وأثبتناها من ص .

(٧) البيتان من المتقارب .

(٨) بياض في الأصل وأثبتناها من ص .

الآفاق ، وما ضره حسدهم ، ولاتمالؤهم على غمط فضائله ، والاتفاق على أنه طاهر السريرة ، صافي القلب من داء الحسد والحقد ، فما يعاملهم بغير الجميل ، والدعاء لهم بالهداية إلى سلوك سواء السبيل ، وكان عند ملوك « مكة » هو العين الناظرة ، منزولاً عندهم في أرفع [ص٢٨٦] المنازل ، ملحوظًا بعين الإجلال [٨٦/أ] / في جميع المحافل ، مع أنه غير راغب في الميل إلى الدنيا ولا أربابها ، ولكن قد جرت العادة أن من آثر خدمة الله ـ تعالى ـ أقبل بقلوب الخلق إليه .

وفي آخر مدته خرج من « مكة » إلى اليمن ، وكان وصوله إلى « زبيد » سنة ثلاث[١] وأربعين بعد المائتين والألف ، وتلقاه شيخنا الحافظ السيد عبدالرحمن بن سليمان ، وجعل نفسه له مقام التلميذ ، وأجلّه غاية الإجلال ، ولا يعرف الفضل لذي الفضل إلا ذوو الفضل من كملاء الرجال ، وأقام مدة ينثر على المستفدين درر الفوائد ، ويمد عليهم من لطائفهم موائد ، حتى ترجح له المسير نحو الشام[٢] ، فشق على ذلك القوم مسيره ، وأنشد لسان حالهم قول بعض الأنام :

أيها السائر عنا عجلا … أينما سرت فما عنك خلف

إنَّما أنت سحابٌ هاطل … حيثما صرَّفه الله انصرف

ليت شعري أي قوم أجدبوا … فأغيثوا بك من بعد التلف[٣]

وأنشد المنشد وقد اجتمع هنالك المودعون ، وحضر لديه (المشيعون، بعد أن شدت الرحال)[٤] ، لقصد الترحال ، ومِمَّا مدحه به صاحبنا العلامة الأديب (عبدالكريم بن حسين العتمي رحمه الله تعالى)[٤] :

(١) الأصل : ثلاثة .

(٢) هذا من استخدام المؤلف لمفهوم الشمال في كلمة « الشام » عند أهل المنطقة ، والمراد الاتجاه من زبيد إلى صبيا .

(٣) الأبيات من الرمل .

(٤) بياض في الأصل وأثبتناها من ص .

/ أمَا آن أن يستوقف الركب منشد … وينجد (ملهوف الشكاية منجد)[١] [ص٢٨٦]

على رِسْلكم لا تعملوها فإنَّما … مواطنها أحشاء (قوم وأكبد)[١]

خذوا من ثرى آثارها قبضة لنا … فطيب ثراها (للنواظر إثْمد)[١]

ألَمْ تعلموا أن « العقيق » تشعبت … مجاريه في خد (الحزين تنجد)[١]

دخرت دموع العين قبل فراقكم … لما بعده فاليوم (للأمس مسعد)[١]

ألا فاذكرونا طوّل الله عمركم … فقد قال (مخدوم الصبا غاب هدهد)[١]

على أننا لا نعرف الخبء إنَّما … بنا ما بنا مِمَّا يقيم ويقعد

قصور تداني شامخات « يلملم »[٢] … وعجز عليه شاهد الحال يشهد

ونحن وإن كنا شيوخًا فإنَّما … لأحلامنا مهد الأصاغر تَمهد

وقد رضعت من حافل الفيض عنكم … لبان هدى يروي الغليل ويرشد

وقد تعلموا أن الرضاع لِمُدّة … وما كملت فاستكملوها وأسعدوا

/ أبى الله أن ينأى بنا طلب العلا … على كيف ما كنا وأحمد أحمد [٨٦/ب]

نزلتم بنا لا بل نزلنا لأننا … وردنا حياضًا لَمْ تكن قبل تورد

كأنك حوض المزن طأطأ نفسه … فيا حبذا منكم شهود ومشهد

كأنك ركن البيت أُعطي قدرة … فسار إلى من عنه مسراه يبعد

وإنك ظل الله مدّ رواقه … تفيأه منّا قريب ومبعد

وإني (للثاني فغارة)[٣] مشفق … عليه لئلا يشبهن يومه الغد

وصلّ صلاة الله طيب سلامه … على من عُلاه دائمًا يتجدد

/ محمد المحمود ذاتًا وعنصرًا … مع الآل والأصحاب ما الله يعبد[٤] [ص٢٨٨]

(١) بياض في الأصل وأثبتناها من ص .

(٢) يلملم : واد في بلاد الجحادلة ، يقع على بعد حوالي ١٢٠ كم جنوب مكة المكرمة ، وهو ميقات أهل اليمن المعروف .
انظر : الهمداني ، صفة جزيرة العرب، ١٣١ و٢٢٢ ؛ الجاسر ، المعجم الجغرافي ١٥٠٠/٣.

(٣) بياض في الأصل وأثبتناها من ص .

(٤) القصيدة من الطويل .

فحصل هناك الضجيج والبكاء للفراق ، وتجاذبوا في ذلك الموقف أحاديث الأشواق ، وانتهى مسيره (إلى جهاتنا هذه)[1] ، وكانت إقامته « بصبيا » ، ووصوله إليها سنة خمس وأربعين (بعد المائتين والألف ، وأقام من)[1] هذا إلى عام وفاته بها .

وقد وقفت بين يديه نَحو ثلاث (سنين ، أرتضع منه أخلاف المعارف)[1] ، وأقتطف من أزهار علومه اللطائف ، واستمديت (منه علوم الطريقة[2])[3] وجبذني إلى مجاز تلك الحقيقة ، وقد كتبت عنه كثيرًا من العلوم . ولم تر عيني (مثله في نسكه وإقباله)[3] على الله تعالى ، وفي حسن تصرفه في المعارف العلمية ، ولو شرحت ما له من (الأحوال الإلهية لطالت)[3] ، ولو أوردت[4] جملاً من علومه لعجز القلم عن إحصائها إذا (توالت، وإن كان)[5] في الحقيقة يقصر عن وصفه قلمي ولساني، ويضيق صدر هذه الأوراق عن التعبير بما أجنه جناني ، وعلى الجملة : فإنه ملك العلم بأزمته ، والعرفان بجزئيته وكليته ، على أنا علمنا الفضائل وما نرى أجرأ منه في ميدانها ، ولا أحسن تصرفا منه لعنانها ، وأيم الله / الذي [ص٢٨٩] خلقه في أحسن تقويم ، وحباه هذا الفضل العظيم ، أني[6] ما شاهدته خصوصًا إذا خاطبته إلا رأيت العلم والعرفان يلوحان من شمائله ، ورأيت أعيان علماء الدهر عيالاً على فضائله ، وقرأت نسخة التقوى من وجهه ولحاظه ، واقتنصت شوارد الإفادة من ألفاظه ، وتذكرت قول ابن الرومي :

---

(١) بياض في الأصل وأثبتناها من ص .

(٢) الطريقة الأحمدية التي روّج لها أحمد بن إدريس في المخلاف السليماني ، والمؤلف هنا وقبل هذا في الصفحة (٣٤١) ذكر الطريقة ، يقصد بها طريقة من طرق الصوفية ، وهذه الطرق كلها مبتدعة ليس علها دليل ولا برهان ، ولو كانت خيرًا لأرشد إليها خير البرية عليه الصلاة والسلام ، ولسبق إليها أئمة الهدى الأخيار من الخلفاء الراشدين وصحابة سيد المرسلين ومن تبعهم بإحسان ، وهذه الطرق بدع شاعت ثم أصبحت ذات اتجاهات شبه حزبية عليها بقصد القرب والبعد والصداقة والفرقة ، وكلها مما لم ينزل الله تعالى به سلطانًا .

(٣) بياض في الأصل وأثبتناها من ص . وهذه كلها مزاعم باطلة ، ومبعثها العجب دون تفكر أو إعمال للعقل بما جاء به الشرع .

(٤) الأصل و ص : أردت ، ولا يستقيم بها السياق .

(٥) بياض في الأصل وأثبتناها من ص .

(٦) الأصل : أنه .

/ لولا عجائب صنع الله ما نبتت   تلك الفضائل في لحم ولا عصب[1]   [٨٧/أ]

وثيت بقول كشاجم[2] : « ما كان أحوج ذا الكمال إلى نقص يوقيه من العين » ، وقد أثبت في غير هذا الموضع من درر فوائده العلمية ، ولآلئ قلائده الحكمية ، ما يتمناه جيد كلّ عطبول ، ويسكر برؤياه الشمول :

وقد أطال ثنائي طول لابسه   إن الثناء على التنبال تنبال[3]

فالله ـ سبحانه ـ يرحمه ، ويجمعنا به في جنات عدن مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء آمين آمين ، وقد قيلت فيه مدائح كثيرة ، ورثي بمرات عديدة بعد موته ، سرد ذلك ينافي الاختصار . وقد أثبت البعض منها في « حدائق الزهر »[4])[5] .

(ودخلت سنة أربع وخمسين بعد) (**المائتين والألف**)[6] لَمْ يزل الشريف في هذه المدة مقيمًا في أوطانه ، متمتعًا / بأحبائه (وسكانه ، [ص٢٩٠] وعيون)[6] الدهر نائمة عن الحوادث ، فما كدر صفاء أوقاته بكارث ، ولكنه (علق به الألم ولازمه ، وهو مع ذلك)[7] صابر بما حتم به القضاء ، ومقابل أمر ربه (بالتسليم والرضا ، حتى دعاه داعي مولاه)[8] فأجاب،

---

(١) البيت من البسيط .

(٢) محمود بن الحسين (أو محمد بن الحسين) بن شاهك ، المعروف بكشاجم ، شاعر وأديب من كتاب الإنشاء ، ولفظ كشاجم لقب له منحوت من علوم كان يتقنها : الكاف : للكتابة ، والشين : للشعر ، الألف : للإنشاء : الجيم : للجدل . الميم : للمنطق ، وقيل : لأنه كان كاتبًا شاعرًا أديبًا جميلاً مغنيًا (ت/٣٦٠هـ) .
انظر : زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربيَّة ٥٦١/١ ؛ الزركلي ، الأعلام ٤٣/٨ ؛ أميني ، الغدير ٣/٤ - ٢٠ ؛
- C.H. Pellat , EI 2 , article {Kushadjim} .

(٣) البيت من البسيط وهو للمتنبي ، انظر : الديوان ، ٢٨٦/٣ .

(٤) انظر : حدائق الزهر ، ١٣١ - ١٣٤ .

(٥) ما بين القوسين من صفحة (٣٣٥) إلى هنا أسقطه ناسخ ع عمدًا وقال : وقد أطال في ترجمته رحمه الله .

(٦) بياض في الأصل وأثبتناها من ص .

(٧) بياض في الأصل وأثبتناها من ص ، وفي ع : علق به المرض وكان .

(٨) بياض في الأصل وأثبتناها من ص ، وفي ع : بالتسليم والرضا إلى أن .

وارتحل من هذا العالم الدنيوي والدموع (عليه في انسكاب ، وحمل بعد موته)(1) بعد أن زهت به صهوات الخيل على ظهر السرير ، وألبس بعد (حسن الثياب في السلم)(1) والدروع في الحرب الكفن الحقير(2)، وصار عبرة تسال عندها (العبرة بعد أن كان قرة)(1) عين الأحباب، وضاجع بعد الفراش على متون (الأسرة التراب، وتعوض بعد) ذلك الملك الفسيح، نزوله في الضريح ، وأُهيل عليه الصعيد (بعد أن حمل يوم الوغى الصعاد، ونفضت الأيدي بعد دفنه وكم قد نفض (على ظهور الأضداد)(1)، ورُشَّ على قبره الماء بعد أن جاد بسيب الإنعام ، وصار خبرًا بعد أن حدثت بوقائعه وفتكاته الأيام ، وبكت عليه المكرمات والمناقب على كرور الشهور ، وأيست الليالي أن تعزز بنظيره في مستقبل الدهور، فسبحان من تفرد بالبقاء، وقهر غيره بالفناء، وقد استحق أن يناح على علاه بهذه المرثاة(3):

[ص291] حتى متى لعظيم الذنب تَحتقر ... تسعى للهوٍ شديد ليس تنزجرُ /

[87/ب] / وما سعيت لطاعات الإله لكي ... تُجزى الجنان وتُكفى دائمًا سقرُ

عسى تظن بأن الدار دار بقا ... لقد ظننت الذي ما ظنه بشرُ

(4)وكيف تحلو لنا الدنيا وقد عبرت ... لذّاتها فهي لا سَمْعٌ ولا بصرُ

نرى السرورَ بها في غبة جزع ... والخير يتبعه من حينه الضررُ

كم من أناس على ظهر البسيطة قد ... كانوا فزالوا فلا عينٌ ولا أثرُ

أين الملوك التي كادت تحفهم ... لعظم ما قد أتوه الشمس والقمرُ

فأصبحوا ليس يخشى اليوم سطوتهم ... بيوتهم بعد ملك طائل حُفَرُ

والدودُ يغشى وجوهًا طالما انتعمت ... بالمترفات عليها الوشي والحبرُ

(1) بياض في الأصل وأثبتناها من ص .

(2) هذا الوصف خطأ ، فالكفن ستر المؤمن المشروع ، ولو كان حقيرًا لما كان سترًا للمؤمنين ، ولما ارتضاه لأمته سيد المرسلين عليه الصلاة والسلام ، وداعي السجع هذا بهذه الصورة غير مستساغ من أي وجه .

(3) القصيدة من البسيط ، وقد أوردها المؤلف في ديوان الشعر ، مخطوط ، 30 .

(4) انظر نهاية القوس في صفحة (350) .

من بعد أن دوّخوا الدنيا بسطوتهم ... وما يناضلهم في ملكهم نفرُ

شادوا المباني (فأضحت وهي ناكسة)(1) ... تكفي اللبيب الذي بالوعظ يعتبرُ

(وهكذا كل أهل الأرض قاطبة)(1) ... وما لكل امرئ من حكمها وزرُ

(إن المنايا كفانا الله محنتها)(1) ... تردي الذي صار في اللذات يزدهرُ

(وقد دها خطب من)(1) عمت مصيبته ... وكان حقّاً هو الصمصامة الذكرُ

(علي بن حيدر من فاقت)(1) مناقبه ... على مصيبته الأكباد تنفطرُ

(هو الشريف فلا شخص)(1) يشاكله ... ببعض علياه أهل العصر قد فخروا

(يفل في الحرب أبطال)(1) الرجال ولا ... لوم عليهم إذا من فتكه ذعروا

فإنه الأسد المقدام يوم وغى ... فسل عداه إذا في الحرب قد حضروا

وسل وقائعه في كل ناحية ... فعندها بفصيح المنطق الخبرُ

في كل حرب له بالفتك قد شهدت ... بيض الصفائح والخطية السمرُ

[ص292] / ففتكه بالعدا في كل معركة ... أنسى بأخبار من يأتي ومن عبروا

شجاعة من أمير المؤمنين له ... إرث ومن طيب أصل المجتنى الثمرُ

فلا يغض على ضيم لناظره ... ولا تراه لدى البأساء ينهصرُ

[88/أ] / ذاك المليك الذي في الأرض قد طلعت ... له على ملكه من سعده غررُ

قد عاش حقّاً حَميدًا لَمْ يشب زمنًا ... في المكرمات له في حالة كدرُ

وكانت الناس في أمن وفي دعة ... في ظلّه ما اعتراهم بالعدا ضررُ

كم قاد(2) جيشًا لمن ناواه في عجل ... فعاد جيش الأعادي وهو منكسرُ

أروى القواضب منهم فهي ناهلة ... من الدماء فلا تبقى ولا تذرُ

وكان غيثًا عطاياه مضاعفة ... كم نيل بالجود منها(2) التبر والدررُ

(1) بياض في الأصل وأثبتناها من ص .

(2) في الأصل وص : مَدَّ ، والتعديل من ديوان المؤلف ، مخطوط ، 31 ، وكلمة منها في الديوان : منه .

إن أخلف الغيث عن عافٍ له وأتى   إليه فالسيب من كفيه ينهمرُ

يجود بالوفر لكن من مكارمه   وحسن أخلاقه يعطي ويعتذرُ

وكان ظلاً ظليلاً للأنام فلا   يسامُ بالخسف من يأتيه ينتصرُ

لو كان يُفدى فقيد بعد مصرعه   إذن (فدته قلوب حشوها شررُ)[1]

فالناس في حُزْنٍ من خطبه وهم   في كل (هم وغم ليس ينحصرُ)[1]

ما خُصَّ ذوه مصاباً في كريمهم   بل عمّ كل (الورى إذ غُيّب القمرُ)[1]

لتبكه الناس في شامٍ وفي يَمَنٍ   فإنه بفعال (المجد مشتهرُ)[1]

وتبكه الخيل في أيام معركةٍ   فذاك فارسها (والحرب تستعرُ)[1]

ويبكه الرمح إذ قد صار في يده   يردي الأعادي في (ورد وإن صدرُوا)[1]

كذا السيوف عليه فهي باكية   دم الأعادي له من (فعلها هدرُ)[1]

[ص٢٩٣] / والسابغات فكم أودى بها حزن   بلبسه هي في الأزمان تفتخرُ

فالله يرحمه فضلاً ويسكنه   أعلى الجنان وللزلات يغتفرُ

ولا يزال يوافي قبره كرمًا   من الإله صنوف الخير والمطرُ

وبالنبي التأسي في مصيبته   لذي الأسى وفي هذا لنا الظفرُ

صلى الإله عليه كلّ آونة   ما مال بالوَرْق في روضاته الشجرُ

وآله الغرّ والأصحاب إنهم   لكل من رام رشداً أنجم زهرُ)[2]

(١) بياض في الأصل والزيادة من ص .

(٢) أسقط ناسخ ع بقية القصيدة من صفحة (٣٤٨) إلى هنا عمداً وكتب يقول : أعرضتُ عن استيعابها من الأصل اختصاراً !! .

[٨٨/ب] وكانت[1] (وفاته يوم الثلاثاء[2] خامس عشر شهر جمادى الآخرة ((من هذه السنة المذكورة)) و)[3] ميلاده سنة اثنتين[4] وثمانين ومائة وألف (كما حدّث بذلك بعض المطلعين[5] ، وقد كان - رحمه الله تعالى - أيامه سرور وأعياد ، متفيِّئًا ظلال الإمارة خالعًا للأنكاد ، عاش في دهره حميدًا ، وفارق الدنيا سعيدًا)[6] وخلَّف - رحمه الله - بنين وحفدة أمجادًا ، تتفاخر بهم العصور والآباد :

من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم   مثل النجوم التي يسري بها الساري[7]

(خلَّد الله دولة سيادتهم ، وأطال عمر سعادتهم :

آمين آمين لا أرضى بواحدة   حتى أضيف إليها ألف آمينا)[8]

(١) الأصل : وكان .

(٢) الأصل : الثلوث .

(٣) سقطت العبارة في ع .

(٤) الأصل : اثنين والصواب من ص .

(٥) لقد أشارت إحدى الوثائق المؤرخة في ١٧ شوال ١٢٥٣هـ إلى وفاة الشريف علي بن حيدر والسيد أحمد بن إدريس ، وهذا يدل على أن تاريخ الوفاة الذي أشار إليه المؤلف محل نظر ، ولم أعثر على ما يثبت تاريخ الوفاة الفعلي . انظر : خط همايون وثيقة رقم : E/٢٠٥١٧ وتاريخ ١٧ شوال ١٢٥٣ هـ ، أرشيف رئاسة الوزراء ، إستانبول .

(٦) سقطت العبارة في ع .

(٧) البيت من البسيط .

(٨) سقطت العبارة والبيت في ع .

الفصل الثالث

في أيام الشريف الحسين بن علي بن حيدر

(١)(هو الشريف الحسين بن علي بن حيدر)(٢) بن محمد بن أحمد بن محمد بن خيرات .

(نسب علا فوق السماء)(٢) مناره غطت على شمس الضحى أنواره

/ (وتضاحكت) أزهاره وزهوره وعلا على أعلى الفخار فخاره(٣) [ص٢٩٤]

(هو شريف شرفت)(٤) به عشيرته ، وإنَّما ظهرت عليهم بحسن مناقبه مزيته ، (همام ناطح بهمته)(٤) الثريا ، وبلغ بها أعلى المفاخر التي لسواه لا تتهيأ ، ماجد (حاز شرف الأرومة)(٤) ، في طريق الأبوة والأمومة ، تناول المكارم من الطرفين (عن آبائه)(٤) أصالة ، ولم يرثها كغيره عن كلالة ، شجاع تتقي الأسود الضواري بطشاته ، وتتجنب الشجعان في يوم النزال ملاقاته ، بطل كم جندل في يوم الوغى من أبطال ، وكم غذّى بدم الأعادي المشرفية والرماح الطوال ، تراه لشدة بأسه عند اصطدام الحوادث ، وإظلال سوادها الكارث ، ووجهه وضاح وثغره باسم(٥) ، غير متهيب لذلك الخطب الفادح لغيره من العوالم ، مقدام قدّمته على

(١) تَمَّ استبعاد نسخة (ع) من المقارنة إلا للضرورة القصوى نظرًا لأنَّ ناسخها يسقط بعض المعلومات ، ويقوم بإضافة بعض العبارات من ذاته ، كما رأينا في الصفحات السابقة .

(٢) بياض في الأصل وأثبتناها من ص .

(٣) البيت من الكامل .

(٤) بياض في الأصل وأثبتناها من ص .

(٥) إشارة إلى قول المتنبي :

تمر بك الأبطال كلمى هزيمة ووجهك وضاح وثغرك باسم

انظر : الديوان ٣/٢٨٧ .

السادات أفعاله تقديم « بسم الله » على المصاحف ، شهم كم إلى المعاندين له من جيشٍ حاملٍ للمنية زاحف ، كريم يقصر عن كرمه [٨٩/أ] متراكم الغمام إذ ينهمر ، يبتدئ بهبات الكثير فيستقل عطاياه ويعتذر ، ملك قصرت عن مساعيه الملوك[١] الأكابر ، بما تحقق أنه[٢] كم ترك الأول للآخر .

مولده : سنة خمس عشرة[٣] بعد المائتين والألف ، [و] تقلد الإمارة عام وفاة والده ، وكان إبراهيم باشا كما قدمنا هو المتولي لباشوية اليمن ، [ص٢٩٥] فطلب / إليه المذكور ببندر[٤] « الحديدة » ، وعوّل عليه أن يستقيم بالأمر على حسب ما عليه والده ، ففي مبادئ الأمر امتنع لعلمه بصعوبة هذا المقام ، لا سيما من عرف خطر الإمارة وما يستلزم الوقوع فيها من الآثام ، ولكن لما كان غيره لا يقوم مقامه في هذا الأمر الجلل ، ساعد في الدخول في الإمارة لصلاح الخلق وقال : « مكْرهٌ أخاك لا بطل »[٥] .

وبعد أن استقل بتلك الإمارة رجع إلى « أبي عريش » ، وتفقد الأمور وقرر أحوال الناس ، ورتّب المملكة على أحسن إحكام وقياس ، وبدا له بعد ذلك التصليح لرعايا « الحرّث » لأنه يظهر منهم التعدي على بعض الرعايا ، (فألزم الناس بالجهاد)[٦] ، واستصحب جماعة من عسكر الباشا الذين « بأبي عريش » ، وبلغ (المقصود من صلاح الأحوال ، وساس)[٦] أمورهم من غير أن ينفتح عليهم قتال .

(١) في الأصل : الملك ، والصواب من ص .
(٢) في ص : إذ .
(٣) في الأصل : خمسة عشرة وفي ص : خمس عشر .
(٤) في الأصل : بندر .
(٥) مثل يضرب في حمل الرجل على ما ليس من شأنه بالإكراه . انظر : الزمخشري ، المستقصى ٢/٢٤٧ .
(٦) بياض في الأصل ، والزيادة من ص .

وكانت غيبته نحو (نصف شهر ، وكان رجوعه)[١] إلى مدينة « الزهراء » ، واستقر بها أيامًا ، ووصل إلى الباشا لقصد (المفاوضة فيما يعود على)[١] المملكة بالصلاح ، وكأنه ظهر له من الباشا في غضون مجاراة (الأحاديث تلويحًا)[١] ما يؤول إلى المباينة من غير إفصاح ، ولله القائل :

/ ومهما يكن عند امرئ من خليقة ... وإن خالها تخفى على الناس تعلم[٢] [ص٢٩٦]

وكأن هذا الباشا لم يكن له ممارسة بمعرفة أحوال الأنام ، ولم تحنكه التجارب على كرور الأيام ، مع تربِّيه في حجر الباشا محمد علي ، ونشأته تحت ظل نعمة الأمان ، والحداثة والسلطان ، وقد قيل :

سكرات خمس إذا مُني المرءُ بها ... صارت نهبة للزمان
سكرة المال والحداثة والعشق ... وسكر المدام والسلطان[٣]

وكان أذنًا واعية لمقال النمام ، مائلاً إلى كلام أهل الأغراض من الأنام ، مع اتصافه بداء الحسد ، الذي ما خلا عنه جسد .

داءٌ دعا قابيل من قبله ... إلى الذي أحدث في صنوه[٤]

[٨٩/ب] وكان يترقب لإنزال الضرر بالشريف الدوائر ، ويود أن يلحقه لو قدر بالأمس الدابر ، مع أنه لم يصدر إليه من الشريف إلا كل فعل جميل ، ومحاسن يضيق عن حصرها صدر التحصيل .

إذا محاسنيَ اللاتي أمتّ بها ... صارت ذنوبًا فقل لي كيف أعتذر[٥]

(١) بياض في الأصل ، والزيادة من ص .
(٢) البيت من الطويل ، والقائل : زهير بن أبي سلمى ، انظر : الديوان ، ٨٨ .
(٣) البيت من الخفيف .
(٤) البيت من السريع .
(٥) البيت من البسيط ، والقائل : البحتري ، انظر : الديوان ٢/٩٥٤ ، وورد فيه البيت هكذا :
إذا محاسني اللاتي أدلّ بها ... كانت ذنوبي فقل لي كيف أعتذر

ومع هذا الواقع لم يخلع يدًا من طاعة ، ولم يفارق أولئك الجماعة ، جنوحًا إلى الوفاء الذي هو صفة كملاء الرجال ، وتفاديًا ممَّا لا يحسن في الحال والمآل ، ولسان حاله ينشد قول من قال :

فاصبر لها غير محتال ولا ضجر ‏ ‏ ‏ في حادث الدهر ما يغني عن الحيل[(١)]

وفي أثناء هذه المدة وصل جند من « يام » من طريق فجّ « حرض » [ص٢٩٧] / فوقع على الباشا إبراهيم حاصل عظيم خشية من أولئك الأجناد ، لما علم من سطوتهم ووقائعهم في هذه البلاد ، فعوّل على (الشريف في سد هذه المعضلة)[(٢)] ، وتلافي هذه الحادثة المنزلة ، فباشر الأمر بنفسه ، وطلب (منهم المراهين لديه) حتى يقطعوا بسيرهم حدود مملكة الباشا : لأن مرادهم (إلى قطعتهم « حراز »[(٣)] ، والباشا قرَّ أجناده)[(٤)] مستقرهم بقرية « الزيدية » ، ووافاه الشريف (في « الزيدية » قبل أن يمروا بتلك)[(٤)] الأطراف ، ومضوا على حالهم ولم يصدر منهم خلاف ، (ووقعت المفاوضة بين)[(٤)] الباشا والشريف في أمور من جهة بعض الرعايا ، ومنع الباشا (من دخول ذلك البعض)[(٤)] تحت طاعة الشريف ، مع أنهم رعية آبائه من قبل من غير (تبديل ولا تحريف ، وليس)[(٤)] للباشا مصلحة في أولئك الرعايا ، ولكن أراد أن ينتج (الغدر على الشريف من)[(٤)] هذه القضايا ، عطفًا على تلك الأوهام التي ألقاها إليه الحساد ، مع أن ذلك خيال كاذب ، والشريف بريء ممَّا يقول الأضداد :

(١) البيت من البسيط ، والقائل : الطغرائي في لاميته المشهورة .
(٢) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .
(٣) بلدة تقع غرب مدينة صنعاء ، وتبعد عنها حوالي ٨١ كم ، كانت وما زالت مركز الباطنية في اليمن .
انظر : المقحفي ، معجم البلدان والقبائل ، ١١٤ ؛ الحجري ، مجموع بلدان اليمن وقبائلها ٢٥٢/١ .
(٤) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

شيئان ما أعيا الأنام سواهما ‏ ‏ ‏ لَوْم البريء وتهمة المتودد[(١)]

هذا كله في عام خمسة وخمسين بعد المائتين والألف ، فرجع الشريف إلى قرية « الزهراء » وقد تجاذب هو والباشا / أذيال الشقاق ، [ص٢٩٨] وعزم أن لا يكون بينه وبينه بعد هذا اتفاق .

ومن هنا لاح بالسعادة بارق الخلاف ، ونادى منادي القدر بعدم الائتلاف ، ورأى الشريف أنه بما صدر منه قد برأ من عهده الذي كان [٩٠/أ] ، وأن أيديهم الممتدة إلى أذيته لا يقطعها غير حدّ المشرفي ورأس السنان .

لا تُرجّي من الأعاجم خيرًا ‏ ‏ ‏ فبعيد من السراب الشراب
رونق كالحَباب يعلو على الما ‏ ‏ ‏ ء ولكن تحت الحَباب حُباب[(٢)]
عظمت في النفاق ألسنة القو ‏ ‏ ‏ م وفي الألسن العِذاب العَذاب[(٣)]

وترجح له بعد هذا المسير إلى « أبي عريش » ، وألزم الناس بالجهاد ، وزحف بجيش كثيف إلى بني « الحرْث » لقمع ما هم عليه من الفساد ، وتم له على ما يريد من الصلاح المراد ، وانفصل إلى جهة « الفج »[(٤)] واستقر مطرحه هناك مدة ، وقد سبق في علم الله - تعالى - أنها قد انقضت لموالاته للأتراك العدة ، فبدا وميض بارق الاتصال بعسير ، وظهر مباينة الشريف للأتراك وإنْ أسرّه في الضمير ، وأرسل من هناك بعض الأعيان ، ليصلح بينه وبين الأمير عائض الشأن ، ويطلب منه الإعانة على

(١) البيت من السريع .
(٢) الحَبَاب بالفتح : نفاخات الماء وفقاقيعه التي تطفو كأنها القوارير . والحُباب بالضم : الحيَّة ، وقيل : هي حية ليست من العوارم . انظر : لسان العرب لابن منظور ، مادة (حبب) .
(٣) الأبيات من الخفيف ، والقائل : القاسم بن عمر بن منصور الواسطي ، انظر : الغيث المسجم للصفدي ٣٤٩/٢ ، وقد ورد الشطر الأول من البيت هكذا : لا ترد من خيار دهرك خيرًا ، أما أن هذا الوصف لازم لهم لأنهم أعاجم فهذا مجانب للحق والصواب ، وليس لعربي فضل على أعجمي إلا بالتقوى والعمل الصالح ، والنفاق وجد من بعض العرب في عهد النبوة ، والتحامل غير المسبب لا يليق من العامة ، فكيف بمن له بالعلم تعلق ، والمؤلف مرة يمتدح الخروج على الأتراك كما هنا ، ومرة يعلل الدخول في طاعة ولاتهم ، وليس ثمة قاعدة يركن إليها في هذه أو تلك.
(٤) الفجّ : غير معروف ماذا يقصد المؤلف بذلك ولعله فجّ حرض .

إخراج الأتراك من اليمن ، ويحثه على اجتماع كلمة العرب[1] لدفع تلك المحن ، وتوجه بعد ذلك إلى جهة (« الخميسين » ، ووقع من قبائلهم [ص٢٩٩] بعض)[2] خلاف ، / وناوشوا ، وقتل من الجانبين جماعة ، وطلبوا (الإغاثة من القوم المُحادّين)[2] لبلادهم ، وحصل جمع كثير ، وما زال الحرب قائمًا في العشي (والهجير ، وبعد [ذلك] رمم الشريف)[2] صلحًا بينه وبينهم وقع به التخلص من تلك الجبال ، وانفصل (راجعًا إلى تهامة)[2] ولم يبلغ منهم كل الآمال ، وما وصل إلى « حرض » إلا وخبر الاتصال (بعسير فاش بين)[2] الناس ، وشاع في ألسنة الناس أن مصطفى[3] محافظ « أبي عريش » (من طريق إبراهيم باشا)[4] يريد منع الشريف عن الدخول إلى المدينة العريشية ، على أنه قد علم أن دون منعه عن الدخول خرط القتاد ، وتثلم المشرفي في رؤوسٍ وتكسر الصعاد ، وإنَّما من عادة الطبع البشري التعلل بالأماني كما قيل :

في المنى راحة وإن علّلتنا   من هواه ببعض ما لا يكون[5]

ووصل الشريف المدينة بالجنود ، وعلى رأسه تخفق البنود ، بنية كافية ، وهمة عالية ، ولم يحل بنده المعقود ، حتى استقر بداره المعمور على رغم الحسود [٩٠/ب] وظهرت الوحشة من المحافظ المذكور ، وكان على جناح طائر من الحذر خشية من الوقوع في المحذور ، ورفع إلى إبراهيم باشا بصورة الواقع ، ويطلب منه التدبير في هذا الأمر المهم قبل أن يتسع الخرق على الراقع ، فلما وصل الخبر إلى مسامع الباشا [ص٣٠٠] إبراهيم ، حصل له من هذا الحادث المقعد / المقيم ، ولعله علم أن هذا حصاد زرعه المذموم ، وأنه بإصغائه لحديث الوشاة هو الملوم ، وبعث كتبه

---

(١) هل سبق عاكش هنا غيره من الدعاة إلى مقاومة الدولة العثمانية باسم العروبة ؟ .

(٢) بياض في الأصل ، والزيادة من ص .

(٣) لعله مصطفى بك نسيب محمد علي باشا وأحد قادته في اليمن ، وقد عينه إبراهيم باشا حاكما لتعز بعد سيطرته عليها في ربيع الأول ١٢٥٣هـ .
انظر : عبدالرحيم ، محمد علي وشبه الجزيرة العربيَّة ١٧٥/٢ ، ٢١١ .

(٤) بياض في الأصل ، والزيادة من ص .

(٥) البيت من الخفيف ، وقد ورد في الغيث المسجم للصفدي ١٦٣/٢ دون إشارة إلى القائل .

إلى « المخا » و « تعز » لجمع الكتائب ، وقصده التجهيز على الشريف وأمر الله هو الغالب ، والناس في إرجاف بوصول أولئك الأقوام ، وظهر ما هو مخفي من الحسد من بعض الأنام ، والشريف لا يصغي إلى هذه الأراجيف الأسماع ، بل هو في تدبير ما هو بصدده في تمام الصلح بينه وبين عائض والاجتماع ، والأمير عائض يقدم رجلاً ويؤخر أخرى في إرسال الأجناد ، رُبَّمَا أنه قد ألقى في روعه بعض من ألقى بأنه لا يتم هذا المراد ، وآخر الأمر تعلل (بأنه لا يطلق الأجناد من يديه . إلا بوصول)[1] بعض أولاد الشريف إليه ، ويكون بقاؤهم (بعد انفصال أجناده لديه)[1] .

فأرسل الشريف ولده الشريف محمد بن الحسين[2] ، وابن أخيه الشريف (علي بن محمد[3] وبعد إرسالهم ظهر خبر المباينة)[4] وشاع ، وتحصن مصطفى ومن معه في القلاع ، (وتأبط شر الشريف ، وما) أبقى جهدًا في أنواع الترويع والتخويف ، وأنشد لسان (حال الشريف قول من)[4] قال :

(ياذا الذي بقراع الشر) هددنا   لا قام مصرع جنبي حين تصرعه

(قام الحمام إلى البازي) يهدده   واستيقظت لأسود البر أضبعه

(أضحى يسد فم الأفعى) بأصبعه   يكفيه ما قد تلاقي منه أصبعه[5]

/ ومع تباطئ وصول الأجناد العسيرية ، حصل مع الشريف بعض [ص٣٠١] الضيق ، خشية من مبادرة وصول الجند التركي ويحصل للجند العسيري

---

(١) بياض في الأصل ، والزيادة من ص .

(٢) محمد بن الحسين بن علي بن حيدر ، الابن الأكبر للشريف الحسين ، ولد عام ١٢٣٦هـ ، ولم أعثر على تاريخ وفاته .
انظر : عاكش ، عقود الدرر ، الترجمة رقم (٢٢٢) .

(٣) لم أعثر له على ترجمة .

(٤) بياض في الأصل ، والزيادة من ص .

(٥) الأبيات من البسيط .

التعويق ، لكن العناية الربانية تخدمه من حيث لا يشعر ، ونادى منادي الأفراح بما ليس على باله يخطر ، وذلك بوصول مرقوم من محمد علي باشا متضمن إطلاق البلاد اليمنية على الشريف(١) ، ويرتفع [٩١/أ] هو والعساكر منها لانفتاح حادث حدث عليه(٢) . ولله القائل :

إذا اشتملت على اليأس القلوب ... وضاق لما به الصدر الرحيب
وأوطنت المكاره واستقرت ... وأرست في أماكنها الخطوب
ولَمْ تر لانكشاف الضر وجهًا ... ولا أغنى بحيلته الأريب
أتاك على قنوط منك غوث ... يمن به اللطيف المستجيب
وكل الحادثات وإن تناهت ... فموصول بها فرج قريب(٣)

ولا شك أن الله ـ تعالى ـ إذا أراد أمرًا يسر له الأسباب ، وجاء من الإعانة ما لا يدخل لابن آدم في حساب ، فسر الشريف وكل صديق له بذلك الخبر ، وأقبل الناس لطاعته أفواجًا وزمر .

وبعد ذلك وصل جند من عند عائض للقيام بهذا الأمر المعضل ، ولكن جاء المثل السائر : « إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل »(٤) ، ولكن بعد

(١) صدرت إرادة من محمد علي باشا في ١٣ ذي الحجة ١٢٥٥هـ ، ١٧ فبراير ١٨٤٠م تتضمن الأمر بسحب القوات الموجودة في الحجاز ونجد واليمن إلى مصر ، وأبلغت الإرادة إلى إبراهيم باشا يكن حاكم عام اليمن ، الذي قام بوضع الترتيبات اللازمة لانسحاب القوات من اليمن والمخلاف السليماني إلى جدة .
انظر : عبدالرحيم ، محمد علي وشبه الجزيرة ٢/٢١٩ ؛ عسيري ، عسير ، ٣١٢ .

(٢) كان انسحاب محمد علي باشا من الجزيرة العربيَّة للاستفادة من قواته في مواجهة الدولة العثمانية والحلفاء قبل إبرام معاهدة لندن التي أجبر فيها على الخروج من الشام والجزيرة العربيَّة .
انظر : الرافعي ، عصر محمد علي ، ٣٠٩ .

(٣) الأبيات من الوافر ، وقد أنشدها أبو دريد عن أبي حاتم ، انظر : الماوردي ، أدب الدنيا والدين ، ٢٨٨ .

(٤) ورد المثل في كتاب « خاص الخاص » (ص٢٩) هكذا : إذا جاء نهر الله بطل نهر عيسى ، وهو مثل للعامة ، وفي « لسان العرب » مادة (عقل) : معقل بن يسار من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ ينسب إليه نهر بالبصرة .

وصولهم إليه ، انفصل من « أبي عريش » / حادي عشر [من] شهر [ص٣٠٢] صفر سنة ست(١) وخمسين (ومائتين بعد الألف)(٢) متوجهًا إلى استخلاص اليمن من يد الأتراك ، وإضافته إلى (مملكته على الانفراد بذلك من)(٢) غير اشتراك ، ولما وصل إلى قريب « الحديدة » وقع إبراهيم باشا في (دائرة الميم ، وانسلخ)(٢) عنه كل صديق حميم ، وفتح الشريف البندر بالحظ الأغلب ، وخرج (الباشا منه خائفًا)(٢) يترقب ، واتصل بالولوج في بعض المراكب البحرية وسار فيها ، (وزال ملكه في أسرع)(٢) وقت ، وأنشده لسان الحال إيقاظًا وتنبيها :

ودع غمار العلا للمقدمين على ... ركوبها واقتنع منهن بالبلل(٣)

وفي عشية يوم خروجه دخل الشريف البندر(٤) ، يخفق على رأسه اللواء الأزهر ، وبين يديه الجنود . وحوله عشيرته الأسود .

كأنهم وسليل المجد بينهم ... شهب تحف ببدر في ذرى غيم
من معشر إن هُم هزوا الوشيج بدوا ... تحت الذوابل كالآساد في الأجم

(١) الأصل : ستة .

(٢) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٣) البيت من البسيط من لامية الطغرائي المشهورة .

(٤) غادر إبراهيم باشا وقواته اليمن في ٨ ربيع أول ١٢٥٦هـ ، الموافق ٩ مايو ١٢٤٠م ، بعد أن سلم تهامة إلى الشريف الحسين على أن يدفع ضريبة للباب العالي ، ومقدارها (٩٠,٠٠٠ ريال) ، وكانت بريطانيا تتابع عملية التسليم عن طريق إحدى البواخر الحربية التي رست في الحديدة لحماية المصالح البريطانية ، والمؤلف هنا يبالغ في كيفية انتقال السلطة إلى الشريف ويظهر الأمر على أنه انتصار للشريف وهروب من إبراهيم باشا يكن « الذي خرج خائفًا يترقب » ، والحقيقة إن إبراهيم باشا رأى في الشريف الحسين حاكمًا أكثر قدرة من إمام صنعاء ، حيث أن الإمام كان في وضع سيئ سياسياً واقتصادياً ، ولذا قرر تسليم تهامة اليمن إلى الشريف الذي التزم بشروط إبراهيم باشا .
انظر : إسماعيل البشري ، السياسة العثمانية تجاه إمارة (أبو عريش) والسواحل اليمنية ، مطبوع » ؛ حسين العمري ، مائة عام من تاريخ اليمن الحديث ، ٢٧٦ ؛
- play fair , Arabia felix , 147 .

غر الوجوه إذا التف الندى بهم ... بيض المقارم والأفعال والشيم

[٩١/ب] / إذ المصاف دعاهم يوم نازلة ... جاؤوه بالسُّمْر والهندية الحذم

يحمون بالبيض عزًا لا يباح له ... حمىً ويبنون مجدًا غير منهدم(١)

ولما استقر باليمن طالعه الأغر ، تنقل في أبراجه تنقل البدر ، ومد يده إلى الحل والعقد والنهي والأمر ، وابتهجت بمقدمه السعيد الأنام ، [ص٣٠٣] وخلت في اليمن عساكر / الأروام ، وانصرفوا عنه بقلوب لها غليان ، وصفقةٍ يتأسى بها أبو غبشان(٢) ، وأقام في « الحديدة » عاملاً أخاه الشريف أبو طالب(٣) ، وتوّج بذلك مفرق المناقب ، ونفذ إلى « زبيد » ، ووجه إلى « المخا » عاملاً أخاه الشريف حمود(٤) ، وبعد ذلك توجه إلى « المخا » واستقر فيه مدة ، ومما قاله مهنئًا له بهذا الفتح أديب العصر القاضي العلامة علي بن عبدالرحمن البهكلي - متع الله به - هذه القصيدة ، وقد اشتمل أوائل حروفها على اسم الممدوح ، والدعاء له ، وهذا يسمى في الاصطلاح مشجرًا :

الحمد (لله رب العالمين على)(٤) ... نصرٍ وفتح من الرحمن قد حصلا

(لسيدي وإمام الناس قاطبة)(٤) ... قطب الخلافة مولى سؤدد وعلا

(حاوي المكارم ضراب الجماجم ضر ... غام)(٤) الملاحم حقًا أوحد الفضلا

(سما إلى رتبة في المجد عالية)(٤) ... سواه لَمْ يرق شأواها ولا وصلا

(يوم النوال لمستعفيه)(٤) أنهره ... وليس ينهر مستجديه إن سألا

(١) الأبيات من البسيط .

(٢) أبو غبشان بفتح الغين وقد تضم ، رجل من خزاعة اختلف في اسمه ، فقيل : سليمان بن عمرو بن لؤي ، وقيل : المحترش بن حليل بن حبيشية ، ويضرب به المثل في الخسارة وسوء التدبير وغبن البيع .
انظر : الجكني ، قطوف الريحان ، ١٧٨ .

(٣) لم أعثر له على ترجمة .

(٤) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(نامت عيون رعاياه)(١) بدولته ... إذ عدله لجميع الناس قد شملا

(أقام دين إله الخلق)(١) وانحسمت ... أمور ظلم وغشم ظاهر وطلا

(بسعيه الأمن أضحى وهو)(١) متسع ... فلا يخاف نزيل حيث ما نزلا

نار المفاسد والطغيان أخمدها ... ونور دين النبيِّ المصطفى اشتعلا

عبادة الله أمسى وهو مشتغل ... بها ولم يعبد الله العظيم على(٢)

/ له من الله نصر قد تعوده ... وقد حباه برأي يبهر العقلا [ص٣٠٤]

يعطي الجزيل ويولي للجميل ومن ... سماته إن دهى الخطب المهم سلا

أحيا شريعة طه بعدما درست ... رسومها وروى إسناد حيّ على

/ لأنه سيد سامٍ له نظر ... مطالع لرسوم الكتب قد قتلا [٩٢/أ]

حوى حميد خلالٍ وارتقى رتبًا ... سمت به وتحلى حلية النبلا

سميدع يهب الدنيا لسائله ... بجوده عدّ أرباب العطا بخلا

نرجو من الله يبقى طول مدته ... على الدوام وأن يوليه ما أملا

يا رب مدّ له في العمر وأجز له ... عونًا وأصلح له الأحوال والعملا

نقول آمين لا نرضى بواحدة ... حتى نضيف إليها مثلها جملا

صار الوفود من الأقطار همهم ... سعيا إليه ولم يسع الوفود إلى

رمى عداه بسهم من نبالته ... فهاب كل عدو منه واختذلا

هباته في أيادي قاصديه غدت ... بها جميع (البرايا تضرب)(٣) المثلا

أعنده من جميع النائبات بِمَن ... لقصد (توحيده قد أرسل الرسلا)(٣)

لربه خاضع مستشعر نسكًا ... وفي قتال (الأعادي ينطح الجبلا)(٣)

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٢) هكذا في الأصل ، وقد كتب المؤلف في هامش القصيدة بعد هذا البيت كلمة : « حرف » كأنه يقصد قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ﴾ [الحج : ١١] .

(٣) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

لم أستطع حصر بعضٍ من مناقبه   لأنه سبق (التالين والأولا)[(١)]

هو الهمـــام الذي حلّى بدولته   جيد الزمان (عقودًا بعدما عطلا)[(١)][(٢)]

نعم ؛ ووصل أيام إقامته « بالمخا » جماعة من الإفرنج ، (في مركب ، وهؤلاء الإفرنج[(٣)])[(٤)] لَمْ يزالوا ينازلون « المخا » وأهله تخوفًا على الأرواح والأموال ، كما يعرف ذلك / من طالع تواريخ اليمن . [ص٢٠٥]

والإفرنج طوائف مختلفة ، ومذاهب غير مؤتلفة ، أنقريز ، ولوندة ، وفرنصيص ، وفرتقال[(٥)] ، والفرتقال فيما سبق هم أهل القضاء والقضايا ، والباقون لهم كالرعايا ، وأمَّا في هذا الزمان فالبد الحاكمة للأنقريز .

وقد ذكر المسعودي[(٦)] في « مروج الذهب » أن إفرنج الهند أصليون فيه من قبل الإسلام ، وذكر القطب المكي[(٧)] في « تاريخ بني عثمان »[(٨)] أن طائفة الفرنج في الهند قديمة ، خرجوا في القرن التاسع ، وظهروا في سواحل اليمن ، وكان خروجهم من وراء « القُمر »[(٩)] - بضم القاف - من خلف بحر الحبشة ، استطرقوا من أصل بحر المغرب ، ولهم قلعة في

---

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .
(٢) القصيدة من البسيط .
(٣) ص : الفرنج .
(٤) بياض في الأصل وأثبتناها من ص .
(٥) هكذا في الأصل وهو يريد : إنجليز ، وهولنديين ، وفرنسيين ، وبرتغال .
(٦) علي بن الحسين بن علي المسعودي ، من ذرية عبدالله بن مسعود ، مؤرخ مشهور ، من أهل بغداد ، أقام بمصر وتوفي بها عام ٣٤٦هـ .
انظر : الزركلي ، الأعلام ٥/٨٧ ؛ المسعودي ، مروج الذهب ، مقدمة المحقق .
(٧) محمد بن أحمد بن محمد بن قاضي خان النهروالي ، مؤرخ من أهل مكة (ت/٩٨٨هـ) .
انظر : الزركلي ، الأعلام ٦/٢٣٤ .
(٨) اسم الكتاب : البرق اليماني في الفتح العثماني ، مطبوع في الرياض ، ١٩٦٧م .
(٩) جزر القمر : بضم القاف وتتكون من مجموعة من الجزر الصغيرة ، تقع شمال غرب جزيرة مدغشقر ، وأكبر جزرها أربع هي : جزيرة القمر الكبرى ، جاويته ، أنجوان ، موهيلي ، وسكانها مسلمون من أهل السنة ويتكلم بعضهم العربيَّة .
انظر : محمد غلاب وزملاؤه ، البلدان الإسلامية ، ٥٥٨ .

الهند تسمى « كُوّة »[(١)] - بضم الكاف - وهي محل سلطانهم ، هكذا قاله بعض المؤرخين .

[٩٢/ب] وفي هذه المدة القريبة تعدوا على أخذ بندر « عدن » ، واستولوا عليه واتخذوه دار وطن[(٢)] ، وبنوا فيه المباني المنيعة العظيمة ، وحصنوه بالآلات الجسيمة ، وصار من أمنع بنادر سواحل اليمن ، ولهم هناك الشوكة ، ومن كان مستضعفًا من المسلمين فهو في حكم الذمّي منهم في بلاد أهل الإسلام ، وقد صاروا غصة لا تساغ في حلوق أهل الإيمان ، وما هيأ الله - سبحانه - لأحد من ملوك الإسلام إخراجهم من ذلك المكان : / لأنه قد جاء في الحديث « لا يجتمع في جزيرة العرب دينان »[(٣)] . [ص٢٠٦]

وإذا كان إبقاء أهل الذمة في جزيرة العرب غير جائز عند بعض العلماء استنادًا إلى ذلك الحديث الذي كان آخر ما تكلم به النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وفيه : « أخرجوا اليهود من جزيرة العرب »[(٤)] . وأمَّا من قال إن المراد بجزيرة العرب الحجاز[(٥)] نظرًا (إلى ما أخرجه البيهقي : « أخرجوا اليهود من)[(٦)] الحجاز »[(٧)] فهو غير صحيح ؛ لأنه

---

(١) هي ميناء جُوا في مملكة الدكن على الساحل الغربي للهند . وكان سكانه خليطًا من الهنود والعرب والفرس والصينيين ، وتصله السفن من جدة وزيلع وعدن وهرمز وغيرها . استولى عليه البرتغاليون بقيادة البوكيرك عام ١٥٠٩م . انظر : عثمان ، تجارة المحيط الهندي ، ١٨٨ .
(٢) احتلت بريطانيا عدن في الخامس من ذي القعدة عام ١٢٥٤هـ . الموافق للتاسع عشر من يناير ١٨٣٩م . انظر : أباظة ، عدن والسياسة البريطانية . ١٩٥ ؛ العبدلي ، هدية الزمن ، ١٤٤ .
(٣) ورد بلفظ : « قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، لا يبقين دينان بأرض العرب » . انظر : الألباني ، صحيح الجامع ١/٨٤٧ رقم (٤٦١٧) ؛ ابن سعد ، الطبقات الكبرى ١/٢٣٩ ؛ مسند أحمد بن حنبل ٦/٢٧٤ .
(٤) ورد بلفظ : « أخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب » . انظر : الألباني ، صحيح الجامع الصغير ١/١٠٦ رقم (٢٣٢) ، وعزاه إلى مسلم .
(٥) قال ابن حجر : « لكن الذي يُمنع المشركون من سكناه منها الحجاز خاصة وهو مكة والمدينة واليمامة وما والاها ... هذا مذهب الجمهود » . فتح الباري ٦/١٧١ .
(٦) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .
(٧) ورد بلفظ: «أخرجوا يهود الحجاز وأهل نجران من جزيرة العرب». انظر: الألباني، صحيح الجامع الصغير ١/١٠٦ رقم ٢٣٣ وعزاه لأحمد في مسنده ولأبي نعيم في حلية الأولياء.

يكون تخصيصًا (بموافق العام ، وهو مذهب مُطّرح)(١) كما عُلم في الأصول الفقهية ، فما بالك بإبقاء الكفار (الحربيين ، ولكن نرجو الله تعالى أن يؤيد)(١) أهل الإسلام عليهم عن قريب .

وحدود جزيرة (العرب كما قاله في القاموس : « ما أحاط)(١) به بحر الهند وبحر الشام ثُمَّ « دجلة » و « الفرات » ، (أو ما بين « عدن أبين » إلى أطراف الشام)(١)طولاً ، ومن « جدة » إلى ريف العراق عرضًا »(٢) .

نعم ؛ فجرى بين الشريف (وبين أولئك الإفرنج المفاوضة)(٣) في أمور ، وتم بينهم الصلح على دخولهم بنادر اليمن وهم تحت (حكم الذمة لا غير ذلك من الشروط)(٣) .

وفي أثناء ذلك وقع من بعض المتعلقين بهم أن نَشَرَ بيرقًا لهم إظهارًا للشعار في تلك الديار ، وكان ذلك من غير إذن الشريف ، فأمر فورًا [ص٣٠٧] بإزالته لأنه يراه من شعار الكفار ، / وبعد ذلك حصل منهم ومن بعض ضعفاء الإيمان الاضطراب ، خشية أن يجعلوا ذلك لفتح الحرب من الأسباب ، ولكن الشريف لقوة جنانه لم يلتفت إلى تلك الأوهام ، وأيد الله سبحانه أهل الإسلام ، فأسقط في أيدي أولئك الأقوام ، مصداق قوله تعالى : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾(٤) ، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « الإسلام يعلو ولا يعلى عليه »(٥) ، والإسلام هو الكهف الحريز ، فرجعوا في مركبهم حيث جاؤوا ، وانفردوا بغضب الله عليهم وباؤوا(٦) .

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .
(٢) انظر : القاموس المحيط للفيروزآبادي ٤٠٤/١ (باب الراء ، فصل الجيم) .
(٣) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .
(٤) سورة الحج : الآية ٤٠ .
(٥) ذكره الألباني في صحيح الجامع ٥٢٨/١ رقم (٢٧٧٨) وقال : حديث حسن وعزاه للدارقطني في سننه وللبيهقي في سننه .
(٦) لمزيد من تفاصيل حادثة البيرق (المخا) انظر : البشري ، السياسة العثمانية تجاه إمارة (أبو عريش) والسواحل اليمنية ، مطبوع .

ورجع الشريف بعد ذلك إلى « زبيد » . [٩٣/أ] وكان وصوله مستهل شهر رمضان من هذه السنة ، وفي عزمه بعد انقضاء الصيام يرجع إلى الأوطان ، فما شعر في آخر شهر رمضان إلا و (قد جاء الخبر أن) بعض جند الفقيه سعيد(١) قد أخاف أهل « حيس » وروعهم بما معه من التمويهات ، وقد اشتهر أمر الفقيه سعيد في الجهات التعزِّيَّة ، وقد كان مستقر بلده « الدنوّة »(٢) ، فاستولى على أهل تلك البلاد ، ودخلوا في طاعته أزواجًا وأفرادًا ، وصفد عُقّال(٣) « ذو محمد » وغيرهم من كبار العساكر في الأغلال ، وأقبلت الناس تهرع لداعيه من تهامة والجبال ، وحقيقة حاله : أنه رجل لا إلمام له بالعلم وإنَّما كان تعلق بعلم الأوفاق ، التي ليس لها / في علم الشريعة مجال ، واستمكن بتلك البضاعة [ص٣٠٨] الخاسرة من جذب قلوب الرجال ، وله مكان مستقل يخلو فيه بنفسه ، وتلك شبكة لما يريد يصيد بها أبناء جنسه ، وقد ادعى أنه شريف ، وتارة أنه المهدي ، وليس هذا زمان المهدي كما يظهر لمن راجع الآثار النبوية ، والملاحم المروية ، مع أن ظهور المهدي من « مكة » كما جاء في الأخبار(٤) .

(١) الفقيه سعيد بن صالح بن ياسين العنسي ، متصوف ظهر في اليمن الأسفل عام ١٢٥٦ هـ في بلدته « الدنوّة » ، يدعي أنه المهدي المنتظر . جرت بينه وبين الإمام الهادي محمد بن المتوكل حروب متوالية انتهت بسيطرة الهادي على « الدنوّة » وضرب عنق الفقيه سعيد بمدينة « إب » في أول سنة ١٢٥٧هـ .
انظر : العمري ، مائة عام من تاريخ اليمن ، ٢٩١ ؛ الكبسي ، اللطائف السنية ، مخطوط ، ١٤١ - ١٤٢ .
(٢) قرية من عزلة الروس وأعمال إبّ باليمن .
انظر : المقحفي ، معجم المدن والقبائل ، ١٦١ ؛ الحجري ، مجموع بلدان اليمن وقبائلها ٢٣٣/٢ .
(٣) عاقل : وتجمع على عُقّال وعقلاء ، وعاقلة الرجل : عصبته ، وهم القرابة من جهة الأب الذين يشتركون في دفع ديته .
انظر : المعجم الوسيط ٦٢٣/٢ .
(٤) لمزيد من المعلومات حول المهدي المنتظر انظر : العباد ، الرد على من كذب بالأحاديث الصحيحة الواردة في المهدي ، وعقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر .

وآل أمره أن بنى في قرية « الدنوّة » عماير ، وجعل حواليه أماكن الخيل ولا خيل له ، إنَّما ذلك من جملة التمويه على أصحاب له قد أفسد أحوالهم ، وزين لهم الشيطان (أعمالهم ، ووصل بعضهم إلى)[١] « زبيد » فأودعهم الشريف الحبس ، وقد استغوى أهل تلك الجهات ، (ورجف بعض أهل تهامة من تلك)[١] المتفقات ، وقد أفضى تدليسه إلى أن وقعت بين أهل تلك (الجهات ملاحم ، طحنت جماجم)[١] ، ولله درّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – حيث يقول : « الناس (ثلاثة: عالم رباني ، ومتعلم)[١]على سبيل النجاة ، وهمج رعاع أتباع كل ناعق» ، ومن كان راسخ (القدم في الإيمان ، وراجح)[١] العقل لا يمضي عليه من الأفعال والأقوال إلا ما تأيد بصحيح (البرهان ، ولكن حقيقة) الحال في قول من قال :

الناس كالناس إلا أن تجربهم   وللبصيرة حكم ليس للبصر

[ص٣٠٩] / والأيك مشتبهات في منابتها   وإنَّما يقع التفضيل في الثمر[٢]

نعم ؛ فوصل الشريف إلى « حيس » بأجناد ، ولم يقابله أصحاب الفقيه سعيد بغير الفرار ، ودخل مدينة « حيس » وقد أجلى منها أهلها لما تلبسوا به من ذلك العار .

وفي [٩٣/ب] اليوم الثاني تبع الشريف أثر أولئك القوم ، فوجدهم قد تحصنوا في قلعة شرقي « حيس » ووقع بعض الشر من الجانبين ، ورجع الشريف إلى قرية « حيس » ، واستدعى بمدفع من « زبيد » ، ليهدم ركن ذلك الضلال المشيد ، وظن أنهم يبقون في ذلك الموضع ، ومع وصول المدفع شدّ عليهم فلم يجد منهم أحدًا بتلك القلعة فهدمها ، ورجع إلى « حيس » ، ونشر ثياب الأمان على الناس ، وزال عن الناس ما يحاذرون

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .
(٢) البيتان من البسيط .

من البأس ، وانتهى أمر الفقيه سعيد أن تجهز عليه صاحب « صنعاء » الملقب الهادي[١] ؛ لأنه قد استولى على بعض بلاده . وعند وصوله خذله من كان معه وأُخذ ووصل بين يدي الهادي ، وبلغني أنه خاض معه بعض علماء « صنعاء » في تلك الحضرة عن مستند فعله ، فأجاب بجواب يقضي بأنه من أعتام الناس ، ثُمَّ بعد ذلك حبس ، وأطلق إلى السيف ، فانحسم ضرره ، وبتر عمره[٢] .

/ وفي خلال هذه المدة وقع التظهر من الشيخ علي حميدة[٣] [ص٣١٠] بالخلاف ، وقد كان أيام إقامة الشريف « بالحديدة » أول قدومه إليها وصل إليه وبذل البيعة ، ولكنه للشريف غير صافي الوداد ، وفي قلبه من نار الحقد (اتقاد ، ولأسباب منه اتفقت في)[٤] جانب الشريف أيام الأتراك ، نصب منه بالمكايدة كما يقال (الأشراك ، ولكنه أخفق مسعاه فيما)[٤] أراده من الفعل المهين ، والله لا يصلح عمل المفسدين .

(السنة السابعة) والخمسون بعد المائتين والألف : (أرخها بعض أدباء الوقت)[٤] بقوله الظريف مخاطبًا للشريف :

(دام سلطانك)[٤] المعظم قدرًا   بك في المجد للبرية فخرُ

(في أمان وصحة)[٤] وتهان   لك مرّ الزمان فيما يسر

(١) الإمام الهادي محمد بن المتوكل على الله أحمد بن المنصور علي ، إمام اليمن خلال الفترة من ١٢٥٥ – ١٢٥٩هـ .
انظر : الجرافي ، المقتطف ، ٢٦٥ ؛ زبارة ، نيل الوطر ٢/٢٢٦ .
(٢) لمزيد من المعلومات عن ثورة العنسي وتفاصيلها : انظر : العمري ، مائة عام من تاريخ اليمن ، ٢٩١ – ٢٩٨ .
(٣) علي حميدة ، شيخ قبيلة القحري ، ومركزه في باجل . انظر : العمري ، مائة عام من تاريخ اليمن ، ٣٢١ .
(٤) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(لَمْ تـزل ظافـرًا)[1] بكل عـدو ... ولك السـعد خـادم مستمـر
ولك الخيـر والهنـاء بعام ... لك نهي بـه جديد وأمـر
قلت (إذ)[1] جاءنا لكم فيه فأل ... ضمن بيت مُقَرّض فيه شعر
ولحـرب العـدا من الله أرِّخ ... للشريف الحسين قد جاء نصر[2]

فيها كاتب الأمير عائض الشريف لأجل يتوسط بينه وبين الشيخ علي[3] بالصلح ، فأذعن [٩٤/أ] الشريف حيث لا مقصد له غير الرجوع منه إلى الطاعة ، والانخراط في سلك الجماعة ، فبعث الأمير بمراسيل إليه ، وتردد الخطاب في هذه المادة / ، ولم ينضبط لهم حال الشيخ علي في الاستقامة على الجادة ، وشاهد حالهم : [ص٣١١]

ولَمْ نستفد من بحثنا طول دهرنا ... سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا[4]

وبعد رجوعهم إلى الشريف أفهموه ذلك الحاصل ، وتبين لهم أنه لا حجة يدلي بها غير ركوب متن الباطل ، فما رأى الشريف أن يدفع هذا الواقع بغير الصارم الهندي واللهذم ، فقد قال الحكيم : « إن دفع الشر بالشر أحزم »[5] ، فنهض الشريف سادس شهر ربيع أول بجيوش قاهرة ، وأُبّهة وافرة ، وعندما دنا من قرية « باجل » بلغه أن من هناك يريد في خارج البلد أن يقابل ، فبرز الشريف مثل الليث الهصور ، ولبس لأمة الحرب وعلى رأسه لوائح الظفر تدور ، وزحف إلى ذلك المكان وقد نشر البنود ، وبين يديه أبطال الجنود ، فاستقر بشامي البلد إلى آخر النهار ، وتقدم في الكتائب وأحرق تلك (القرية بالنار ، وذهب)[6] من ذهب تحت السيف البتار ، ونهبت العساكر ما وجدوا في (تلك الديار وقد صار حالهم كما قيل)[6] :

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .
(٢) الأبيات من الخفيف .
(٣) الشيخ علي حميدة .
(٤) البيت من الطويل .
(٥) لم أعثر على هذا المثل فيما تحت يدي من كتب الأمثال المشهورة .
(٦) بياض في الأصل وأثبتناها من ص .

للسبي ما نكحوا والقتل ما ولدوا ... والنهب (ما جمعوا والنار ما زرعوا)[1]

وعاد بعد ذلك إلى مطرحه وعلى رأسه تخفق الأعلام ، وحوله من (الفرسان آساد الصدام)[2] ، والكتائب تموج بين يديه وهو ليث تلك الكتائب ، وقد اعتقل (الخطي / وتقلد السيف) القاضب . [ص٣١٢]

كأن الهام في الهيجا عيون ... وقد طبعت (سيوفك من رقاد)[2]
وقد صغت الأسنة من هموم ... فما يخطرن (إلا في فؤاد)[2]

ونصب قبلي البلد الخيام ، وأطلق الأجناد على مناجزتهم بالقتال في البكر والآصال ، والمدافع تقذف بقلل على تلك القلاع ، وأهلها في غاية الضيق ونهاية الإفزاع .

وفي بعض الأيام بدا للشريف أن يجول في ساحة تلك القلعة بمن معه من الفرسان ، ويتخطف بالرماح الشواهر من أطراف ذلك المكان .

ويطلب عند الناس ما عند نفسه ... وذلك ما لا تدعيه الضراغم[3]

[٩٤/ب] فاندفعت قلة فأصابت جواده في ذلك المقام .

ومن أمثال العرب : « رب رمية من غير رامٍ »[4] ، فلم يكترث لذلك الواقع ، ولا رهب لما قذفته من تلك القلعة المدافع .

وفارس الخيل من خفت فوقّرها ... في الدرب والدم في أعطافها دفع[5]

فنزل له ابن أخيه الشريف البطل علي بن محمد عن جواده ، وركب على أناة وثبات ، ولا غرو فالثبات له عادة ، وانعطف إلى المطرح يمشي الهوينى والثغر منه باسم ، وقد عرفت ريح الليوث تلك البهائم ، وما زال

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص ، والبيت من البسيط وهو للمتنبي ، انظر : الديوان ٢٢٤/٢ ، يلحظ القارئ تناقض المؤلف في المواقف من الأحداث ، فهو هنا مسرور بما حدث ، ويسوق وقائع نهب العساكر وإحراق الأماكن ، ويسوق بيت المتنبي الذي يتضمن سبي النساء ، وقتل الذرية ، ونهب ما جمعه الآخرون ، وفي الوقت نفسه يذم من يصدر منه فعل دون هذا إذا كان ممن لا يتشيع له ولا يقوده إليه هوى.
(٢) بياض في الأصل وأثبتناها من ص ، والبيتان من الوافر وهما للمتنبي ، انظر : الديوان ٣٦٠/١ .
(٣) البيت من الطويل وهو للمتنبي ، انظر : الديوان ٣٧٩/٣ .
(٤) يضرب في فلتة إحسان من المسيء ، والقصة في المستقصى للزمخشري ١٠٥/٢ .
(٥) البيت من البسيط وهو للمتنبي ، انظر : الديوان ٢٢٣/٢ .

الأمر على من في القلعة في شدة لا أول لها ولا آخر ، حتى بلغت القلوب منهم الحناجر ، فتسلل الشيخ علي حميدة خشية من الهلاك للتوصل [ص٣١٣] بطلب الأمان ، ورفع / حديثه إلى الشريف الماجد أبي طالب بن علي ، والقاضي حسن بن محمد المكرمي(١) ، والشيخ مانع بن جابر(٢) ، لأجل أن يكونوا أعوانًا ، فنُمي إلى حضرة الشريف ذلك الخبر ، وأذعن بالمطلوب بشرط نزوله تحت النظر ، فرأى ذلك لشدة ما عانى (الغنيمة الباردة ، وبادر بالخروج)(٣) إلى مخيم الشريف وحالته بما هو عليه شاهده :

لا يخدعنك من عدو دمعة	وارحم شبابك من عدو ترحم
لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى	حتى يراق على جوانبه الدم(٤)

(ولما وصل أدخل نفسه تحت)(٥) سرير الشريف ، اعترافًا بالذنب ومخافة من اللوم (والتعنيف ، فلم يقابله الشريف)(٥) بغير الصفح الجميل ، وهكذا الكريم يقابل بالحلم (بعد القدرة على ما يريد من الفتك) والتنكيل ، وانثالت الرعايا الذين تحت يده إلى الطاعة (وقد ندموا على ما فعلوا في جانب)(٥) الشريف من الإضاعة .

(تقود إليه طاعة الناس)(٥) فضله	ولو لَمْ يقدها نائل وعقاب(٦)

وبعد صلاح الأحوال ، رجع إلى « الحديدة » في أنعم بال ، وتوجه بعد قضاء مراده منها إلى « الزهراء » ، ونجم السعادة يزهر ، والدهر قد ساعده فيما يروم ممَّا أسرّ وأظهر ، وأقام بها أيامًا وتوجه إلى مدينة [ص٣١٤] « أبي عريش » ، فسرّت به المدينة العريشية وكادت أن / تطير من فرحها

(١) من مشايخ قبائل يام .
(٢) شيخ بطن آل فاطمة من يام ، وتسمى أسرته حاليًا بآل أبو ساق .
انظر : فؤاد حمزة ، في بلاد عسير ، ١٧٦ .
(٣) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .
(٤) البيتان من الكامل وهما للمتنبي ، انظر : الديوان ١٢٥/٤ .
(٥) بياض في الأصل وأثبتناها من ص .
(٦) البيت من الطويل .

بلا ريش ، وهو مع ذلك ملتفت إلى نظام المملكة بحسن التدبير ، والناس [٩٥/أ] في ظل عدله وأمانه متفيؤون لا يمسهم من حر الجور والخوف سعير ، أحكامه نافذة في أقطار مملكته بالسداد ، قد ساس الرعايا بحكم الشريعة المحمدية في الإصدار والإيراد ، وغير بدع فهو من أهل العلم والعرفان ، ولا يختلف فيما هو عليه من المعرفة بعلم الأدب اثنان ، فازدهت به الأيام وصارت الأوقات كلها أعيادًا ، وأمنت الطرقات في جميع حدود بلاده ، وانقمع خوفًا منه كل باغٍ وفاسد عن بغيه وفساده ، فلم يزل ملازمًا للسيرة الحسنة ، وسالكًا الطريق المستحسنة ، ملاحظًا لتوظيف الناس على قدر مراتبهم ، قريب الجناب ، شريف الخطاب ، لا ينقض له معلوم ، ولا ينسخ له مرقوم ، لما هو عليه من الحزم الذي يعز على غيره من الأنام ، غير ملتفت لغرض نفسه بل هو سليم الصدر للخاص والعام :

تَملك الحمد حتى ما لمفتخر	في الحمد حاءٌ ولا ميم ولا دال
عليه منه سرابيل مضاعفة	وقد كفاه من الماذيِّ(١) سربال(٢)

((وفي شهر ربيع أول من هذه السنة كانت وفاة الأخ العلامة الفاضل أحمد بن محمد بن عبدالله ، كان من أهل التقوى الكاملة والزهادة ، وممن له الإخلاص في العبادات عادة ، نشأ في حجر عمه سيدي الوالد - رحمه الله تعالى - فغذاه بمعارفه وتخلّق بأخلاقه / ، قرأ [ص٣١٥] في الفقه على علماء بلده ، وهاجر إلى « زبيد » ، وأخذ في الحديث على شيخنا الحافظ عبدالرحمن بن سليمان ، وفي الأصول على السيد العلامة عبدالرحمن بن محمد الشرفي ، وفي النحو على الشيخ محمد بن الزين المزجاجي(٣) ، وكان تيسر له قول الشعر وغالبه في الهزليات ؛ لأنه كان

(١) الماذي : العسل الأبيض الرقيق ، وخالص الحديد وجيده . انظر : المعجم الوسيط ٨٦٦/٢ .
(٢) البيتان من البسيط وهما للمتنبي ، انظر : الديوان ٢٨٥/٣ .
(٣) محمد بن الزين بن عبدالخالق المزجاجي ، من علماء زبيد المشهورين في النحو والبيان (ت/١٢٥٢هـ) .
انظر : عاكش ، حدائق الزهر ، ١٧٤ ؛ زبارة ، نيل الوطر ٢٦٥/٢ .

فيه متاحفة للإخوان ، وحسن مباسطة وإيناس للقاصي والدان ، وله حافظة مطاوعة ، ولم يزل ملازمًا للطاعات ، قانعًا باليسير من الدنيا ، لا يلوي على شيء من أحوال أهلها ، حتى نقله الله ـ تعالى ـ إلى دار كرامته ، رحمه الله تعالى وإيانا))(١) .

وفي ثامن عشر [من] شهر رمضان من هذه السنة ابتدأ الشريف في بناء قلعة (قبلي)(٢) « أبي عريش » المسمى « نجران » الذي لم يُبن مثله في هذه المدينة على مرور الأزمان ، (وهذا المعقل حصن حصين)(٢) ، وعلم شامخ العرنين ، نسيم أعاليه سجسج ، ومصباح (علاليه من قناديل المسرة تُسرج)(٢) ، له لون يدعو الأفراح إلى الأرواح ، ويكسبها نشوة (الراح، ومع كماله وتمامه)(٢) ، قلت في تاريخ عامه :

طالع السعد بنصر قد ظهر ... (وأضاء الحق فينا وانتشر)(٢)
ببقا المولى الشريف المنتقى ... خيرة (الخيرة من نسل مضر)(٢)
الحسين المنتقى من حسن ... مَنْ (عَلاَ مجدًا على هام القمر)(٢)
بطل أذهب أنواع العدا ... فدماهم بالظبا صارت هدر
مدحه يجمع أشتات العلا ... وطويل القول فيه مختصر
وجواد مثل غيث هاطل ... إنَّما يهمي بدُرّ وبِدَر
[ص٣١٦] / فملوك الأرض طرًا دونه ... مفخرٌ في كل فضل إن فخر
قد أقام الدين بالسيف فما ... مثله في عدله قط بشر
[٩٥/ب] / عمَّر الملك بإعداد التقى ... وأعدّ الله عونًا فقهر
وبنى بيتًا لإرغام العدا ... في ربى أرض لها الحسن اشتهر
فتناهت شرفًا لما بنى ... بيته فيها وكانت مستقر

---

(١) كتب المؤلف في الهامش بعد الانتهاء من هذه الإضافة : صح أصل .
(٢) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

وعلى التوحيد والتقوى لقد ... أسس البيت يقينًا واعتمر
وإذا سُمي « بنجران » فقد ... صار حقّاً في المباني مبتكر
وانتهى في طالع الخير البنا ... وعلى سمك المعالي قد ظهر
فغدا بالسعد حقّاً ظافرًا ... وعلى الأعداء مولاه نصر
فلذا « نجران » بالعز سما ... وله التاريخ : عِزٌّ بظفر(١)(٢)

ومع استقراره « بأبي عريش » وقعت المفاوضة بينه وبين الأمير عائض بألسنة الأقلام ، في مكان يكون به الاجتماع لتأكيد ما سلف من الصلح في تلك الأيام ، فتم الكلام على أن يكون (في وادي « بيض » اللقاء ، فنهض)(٣) الشريف من « أبي عريش » ثامن شهر شوال في جيش (كثير ، وزيّ كبير ، وجأش مربوط)(٣) ، وعزم بأكناف المجرة منوط ، وانفصل عائض (من بلاده ، هو ومن معه من أجناده)(٣) ، وقد كان أرجف الحساد أن لا بد أن ينفتح بينهما (القتال ، ولعل في خواطر جند أهل)(٣) السراة من ذلك خيالاً ، واستقر / مطرح كل منهما (بحيث يراه [ص٣١٧] الثاني ، ودار بينهما)(٢) أحاديث الوفاق على رغم الحواسد والشواني ، (وهيأ الله أسباب الصلاح)(٣) ، ونادى منادي الظفر بينهما بحي على الفلاح .

(حسم الصلح(٣) ما اشتهته الأعادي ... وأذاعته ألسن الحساد(٤)

(وضربوا بينهم في ذلك الاجتماع)(٥) القواعد الأكيدة ، وأيدوها بالمواثيق والعهود الشديدة ، (وتراسلوا بهدايا فيها كل شيء)(٥) مرغوب ، ولا غرو فهي التي تسل سخيمة القلوب ، ورجع الشريف إلى مستقره مدينة « أبي عريش » في أبهة فاخرة ، ودولة قاهرة :

---

(١) كتب المؤلف تاريخ البناء تحت عبارة : عز بظفر : ١٢٥٧ ، وهو من حساب الجمل .
(٢) القصيدة من الرمل .
(٣) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .
(٤) البيت من الخفيف ، وهو للمتنبي ، انظر : الديوان ٣١/٢ .
(٥) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

له عسكرا خيلٍ وطيرٍ إذا رمى ... بها عسكرًا[1] لَمْ تبق إلا جماجمه
أجلتهـا من كلِّ طاغٍ ثيـــابه ... وموطنها من كل باغٍ ملاغمه
[٩٦/ أ] / فقد ملّ ضوء الصبح ممَّا تغيره ... وملّ سواد الليل ممَّا يزاحمه[2]

وبعد ذلك خضع لعلاه كلُّ حاسد[3]، واستقرت هيبته في قلوب كلّ معاند ، وغنى له على فستق السعادة طير الدهر بالأفراح ، وابتسمت له الأيام بكل ما يهواه في المساء والصباح ، وأقام مدة يسيرة في هذه البلاد ، ووصله من طريق عائض جماعة من الأجناد ، فجمع من عنده من الجنود ، وخرج بهم[4] إلى بلاد « الخميسين » ليأخذ منهم الثأر ، لما سلف منهم من الأمور التي توجب أن يحل بهم الدمار ، ومرّ على بلاد « بني الحرث » وصلّح / أمورهم على حسب المراد ، وانفصل من بلادهم متوجهًا [ص٣١٨] إلى بلاد « الخميسين » بأولئك الأجناد ، بعد أن فارقه « عسير » ، ولم يحصل منهم فائدة في ذلك الجمع الكثير ، وكان لديه جملة وافرة من عساكر « يام » ، مساعير الحرب وآساد الالتحام ، فاكتفى بهم في هذا المهمّ عمن سواهم ، ورأى أنه سيقوم بهم المقصود .

السنة الثامنة والخمسون بعد المائتين والألف : تقرب الشريف من تلك البقاع ، ورتب لحربهم من بهم الكفاية من العساكر في الدفاع ، وقد كانوا ترتبوا في مكان من تلك الجبال المنيعة ، وبنوا محاربَ ليردوا بها سطوة (العساكر السريعة ، وسار)[5] الشريف وبين يديه رجال الحرب ، ومقيمو سوق الطعن والضرب ، (فمجرد ما رأوا أولئك القبائل) ، أقدم عسكر الشريف عليهم ما بين ضارب وقاتل ، وأوردوهم (موارد الهلكة في ذلك المقام ، وما)[5] قابلوهم بغير الفرار والانهزام ، وذهبت هناك منهم

---

(١) في الأصل : عسكر .
(٢) الأبيات من الطويل وهي للمتنبي ، انظر : الديوان ٣/٣٣٦ .
(٣) هو يتكلم عن بشر، والعلا لله سبحانه وتعالى ، والمبالغة في مدح وإطراء من يقوده إليه هوى ظاهرة في هذا الموطن أو غيره، وإلا فالخضوع للعلا وصف لا ينطبق إلا على من تفرد بالعلو سبحانه ، ثم إن المؤلف هنا يقرر ما جرى من تأكيد الصلح ، ومع ذلك لم يدع نزعة العداء للمقابل ، وإنما يصف الأمر وكأن من يتشيع له هو المنتصر وذلك الآخر موصوف بأوصاف سيئة وهو المنهزم ، والعصبية ملازمة له حتى في حال الصفو بين الأطراف المختلفة .
(٤) في الأصل و ص : لهم .
(٥) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

نفوس ، (وقطعت رؤوس ، وكان ذلك)[1] عليهم يومًا عبوسًا أي عبوس ، ولجأ منهم جماعة في جبل يسمى « كوكب » (مثل واحد الكواكب)[1] السيارة ، ولافحوا الجند بالقتال ولم تزل تمدّهم من المحاذين (لهم غارة بعد غارة ، وعند)[1] ذلك عبأ الشريف الجنود ، ونشر البنود ، وجعل العساكر بين يديه (وأقدم بهم على ذلك الجبل) / لاستئصال أهله [ص٣١٩] وإنزالهم من هاتيك القلل ، فحين شاهدوا ذلك الجمع المستطيل ، علموا أن لا استطاعة لهم على المقاومة لا بكثير من القوة ولا بقليل ، فأجلوا من ذلك الجبل العالي ، وتركوا ما فيه من رخيص وغالي ، فاستولى جند الشريف على تلك البيوت الخالية ، ولم يبقوا فيها بالنهب من باقية[2] .

وفي اليوم الثاني شدّ الشريف ونصب خيامه في ناحية شرقي [٩٦/ب] تلك البلاد ، واستدعى السيد الماجد قاسم بن أحمد المنصور[3] من سادات « شُهارة »[4] يتصل نسبه بالإمام القاسم المجدد في أرض اليمن في زمانه ، وقد كان سبق منه وصول إلى الشريف أيام إقامته بالمدينة العريشية ، ووقعت بينهما المواطأة على ملك تلك الجهات ، والمعاونة على هذا المقصد بضروب من السياسات ، فتمّ قبل وصوله للشريف ذلك المطلوب ، وقضيت تلك الحاجة التي في نفس يعقوب ، ولكن وجّه الشريف إليه المطالب الدولية التي على أهل تلك البلاد ، وكان طريق مطالب الشريف منهم عليه ، فلم يزل إقباله بذلك في ازدياد ، وعظم شأنه عند أهل الجبال ، وبلغ من الرئاسة التي يريدها الآمال ، وكان / قد [ص٣٢٠] نصب خيمته في قبلي مطرح الشريف ، فلم يشعر الناس في بعض تلك

---

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .
(٢) كل هذه المآسي حدثت على سكان هذه القرى والأماكن والمؤلف لم يسقها بوصفها حوادث تاريخية فحسب ، لكنه يسوقها مادحًا محبوبه ، ومتشفيًا من أولئك الذين قتلوا وشردوا ونهبت أموالهم وبيوتهم ، ولو حدث هذا أو شيء منه من غير ممدوحة لتغيرت لهجة الخطاب ، وبين المؤلف أن ذلك الفعل مجانب للصواب والحق ، وهذا منهج غير علمي .
(٣) لم أعثر له على ترجمة .
(٤) جبل عامر بالسكان في بلاد الأهنوم شمالي حجة ، وهما : شهارة الفيش وشهارة الأمير، والأخيرة هي المعمورة وبها مركز القضاء .
انظر : المقحفي ، معجم المدن والقبائل ، ٢٣٩ .

الأيام إلا بالصائح من ذلك الجانب ، فكشف الخبر فإذا هو بعض القبائل طعنه طعنةً كان بها إزهاق روحه ، ولله القائل :

كيف السرور بإقبال وآخرهُ   إذا تأملته مقلوب إقبال(١)

وقُتل قاتله(٢) في ذلك الوقت ، وباء بأمر الله بالغضب والمقت ، وكاد أن يقع من الرعايا الذين ضمهم (إليه بعض خلاف ، لكن لما)(٣) كان الشريف مقيمًا في المطرح آل الأمر إلى (السكن والائتلاف ، وبعد ذلك جعل)(٣) الشريف أخاه(٤) قائماً في ذلك المقام ، لجبر خاطره (وإلا فهو لا خبرة له بأحوال الأنام)(٥) ، وعندما تمّ للشريف مراده من تلك الجهات ، نزل (إلى مدينة « الزهراء » وقد صفت له) من المخالفين الأوقات ، وخدمته السعادة بما يريده في (جميع الحالات) .

وإذا السعادة)(٥) لاحظتك عيونها   نَمْ فالمخاوف كلهن أمان

(واصطد)(٥) بها العنقاء فهي حباله   واقتد بها الجوزاء فهي عنان(٦)

(وتوجه بعد ذلك إلى مدينة)(٧) « زبيد » وصام به شهر رمضان ، وقد نامت عنه بعناية الله سبحانه (وتعالى عيون الحدثان ، وسار) إلى [ص٣٢١] بندر / « المخا » بعد تمام الصيام ، لافتقاد أحوال أهلها لما شكوه من انحلال النظام ، وعدم معاملة الشريف حمود لهم بما يلائم في كل مقام ، فقابل الشريف تلك الشكاية بالقبول ، ورأى من الإنصاف أن يكون من

(١) البيت من البسيط ، وقد ورد في الغيث المسجم للصفدي ٤٥٢/٢ دون إشارة إلى القائل .
(٢) في هامش ص كتب الناسخ : قاتله رجل خبيث من بلاد ضاعن حجور الشام يقال له : دوا ، قبحه الله .
(٣) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .
(٤) في هامش ص كتب الناسخ : هو السيد عبدالله بن أحمد بن علي بن أحمد بن المنصور الحسين بن القاسم بن المؤيد .
(٥) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .
(٦) البيتان من الكامل وهما للقاضي الفاضل ، انظر : الغيث المسجم للصفدي ١٣١/٢ .
(٧) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

الشريف حمود عنهم النقول ، فنزع من تحت يده البندر ، وتغير خاطره من العزل وتكدر ، ولله القائل [٩٧/أ] :

لكل ولايـــة لا بُد عــزل   وصرف الدهر عقـد ثمَّ حل

وخير ولايـــة تبقى لوالٍ   على الأيام إحسان وعدل(١)

فرجع مغاضبًا إلى « أبي عريش » وفي نفسه ما فيها ، واستدعى الشريف أخاه حيدر ، وجعله عاملاً في ذلك البندر .

وفي هذا العام وصلت من الشيخ الأديب أبي بكر بن عبدالوهاب الزرعة(٢) النازل « بمكة المشرفة » هذه القصيدة مادحًا بها الشريف لما انتشر عنه من الفضائل ، وشاع من الكرم الذي هو كالسحاب الهاطل :

إلى مدحك الأسنى توجّه بي ركبي   فخيمت من علياه بالمنزل الرحب

ورحت بنادي الأنس منتشيًا به   إذا ما انتشى غيري بآنية الشرب

على مثله يصبو الخلي مفاكهًا   ويهتز عطفًا منكب المغرم الصب

فمن درر منظومها عقد جؤذرٍ   ومنشورها يزهو على الأنجم الشهب

/ ومن أرج يكسو الصبا من شميمه   (ملابس أعطار ومن)(٣) لؤلؤ رطب [ص٣٢٢]

على أنني ما نلت ممَّا أرومه   (سوى لمحة ضاقت به دارة)(٣) الكتب

علوم وآداب ومَجد ومرتقى   (له خطرات تستقر بذا اللب)(٣)

وسيف وإقدام وخيل ضجيجها   لمعترك (الهيجا كشنشنة السحب)(٣)

عليمٌ بأسرار المعالي إذا انتهى   إلى (مطلب والاه بالمطلب الصعب)(٣)

نعمّا الحسين السيد الوفر بذله   إذا كف (كفّ المزن عن غدق سيب)(٣)

(١) البيتان من الوافر .
(٢) أبو بكر بن عبدالوهاب زرعة المكي الحنفي ، من علماء مكة الأدباء ، أصل أسرته من الهنود ، وهم أهل علم وثروة وعلو شأن (ت/١٢٦٢هـ) . انظر : أبو الخير ، المختصر من نشر النور والزهر ٣٠/١ .

بقية مجد قد جناها ابن حيدر   عليُّ المعالي (خدن جرثومة العرب)[1]
له جمل الإحسان مفردة الثنا   بها آمنوا كل الآنام على الغيب[2]
إذا هينم الراوون في دوحة الجدا   بحاتم المعروف بالجود أو كعب
وفاه لسان المدح يتلو حديثه   تراهم سكونًا ناكصين على عقب
رحال رجال الطالبين نواله   يؤمهم المعروف منه على رحب
فأنعم به من ذي سماح ونجدة   ومن كرم أوفى على الخصب والجدب
[٩٧/ب] / إذا ذكر الأشراف في محفل الوفا   تقدمهم في الذكر بالحسب الوهب
على اليمن الميمون أشرف بدره   وشام به برقًا يلوح على الغرب
يباشر أبكار المكارم دائمًا   يقبلها الإيناس جنبًا إلى جنب
فيا للهنا من دولة عدّ سهمها   إذا ابتدرت يوم الطعان إلى الضرب
ويا للمنى من حوزة ما ترى بها   سوى راغب للحد بالصارم العضب
[ص٣٢٣] / حديثًا إلى ذاك المحيا مرددًا   وشوقًا إلى المسرى القصي على قرب
تباعدت فخرًا وادَّنَيْتَ مكارمًا   فأنت على كلّ سماحك لي حسبي
أود بعيني أن أزورك مرة   وألصق مكتوب الترائب بالترب
ولكنها الأيام لا تسعد الفتى   بإيحائها إلا وأفضته للسلب
سأستمنح النعمى[3] لديك لترتوي   مسارح قلبي من ندىً دائم الصب
ودونك نظمًا (رقّ لفظًا كأنه)   بقية شكوى من مفاوضة العتب
ألذ (من العذب الزلال على الظما)[1]   وأطيب من وصل الحبيب على القلب
(يقدمه مضنى الفؤاد محبكم)[1]   ولا لوم يا طب الفؤاد على الحب
(وإني لخفاق الجناحين ما شرى)[1]   بوارق من ذكراك يلمحها قلبي
(أحن إلى لقياك لو كان في الكرى)[1]   ولَمْ أر أحلى منه في البعد والقرب
(عليك سلام الله ما هبّت الصبا)[1]   وما جاد صوب المزن بالمطر العذب

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .
(٢) هذه من المبالغات غير المقبولة عقلاً ولا شرعًا ، لأن ما ذكر إن كان قد صدق به فهم عدد محدود ، أما أن يؤمن كل الأنام بمحاسن الممدوح من باب الغيب فهذا غاية في مجافاة الحقيقة.
(٣) النعمى إنما تستمنح من الله تعالى أما البشر فشأنهم دون ذلك.

(ثُمَّ قال بعد النظم نثرًا : يا)[1] من صُرفت القلوب بعد الله إليه ، وأُوقفت الآمال عليه[2] ، (صدرت إليك هذه الغروس)[1] طيبة المجتنى ، وزفّت إليك هذه العروس بهية النهى ، أنالها الله منك القبول ، وجعل خطها بلوغ نهاية المسؤول ، وقد حبّر بردها المحب الفقير إلى الله (تعالى)[1] أبو بكر بن عبدالوهاب الزرعة - لطف الله به - والسلام يغشاك ، في صباحك ومساك ، ومن يلوذ بجنابك ، ويتمسك بذيل رحابك[3] ، / وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم . [ص٣٢٤]

ولما وصلت إلى الشريف تلقاها بالقبول ، وطوق قائلها من الإنعام مِمَّا يطيب ويطول .

[٩٨/أ] ولما أعجبني حسنها البديع لما حوت من الإحسان ، واشتملت عليه من إيراد بعض مناقب مليك الزمان ، قلت شافعًا له في هذا المجرى ، ومقررًا لذلك الإطراء[4] :

ركاب المعالي قد أناخت على خصب   يحفّ بها عذب الموارد والعشب
وقد أنزلت بين السويدا كرامة   ولا عجب فالشمس تنزل في القلب
جعلنا ثراها إثْمدًا في محاجر   لما قد حوت من لؤلؤ المنطق العذب
وإن أحرمت من « مكة » عن جلالة   هناك فقد حلّت لدى كعبة الرحب
أهلت بنظم في مديح الذي حوى   مفاخر قد فاقت على العجم والعرب
حليف الندى نجم الهدى قاصم العدا   إمام الهدى زين المحافل والكتب
شريف مشى النهج السوي ولَمْ يمل   عن الأثر المحمود في الفرض والندب
فليس له في العالمين مشابه   (يماثله في السلم)[1] خُلُقًا وفي الحرب
فقل للذي يبغي لحاق فخاره   (ترفق فلم تبلغ إلى المرتقى الصعب)[1]

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .
(٢) معنى هذا أنه قد أصبح في درجة تعلو درجة النبي ﷺ ، ومن بعده خيار الأمة ، وهذا باطل ، والمحبة التي تخرج إلى درجة تعليق أمور إنما تعلق بالله تعالى لا تعدو أن تكون تملقًا ، أو صرفًا لما هو حق لله تعالى للمخلوق ، كلا الأمرين قبيح .
(٣) الممدوح بشر يحتاج إلى ما يحتاج إليه المادح فدعوى أنه يلاذ بجنابه ، ويتمسك بذيل رحابه كلام لا يليق من مخلوق بحق من هو مثله ، وكان الأولى أن يصرف هذا لله القادر على كل شيء .
(٤) القصيدة من الطويل .

متى يبلغ المطري مناقب من له ... (فضائل قد نافت على السبعة الشهب)(١)

وطافت على ذاك الجلال فنالها ... شذى (طيبًا أذكى من المندل الرطب)(١)

ولما سعت بين «الصفا» من رياضه ... ومروة مجد (أتحفت غاية القرب)(١)

وعند «منى» العافين والسعد طالع ... رمت «جمرات» (الهم عن منكب الركب)(١)

[ص٣٢٥] / وفي «عرفات» الجود كان وقوفها ... فجاد عليها (ذلك البحر بالسّحب)(١)

ومرَّت بمن يحلو لديه حديثها ... أسير غرام (لا يضيق)(٢) عن الحب

فأشجته إذ رقّت فصبّ دموعه ... وغير بديع أن يلقب بالصب

عجبت لها وهي الفصيحة منطقًا ... لسامعها تضني وإن صحّفوا تصبي

فما حُوَّر الأجفان إلاّ لفضلة ... من الحسن أهدته إلى ذلك السرب

نسيم الصبا ما اعتلّ إلا لغيرة ... لما قد حوت من منطق للنُّهى يسبي

أبا بكر هل تلك العقود نظمتها ... لتخلب بالسحر الحلال ذوي اللب

[٩٨/ب] / أعدت زيادًا عند نطقك أعجمًا ... وبينت نقص الفاضل المفلق الندب

ولما بدت تختال في وشي طرسها ... تعطّرت الآفاق في الشرق والغرب

فما «تهِ دلالاً» ما «عيون المها» وما ... «قفا نبك» أو «يا ظبية» أو «ألا هبي»

لقد كسرت شعرَ ابن جابر في الورى ... وما المتنبي بعدُ عن معجز ينبي

فقلْ ليَ هل أرسلتَها خندريسةً(٣) ... تظل الحجى قسرًا وتذهب بالكرب

فإن لم تكن هذي السلاف بعينها ... فما بال إيجاب النهى خصّ بالسلب

وقد صار ورق الفكر يشدو صبابة ... على غصنها الميال من طرب الشرب

نصبت بها أعلام حسن بلاغة ... فطأطأ أهل الشعر خفضًا لدى النصب

لك الفضل إذ (أبديت كل غريبة)(٣) ... وأمليت فيها ما يزيد على العجب

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .
(٢) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص ، ولعلها : يفيق .
(٣) الخندريس : الخمر القديمة . انظر : المعجم الوسيط ٢٥٧/١ .

/ ودونك (مني ذا الجواب مقرِّضًا)(١) ... مديحك كي أُلقي الدِّلاء مع الغرب [ص٣٢٦]

(أهز بها جذع العهاد لأجتني)(١) ... بدائــع آداب تروّح للقلب

(وأحيي بها قلبًا تعاوره الجوى)(١) ... فعاد من الأشواق في معدن (الترب)(١)

(وصلِّ على خير الأنام مسلمًا)(١) ... كذا آله في كل حين مع الصحب

(وكتبت بعدها إلى الشيخ العلامة)(١) صاحبنا عبدالله بن عبدالرحمن سراج(٢) ما لفظه : (يقول الفقير إلى الله تعالى : إني)(١) لما عثرت على قصيدة الشيخ العلامة الأديب أبي بكر بن عبدالوهاب (الزرعة - متع الله بآدابه - الواصلة)(١) إلى تلك الحضرة السامية ، والمتضمنة لمدح هاتيك (السجايا العالية ، ورأيت ما فاق)(١) ، وأخجل الشمس في الإشراق ، من جواهر ألفاظ ، أسحر من فترات الألحاظ ، (وزواهر)(١) آداب ، أشهى من ملاقاة الأحباب ، وعقود نظام ، أزهى من زهور الأكمام ، يزري بدور الأسلاك ، ودراري الأفلاك ، فتطفلت على تلك الموائد البديعة بهذا التقريض ، الذي أستحق عنده أن يقال لي : « إن وسادك لعريض » ، لكن ذلك مني على سبيل التقرير ، لصدق المدح والإطراء ، والمساهمة في مدح من أنا بمدحه من الغير أولى وأحرى ، مع قصد المعاطاة للقائل بكاسات الأدب ، وإن لم يسبق بيننا معرفة [٩٩/أ] فالعلم والأدب كما قيل بين أهله نسب .

فليتفضل الشيخ العلامة عبدالله بن عبدالرحمن سراج بعرضها على الشيخ المذكور / ، لتحظى بالمثول بين يديه وتغتنم حسن الذكر [ص٣٢٧] المأثور ، والسلام على الجميع مسك الختام .

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .
(٢) من علماء الحرم المكي ، عينه الشريف محمد بن عون رئيسًا على علماء مكة ، تولى قضاء جدة سنة ١٢٣٣هـ . انظر : أبو الخير ، المختصر من نشر النور والزهر ٢٥٣/٢ .

وقد عارض ذلك جماعة من علماء الوقت ، وتجارينا نحن وهم في حلبة الأدب ، وأنتج ذلك جملة قصائد بديعة عذاب ، واتفق مع ذلك مقامات في الخروج للتنزه في نخيل « زبيد » ، في موكب خليفة العصر ، لا زال ظافرًا بالنصر والتأييد ، ودونت الجميع في كتاب ، وسمّي ذلك المجلد « عقد الجمان بذكر أدب علماء الزمان »(١) وهو متداول معروف .

ولذا طوينا ذكر تلك الأدبيات إحالة عليه ، وعند وصول هذه الأبيات إلى الشيخ أبي بكر جاءت منه هذه القصيدة مادحًا للشريف ، وقد أدمج وصف بيته « نجران » وتأريخ وقت تمامه ، ولله دره فلقد أذاب بها قلوب البلغاء حسدًا ، وألقى على كرسي ابن النبيه جسدًا .

صدور المعالي في مراتب إحسانِ ... بها طرز الإملا محاسن حسانِ
أم الزهر في روض الأصيل تفتقت ... كمائمه (ما بين روح)(٢) وريحان
تمازج ريح الطيب منها لناشق ... بريح (صبا العذب من روض بستان)(٢)
ولبات درٍّ في نحور جآذر ... بدت (من عقود من سبائك مرجان)(٢)
أم اللؤلؤ المنظوم في سلك عسجد ... تفرد حسنًا (أم قلائد عقيان)(٢)
وشمس ضحى أم صحو غيم تواصلت ... حواشيه (بالقصر المشيّد نجران)(٢)
[ص٣٢٨] / به هام سعد السعد من عذباته ... لفرط (اشتياق من تواجد أشجان)(٢)
وآوى خطيب اليمن سوح فسوحه ... بمنبره يسمو (فصاحة سحبان)(٢)
فلله من قصر يطول اتصافه ... بحمد على طول الزمان وشكران
يطرز ركنيه حريز ارتفاعه ... على صفة حسنى بأحسن إتقان
لجنّاته وجنات زهر تورّدت ... بمصطبح ناءٍ ومغتبق دانِ
على أنها تجري على الدهر تحتها ... مياه التهاني فوق موردها الهاني

(١) انظر : البخاري : تفسير سورة آل عمران ، ٢٨ ؛ مسلم : باب الصيام ، ٣٣ .
(٢) لا توجد معلومات بشأن هذا المخطوط للمؤلف .

وطاف به أحوى السعود مناديًا ... يدير بها كأس المنى بين ندمان
/ إذا جاشت الريح البليل ترابها ... أتت بعبير أو بعنبر ريحان [٩٩/ب]
بناها الحسين السيد الواحد العلا ... فليس له في مجد سؤدده ثان(١)
خليفة ذي العليا علي بن حيدر ... كريم الأصول الواصلين ذوي الشان
محل الوفا أصل الصفا خير معشر ... إلى المصطفى يعزى انتسابًا وعدنان
يقول على وجه التباهي مفاخرًا ... أخو أدب منهم ومقول تبيان
أولئك آبائي فجئني بمثلهم ... إذا ما اجتمعنا نابذين لأحزان
أئمة عدل يُقتدى بفعالهم ... بهم عمر المولى دعائم أكوان
لقد أمنت نفسي بهم في حياتها ... وقرت عيونًا في معاهد أوطان
على أنها من هاشم في صحيحها ... وحسبك بيتًا لا يطاوله باني
أبا حسن والجود دُرّ عقوده ... ومعروفه قد در مطعم ألبان
حلت (من الملك العزيز براحة)(٢) ... حبا لثمها هامي السحائب أرواني
/ (علوم وآداب وفعل مكارم)(٢) ... وترتيب أوراد وترتيل قرآن [ص٣٢٩]
(وسيف ورمح عند معترك العدا)(٢) ... فمن باترٍ ماضي الحسام وطعّان
(كريم فكم يمناه باليمن أقبلت)(٢) ... ويسراه فاضت باليسار على عاني
(له راحة يحيا بها الفضل خالدًا)(٢) ... بطول يمين مع تطاول إمكان
(وخير امرئٍ أحيا لأفضل شرعة)(٢) ... وأمثل منهاج معالم أديان
(به اليمن الميمون أصبح آمنا)(٢) ... ظليلا لغصن العدل من جور عدوان
(له جيرة بالقلب من فرط حبه)(٢) ... يجر بها أردان فضل وإحسان
(وقد جلّ قدرًا عن جميل مدائحي)(٢) ... وإن قصوري عن حصولي أقصاني
فلولاه لم تثقب لآلي قريحتي ... فأستجلب المعنى على قدر إمعاني
فلا زال في برٍ على بحر جوده ... وخير وفخر من فيوضات رحماني

(١) هذا الكلام فيه تجاوز ظاهر ، حيث وصفه بالواحد والعلا ، وهما صفتان لم تؤتيا لبشر.
(٢) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

ولَمْ تبرح الأيام تخدم سعده ... بنيل الأماني من مواهب منان

[١٠٠/أ] / هنيئًا مريئًا داره دار قطبها ... بإسعاد إسعاف لإقبالها الداني

وحام بها طير الأماني مرددًا ... لترجيع أفراح بتسجيع ألحاني

تلاحظها عين العناية ما صبا ... نسيم صباها من تمايل أغصان

وما أنشد الإقبال سطرًا مؤنقًا ... من الشعر كل الحسن فيه بإتقان

بغاية مطلوب تسامى مؤرخًا ... تبدى لمرأى السعد طالع نجران(١)

(**وفيها** ؛ كانت وفاة الفقيه الأديب خيري بن محمد عمر(٢) بمدينة [ص٣٣٠] « زبيد » ، نشأ في مدينة « أبي عريش » مسكن آبائه وأجداده / وتطلع إلى المعارف العلمية ، وعانى الأدب فبلغ منه النهاية ، وتولى كتابة الإنشاء في صغره (للشريف أحمد بن حمود ، وتولى أعمالاً)(٣) لولاة الأمر بهذه الجهة ، وكان من كملة الرجال ، ومن البلغاء المعدودين ، شعره في الذروة ، وبيني وبينه مكاتبات أدبية ، قد أثبتها في غير هذا الموضع) .

وفيها ؛ وصل رأي من السلطان صاحب الروم عبدالمجيد(٤) يقتضي للشريف على جهة اليمن بالتأييد(٥) ، وإنَّما يطلب منه الإعلان له بالخطبة على رؤوس المنابر وذلك بواسطة محافظ « جدة » وشريف

(١) القصيدة من الطويل .
(٢) له ترجمة في عقود الدرر للمؤلف ، الترجمة رقم (٩٢) .
(٣) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .
(٤) السلطان عبدالمجيد بن محمود الثاني ، تولى السلطنة بعد وفاة والده سنة ١٢٥٥هـ ، وكان عمره آنذاك ثمانية عشر عامًا (ت/١٢٧٧هـ) .
انظر : محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية ، ٤٥٥ - ٥٣٠ .
(٥) صدر هذا الفرمان في الثالث والعشرين من شهر محرم ١٢٥٩هـ .
انظر : خط همايون ، سجل رقم ١١ ، صفحة ٣٠٥ ، إرشيف رئاسة الوزراء في إستانبول
وقد تضمن الفرمان ما يلي :
أ - الدعاء للسلطان على المنابر أيام الجمع والعيدين .
ب - دفع ضريبة سنوية للباب العالي عن طريق الحجاز قدرها سبعون ألف ريال .
جـ - الارتباط بأمير مكة ووالي جدة واستشارتهما . =

« مكة »(١) ، فقابل الشريف ذلك الرأي بالامتثال ، ورآها يدًا للسلطان في الظاهر ، وقد ناب عنه في صناعة هذا الصنع قول الشاعر :

وخذ النوم من عيوني فإني ... (قد خلعت الكرى على)(٢) العشاق(٣)

ودار في أثناء ذلك مباحثة في إرجاع بيرق الإفرنج (في « المخا » لأجل المصلحة العائدة على أهل)(٤) الإسلام من دفع شرهم والصلح على ذلك ، (وحرر بعض الأعيان سؤاله في هذه) المادة ، ووقع مني الجواب عليه مع بسط الأدلة كتابًا وسنة ، (وحاصل ذلك أن دليل جواز) الصلح قوله تعالى : ﴿ **وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا** ﴾(٥) أي إذا مالوا إلى (المصالحة فمل إليها ، وقيل : هذه)(٦) الآية منسوخة ، قيل بآيات السيف ، وقيل بآية الجزية ، والصواب (عدم النسخ لفقدان) التعارض ، وإمكان الجمع بين الآيات ، فهذه الآية / فيما إذا طلب (المشركون منا [ص٣٣١] الصلح ورأى)(٦) الإمام فيه مصلحة ، وآية أهل الكتاب لا تنافي هذه بل توافقها ، ولذا قال مجاهد(٧) : « المراد بها قبول جزية أهل الذمة .

= د - حماية رعايا الدول الأجنبية من التجار وغيرهم .
هـ - استحصال الرسوم الجمركية وفق التعرفة المقررة .
و - السماح للقناصل برفع أعلام دولهم على منازلهم أو مكاتبهم بشرط وجود ما يثبت تعيينهم ممثلين لبلادهم .
ز - تجديد الفرمان كل ثلاث سنوات إذا التزم الشريف بذلك .
(١) محافظ جدة : عثمان باشا ؛ أمير مكة : محمد بن عون .
(٢) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .
(٣) البيت من الخفيف .
(٤) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .
(٥) سورة الأنفال ، الآية : ٦١ .
(٦) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .
(٧) مجاهد بن جبر ، أبو الحجاج المكي ، مولى السائب المخزومي ، تابعي جليل ، شيخ القراء والمفسرين (ت/١٠٤هـ) . انظر : الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٤/٤٤٩ ؛ الزركلي ، الأعلام ٦/١٦١ .

وأمَّا آية محمد(١) وهي قوله : ﴿ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ ﴾(٢) » فإنه نهي للمسلمين عن طلبهم مصالحة المشركين وهم الأعلون بالقوة والغلبة ، فآية ﴿ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا ﴾ فيما إذا كان في المسلمين ضعف ، ورأى الإمام في مصالحتهم مصلحة ، فإنه يجب إجابتهم حتى(٣) جاء في صحيح البخاري « أنه لما جاء أبو جندل(٤) وهم في خلال خوض الصلح وقد قال سهيل(٥) : إنه لا يتم الصلح إلا برد من جاء رسول الله ﷺ من أهل « مكة » [١٠٠/ب] مسلمًا ، قال سهيل : هذا أول ما أقاضيك عليه أن ترده ، فقال رسول الله ﷺ : إنا لم نقض الكتاب بعد ، قال : فوالله إذن لا أُصالحك على شيء أبدا ، فقال رسول الله ﷺ : فأجزه لي ، قال : ما أنا بمجيزك قال : بلى فافعل ، قال : ما أنا بفاعل ، قال مكْرَز(٦) : قد أجزناه لك » ، والقصة معروفة في البخاري(٧) ، وقد تكلم الحافظ بن حجر في « فتح الباري » بما يشفي ويكفي في المادة(٨) .

(١) يقصد المؤلف الآية التي وردت في سورة محمد .
(٢) سورة محمد ، الآية : ٣٥ .
(٣) هكذا في الأصل ولعل المؤلف يريد : حيث .
(٤) أبو جندل بن سهيل بن عمرو العامري القرشي ، من خيار الصحابة ، أسلم وحبسه أبوه وقيده ، ثُمَّ هرب وله قصة مشهورة (ت/١٨هـ) . انظر : الذهبي ، سير أعلام النبلاء ١٩٢/١ .
(٥) سهيل بن عمرو العامري القرشي ، خطيب قريش وفصيحهم ، أسلم يوم فتح مكة ، وحسن إسلامه ، واستشهد يوم اليرموك .
انظر : الذهبي ، سير أعلام النبلاء ١٩٤/١ .
(٦) مكرز بن حفص بن الأخيف ، وقيل الأحنف ، القرشي العامري ، وقد قال عنه الرسول ﷺ حينما جاءه في الحديبية : هذا مكرز وهو رجل فاجر ، وقد جاء إلى المدينة بعد بدر في فداء سهيل بن عمرو فحبس مكانه ليذهب ساعيًا في فداء نفسه . انظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٩٥/٢ .
(٧) وردت القصة في البخاري ٩٧٤/٢ باب الشروط في الجهاد ؛ وفي مسند أحمد ٣٢٨/٤ ، ولدى ابن حجر في : الإصابة في تمييز الصحابة ٦٩/٧ .
(٨) انظر : فتح الباري ، باب الشروط ٣٢٩/٥ .

وما نحن فيه من هذا القبيل ؛ لأن الإفرنج هم الطالبون للصلح على ردّ بيرقهم ، مع عدم الاستطاعة في الحال لأهل الإسلام في مقاومتهم من جميع الوجوه ، وربَّما تعدى ذلك إلى ما هو أنكر من البيرق . ودفع المفسدتين بأخفهما معتبر في هذه / الشريعة المحمدية ، ومن عرف موارد [ص٣٣٢] الكتاب والسنة ، ونزّل الأمور على الفرق بين حال الاضطرار وحال الاختيار لا يعزب عنه ما يكون به براءة الذمة (في مثل هذه الأمور المهمة)(١) ، والله ولي التوفيق ، وبه الهداية إلى أقوم طريق ، (وفي أيام إقامة الشريف « بزبيد » هذه المرة)(١) وصلت إليه هذه القصيدة من شيخنا (السيد العلامة البليغ محسن(٢) بن عبدالكريم بن أحمد)(٣) بن محمد بن إسحاق بن المهدي الصنعاني أبقاه الله :

(أيا دار من أهواه دام لك السعد)(٣) ... عزيز علينا أن يطول بك العهد
(وما شغفي بالدار لكن لأهلها)(٣) ... وفيهم حنيني والتوله والوجد
إذا ارتحلوا عن سوحها ارتحل الهوى)(٣) ... وإن وقفوا في غيرها وقف الود
(أحن إليها ما أقاموا فإن)(٣) نأوا ... حننت إلى الدار التي سكنت هند
(وأسأل عن «نجد» و«سلع»)(٣) و«حاجر» ... وما «حاجر» عنه السؤال ولا « نجد»
(وأصرف عنهم لوعتي وصبابتي)(٣) ... إلى الدار إعزازًا لهم وهم القصد
(لقد حال ما بين المحب)(٣) وبينها ... ضروب من الأسباب أيسرها البعد
وما البعد عن دار الحبيب بمانع ... وكيف وحادي الشوق بي نحوها يحدُو
أهمَّ ولكن للمقادير صولة ... له الحل في نيل المآرب والعقد

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .
(٢) بياض في الأصل ، وفي ص : محمد ، والاسم الصحيح محسن بن عبدالكريم ، من أعيان صنعاء وأدبائها المشهورين (ت/١٢٦٦هـ) .
انظر : الشوكاني ، البدر الطالع ٧٨/٢ ؛ زبارة ، نيل الوطر ٢٠١/٢ .
(٣) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

فلو ساعد الجد استقلت ركائبي ... بسوح الحسين الفرد لو ساعد الجد
هو المقصد الأسنى هو السؤل والمنى ... هو الغاية القصوى هو الجوهر الفرد[1]
[١٠١/أ] / هو الروض أخلاقاً هو البحر نائلا ... هو البدر إشراقًا هو الأسد الورد
[ص٣٣٣] / همام إذا حدّثت عن كنه وصفه ... فما هو إلا الروض باكره العهد
لـه كلف بالمجد حتى كأنّما ... يشب بنيران الحروب لـه ند
وعند اشتجار السمر تحسب أنه ... لفي روضة تهتز أغصانه الملد
وليس دخان المندل الرطب عنده ... سوى ما أثارته المطهمة الجرد
وقور إذا طاش الحليم محدّث ... إذا اختلف الرأيان والتبس الرشد
كريم يحب المال للبذل والندى ... ففي حبه حمد وفي بذله حمد
سَموح يعدّ العفو أرجى وسيلة ... إلى الله إذ يعطى صحيفته العبد
فلا زال في أفق العلا مترقيًا ... إلى درجات منتهى شأوها الخلد[2]

تأمل رقة هذا النظام ، وما اشتمل عليه (من الانسجام ، ولولا خشية)[3] الإطالة لفتشت زهوره ، وسلسلت نهوره (لا غرو ؛ فشيخنا إمام البلاغة ، وله من هذا)[3] النمط ما يعلق بالأرواح ، ويسكن العصم سهول (البطاح ، وإدخال اللام في خبر إنّ)[4] المفتوحة في قوله : « تحسب أنه لفي روضة » هو على (مذهب من يجيز ذلك من النحاة ومنه)[3] قراءة ابن مسعود رضي الله عنه : ﴿ إِلاَّ أَنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ ﴾[4] (بفتح أن في إنهم والله أعلم)[5] .

السنة التاسعة والخمسون بعد المائتين والألف : فيها كان ابتداء [ص٣٣٤] إحياء الشريج الذي شرقي وادي « ضمد » ، وكان (متولي الأحياء)[5] / الشريف محمد بن الحسين بن علي بن حيدر ، عن إذن حكام الجهة

(١) هنا يتساءل العاقل ماذا يكون هذا الممدوح ؟! إذا كان هذا المخلوق هو المقصد الأسنى ، وهو المسؤول ، وهو المنى ، وهو الغاية القصوى ، ثم هو الجوهر الفرد، الحق أن الاندفاع في الإطراء مزلة قدم ، كان الأولى بالعاقل توقيها والحذر من الانزلاق في أوحالها .
(٢) القصيدة من الطويل .
(٣) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .
(٤) سورة الفرقان ، الآية : ٢٠ .
(٥) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

الأعيان ، وأذن (والده ملك الزمان ، وغرم في ذلك غرامات)[1] كبيرة ، ولكنه تيسر من ذلك الإحياء معْمال (واسع ، لفنون الزراعة جامع ، وبنى هناك)[1] قلعة عظيمة الشأن ، شامخة البنيان ، وسكن ذلك المحل جماعة (من الناس حتى)[1] صار قرية عامرة ، وسميت « بالحمى » وهي في هذا الزمان من أحسن محارث وادي « ضمد » .

وفيها كان من الشريف حمود بن علي التدير[2] في قلعته ، والتظهر بمخالفة أخيه لما سبق من ذلك الأمر ، فأُنهي إلى الشريف صورة الواقع ، وهو حينئذ « بزبيد » فأرسل [١٠١/ب] إلى ولده الشريف محمد بن الحسين ، وابن أخيه الشريف علي بن محمد بن علي ، أنه إن حدث منه ما يوجب من الخلاف ، أنهما يقابلان ذلك بمثله من غير استنكاف ، وبدا للشريف الرجوع إلى الأوطان ، فاستقر « بالحديدة » أيامًا ، ونفذ إلى «الزهراء » ، ومع وصوله إلى « الزهراء » في شهر رجب من هذا العام بلغه أن الشريف حمود فتح الحرب من قلعته ، وأرسل مدفعًا قد كان أخذه من « المخا » على أهل بلدته ، فقابله الشريفان بما هما له أصل من الدفاع ، وآل أمره إلى الاستسلام وترك النزاع ، وطلب الإذن بالوصول / إلى أخيه [ص٣٣٥] بمدينة « الزهراء » ، فلما وصله عطفته عليه الرحامة ، وقابله بالعفو الذي هو به أحرى ، وقيّض معه خيام الترحال ، بالوصول إلى « المدينة العريشية » ، فدخلها الشريف بشارة حسنة ، وأبهة ملوكية مستحسنة .

على سابح (موج المنايا)[3] بنحره ... غداة كأن النبل في صدره وبلُ
(وكم عين قِرن حدّقت لنزاله)[3] ... فلم تغض إلا والسنان لها كحل[4]

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .
(٢) تدير المكان : اتخذه دارًا .
انظر : المعجم الوسيط ٣٠٢/١ .
(٣) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .
(٤) البيتان من الطويل ، والقائل : المتنبي ، انظر : الديوان ١٨٦/٣ .

(وكان يوم وصوله يومًا مشهودا ، ترادفت)(١) فيه المسرات (والبشائر)(١) ، وكان غرة في (جبين الدهر الزاهر ، فاستقر) في بيته « نجران » ، المشيد الأركان ، وهو أول وصوله إليه (بعد التمام ، وأنشده لسان)(١) الحال :

(لقد حسنت) بك الأيام حتى ... كأنك في فم الدنيا ابتسام(٢)

فائدة : قول أبي الطيب على سابح ... البيت هو نظير قول التهامي(٣) في الحُسن :

وعصابة مال الكرى برؤوسهم ... ميل الصبا بذوائب الأغصان(٤)

فتأمل حلاوة قوله : عصابة ؛ مع قوله : رؤوسهم وذوائب ، يكاد يرقص بهذا اللفظ والمعنى السطور ، وتحلّى بدرره الترائب من الغواني والنحور ، ويشاكله في بديع صفته قول أبي الطيب ، فإنه ناسب فيه بين سابح والموج والوبل ، ثُمَّ انظر : سابحًا هنا مثل قول التهامي / : وعصابة ، [ص٣٣٦] كل من اللفظين يخدم معنيين ، فأمَّا عصابة فأحد معنييها في البيت : الرفقة مع قطع النظر عن بقية البيت ، وإذا لمح الرؤوس [١٠٢/أ] والذوائب كان معناها الثاني : ما يشد به الرأس ، وكذا سابح أحد معنييها : الفرس ، والثاني : اسم فاعل من سبح ، ولله هذان البيتان ما أبدعهما ، وهما اللذان آمنا أن يعززا بثالث ، لا ما ادعاه الحريري في مقاماته ، ورواه عن الحارث ، والبيتان اللذان للحريري هما :

سمسمة(٥) تحمد آثارها ... فاشكر لمن أعطى ولو سمسمة
والمكر مهما استطعت لا تأته ... لتجتني السؤدد والمكرمة(٦)

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .
(٢) البيت من الوافر ، والقائل : المتنبي ، الديوان ٤/٨٠ .
(٣) أبو الحسن علي بن محمد التهامي ، من شعراء المخلاف السليماني في القرن الخامس (ت/٤١٦هـ) .
انظر : العقيلي ، التاريخ الأدبي ١/٣٩ .
(٤) البيت من الكامل ، انظر : ديوان التهامي ١/٤٠٠ .
(٥) الأصل و ص : سم سمة .
(٦) البيتان من السريع .

وقد اطلعت على عدة مقاطيع نظمها الشعراء في هذا النمط ، ردًا لدعوى الحريري منها قول الشاعر :

ما الأمة الكوعاء يوم الوغى ... أحسن من حر أتى ملأمه
فمه إذِ استجديت عن قول لا ... فالحر لا يملأ منها فمه(١)

وللعلامة الصاغاني(٢) مجلد في معارضة البيتين والله أعلم .

ودخلت سنة ستين ومائتين بعد الألف ، في شهر صفر منها وصل إلى الشريف قبائل (يام ، واستقروا بحضرته جملة من الأيام ، لأجل)(٣) ترميم أحوالهم ، وترتيب أمورهم ، فتمت (على أحسن نظام ، وكان قد وصل إليه قديمًا)(٣) السيد محمد بن يحيى / بن المنصور(٤) الإمام ، [ص٣٣٧] وشكا عليه (صروف الحدثان ، وما عامله به من خلاف)(٥) المراد الزمان ، فقابله الشريف بغاية الإكرام ، (ونهاية الإعزاز والإعظام ، فاطمأن خاطره)(٥) ، وقرّ ناظره ، وأفاض عليه من إنعامه فوق (الكفايات ، وغمره بترادف)(٥) الصلات والكسوات ، وأعطاه أنواعًا من الخيل الجيدات ، (وكان لا يفارقه في أغلب)(٥) الأوقات ، ونزّله في جميع الأمور منزلة الأخ الشقيق ، (وأحله في الصداقة محل)(٥) الروح من

(١) البيتان من السريع .
(٢) الحسن بن محمد بن الحسن بن حيدر ، أعلم أهل عصره في اللغة (ت/٦٥٠هـ) .
انظر : الزركلي ، الأعلام ٢/٢٣٢ .
(٣) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .
(٤) المتوكل محمد بن يحيى بن المنصور علي بن المهدي ، تمكن بمساعدة الشريف الحسين بن علي بن حيدر من السيطرة على صنعاء وبويع بالإمامة سنة ١٢٦٠هـ ، وتنازل له علي بن المهدي عبدالله ، دخل في صراع مع الشريف الحسين وتمكن من أسره ثُمَّ أطلق ، وفي سنة ١٢٦٥هـ وصلت القوات العثمانية بقيادة توفيق باشا ومحمد بن عون وسلم لها المذكور صنعاء ممَّا كان سببًا في ثورة العامة عليه وإعادة علي بن المهدي الذي أمر بقتله في محرم سنة ١٢٦٦هـ .
انظر : زبارة ، نيل الوطر ٢/٣٤٣ ؛ العمري ، مائة عام من تاريخ اليمن ، ٣٠٨ - ٣٤١ ، وانظر : كذلك السياق في هذا الكتاب .
(٥) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

الجسد بمرأى من القريب والسحيق ، وكان (سبب خروجه من « صنعاء » أنه حدث)[1] منه حدث أوجب من إمام زمانه عبدالله بن أحمد - الملقب (بالمهدي - أن أقصاه من أوطانه)[1] ، وأزعجه عن محل أنسه وسكانه ، فطوّف في أكثر الآفاق ، (ولحقته أنواع الشدة والمشاق)[1] ، حتى انتهى به سفره إلى مصر ، وما وقف من سفره على غير الإياب ، وحين وصل إلى الشريف نال منه من أنواع الإكرام ما لا يكاد يخطر ببال ، ولا يدخل في حساب ، وكان قد أفاض [١٠٢/ب] إلى الشريف أنه يطلب منه النصرة للرجوع إلى « صنعاء » ، فأصغى الشريف إلى ذلك الحديث سمعًا ، ووصل إلى الشريف أيام استقراره « بالمدينة العريشية » ، وأكد طلب النصرة من الشريف ، وحثه على ذلك بكرة وعشية ، فطلب الشريف العساكر ، وسار إلى « زبيد » .

[ص٣٣٨] ومع وصوله / هناك اجتمع لديه منهم جمع وافر ، فعقد من هناك للسيد محمد بن يحيى البنود ، وحشد له الجنود ، وتوجه تلقاء « مدين »[2] ذلك المطلوب[3] ، وانفصل من « زبيد » في أبهى زيّ وأبهج أسلوب ، وحين ضربت في « ريمة »[4] خيامه ، ونصبت في ذلك المكان أعلامه ، دخل أهل تلك الجهات في طاعته ، وانخرطوا في سلك إجابته ، وكان ذلك مبادئ ظهور الاستيلاء على تلك الجهات ، والمقدمة لبلوغ القصد ومنتهى الغايات .

---

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .
(٢) مدين : منطقة أثرية معروفة شمال المملكة العربيَّة السعودية ، تبعد عن تبوك حوالي ١٦٠كم شمال غرب ، ومن أهم بلدانها البدع وحقل .
انظر : شرف الدين ، المدن والأماكن الأثرية ، ٢٦ .
(٣) ليس المقصد هنا التوجه نحو أرض مدين ولكنه تضمين من المؤلف للآية الكريمة : ﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ ﴾ سورة القصص ، الآية : ٢٢.
(٤) ريمة : اسم مشترك بين عدد من بلدان اليمن ، ولعل المقصود ريمة جبلان ، وهي تقع جنوب شرق الحديدة بمسافة ٧٠ كم .
انظر : المقحفي ، معجم المدن والقبائل ، ١٨٧ ؛ الحجري ، المجموع ٢/٣٧٧ - ٣٧٩ .

وفيها في شهر رجب حصلت زلزلة عظيمة وقت صلاة العصر ، سمعنا لها دويًا عظيمًا ، وبعدها بمدة تقارب شهرًا قريب ثلث الليل حصلت زلزلة « بأبي عريش » .

وفي يوم سابع وعشرين (يوم الخميس من شهر)[1] شوال وقعت أيضًا في « أبي عريش » ونواحيه زلزلة عظيمة (اهتزت منها الأرض ، وظهر الخراب)[1] في بعض قلاع المدينة المذكورة ، وفزع الناس (من ذلك فزعًا عظيمًا ، وحدّث بعض)[1] من شاهدها أن جبلاً شرقي « أبي عريش » يسمى (« الطرف »[2] انصدع ، وأن)[3] جبال « عكوتين »[4] تصدعت ، فسبحان الصانع الحكيم ، وقد كثرت (في جهة « السراة » و « رجال)[5] ألمع » و « الدرب » وتلك الجهات ، وحدّث من شاهدها بعجائب ، (وذكر بعض الثقات أنها في)[5] بعض الأيام تكررت ثلاث مرات / فأكثر ، وأن بعض جبال (« رجال ألمع » تصدعت ، والبعض)[5] [ص٣٣٩] منها سقط ، وتهدمت بيوت حجر في قرية « الدرب » .

وهذه الزلازل قد وردت الأحاديث أنها بسبب ما يحدث في الأرض من الذنوب ، وأنها ممًّا يستعتب الله بها عباده ، فنرجو الله أن يتوب علينا وأن يعاملنا بفضله لا بعدله .

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن قيم الجوزية - رحمه الله تعالى - في كتابه « الداء والدواء »[6] جمــلاً وافية من ذلك ، وللحافظ السيوطي

---

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .
(٢) الطَرْف : جبل معروف يسمى أيضًا جبل القُلّتين .
انظر : العقيلي ، المعجم الجغرافي ، ٢٧٣ .
(٣) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .
(٤) جبلان شرقي مدينة صبيا ، أحدهما يعرف بـ (عكوة اليمانية) وآخر بـ (عكوة الشامية) .
انظر : العقيلي ، المعجم الجغرافي ، ٢٩٨ .
(٥) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .
(٦) اسم الكتاب : الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ، سبق التعريف به .

– رحمه الله تعالى – مؤلف سماه « الصلصلة عن وصف الزلزلة »[1] ، أورد فيه[2] جملة عن الأحاديث والآثار ، وذكر ما ورد في حقيقتها .

وذكر [١٠٣/أ] أسبابها وأنها تخويف من الله ـ تعالى ـ لعباده عند فعل المنكرات ، وذكر ما يستحب عند الزلازل من الصلاة والتقرب بوجوه البر ، وسرد في تلك الرسالة نبذًا من الزلازل الواقعة في الإسلام ، وذلك المؤلف مفيد في بابه من أراده فليطالعه .

وفي شهر ذي القعدة الحرام كانت وفاة الشريف الأمجد أبي طالب ابن علي بن حيدر بن محمد بن أحمد بن محمد بن خيرات .

وقد قدّمنا أنه العامل في « الحديدة » فأصدر فيها وأورد ، وبسق غصن ملكه بها وتأود ، وأعطى فأخجل الغيث الهامع ، واستوى في سيبه الداني والشاسع .

[ص٣٤٠] وارتفع له بذلك قدر وتفخيم ، وانتصب له كرسي إمارة / عظيم ، لا غرو فهو من الأشراف الأمجاد ، وقد لباه لسان السعادة بالإسعاد ، والسر في كمال هذه المعاني ، واقتعاد الكرسي السليماني ، هو الكرم الذي لا يوضع من الأناسي إلا في العيون ، ﴿ **وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾[3] .

وقد بكيت مكارمه على مرور الأيام ، بما خطر في سلك هذا النظام :

(١) اسم الرسالة : كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة ، طبعت في الهند مرتين ضمن رسائل السيوطي ، غير أن كلتيهما كانتا ناقصتين ، فالأولى نقصت خمس صفحات من الآخر ، والثانية نقصت ثماني عشرة صفحة من الآخر ، وطبعت في المغرب بتحقيق عبداللطيف السعدني وصدرت في الرباط عام ١٩٧١م ، وحققها في المدينة المنورة عبدالرحمن بن عبدالجبار وصدرت في ١٤٠٤هـ .
انظر : لمزيد من المعلومات : مؤنس ، مصادر تاريخ الزلازل ، ٤٠ .

(٢) الأصل : فيها .

(٣) سورة الحشر ، الآية : ٩ .

لي الله من خطب يضيق به الصدر … (ويوقد في الأحشاء من حرّه جمر)[1]
تعاظم حتى عمّ كلّ موحّد … (فليس لعين لم يفض ماؤها عذر)[1]
وساوى بعيد الناس فيه أقارب … (كذا فليجلّ الخطب وليعظم الأمر)[1]
ولا بدع قد مات الذي طال مجده … (وطاب له بين الورى بالثنا نشر)[1]
محاسنه تتلى على كل سامع … (فتحلو ولكن لا يطاق لها حصر)[1]
شريف كريم الكفّ في كل حالة … (ربيع الورى حقّاً إذا أخلف القطر)[1]
شجاع إذا ما الخيل في الحرب أحجمت … فكم (نهلت من كفه بالدما السمر)[1]
ضحوك إذا أعطى عبوس إذا سطا … (فكم أخبر الأبطال من كفه ذعر)[1]
له خلق كالروض زاهٍ وزاهر … (يفوح على الجلاس من نفحه عطر)[1]
إذا بان في أخلاقه سرٌّ جدّه … فلا غرو من أهليه لا ينزع السرّ
/ وقد كان للإسلام ركنًا مشيدًا … به لذوي الإسلام قد وقع الفخر [١٠٣/ب]
على مثله تجري الدموع كآبة … ويُعدم من عظم المصاب به الصبر
ليبكيه من قد كان في ظل عدله … مقيمًا ولا جور يخاف ولا قهر
ويبكيه من قد عاش في خصب جوده … يروح ويغدو لا يصاحبه فقر
/ ويبكيه أرباب الوفود بسوحه … فكم مطرت من كفه لهم تبر [ص٣٤١]
وتبكي عتاق الخيل فهو الذي له … على أهلها يوم الوغى النهي والأمر
وتبكي الدروع السابغات لفقده … وما جهلت لمّا له عُرف القدر
وتبكي الردينيات فقدًا لكفه … وإن عالها من طعنة في العدا كسر
وتبكي سيوف طال في الحرب ما اشتكت … فراقًا لأغماد إذا دهم الشر
وهيهات ما يجدي التلهف والبكا … على فائت من بعد ما قضي الأمر
ولو كان يُفدى هالك بعد موته … إذن زيدَ في عمرٍ له بالفدا عمر
وما هذه الدنيا سوى (لهو حالم)[1] … يُغر بها في فعلها الرجل الغرّ

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

أين لي (فأين الناس من عهد آدم)(1) ... أقاموا بدنياهم ونحو الفنا مروا

وكل (مقيم بعدهم فهو راحل)(1) ... وغاية مدّ العمر فيها هو القصر

(مطاياهم الأيام تجري وكل من)(1) ... عليها إلى دار البقاء فهم سفر

(بني حيدر أنتم ملوك وقادة)(1) ... وحقكم فيما ينوب هو الصبر

(وإن كان هذا الرزء لا شيء مثله)(1) ... فإنَّ على قدر الأسى يعظم الأجر

(وجدكم المختار أرشد مثلكم)(1) ... إلى الصبر فامشوا نهجه حبذا الأجر

وهذا سبيل الناس (كلٌّ إلى)(1) الفنا ... به قد قضى ربي له الحمد والشكر

وأنتم بدور مشرقات على الورى ... وإن خرّ منكم من منازله البدر

فقد صار بطن الأرض حاسد ظهرها ... فوارى محيّاه بباطنها قبر

وما دام رب الملك والسيف والقنا ... أخو الفضل والعلياء والفتكة البكر

[ص342] / مليك الورى أعني الحسين ومن له ... مناقب عنها يعجز النظم والنثر

[104/أ] فنحن وأنتم في أجلّ سعادة ... فأوقاتنا طيب وأيامنا غرُّ

فنرجو إله العرش يبقيه دائمًا ... معافىً سليمًا لا يلم به ضرُّ

ويُخلَفُ في الماضي بحسن خلافة ... ويلقاه في دار البقا الرَّوح والبشر

ويجمعنا في مستقر نبيه ... جميعًا ولا قرّ الجحيم ولا حرُّ

نكون جميعًا في جوار محمد ... عليه صلاة الله ما تُلي(2) الذكر

يدوم مع التسليم في كل حالة ... كذا الآل والأصحاب ما همل القطر(3)

وفي مستهل ذي الحجة الحرام قسّم الشريف الأجناد ، وجعل لكل طائفة مقدّمًا من الأشراف الأمجاد ، وتقدّم هو في طائفة من يام ، وانفصل من « زبيد » وتوجه إلى « حيس » بذلك الجيش الركام ، وقد صدق عليه قول بعض الأنام :

(1) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .
(2) الأصل : تلا ، والتعديل لتستقيم القافية .
(3) القصيدة من الطويل .

أقبلت تبسم والجياد عوابس ... (يحبين بالحلق المضاعف والقنا)(1)

عقدت سنابكها عليها عثيرًا ... (لو تبتغي عَنَقًا عليها أمكنا)(1)(2)

وعيّد عيد الأضحى ، وتوجه بعد ذلك (إلى الجبال ، فدخل أهلها تحت طاعته وأقبلوا)(3) غاية الإقبال ، حتى أناخ جيوشه « بتعز »(4) ، وكان فيها (رتبة من طريق صاحب « صنعاء » ، فناوشوا)(5) بالقتال ، وأساؤوا بالمنع صنعًا ، فنصب الشريف (عليهم المدفع ، ولزم عليهم الأطراف)(5) من كل موضع ، فبعد ثلاثة أيام نزلوا على نظر الشريف ، (وعفا عنهم فيما سلف / من غير)(5) تعنيف ، وانخرط بعد [ص343] ذلك الإذعان سلك أهل تلك الجهات ، (ووصلوا إلى حضرة الشريف وسلموا له)(5) الطاعات .

السنة الحادية والستون بعد المائتين والألف : فيها كان إقبال رعايا تلك الجهات إليه ، وانثيالهم رغبة ورهبة بين يديه ، ولما كان أهل تلك الجهة قد استولى عليهم العساكر من « ذو محمد » ، جعلوا الرعايا من جملة التركات ، فكل واحد أخذ طائفة من الرعايا ، وجبى منهم الخراجات ، رأى الشريف أنه لا يجدي فيهم غير إعمال السياسة ، فأقام « بتعز » طارحًا ظاهر البلد نحو ثلاثة أشهر ، [104/ب] يسعى في دواء هذا الداء الذي قد استحكم ، ورأى أن انفصال أيدي العسكر عن الرعايا

(1) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .
(2) البيتان من الكامل وهما للمتنبي ، انظر : الديوان 203/4 .
(3) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .
(4) تعز : مدينة مشهورة في سفح جبل « صبر » الشمالي ، بينها وبين صنعاء جنوبًا 256كم ، كانت تعرف قديمًا باسم « العدينة » ، ويرجع تاريخها إلى القرن الثالث الهجري . انظر : المقحفي ، معجم المدن والقبائل ، 69 ؛ الحجري ، المجموع 145/1 - 155 .
(5) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

هو الأهم المقدم ، فما زال يسوس العسكر تارة بالتخشين ، وتارة بالتليين ، وطورًا يبذل لهم الأموال ، حتى انتظمت الأمور وصلحت الأحوال ، ودخل تحت طاعته « تعز » ومخلافه ، و « الجَنَد »(١) وجميع تلك الجهات إلى حدود « إبَّ »(٢) و « جِبْلَة »(٣) ، وكانت طائفة من « ذو محمد » في موضع يُسمى « عماكر »(٤) ، لم يدخلوا في الطاعة بعد أن بذل لهم ما بذل لغيرهم من العساكر ، فتديروا قلعة هناك وأشعروا بالخلاف ، فرأى الشريف أن تركهم على ذلك الحال لا يليق ، وأن إخراجهم من حصنهم بالقهر أولى من اللطف بهم والترقيق ، فقد قيل :

[ص٣٤٤] / ووضع الندى في موضع السيف بالعلا

مضر كوضع السيف في موضع الندى(٥)

فارتحل إليهم بجنود متكاثرة ، وفرسان حرب قد تقلدوا السيوف الباترة ، وطرح عليهم ، وأرسل على الحصن الذي هم فيه المدافع ، فهدّمت أرجاء تلك القلعة وليس لهم من أمر الله (دافع ، هذا مع اختلاف العسكر)(٦) إلى حربهم بكرة وعشيا ، وأذاقتهم من كأس المنية (كأساً ولا أقول مريًا ، فحين رأوا)(٦) شواهد الغلبة والقهر ، طلبوا من الشريف

(١) الجَنَد : بلدة مشهورة بالشرق الشمالي من مدينة تعز بمسافة ٢٢كم ، وهي مدينة قديمة وبها بني أول مسجد في اليمن ، بناه معاذ بن جبل . رضي الله عنه . في العام الثامن للهجرة .
انظر : المقحفي ، معجم المدن والقبائل ، ٩٥ .

(٢) إبّ : مدينة في الجنوب من صنعاء بمسافة ١٤٠ كم في السفح الغربي لجبل « ريمان » .
انظر : المقحفي ، معجم المدن والقبائل ، ٥ .

(٣) جِبْلة : مدينة مشهورة في الجنوب الغربي من إب بمسافة ٧ كم ، وتسمى قديمًا مدينة النهرين ، كانت عاصمة للدولة الصليحية .
انظر : المقحفي ، معجم المدن والقبائل ، ٨٠ ؛ الحجري ، المجموع ٣٤/١ .

(٤) العماكرة : قرية تقع شمال قرية الذنبتين من الجَنَد .
انظر : المقحفي ، معجم المدن والقبائل ، ٢٩٦ .

(٥) البيت من الطويل ، وهو للمتنبي ، انظر : الديوان ٢٨٨/١ .

(٦) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

الإذن (بالخروج من ذلك القصر ، بعد أن أسروا)(١) على ما فعلوا الندامة ، فبذل لهم الشريف كرمًا منه (الأمان ، وقنعوا عما كانوا يطلبونه)(١) بالسلامة ، وكان خروجهم كفافًا لا لهم ولا عليهم ، فزمّوا (مطايا ترحالهم ، والإدبار يسعى)(١) من خلفهم وبين أيديهم .

وبعد أن صفت تلك المخاليف (من الكدورات ، وثبتت)(١) أمورها بعمالها ومشايخها على حسب المرادات ، التفت الشريف إلى العناية بأمر (محمد بن يحيى بن)(١) الإمام ، لأجل أن يحله في وطنه مدينة « سام »(٢) ، ويستجلي بدر مملكتها الزاهر ، ويزحلق من كان بها عن دسته الداثر ، وقد كان المتولي « لصنعاء » علي بن عبدالله المهدي(٣) وكان رجلاً سلس القياد ، غير مستعمل للحزم في الإصدار والإيراد ، مغلوبًا على رأيه باستيلاء خاصته عليه والأجناد ، فكثر من أجل ذلك خراب تلك الديار ، وعدم انضباط أحوالها في العشايا والإبكار / ، وكان الناس مع ما هم فيه [ص٣٤٥] من ذلك الحال يتمنون قيام من يضبط الممالك ، وكانت قلوبهم مقبلة إلى هذا القائم ، لا سيما والشريف [١٠٥/أ] هو المتولي للعناية به في هذه المسالك ، لما قد شاع من حسن سيرته وعدله في الرعية ، فظنوا أن هذا يحذو حذوه في تلك السيرة المرضية ، مع ما انضاف إلى ذلك من

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٢) سام : اسم قديم لمدينة صنعاء ؛ يقال إن سام بن نوح هو أول من اختطها ، وتسمى أيضًا : أزال باسم أزال بن قحطان .
انظر : المقحفي ، معجم المدن والقبائل ، ٢٥٢ ؛
Serjeant , R . San 'a' , an arabian Islamic city .

(٣) المنصور علي بن المهدي عبدالله بن المتوكل أحمد ، تولى الإمامة وخلع أربع مرات . تولى عام ١٢٥١هـ وبقي مدة سنة وثلاثة أشهر ثُمَّ خلع ١٢٥٩هـ ، وبقي مدة ستة أشهر ثُمَّ خلع ١٢٦٥هـ ، وبقي نحو تسعة أشهر ثُمَّ خلع ١٢٦٧هـ ، وبقي نحو ستة أشهر ثُمَّ خلع (ت/١٢٨٨هـ) .
انظر : زبارة ، نيل الوطر ١٤٢/٢ ؛ العمري ، مائة عام من تاريخ اليمن ، ٢٤٥ .

سبق القدر بتمام المقصود ، وخفوق بند السعادة الذي هو ببلوغ المأمول معقود .

فلم يزل يعمل السياسة فيما به تمام هذا الشأن ، حتى وصل محمد ابن يحيى « ضوران »[(١)] ، وهناك نشر الدعوة على تلك الآفاق ، وتلقّب بالمتوكل على الله ، وغنّى له السعد بما رقّ وراق ، واستمال الشريف بحسن الإياله أركان المملكة من أهل « صنعاء » ، حتى صار ثمر أزهار طاعتهم في الباطن للسيد محمد بن يحيى يَنِعًا .

ولما أن شارف نيل المقصود على التمام ، وتيقن أن ليس بينه حاجز وبين مدينة « سام » ، أضاف ما قد ملكه من البلاد إليه ، وجعل تكاليفها في الأمر والنهي عليه ، ولم يرتض بعض قرابات الشريف ما فعله من إعانة محمد بن يحيى على تلك الإمارة ؛ لما قد عرفوه بالاستقراء من أحواله ، التي رُبَّمَا كانت عواقبها المضرة على الشريف بتلك العلامة من أحواله والإمارة .

وأشاروه بالترك لما هو بصدده من هذا المراد ، وعدم المساعدة له فيما يرومه والإسعاد ، وأحسن من اعتنى بذلك / ابن أخيه الشريف [ص٣٤٦] (البطل)[(٢)] الكمي الحسن بن محمد بن علي ، لكن لم ير الشريف ذلك الرأي سديدًا ، لما قد (التزم به للرجل المذكور ، ولما)[(٢)] قد اتفق منهم من القواعد الأكيدة ، والعهود السديدة ، التي (لا ينقضها إلا كل ظلوم كفور)[(٢)] ، وبعد ذلك قيض الشريف خيام الرحيل إلى تهامة ، ولا أقول قد بلغ من (جميع ما يريده مرامه)[(٢)] .

(١) ضوران : جبل آنس الذي في منتصفه من الشمال تقع مدينة ضوران ، وقد تهدمت المدينة بالكامل في زلزال ١٩٨٢م ، كانت عاصمة معظم الأئمة القاسميين ، وتعرف قديمًا باسم « الدامغ » لكثرة عيونها .

انظر : المقحفي ، معجم المدن والقبائل ، ٢٦٠ ؛ الحجري ، المجموع ٣/٥٥٤ .

(٢) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

وقد كان الشريف في باطن الأمر ما أراد بتلك الجموع ، وتلك العدة (التي نجمها القاهر)[(١)] ما زال في طلوع ، إلا استخلاص « عدن » من أيدي الإفرنج ، وما جعل (مملكة تلك الجهات)[(١)] إلا مقدمة لذلك ، حتى تكون له ظهرًا يستند إليه عند المضي في تلك (المسالك ، وخاض مع)[(١)] أكابر الجند في هذا المراد ، وبذل لهم الأطماع فما رأى منهم إلى ذلك (المطلوب)[(١)] إسعادًا .

وقد كُتب له - إن شاء الله تعالى - بما نوى تمام الأجر ، وإنَّما على الله وحده تمام الأمر :

على المرء أن يسعى إلى الخير جهده   وليس عليه أن تتم المقاصد[(٢)]

والأشياء مرهونة بما لها من الأوقات ، ولكل مملكة حصة يستوفيها أهلها ولها [١٠٥/ب] نهايات ، ولَمَّا استقر / الشريف « بزبيد » جاءته [ص٣٤٧] البشائر بدخول محمد بن يحيى إلى « صنعاء » ، وبلوغه ما يهواه فيها أصلاً وفرعا ، والدنيا بالحظوظ في نيل الطلبات ، ومن له في الكون شيء ساعدته الإرادات ، ولله القائل :

يعدو الرياض الحيا والأرض مجدبة   رزقًا وفي البحر ذيل السحب مسحوب

فلا لعجزٍ تعدّى ذاك وابله   ولا لحرص سقت تلك الشآبيب[(٣)]

وما أحسن قول أبي الفوارس سعد بن محمد الصيفي[(٤)] :

علمي بسابقة المقدور ألزمني   صمتي وصبري فلم أحرص ولم أسل

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٢) البيت من الطويل .

(٣) البيتان من البسيط .

(٤) سعد بن محمد بن سعد بن الصيفي التميمي (الحيص بيّص) ، شاعر مشهور ، نشأ فقيهًا وغلب عليه الأدب والشعر (ت/٥٧٤هـ) .

انظر : الزركلي ، الأعلام ٣/١٣٨ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ٢/٢٠٢ .

لو نيل بالقول مطلوب لما حُرم الرْ ... رُؤيا الكليم وكان الحظ للجبل

وحكمة العقل إن عزت وإن شرفت ... جهالة عند حكم الرزق والأجل[1]

وبعد استقراره « بصنعاء » واستقلاله بمملكتها بعث إلى الشريف نفائس الهدايا ، مكافأة على بعض ما قد أسدى من اللطائف والمزايا .

ومن أنفس ذلك خزانة كتب من كتب الإسلام ، (ولآبائه من أئمة أهل البيت)[2] العناية بالعلم ، وعندهم من نفائس الكتب ما لا (توجد مع أحد ، ولهم خزانة / وهي إلى) الآن موجودة ، وإنّما هذه بعض منها ، [ص٣٤٨] وهذا الشريف له (العناية بالعلم ، وجمع كتب العلم)[2] على اختلاف أنواعها ، ولديه منها خزانة كبيرة ، وقد (قلّ في هذه الأزمنة الأخيرة)[2] عناية الملوك بالكتب ؛ لتقاعد الزمان ، وقلة العلماء .

وأمّا الملوك (القدماء فلهم فريد اهتمام)[2] بالكتب حتى حصّلوا منها الجمّ الغفير ، وجمعوا منها (الخزائن الجليلة ، فأمّا)[2] ملوك اليمن فقدماء أهل البيت خزائن كتبهم تفوق العدّ .

وقد ذكر (الدَّميري[3] في « حياة الحيوان »[4] في)[5] حرف الهاء في ذكر الهزبر : « أن الملك المؤيد داوود بن الملك (المظفر الغساني[6] أحد)[7] ملوك اليمن كانت كتبه نحو مائة ألف

(١) الأبيات من البسيط ، وقد وردت في الغيث المسجم للصفدي ١٢١/٢ .
(٢) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .
(٣) محمد بن موسى بن عيسى الدميري ، باحث وأديب مصري من فقهاء الشافعية (ت/٨٠٨ هـ).
انظر : الزركلي ، الأعلام ٣٤٠/٧ .
(٤) مطبوع أكثر من طبعة ومتداول .
(٥) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .
(٦) المؤيد داوود بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول ، رابع حكام بني رسول ، تولى الحكم من ٦٩٦هـ إلى تاريخ وفاته ٧٢١هـ .
انظر : الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ؛ شرف الدين ، اليمن عبر التاريخ ، ٢٣٠ .
(٧) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

مجلد »[1] ، وأمّا غير ملوك اليمن (فخزائنهم ثلث خزانة العباسيين)[2] « ببغداد » ، وكان فيها من الكتب ما لا يحصى كثرة ، ولم تزل على ذلك إلى أن دهمت التتار « بغداد » فذهبت تلك الكتب فيما ذهب ، وذهبت معالمها ، وجهل آثارها .

قال الحافظ السيوطي في « حسن المحاضرة »[3] : « إن التتار رموا كتب الإسلام في شط [١٠٦/أ] « الفرات » بعد أخذ « بغداد » فصارت / جسرًا يمرون عليه ، وتغير لون ماء « الفرات » أيامًا إلى لون [ص٣٤٩] السواد من حبر تلك الكتب ، فذهبت كتب الإسلام في تلك الفتنة » انتهى .

والثانية : « خزانة الفاطميين » بمصر ، وكانت من أعظم الخزائن وأكثرها جمعًا للكتب النفيسة من جميع العلوم ، ولم تزل على ذلك إلى أن انقرضت دولتهم بموت العاضد[4] آخر خلفائهم ، واستيلاء صلاح الدين[5] على المملكة بعدهم ، فاشترى القاضي الفاضل[6] أكثر كتب هذه الخزانة ووقفها بمدرسة الفاضلية « بالقاهرة » ، فبقيت فيها إلى أن استولت عليها الأيدي فلم يبق منها إلا القليل .

(١) انظر : الدميري ، حياة الحيوان الكبرى ٣٨٨/٢ .
(٢) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .
(٣) اسم الكتاب : حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، مطبوع ومتداول .
(٤) عبدالله بن يوسف بن الحافظ الفاطمي ، آخر ملوك الدولة الفاطمية (العبيدية) بمصر والمغرب (ت/ ٥٦٧ هـ) . انظر : الزركلي ، الأعلام ٢٩١/٤ .
(٥) يوسف بن أيوب بن شاذي ، صلاح الدين الأيوبي ، من أشهر ملوك الإسلام (ت/٥٨٩هـ).
انظر : الزركلي ٢٩١/٩ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٢٧٨/٢١ - ٢٩١ .
(٦) عبدالرحيم بن علي بن السعيد اللخمي ، من أئمة الكتاب ، ومن وزراء صلاح الدين الأيوبي ، (ت/ ٥٩٦ هـ) . انظر : الزركلي ، الأعلام ١٢١/٤ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٣٣٨/٢١ .

والثالثة : « خزانة ملوك بني أُمية » بالأندلس ، وكانت من أجلّ خزائن الكتب ، ولم تزل على ذلك إلى انقراض دولتهم باستيلاء ملوك الطوائف على الأندلس ، فذهبت كتبها كل مذهب ، وهؤلاء الذين في الأندلس من بني أمية أول قائم منهم عبدالرحمن بن معاوية بن هشام بن عبدالملك بن مروان ، وكان دخوله الأندلس سنة ثمان وثلاثين ومائة ، وعدَّة [ص٣٥٠] ملوكهم ثلاثة عشر ملكًا ؛ أولهم عبدالرحمن / المذكور وآخرهم عبدالرحمن بن الملك الناصر[1] ، (وانتهت مدتهم بست وأربعمائة)[2] ؛ وجملة ملوك بني العباس سبعة وثلاثون أولهم (السفاح وآخرهم المستعصم[3] ، ومدتهم)[4] خمسمائة عام وثلاثة وعشرون سنة وأحد[5] عشر شهرًا قيل (وخمسة عشر يومًا ، وكان قتل المستعصم)[6] سنة ست وخمسين وستمائة ، قتله التتر صبرًا ، ودخلوا (« بغداد » ، وبذلوا السيف في أهلها)[6] ، وسلطانهم هولاكو .

وأمَّا بنو أمية الذين بالشام فملوكهم (ثلاثة عشر ؛ وأولهم معاوية بن أبي)[6] سفيان وآخرهم مروان بن محمد الجعدي ، ومدتهم ألف (شهر على ما حكى المسعودي) وغيره ، وهي ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر[7]

---

(١) عدد خلفاء بني أمية في الأندلس تسعة عشر خليفة ، وآخرهم هشام الثالث بن عبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن الناصر (المعتمد) ، وانتهت الخلافة في الأندلس عام ٤٢٢هـ وليس كما ذكر المؤلف .
انظر : إستانلي بول ، طبقات سلاطين الإسلام ، ٢٦ .

(٢) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٣) في ص : المعتصم ، والصواب ما ذكر .

(٤) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٥) الأصل : أحدى .

(٦) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٧) خلفاء بني أمية أربعة عشر خليفة ، ومدة الخلافة الأموية حوالي ٩١ سنة ، وليس كما ذكر المؤلف . انظر : إستانلي بول ، المرجع السابق ، ١٩ .

وملوك (بني أمية وبني العباس أخذوا غُرّة)[1] الدنيا وشبابها ، وتمّ لهم من اتساع المملكة في جميع (الأقطار ، وجمع الآلات الملوكية ما لم يتم)[1] لغيرهم من بعدهم ، كما يعرف ذلك من اطلع على (تاريخ أيامهم ، حتى قال بعض الظرفاء)[1] تبسمت الدنيا لبني أمية . وقهقهت لبني العباس ، ولم تزل تبكي إلى يوم القيامة ، وقد عبّر عن مثل هذا أبو الطيب في قوله :

أتى الزمان بنوه[2] في شبيبته فسرهم وأتيناه على الهرم[2]

[١٠٦/ب] أمَّا الفاطميون فهم بإفريقية المغرب . وكان / ابتداء [ص٣٥١] دولتهم سنة تسع وتسعين ومائتين[3] ، ومدتهم مائتا سنة وست وستون سنة ، ومقامهم بمصر مائتا سنة وثماني سنين[4] ، وجملة ملوكهم أربعة عشر ، أولهم المهدي ، وآخرهم العاضد ، وللعلماء كلام كثير في صحة نسبهم وعدمه ، فمنهم من صحح انتسابهم إلى الحسن السِّبط رضي الله عنه ، وقد رأيت ابن عنبة في « عمدة الطالب » يميل كلامه إلى هذا[5] ، وبعضهم ينفيه ، وقد تعرّض ابن خلكان في تاريخه لذلك بما فيه كفاية ، من أحبّه فليراجعه[6] ، وعلم حقيقة الحال عند الله سبحانه وتعالى ، وفيها كانت وفاة السيد العلامة يحيى بن محسن بن شبير النعمي ، كان من نحارير العلماء ، وبقية السادة الفضلاء .

---

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٢) الأصل : بنيه ، هرم ، والصواب من ديوان المتنبي ١٦٣/٤ ، وهو من البسيط .

(٣) الصواب أن ابتداء دولة الفاطميين سنة ٢٩٧هـ . انظر : حسن إبراهيم ، تاريخ الإسلام ١٤٥/٣ ؛ إستانلي بول ، طبقات سلاطين الإسلام ، ٦٨ .

(٤) الصواب أن مدة حكم الفاطميين حوالي ٢٧٠ سنة ، ومقامهم بمصر حوالي ٢١١ سنة . انظر : إستانلي بول ، المرجع السابق ، ٦٩ .

(٥) انظر لمزيد من المعلومات : عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب ، لابن عنبة ، ٣٢٧ .

(٦) انظر : وفيات الأعيان ١١٧/٣ .

ارتحل إلى « مكة » و « صنعاء » وأخذ عن علمائها ، ولازم والده مدة وانتفع به ، وله عناية بالعلم ، وجادت يده في علم الفروع ، وله اطلاع على أيام الناس ، وكان هو المرجع لأهل وادي « بيش » ووادي « قرى »[1] من تلك النواحي ، وله الجلالة التامة في قلوب الخاصة والعامة ، وكان (مقيمًا بقريته « الدهناء » وإليه فصل الحكومات هناك ، وأحكامه جارية على النهج المرضي ، مع ما (هو فيه من الورع ، والقنوع)[2] من العيش [ص٣٥٢] بالكفاف / والإقبال على ما يقربه إلى الله سبحانه وتعالى (في حاله وقاله ، رحمه الله تعالى .

وفيها في سابع)[2] عشر شهر رمضان ، كانت وفاة الوالد القاضي العلامة (علي بن أحمد بن حسن البهكلي ، مولده سنة) تسعة وثمانين ومائة وألف بمدينة « صبيا » ، ونشأ في (حجر والده ، ولم يزل يدأب)[2] في الطلب حتى حاز نصيبًا وافرًا من العلم ، وبعد تولي شيخنا (العلامة عبدالرحمن بن أحمد)[2] لقضاء « بيت الفقيه » لازمه في القراءة حتى استفاد ، وترقى إلى نيل المعارف ، (وأسمع كثيرًا)[2] من كتب الحديث ، وكان له الاشتغال التام بالمذاكرة والمطالعة ، ولا يفتر (عن ذلك آناء)[2] الليل وأطراف النهار ، وله العناية بجمع الكتب حتى جمع فيها نفائس قلّ أن (توجد)[2] إلا معه ، وتردد إلى « مكة المشرفة » و « المدينة المنورة » ، وأخذ عن علماء الحرمين وأجازوه ، وبعد وفاة أخيه شيخنا الوجيه[3] نصّب في القضاء بعده في « بيت الفقيه » ، وجرت أحكامه على السداد ، وتوفي وهو على ذلك رحمه الله تعالى وإيانا .

(١) مورد من موارد وادي بيش ، انظر : العقيلي ، المعجم الجغرافي ، ٣٤٥ .
(٢) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .
(٣) يقصد المؤلف شيخه : عبدالرحمن بن أحمد بن الحسن البهكلي (ت ١٢٤٨هـ) . انظر : حدائق الزهر للمؤلف ، ٨٠ - ٩٣ .

وفيها كان نزول جماعة من قبائل « يام » والشريف حينئذٍ « بزبيد » ، وهذه القبيلة مع / ميل الشريف [١٠٧/أ] إليهم ، وتأثيره لهم [ص٣٥٣] على غيرهم من العساكر ، لما لهم مع آبائه من الولاء الظاهر ، لم يزالوا يمذقون له البر بالجفاء ، والكدر بالصفاء ، فلم يكن منهم بعد نزولهم إلا التظهر بخلاف الشريف ، ونزلوا بساحة « باجل » ، فانفصل الشريف من « زبيد » واستقر في « بيت الفقيه » ، وأرسل لبذل الحقوق المعتادة لهم ، ولكن لم يقف منهم على طائل ، ووصلوا بعد ذلك إلى قرية « الزيدية » ، وعاثوا في البلاد لكون الشريف لم يبال بهم حتى مالوا عن الصواب ، وآل بهم الحال أن وصلوا « الزهراء » ، ونشروا رايات الحرب على من بها من الأرتاب ، ولله القائل :

رُبَّمَا أخرج الحزين جوى الحزن ... إلى غير لائق بالسداد
مثل ما فاتت الصلاة على سليمان ... فأنحى على رقاب الجياد[1]

ولكنهم حلّ بهم الفشل ، وقتل منهم جُمل ، وما هي إلا إعانة إلهية ، ودفع عمّن في « الزهراء » من الذرية النبوية ، وإلا فهم أسود الجلاد والطعان ، ولا يقوم لهم في معترك الهيجاء أحد إلا أذاقوه حدَّ المشرفي ووخز السنان ، كما (قال ابن القيم فيهم في مقام الفخر بهم)[2] في يوم [ص٣٥٤] الحرب العوان / :

القائدو الخيل شعثًا ضمّرًا عبسًا ... شعثًا (قوانسها يمرعن في اللجم)[2]
والمنهلون صدور السمر من مُهج الـ ... أعداء والمغمدون (البيض في القمم)[2]
والساحبون ذيول السرد لامعة ... والناقضون صفوف (الجحفل العرم)[2][3]

(١) البيتان من الخفيف .
(٢) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .
(٣) الأبيات من البسيط .

وتوجهوا إلى بلادهم على حال لا يُرضى ، لما عاملهم به لسوء (اختيارهم القضاء ، ولم ينفصلوا)[١] عن علي حميدة إلا وقد أوقعوه في نكث العهد ، ومنّوه بما (تحدثه به الأماني من)[١] القصد ، ولم يصدقوا معه فيما أمله منهم من الصداقة ، (ولانفتاح)[١] الشر مُقدّمات يغترُّ بها أهل الحماقة ، والعاقل لا يغتر بمثل ذلك ، بل يسلك من الحزم أحسن المسالك .

[٢] ولله در العلامة ابن حزم الظاهري حيث يقول ، محذرًا من أصدقاء السوء لذوي العقول :

تجنّب صديقًا مثل ما واحذر الذي ... يكون كعمروٍ بين عرب وأعجم

فإنّ صديق السوء يُزري وشاهدي ... كما شرقت صدر القناة من الدم[٣]

[١٠٧/ب] وهذان البيتان يحتاجان إلى تفسير ؛ فقوله : تجنب صديقًا مثل ما ؛ أي صديقاً ناقصًا ، والمراد بالناقص الذي يحتاج إلى تكملة كاحتياج ما الموصولة إلى الصلة والعائد ، وقوله : واحذر الذي يكون كعمرو ... أي صديقًا فيه زيادة لا حاجة إليها ، كالواو التي في آخر عمرو ، ويحتمل أن يكون أراد بعمرو الذي في قول الشاعر :

[ص٣٥٥] المستجير بعمرو / عند كربته ... كالمستجير من الرمضاء بالنار[٤]

وقوله : فإن صديق السوء يُزري ... يعني أنه يُزري بصاحبه كما قيل :

عن المرء لا تسأل وسلْ عن قرينه ... فكل قرين بالمقارن يقتدي

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .
(٢) انظر نهاية القوس ص (٤١٢).
(٣) البيتان من الطويل، وقد أوردها الصفدي في الغيث المسجم ٤٠٩/١ دون إشارة إلى القائل.
(٤) البيت من البسيط ، والقائل : كليب بن ربيعة ، انظر : البغدادي ، خزانة الأدب ٢٥١/٧ .

وصاحب خيار الناس واستبق ودّهم ... ولا تصحب الأردا فتردى مع الردي[١]

وأقام على ما ادعاه شاهدًا وهو أن التأنيث إذا جاور المذكر أكسبه التأنيث كما في قول الأعشى :

وتشرق بالقول الذي قد أذعته ... كما شرقت صدر القناة من الدم[٢]

لأن صدر (وهو مذكر لما)[٣] أضيف إلى القنا أنّث فعله وهو شرقت ، والتأنيث سواء[٤] بالنسبة إلى التذكير (بدليل قوله تعالى حكاية عن أم مريم)[٥] عليها السلام : ﴿ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ ﴾[٦] وهذا)[٧] المعنى بديع ، لكن أحسن منه قول أمين الدين المحلّي[٨] :

(عليك بأرباب الصدور فمن غدا)[٩] ... مضافًا لأرباب الصدور تصدّرا

(وإياك أن ترضى صحابة ناقصٍ)[٩] ... فتنحطّ قدرًا عن علاك وتحقرا

(فرفع (أبو) من ثُمّ خفض مزمل)[٩] ... يصدّق قولي مغريًا ومحذرا[١٠]

(١) البيتان من الطويل ، وقد ورد الأول منهما منسوبًا لعبيد بن الأبرص ، انظر : الزامل ، المنتخب ، ٢٥٥ .
(٢) البيت من الطويل ، انظر : ديوان الأعشى ، ١٢٣ .
(٣) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .
(٤) الأصل : سوء .
(٥) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص ، وقد سقطت كلمة (أم) في الأصل وأضافها المحقق.
(٦) سورة آل عمران ، الآية ٣٦ .
(٧) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .
(٨) محمد بن علي بن موسى الأنصاري المحلي ، نحوي من أهل « المحلّة » بمصر (ت/٦٧٣هـ) .
انظر : الزركلي ، الأعلام ١٧٢/٧ .
(٩) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .
(١٠) الأبيات من الطويل .

(يريد بقوله : فرفع أبو من ... إلى)[1] المثال في قول النحاة : عرفت زيدًا أبو مَنْ هو ، فإنه لولا أن (أبو أُضيف إلى مَنْ لم يكن [ص٣٥٦] مرفوعاً)[1] وإنَّما رفع لأن من لها الصدر ويريد : بخفض / مزمل ، قول امرئ القيس في معلقته :

كأن ثبيرًا في عرانين وبله)[1]   كبير أناس في بجاد مزمل[2]

وذلك لأن مزملاً صفة لكبير ، وكان حقه الرفع ولكنه خفض لمجاورته المخفوض)[3] ، وهذه الأبيات تهز العطف طربًا ، وتطير باللب عجباً .

نعم ، وبعد ذلك تبين للشريف أن الشيخ علي حميدة قد نكث العهد ، وتعدى في فعله الحد ، ولله القائل :

[١٠٨/أ] / ومن جهلت نفسه قدره   رأى غيره منه ما لا يرى[4]

وهكذا من أضمر العداوة لا يصلح معه وداد ، ولا يصفو[5] منه الحال وإن صوفي على مر الآباد ، كما قال صاحب المعزية :

إن العدو وإن أبدى مسالمة   إذا رأى منك يومًا فرصة وثبا[6]

---

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٢) البيت من الطويل ، وهو من معلقة امرئ القيس ، وقد ورد الشطر الأول هكذا :

كأن أباناً في أفانين ودقه   ... ...

انظر : حسن السندوبي ، شرح ديوان امرئ القيس ، ١٥٨ .

(٣) ما بين القوسين من ص (٤١٠) إلى هنا نقله المؤلف من الغيث المسجم للصفدي بتصرف. انظر : ٤٠٩/١ - ٤١٠ .

(٤) البيت من المتقارب .

(٥) الأصل : يصفى .

(٦) البيت من البسيط .

لا سيما إن امتزجت تلك العداوة بحسد ، فذلك الداء العضال الذي ليس له دواء عند أحد ، كما قال بعض الحكماء :

ثلاثة إن صحبت ثلاثة   أعيت أُساة بدوها والحضر
عداوة مع حسد وفاقة   مع كسل وعلة مع كبر[1]

فأشعر الشريف في الأجناد بالإقدام إليه ، وإدارة كأس الحرب عليه :

إذا قيل رفقاً قال للرفق موضع   وحِلم الفتى في غير موضعه جهل[2]

/ وطلب التوسط في صلاح الشأن بعض سادات اليمن ، ولكن [ص٣٥٧] الشيخ علي غير ملتفت إلى كلام نصح فيما سرّ وعلن . بل يتطلب ذنوبًا يجعلها حجة في يده للخطاب ، ويسلك من صناعة المغالطة طرقًا لا تروج على أولي الألباب :

وكل امرئ يدري مواضع رشده   (ولكنه أعمى أسير هواه)[3]
هوى نفسه يعميه عن قبح عيبه   وينظر عن (حذق عيوب سواه)[4][5]

فخرج في شهر ذي الحجة ، ومعه جملة من العساكر ، وكان إذ ذاك (« ببيت الفقيه » ، وفي صحبته جماعة)[5] من الأشراف أبطال الصدام ، فلما أن طرح في الأماكن القريبة من ذلك (المكان لبس لأمة الحرب)[5] وتقدّم وهو يزأر كالليث الصائل ، وتقلّد السيف البتار (واعتقل الرمح العاسل ، وأحدق)[5] به أبطال الفرسان من كل جانب ، وبدا من بينهم

---

(١) البيتان من الرجز .

(٢) البيت من الطويل ، وهو للمتنبي ، انظر : الديوان ١٨٧/٣ .

(٣) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٤) البيتان من الطويل .

(٥) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

وهو الغرة (في تلك المقانب(١) ، وقد كان)(٢) نمى إليه أن بعض القبائل من أصحاب الشيخ قد ترتب بجبل غربي (باجل) ، فلما تيقن استقرارهم بذلك المكان ، هيأ فرسان المعركة وأسود الطعان ، وتقدّم الشريف عليهم [ص٣٥٨] لأجل إسعار نار الحرب ، وإقامة سوق الطعن والضرب ، فحين شاهدوه / وفوق رأسه رايته « العقاب » ، الخافقة بنسيم النصر والصواب ، التجؤوا إلى ذلك الجبل ، بعد أن أعوزتهم لشدة ما رأوه(٣) الحيل ، ثُمَّ أرسلوا ما في بطون البنادق ، فانهالت عليهم من عسكر الشريف بصواعق ، [١٠٨/ب] وأخذت الأرواح واجتذت(٤) العلائق ، فَرَقَتْ الخيل بعدهم في ذلك الجبل ، فولوا من الفزع مدبرين ، وإلى قلعة باجل مولين ، فتبعهم الشريف ومن معه في الأثر ، وطلع بدر النصر وزهر ، وقتل من قتل حال الهزيمة ، واتصل بمسامع أهل قلعة باجل هذه الفعلة الجسيمة ، وجالت خيل الشريف تحت حصن باجل وداخل أهله من الفشل ما ترك كل فكر منهم ذاهل .

ولمعت هناك لأهل الخيل سيوف ، واشتجرت في القبائل الرماح ورغمت منهم أنوف ، ووقعت من الشريف في ذلك الموقف أفعال زكية ، قضت أنه فرع من تلك الشجرة العلوية ، وأنه الهرماسة البطل عند مقارعة الحروب ، ومنازلة الخطوب ، وانفصل الشريف ، وقد نصبت

(١) المقنب : جماعة من الخيل والفرسان دون المائة تجتمع للغارة ، وجمعها مقانب . انظر : المعجم الوسيط ٧٦٧/٢ .

(٢) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٣) الأصل و ص : رواه .

(٤) جذّه جذّاً : كسره أو قطعه ، فهو جذيذ ومجذوذ ، وجذّ الشيء والنخل جذاً ، قطع ثمره وجناه . انظر : المعجم الوسيط ١١٢/١ .

خيامه غربي الجبل الذي ارتفع وتعلا(١) ، فوصل إليها واستقر بها ، وقد فاز بالقدح المُعلا ، ووكلت / بعد استقرار الشريف بحربهم المدافع ، [ص٣٥٩] فأعدمت أهل تلك (القلعة الراحة في جميع)(٢) المواضع ، وأخذت القلل منهم جماعة ، وأذهل من بها ما (شاهده من فعل تلك المدافع والراعة)(٢) ، وضيقت عليهم الأطراف ، ولُزمت من كل جانب (الأكناف ، وكاد أن يجلي الشيخ) ومن معه من تلك القلاع ، مِمَّا لحقهم في جميع الأوقات (من الإفزاع ، لكن خامر بعض عساكر)(٢) الشريف الطمع ، وداخلهم من العيب ما بتَّ منهم أديم (النصح وقطع ، فبسبب ذلك)(٢) تقاعسوا عن الجد في القتال ، ومدّوا للشيخ علي حميدة (بواسطة أهل الخيانة الآمال) فتجمع القبائل من كل صوب وآكام ، وقصدوا مكان (الموقع ليلة السبت رابع)(٢) عشر شهر ذي الحجة الحرام ، وكان المدفع المذكور في مكان (عن المطرح بعيد ، وحوله جماعة)(٢) من العساكر ، ولم يزل يتلاحق نحوهم التأييد ، ولما لحق (الصريخ بالشريف خرج في الخيالة)(٢) آساد الهيجاء وقت الزحام ، وصدر منهم في تلك الساحات (على القبائل غاية الإقدام ، ولكن)(٢) حاز المدفع القبائل لضعف دفاع العساكر ، وانتشار نظامهم في لزوم ذلك الجبل الظاهر ، والعسكر الذين / بالمطرح مع اشتغال الشريف بما هو بصدده ، زمّوا مطايا الترحال من [ص٣٦٠] غير ما يوجب ذلك من طرد ولا قتال ، وإنَّما علق بهم داء الخيانة ، فأقاموه مقام ضرب العدو وطعانه ، ولم يصل الشريف إلى المطرح ، [١٠٩/أ] إلاَّ ولم يبق فيه غير القليل ، وبذل المجهود في تثبيتهم في ذلك المقام الجليل ، ولكن العسكر استعذبوا الفرار عن المقابلة بالقتال ، وغاية

(١) الأصل : وعلا .

(٢) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

الأمر أن ذلك مِمَّا جرت به الأقدار ، والحرب بين الرجال سجال ، فترجح للشريف مع ذلك الأمر الفظيع(١) الرحيل بمن بقي معه إلى قرية « القُطَيع »(٢) ، ولسان الحال يخاطبه بقول الشاعر :

وهل(٣) يشينك وقت أنت(٤) فارسه　　　وكان غيرك فيه العاجز الضرع(٥)

من كان فوق محل الشمس موضعه　　　فليس يرفعه شيء ولا يضع(٦)

ومِمَّا سبق به القضاء أن خزانة البارود وصلت إليها فتيلة نار عند اجتماع أولئك الأقوام ، لأجل أخذ ما اشتمل عليه المطرح من أنواع الحطام ، وكانت المنية في تلك الأمنية ، فهلك بذلك جمع كثير ، (وذهب)(٧) أكثر ما في المطرح تحت الحريق ، ولم يبق منه إلا الحقير ، وكانت النَّار جندًا قامت مقام الجيش الكثيف ، ولا شك أن ذلك / [ص٣٦١] عنوان العناية من الله بالشريف ، ورجع الشريف إلى « الحديدة » وكانت الإقامة هناك ، (وقد استحكمت العداوة من الجانبين)(٧) من غير انفكاك .

السنة الثانية والستون (بعد المائتين والألف ؛ دخلت)(٧) والشريف مستقر ببندر « الحديدة » في انتظار العساكر ، لأنه (قد بعث إليهم طلابات ، وهو في خلال)(٧) ذلك في تسديد الأمور المهمات ، ووصلت من

(١) الأصل : الفضيع .
(٢) قرية شرقي الحديدة من ناحية المراوعة ، تبعد عنها نحو ١٠ كم . انظر : المقحفي ، معجم المدن والقبائل اليمنية ، ٣٣٣ .
(٣) الأصل : ولا ، والتعديل من ديوان المتنبي .
(٤) الأصل : كنت ، والتعديل من الديوان .
(٥) الأصل : الفزع ، والتعديل من الديوان .
(٦) البيتان من البسيط ، وهما للمتنبي ، انظر : الديوان ٢/٢٣١ .
(٧) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

يام أجناد وافرة ، (وحين بلغه خبر وصولهم)(١) أمرهم بالتوقف بنواحي قرية « الزيدية » ، وبعد ذلك خرج من (« الحديدة » ثاني عشر شهر رجب)(١) مع جماعة من الأشراف ، ومع استقراره في القرية المذكورة (وصلت المكارمة(٢) وعُقَّال)(٣) يام ، وتمت أمورهم في ترتيب حقوقهم على أحسن نظام ، وفي شهر ذي القعدة الحرام توجه)(٣) لمناجزة الشيخ علي حميدة ، بقوة هائلة من المدافع والجنود (العديدة ، وكان مطرحه يماني)(٣) « باجل » ، ووقعت منهم على من حلّ به الزلازل .

وفيها كانت (وفاة الشريف يحيى بن أبي طالب)(٣) بن محمد بن أحمد بن محمد بن خيرات ، كان من أبطال الرجال / ، عند (مقارعة [ص٣٦٢] الشجعان يوم القتال ، تولى في أيام)(٣) عمه الشريف حمود « بيت الفقيه » مدة ، وسار فيهم سيرة محمودة ، وكان فيه محافظة على أنواع الطاعات ، والملازمة للجمعة والجماعات ، ويحب فعل الخير كثيرًا ، حج إلى بيت الله الحرام ، [١٠٩/ب] وبنى في آخر مدته قلعة في بطن سور « الديرة » ، ولم يزل على الأفعال المرضية ، والأحوال الزكية ، حتى توفاه الله تعالى إلى رحمته ، ولله القائل :

وموت الفارس الصنديد نقص　　　فكم شهدت له في الحرب صدمه(٤)

السنة الثالثة والستون بعد المائتين والألف : وفيها ؛ لم يزل الحرب بين الشريف والشيخ قائمًا على ساق ، والشيخ ومن معه قد تحملوا من

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .
(٢) المكارمة : هم زعماء قبيلة يام ، ويعتنقون المذهب الإسماعيلي ، وهم من بقايا الصليحيين في اليمن . وللمزيد من المعلومات انظر : فؤاد حمزة ، في بلاد عسير ، ١٧٢ - ١٧٥ ؛ أحمد النعمي ، عسير في مذكرات سليمان الكمالي ، ٢٥١ .
(٣) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .
(٤) البيت من الوافر .

شدة الحصار المشاق ، والقتل مع ذلك في القبائل ، والقلعة الهدم واقع بها من المدفع في البكر والأصائل ، حتى كادت القلعة أن تلحق بالأطلال البالية ، ويحق على أهلها الهلاك الذي لم يبق منهم باقية ، لكن الجند اليامي مالت قلوبهم إلى الشفقة بأولئك القوم ، ويعلم الله - تعالى - ما [ص٣٦٣] تجنه الضمائر مِمَّا يكون عاقبته إلى اللوم ، فعوّلوا على الشريف في استبقاء / الشيخ ، وإصلاح ذات البين ، فساعدهم وإن كان الحزم أن يدار عليه كأس الحين ، وإنَّما الجند هم الجناح في بلوغ (المقاصد ، فإذا تعذر طيرانهم)[1] حسنت المساعدة ، وكما قيل : إذا عظم المطلوب قلَّ (المساعد[2] ، فتمّ الصلح على إرجاع)[3] ما هو لديه من آلات القتال كالمدافع وغير ذلك من (العدة ، وسمح الشريف تكرماً في طلب بعض)[3] ما عنده ، ولله القائل :

(فسامح ولا تستوفِ)[3] حقك كله وأبق فلم يستقص قط كريم[4]

(بعد ذلك خرج الشيخ)[5] وأولاده إلى الشريف ، واعتذروا وطلبوا العفو فيما سلف فعفى (عنهم ولم يقابلهم بتعنيف)[5] ، ولله القائل :

(اقبل معاذير من)[5] يأتيك معتذرًا إن برّ عندك فيما قال أو فجرا

فقد أجلّك (من) يرضيك ظاهره وقد أطاعك من يعصيك مستترا[6]

وبعد تمام المراد من هذا الشأن ، جعل مقدمًا على أجناد يام من الرجالة والفرسان ، وسار بهم إلى « بيت الفقيه » ، وارتحل بمن معه من الأشراف إلى « الحديدة » ، وزلّج[7] الأشراف ، وأقام هناك في حالة حميدة .

---

(١) بياض في الأصل ، وأثبتاها من ص .

(٢) عجز بيت من الطويل للمتنبي وصدره : وحيد من الخلان في كل بلدة ، الديوان ١/ ٢٧٠ .

(٣) بياض في الأصل ، وأثبتاها من ص .

(٤) البيت من الطويل .

(٥) بياض في الأصل ، وأثبتاها من ص .

(٦) البيتان من البسيط .

(٧) زَلَج زلجًا وزليجًا : أسرع في المشي وخفَّ . انظر : المعجم الوسيط ١/ ٣٩٨ .

وفي أثناء هذه المدة مع تصليح الشريف لأحوال اليمن ، وتسديد / [ص٣٦٤] ما ثار فيه من الفتن ، لم يزل الأمير عائض يلاحق في طلب ما تم عليه الصلح ، [١١٠/أ] والشريف يعتذر منه بعدم محصول البلاد ، وعدم قيامها مع ما وقع فيها بشيء من الإمداد ، فيقبل في الظاهر وهو مصرّ على خلاف ذلك ، وثمة من أصحابه من يحسن له أن يسلك من (المباينة)[1] أقبح المسالك ، لكنه ينظر لعواقب الأمور بعقله ، ويعلم أن المباينة عاقبتها (وخيمة)[1] ، ولعله يعتبر بمن قبله ، فيقرّب ويبعّد لهم الخطاب ، ورُبَّما ظهر منه ما يتوهم (من أهل)[1] الأغراض أنه من الأسباب ، والشريف مع ذلك لازم للوفاء بما سلف بينهما من (العهد)[1] ، وليس له في فتح الفتنة مرام ولا قصد ، لأنه يعلم يقينًا أن الجميع داخلون تحت (كلمة)[1] الإسلام ، وأن مباينتهم إنَّما هي عند تعذر ما يصل إليهم منه من الحطام ، ولم يكن لغرض (ديني)[1] يكون فيه براءة (الذمة)[1] من الملك العلام ، ومثل ذلك لا يسوّغ سفك الدماء ، ولا يجنح إليه (من)[1] يراقب رب الأرض والسماء ، وما زال الطلب يتجدد من عائض في كل آن ، وأهل / الأغراض (يرفعون)[1] إليه ما يوجب التباين والشنآن ، [ص٣٦٥] وصاحب « صنعاء » محمد بن يحيى بدت منه أمور شوّشت (ما)[1] سلف من الشريف من الجميل المبتدا ، وحققت قول من قال : ومن لك بالحر الذي يحفظ اليدا [2]، ورُبَّما أنه أفاض إلى عائض بالرسائل ما أفاض ، مِمَّا (يكدر من)[3] الموالاة صافي الحياض ، فتضافرت وجوه الخلاف ، وقامت أسباب عدم (الائتلاف ، والشريف عذره قائم)[3] من عدم محصولات البلاد الذي معه تسليم المطلوب يتعذر ، ((وله من العَدد والعُدد مع ذلك ما لا يقتضي إعطاء الدنية ولا يتقدر)) ،

---

(١) بياض في الأصل ، وأثبتاها من ص .

(٢) عجز بيت للمتنبي وصدره : وما قتل الأحرار كالعفو عنهم ، الديوان ١/ ٢٨٨ .

(٣) بياض في الأصل ، وأثبتاها من ص .

ولسان حاله ينشد في مثل هذه العظائم ، قول جده عبدالمطلب بن هاشم :

لنا نفوس لنيل المجد عاشقة ... ولو سلت[1] لأسلناها على الأسل

لا ينزل المجد إلا في منازلنا ... كالنوم ليس له (مأوى سوى المقل)[2]

لكنه لم يترك وجهًا من وجوه السداد إلا مشى فيه ، محاذرةً من (الوقوع في استباحة الدماء)[3] من غير وجه يرتضيه ، حتى إنه أسعفه [ص٣٦٦] ببعض البلاد ، مع أن (المشاركة / في المملكة من دواعي)[3] التباين والفساد ، ولكن رأى الشريف أن دفع المفسدتين بأخفهما أولى ، (وأن)[3] التفادي عن ما يوجب سفك الدماء به في الدارين نيل الفوز الأعلى ، واستدعى من « زبيد » ابن أخيه الشريف الضرغام الحسن بن محمد بن علي بن حيدر[4] ، ووصله وهو في « الحديدة » ، وفاوضه في هذه المادة بما يصلح به [١١٠/ب] الشأن ، ويندفع به معرة الفتنة التي تعمي الأبصار وتصك الآذان ، بعد أن (ألقى)[5] إليه الشريف الحسن أن الرضا بالمشاركة في مملكة البلاد غير حسن ، (ففوّضه)[5] فيما يراه من الصواب ، لعلمه أنه لا يؤتى من قلة في جميع الأبواب ، فارتحل (المذكور)[5] من « الحديدة » والسعادة على رأسه تلوح ، وأطيار الظفر

---

(١) ص : تسل .

(٢) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص ، والبيتان من : البسيط .

(٣) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٤) ابن أخي الشريف الحسين بن علي بن حيدر ، ولد سنة ١٢٣٧هـ ، ولاه الشريف الحسين علي اللحية وزبيد ، وشارك في صناعة الكثير من الأحداث التي مر بها المخلاف السليماني خلال فترة حكم الشريف الحسين وبعدها ، وبعد مغادرة الشريف للمخلاف سنة ١٢٦٦هـ دخل في صراع على الإمارة مع الحسن ابن الشريف الحسين ، وسيأتي تفصيل ذلك لاحقًا (ت/١٢٨٣هـ) . انظر : عاكش ، عقود الدرر ، الترجمة ذات الرقم (٩٥) ؛ وانظر كذلك الأحداث في هذا الكتاب بعد عام ١٢٦٧هـ .

(٥) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

بالمطلوب عن ميامنه تغدو وتروح ، لكفاية هذا الأمر الحادث ، وتلافي ما ينتهي إلى وقوع الخطب الكارث .

وعند انتهائه إلى بلاد السراة ، واتفاقه بالأمير عائض ، ألقى إليه ما أجنّه وأخفاه ، وجرت بينهما مواقف عظيمة ، وحجاجات جسيمة ، غير أن الشريف الحسن كامل العقل ، ومن معرفة أساليب الكلام بمكان ، فما أوردت عليه حجة تلزم في تلك الموارد إلا قابل بمثلها وأيدها بالشواهد ، وحين حُقت الحقائق في ذلك المقام / مال عائض إلى سلوك الطريق التي [ص٣٦٧] ستسعه ، وهي الصلح وحسم مواد الخصام ، فضربت بينهما (القواعد) وأكدت (العهود وتمّ ما يريده)[1] الشريف على رغم الحسود ، وسقط في أيدي أهل الحظوظ النفسانية من الناس)[1] ، وسلم المسلمون مِمَّا يتوقع من الضرر واليأس ، واجتمع شمل (عصائب الإسلام ، وبطل قول كل نمّام)[1] واستفاد المتوسط الذكر الحسن في الدنيا والآخرة ، (إن شاء الله - تعالى - يوم القيامة .

وفيها)[1] ظهرت من محمد بن يحيى بعد أن صفت له البلاد الصنعانية (من المشاركات ، أمور تنادي بأعلى)[1] صوت على المخالفات ، وتطلعت نفسه إلى منازعة (الشريف في تهامة ، وصدق فراسة)[1] من لم يحسّن للشريف إعانته في هذا الأمر والإقامة ، (وخبث الطباع تنشأ عنه الأفعال)[1] الردية كما قيل :

(وما ينفع الأصل من)[1] هاشم ... إذا كانت النفس من باهلة[2]

---

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٢) البيت من المتقارب .

(فلم تزل تصدر منه أمور)(١) معلنة بالخيانة لما بينه وبين الشريف من العهود ، والشريف لكرم (نفسه وحسن ظنه به)(١) غير متلفت إلى ما [ص٣٦٨] يقال ، بل يحمل أفعاله القبيحة / على أحسن الفعال ، حتى برح الخفاء من العداوة ، وانكشف الغطاء لذوي الفطنة والغباوة ، فعامله الشريف بالنصائح تخشينًا وتليينًا ، فما زادته إلا عتوًا ونفورا ، فاقتضى الحال أن استولى الشريف [١١١/أ] على مدينة « تعز » ، وجعل لها رتبة وعاملاً من عنده إغاثةً لأهله من ظلم أولئك القوم ، وإلا فلا مطمع له في تلك البلاد ، وكيف وقد تركها رغبة وما غالى في السوم ، وذلك بعد أن تحقق لديه أن محمد بن يحيى نكث العهد بأمور لا تقبل في الشرع التأويل ، ونصب له شراك العداوة في البكر والأصيل ، ولله القائل :

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته   وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا(٢)

وفيها ثاني عشر شهر ذي الحجة الحرام كانت وفاة الشريف العلامة محمد بن أبي طالب بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن خيرات(٣)، مولده سنة أربع عشرة بعد المائتين والألف ، كان – رحمه الله تعالى – من العلماء العاملين ، وبقية الفضلاء من أهل البيت المطهرين ، أخذ من العلم بنصيب وافر ، ومن المعارف بسهم غير قاصر ، وله في الفروع والنحو اليد القوية ، مع ما هو عليه من الأخلاق النبوية ، وكان [ص٣٦٩] قراءته / « بأبي عريش » على عدة من المشايخ ، وتشاركت أنا وإياه في شيء من الفنون ، وكان الغاية في التواضع والسمت (الحسن ، والمحافظة

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .
(٢) البيت من الطويل ، والقائل : المتنبي ، انظر : الديوان ١/٢٨٨ .
(٣) انظر ترجمته أيضًا في عقود الدرر للمؤلف ، الترجمة ذات الرقم (٢٢١) .

على)(١) أنواع العبادة من الفرائض والسنن ، وله في علم القراءات(٢) معرفة تامة ، وفي (تلاوة القرآن تأدية حسنة ، وتردّد)(٣) مرات إلى حج بيت الله الحرام ، وكان ملازمًا للقراءة (والإقراء على كرور الأيام ، ونسخ كثيرًا)(٣) من المصاحف والكتب العلمية ؛ لأنه كان حسن الكتابة جيد (الضبط ، وكان لطيف)(٣) المحاضرة ، خفيف الروح على الإخوان ، غاية الأمر أنه قليل (النظير في أهل هذا الزمان)(٣) ولعمر الله إن موته في الإسلام ثلمة ، فإنه ممن يرجع إليه في كثير من (ملمات(٤) الأمة ، ولله القائل)(٥) :

الناس في الموت كخيل الطراد   السابق (السابق منها الجواد)(٥)
والموت تقاد على كفه   جواهر مختار (منها الجياد)(٥)

وبيني وبينه كمال الألفة ، قلّ أن نفترق في سفر ولا حضر ، والله يجمعنا به في مستقر الرحمة ، مع النبيين والصديقين والشهداء ، فإن « المرء مع من أحبّ »(٦) كما جاء في الخبر .

السنة الرابعة والستون بعد المائتين والألف : فيها تحقق أن محمد ابن يحيى نزل إلى تهامة ، وارتكب / بالبداية بالبغي متن الظلامة ، [ص٣٧٠] وساعده [١١١/ب] على تلك الخيانة علي حميدة ، فجرى عليهم اسم

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .
(٢) الأصل و ص : القراة .
(٣) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .
(٤) بياض في الأصل ، وفي ص المسلمات .
(٥) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص ، والبيتان من السريع .
(٦) انظر : البخاري : باب الأدب ، ٩٦ ؛ ومسلم : باب البر ، ١٦٥ ؛ والترمذي في الزهد ، ٥٠ .

الغدر ، واتصفا بما هما أهل له من قبيح الأمر ، وذلك بواسطة أناس استحبوا الدنيا على الآخرة ، ولم يبالوا لخبث طباعهم بهذه الصفقة الخاسرة ، فهوّنوا لمحمد بن يحيى الأمر بأن تهامة خالية من الرجال ، وحرّضوه على اغتنام الفرصة فبها يبلغ من المملكة غاية الآمال ، والشريف قد كان ركن إلى ما التزم به الأمير من إعانته بأجناد لحفظ البلاد ، وأنه مهما نابه أمر بادر بما به تمام المراد ، فاتكل على كلامه الموضوع ، وفرّق ما لديه من الجموع ، وبقيت تهامة فارغة من العساكر ما بها غير الأرتاب ، والشريف في بندر « الحديدة » غير مستعمل للحذر ، آمنٍ من الغِير ، لأمر قد قضاه رب الأرباب ، وقد كان طلب جماعة من « ذو حسين » وجماعة من « ذو محمد » ، وعنده جماعة من غيرهم ، ولكن هؤلاء المعينين مع كونهم من صميم « همدان » ، أمورهم في العسكر مبنية على الخيانة التي لا يتصف بها أهل الإيمان ، ولا تقيّدهم العهود والمراهين عن ذلك كما هو شأن (أهل الإسلام ، بل إنهم)(١) يتلونون بتلون الأيام ، ولكن أوجبت [ص٣٧١] الشريف إليهم (الحاجة ، وللضرورة أحكام / وقد كان)(١) عزم على تجهيزهم لإعانة العامل « بتعز » ، بل بعضهم (قد سار ، فما فاجأه إلا انفصال محمد بن يحيى)(١) من « صنعاء » بما صح لديه من الأخبار ، في جموع عديدة ، (وقوة شديدة ، وكانت طريقه)(١) على « باجل » ، ليستمد من علي حميدة الخدع والمخاتل ، فثارت (على الشريف حينئذٍ القوة)(١) العضية ، وحركته النفس الأبية ، والشجاعة الحيدرية ، (على أن يرتكب الأخطار)(١) ، وينفصل من « الحديدة » بقوم لا تقضى بهم الأوطار ، مع (أنه قد أصغى إلى كلام من اتصف)(١) بالعيب والخيانة ،

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

في توهين أمر العدو ، وركاكة (حالهم ، فركن إلى ذلك الخيال)(١) ، مع أن الحزم عدم استحقار العدو ، ولو كان في غاية الإذلال ، كما قيل :

(ولا تحتقر كيد الضعيف)(١) فرُبَّما   تموت الأفاعي من سموم العقارب(٢)

وقد كان أشار عليه بعض العقلاء بالإقامة في « الحديدة » ، وببعث الطلابات للعساكر العتيدة ، فإن توجه إليه محمد بن يحيى والأجناد ، ما ظفروا مع تمنعه بالبندر بمراد ، [١١٢/أ] وإن بقوا(٣) في مكانهم لم يقفوا من البلاد على طائل / لأن كل أدراك البلاد فيها رتبها وعاملها ، وبذلك [ص٣٧٢] يحصل النفع الكامل ، ولكن هيهات لا ينفع في المقدور حيلة عاقل ، وما انفصل من « الحديدة » إلا وقد استدعى تلك العساكر الموجهة إلى « تعز » وتلك البلاد ، وكان لدى عامل « بيت الفقيه » جماعة من الأجناد ، فجعل الشريف بينه وبينهم قرية « الخليفة »(٤) الميعاد ، ولما وصلوا قرية « شُجَينة »(٥) ، بدا من العساكر الخيانة الكمينة ، وقد كان في عزم الشريف أن يلتقي محمد بن يحيى قبل أن يصل إلى « باجل » ، وأن يروّي من عساكره الرماح العواسل ، ولكن زحلف أولئك الأجناد الطريق ، وجعلوا العجلة في الوصول إلى « باجل » خير رفيق ، فحين فاتوا الشريف شدّ بالجنود قصده أن يطرح بمكان قرب « الغانمية »(٦) للزوم الطريق عليه .

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .
(٢) البيت من الطويل ، وهو لنجم الدين محمد اليمني ، انظر : الهاشمي ، جواهر الأدب ٢/٤٤٧ .
(٣) الأصل وص : بقيوا .
(٤) لم أعثر على معلومات بشأن هذه القرية .
(٥) قرية عامرة من قرى الرامية العليا من وادي سهام من تهامة . انظر : إسماعيل الأكوع ، هجر العلم ومعاقله في اليمن ، ٢/١٠٣٩ .
(٦) لم أعثر على معلومات بشأن هذه القرية .

فما وصل إلى أطراف ذلك المحل إلا وقد سبقه محمد بن يحيى بجنوده إليه ، فارتحل الشريف حتى طرح قبلي قرية (القطيع)[١] بمن معه من الخيل والأجناد ، وكان كل منهم في مطرحه وهم من الشر على غير (ميعاد ، وكان غالب الخيالة الذين مع)[١] الشريف لم يمارسوا النزال ، ولم يعرفوا في (الهيجاء مقارعة الأبطال ، والعسكر الذين [ص٣٧٣] معه)[١] قد بايعوا محمد بن يحيى / في الباطن ، وجعلوا له علامة عند (المصاف يكون بها على غزوهم)[١] راكن ، فابتدرهم الشريف وقصدهم إلى ذلك (المكان ، مع أن بعض الجند لم تعجبه)[١] المبادرة لإدارة الحرب العوان ، مع العلم بما (اشتمل عليه العسكر من الخيانة واللؤم)[١] ، ولكن لا نقض لما أبرمه القدر المحتوم ، فزحف بمن (معه من الخيل والرجال يوم السبت)[١] حادي عشر شهر محرم[٢] ، وكان بينهم من المسافة أميال ، فلما (تراءى الجمعان بان له في عسكره ما بان)[٣] ، لكن ما أمكنه لشهامته إلا الإقدام على أولئك (الأقوام ، والمخاطرة بالذين معه من أهل)[١] الخيل في ذلك المقام ، وأمَّا العسكر فولوا الأدبار ، وبعضهم (كافح بقتال وهو مصر)[١] على الفرار .

وخالط البعض أجناد محمد بن يحيى في ذلك الحال ، وجرت في ذلك الموقف على من ثبت أهوال ، وأمَّا الشريف فخاض تلك الغمرة ، وفعل أفعالاً حيدرية ، قضت له أنه فرع تلك الشجرة النبوية .

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٢) يشير العمري إلى أن المعركة وقعت عام ١٢٦٣هـ ، معتمداً على مراجع عدة مثل الكبسي في اللطائف السنية ، والنعمي في الحوليات ، وزبارة في أئمة اليمن .
انظر : مائة عام من تاريخ اليمن ، ٣٢٤ .

(٣) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

[١١٢/ب] ولم يزل يضرب فيهم يميناً وشمالاً ، ويذيقهم من كؤوس المنية حالاً فحالاً ، ولكن لكثرتهم لم يزالوا ينثالون إليه . ويرمون بالبندق من كل جانب عليه ، فقام في ذلك المقام مقام ألوف من الأبطال ، ولازمهم في الحرب ساعةً أشابت منهم الأقذال ، عرفوا بها / قدر ذلك الأسد [ص٣٧٤] الرئبال ، وعلموا أنه لا يناظر به أحد من أهل زمانه في الثبات عند القتال ، ولم يزل يصدر عواسله في تلك الموارد ، ويطاعن ويطارد . حتى أصابته رصاصة في فخذه الأيسر عدم منها استقرار قدمه في ركاب الحصان ، فانحاز إلى جماعة من « ذو محمد » كبيرهم رجل يسمى « ابن عوفان » ، ورجع إلى المطرح يمشي بقلب أشد من الصخر ، وعزم أعز من الدهر ، لم تزعزعه المنايا ، ولم يتضعضع لما شاهد من تلك البلايا ، وما وصل المطرح إلا وقد أجلى منه أكثر الخيالة والعساكر ، بعد أن قتل من الجانبين من قتل (والحكم لله العلي القاهر)[١] ، وثبت معه ابنه الحسن ، وأخوه عبدالله ، وابن أخيه عبدالله بن محمد ، (ومحمد بن أبي طالب بن علي ، وثلة من الخيالة)[١] ، وظهر من هـؤلاء الأشراف مع صغر سنهم من الثبات (ما دلّ على أنهم من معدن الرسالة)[١] ، وممن فاز بالشهادة في ذلك اليوم الشريف يحيى بن علي (بن حيدر ، بعد أن روّى الصارم)[١] البتار من أولئك العسكر :

تردى ثياب الموت حُمراً فما أتى   لها الليل إلا وهي من سندس خضر[١]

(وكذلك الشريف علي بن هزاع)[٢] بن علي فارس[٣] ، بعد أن

(١) بياض في الأصل وأثبتناها من ص ، والبيت من الطويل ، والقائل : أبو تمام ، انظر : الديوان ٤/٨١ .

(٢) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٣) لم أعثر على زيادة معلومات أو تراجم للأشراف المذكورة أسماؤهم ، عدا الحسن بن الحسين الذي ستأتي بعض أخبار صراعه مع الشريف الحسن بن محمد لاحقاً .

لاقى العدو بثغر باسم في ذلك اليوم العابس ، (وفُعِل بهما من المثلة)[1] ما فعله بجدهما الحسين السبط المارد يزيد[2] ، واقتفى أثره [ص٣٧٥] هذا / الجبار وما راعى (المروءة)[3] ولا ما جاء في النهي عن المثلة من الوعيد ، ولما شاهد الشريف تفرّق الأجناد ، واتصل بقلعة « القُطَيع » لما أثبته ذلك الجراح[4] ، وساعده على الانضمام إليه جماعة آثروا الوفاء ، وقالوا ما عن مثله براح ، منهم الشريف محمد بن منصور وابن عمه علي ابن حيدر بن ناصر[5] ، ونالوا حسن الأحدوثة بالوفاء ، حين قلّ المعين والناصر ، وانحاز إليه جماعة من « ذو محمد » مع كبيرهم ابن عوفان ، ومحمد بن يحيى بعد انقضاء المعركة شدّ بأجناده من ذلك [١١٣/أ] المكان ، وفرّق الأجناد على تلك القلعة وهي غير منيعة ، ولم تكن ساحتها لكثرة الرجال وسيعة .

واستمر القتال بين الفريقين في البكر والأصيل ، وعجز الأعداء عن نيل مرادهم من الشريف حذرًا من البندق الثائر والسيف الصقيل ، وحين أعيتهم الحيل عن نيل مرادهم جنحوا إلى الخداع ، وكان علي حميدة شيخ أولئك الفرقة في تقسيم جنس الخدع بأنواع ، وجعلوا جماعة من العسكر وسيلة إلى السعاية بهذه الرذيلة ، وتم الأمر في الظاهر على إطلاق « بيت

---

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٢) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، ثاني خلفاء بني أمية (ت/٦٤هـ) ، والمؤلف هنا يميل إلى الجانب الذي يدين يزيد في بعض تصرفاته ، وهناك جدل قديم جديد حول أفعال يزيد بن معاوية بن أبي سفيان .
انظر : الآراء التي وردت حول يزيد في : هزاع الشمري ، يزيد بن معاوية ؛ ابن تيمية سؤال في يزيد بن معاوية ؛ الطبري وابن الأثير ، حوادث عام ٦٤هـ .

(٣) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٤) هكذا في الأصل ولعلها : لما أثبتته تلك الجراح .

(٥) لم أعثر على تراجم ومعلومات تخص الشريفين المذكورين .

الفقيه » ، وإخراج العامل والرتبة الذي فيه ، وعند ذلك يرتحل محمد بن يحيى بأجناده ، ويتصل الشريف « بالحديدة » بمن معه من أصحابه وأعضاده ، وبعد ذلك أطلق المراهين الذين[1] « لذو حسين » أهل الخيانة والعيب ، ولا يعلم / ما أجنته الضمائر إلا عالم الشهادة والغيب ، [ص٣٧٦] وبعد وصول المراهين إليه ، وأخراج رتبة « بيت الفقيه » منه ، أعلن محمد ابن يحيى بالخلاف ، ولم يراع الدين ولا المروءة في ذلك الاختلاف ، وأرجعوا الحرب بكرًا على الشريف ، واستدعوا مدفعًا (من « بيت الفقيه » ، وأمّا مدافعهم فهي)[2] تكسّرت ، ولم تقض وطرًا فيما يريده وينتحيه .

مكائد تنسي كيد إخوة يوسف ورهن (بيامين وبيع أخيه)[2]

وقد كان الشريف بعث إلى ولده الشريف محمد بن الحسين برسالة (ليتقدم إليه منجدًا)[3] في الأشراف الخيالة ، ولكن تقاعست تلك الغارة عن التعجيل (بالوصول ، وقد خامرهم)[3] ما خامر عند هجوم الأمر المهول ، فما وصلوا إلى « الحديدة » (إلا بعد مدة تقارب)[3] الشهر ، وقد ضاق على الشريف من الحصار الأمر ، وحين علم (محمد بن يحيى وجنوده بالمتفقات)[3] من تلك الغارة ، داخلهم الأمن أنها لم تكن تبلغ الشريف (أوطاره)[3] ، وضعفت قلوب من عند الشريف من العسكر ، وظنوا أن غاية تلك الغارة الجلوس في البندر ، وعند ذلك استحسن « ذو محمد » الذين[4] مع الشريف قبيح الخيانة ، وتطلعت نفوسهم إلى متابعة

---

(١) الأصل و ص : الذي .

(٢) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص ، وورد اسم شقيق يوسف عليه السلام : بيامين ، والصواب بنيامين ، ولعل ذلك حرص من الشاعر على الوزن ، والبيت من الطويل .

(٣) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٤) الأصل و ص : الذي .

الأطماع وخلع لباس الأمانة ، فالتزم لهم محمد بن يحيى من الحطام ما التزم ، ولم يفِ[1] لهم بذلك ، وكان استسمانهم لذي ورم ، فاتصفوا [ص٣٧٧] بوسم الغدر على مرور الأيام ، وخلوا / بينه [١١٣/ب] وبين العدو في ذلك المقام ، ومع هذا فأجناد محمد بن يحيى قد أحاطوا بالقلعة إحاطة الأكمام بالزهر ، والهالة بالقمر ، فانقطعت المواد على الشريف التي بها في الحرب يُقضى الوطر ، فما وسع الشريف مع هذه الأمور ، غير الجنوح إلى السلم رضا بحكم المقدور ، والدهر بمثل هذا دولاب يدور :

ولا لوم فيما لا يطاق وإنَّما يُلام الفتى في المستطاع من الأمر[2]

وتمّ الصلح بين محمد بن يحيى والشريف على إطلاق البنادر عليه ، مع أن الشريف غير مختار في ذلك ، وإنَّما هو مضطر إليه ، وجعل مرقوماً بذلك إلى الشريف الحسن بن محمد بن علي ، والشريف حيدر بن علي ، وكان إذ ذاك قد وصل من « المخا » إلى هناك ، فلما بلغهم ذلك المرقوم تنبّه الشريف الحسن أن تلك حيلة لاصطياد البنادر شراك ، لا سيما وقد سلف من محمد (بن يحيى ما سلف)[3] و « المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين »[4] ، فكان الجواب على محمد بن يحيى (أن مع وصول الشريف إلى « الزهراء » نطلق)[5] عليك البنادر ، ونعلم أن ما تقوله هو منك الباطن (والظاهر ، فحين وصله الجواب بخلاف)[5] المراد ، تبين له أنه عرف ما قصده من (إضافة الشريف إلى البلاد ،

(١) الأصل وص : يفي .

(٢) البيت من الطويل .

(٣) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٤) أورده الألباني في صحيح الجامع ١٢٨٤/٢ ، برقم (٧٧٧٩) وعزاه لأحمد وأبي داود وابن ماجة والبيهقي .

(٥) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

فأجاب)[1] بعدم الرضا ، وحاص عساكر « الحديدة » حيصة / حمر [ص٣٧٨] الوحش ، (ودفع ما يستطيع)[1] تعبير القلم عنه من الربش ، وتبلدت هناك أحلام (الرجال ، وعرف كل واحد نفسه)[1] مع تلك الأهوال ، وطاش من تلك الأحوال (الناس ، وضاع من أهل التدبير)[1] القياس ، وظهرت مبادئ اختلال النظام ، وظن (أكثر الناس أن الأمر غير منقاد)[1] لرئيس بزمام ، لكن حين شاهد الشريف البطل الأمجد (الحسن بن محمد تلك الأمور الفاضحة)[1] ، والأهوال التي عقباها فادحة . ثبت[2] ثبات أبطال الرجال ، وساس الأمور حين خرست الألسن عن المقال ، وعلم أنه إن لم يسع في الصلاح آلت أمور المملكة إلى اختلال ، وانتهت أحوالهم وأحوال الرعية إلى زوال . ولله القائل :

والناس ألف منهم كواحد وواحد كالألف إن أمر عنا[3]

[١١٤/أ] وكان يخاطر بنفسه في الوصول إلى أهل تلك القلاع ، وكل منهم يطلق ما في بطن بندقه عليه لقصد الإفزاع ، ومع ذلك فهو ثابت الجأش لا تهوله رعود البنادق ولو استمرت في العشايا والصباح ، ولا تنهنه من عزمه شرر الرماح ، ولا بارقة الصفاح ، وخذله كل أحد مع القيام بذلك الأمر الهائل ، وعانى الأمور بنفسه حين عدم المساعد مع تلك القلاقل ، وقد حقق في هذا الموطن ما قال القائل :

وما جلّت رقاب الأسد حتى بأنفسها تولت ما عناها[4]

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٢) الأصل وص : فثبت .

(٣) البيت من الرجز ، والقائل : ابن دريد في المقصورة ، انظر : الديوان ، ١٣٢ .

(٤) البيت من الوافر .

[ص٣٧٩] / ولما تبين له أن لا تمام لما يريده من اجتماع الناس ، غير الانتصاب لهم بالرئاسة التي بها تمام المقصود بلا التباس ، مع أنه ينطبق عليه شرعًا القيام في هذا الحال ، لدفع محن ألَمَّت بالناس عراض طوال ، منها ضياعهم عن القيام بما يصلحهم في الحال والمآل ، ولو تخلى عنهم لانطلق عليهم من يستبيح منهم الأنفس والأموال ، فطلب من العسكر البيعة بعد الالتزام بما لهم من الحقوق ، (وبذلوا له المراهين حتى)(١) لا يصدر منهم شيء من العقوق ، وكان وقوع البيعة يوم الربوع (سابع وعشرين من شهر صفر في)(١) مسجد « النجم » ببندر « الحديدة » ، فانضبط البندر على ما يراد ، (وأسقط في يدي محمد بن يحيى ومؤيده علي حميدة)(١) ، والأشراف بعد هذا الواقع لم يستقر لهم في « الحديدة » القرار ، مع (علمهم أن الشريف الحسن بن محمد)(١) هو الحامي للذمار ، فمن ساخط عليه بما فعل ، ومن مقر أنه لا (يقوم غيره بهذا الأمر)(١) الجلل ، وشاهد الحال :

دعوا ذمهم أو فاخرونا بمثلهم ... وإلا فسدّوا عنهم (مثل ما سدّوا)(١)(٢)

وارتحلوا إلى « أبي عريش » ، ومراجل الفتن تفور ، والأمر يزداد (شدة في العشايا)(٣) والبكور ، ما خلا الشريف محمد بن الحسين فإنه أقام بمعقل « الزهراء » وحمى تلك البلاد ، ونال بحسن الأحدوثة بين الناس ما ناله الأشراف الأمجاد ، ومحمد بن يحيى لما أيس من بندر « الحديدة » ارتحل إلى «بيت الفقيه » وفارقه علي حميدة من « القُطيع » / [ص٣٨٠]

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .
(٢) البيت من الطويل ، وللحطيئة البيت المشهور :
أقلوا عليهم لا أبا لأبيكم ... من اللؤم أو سدوا المكان الذي سدّوا
(٣) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

في الظاهر لأجل الاستيلاء على الجهات الشامية ، وفي الباطن قد ظهر له أمر صاحبه من عدم السياسة ما لا يتم [١١٤/ب] معه استقرار إمارة ، هكذا حدَّث بعض من يطلع على أخباره ، فتوجه علي حميدة إلى قرية « الزيدية » و « الضحي » بعد خروج العامل منهما هو والرتبة لا عن غلب ، وإنَّما سرى عليهم من الذل ما أوقعهم في العار المجتلب ، وكان علي حميدة يهمُّ بالارتحال إلى « الزهراء » و « اللحية » ، ولكن لم تنفذ له مع حزم من بها خديعة بالكلية ، « وزبيد » فهو مُستَقَر الشريف الحسن بن محمد وفيه بعض الحَرَم ، وإنَّما خرج منه حين حصل على الشريف هذا الحادث الذي دهم ، فاستقر « بالحديدة » ولولا وصوله إليها لدخلت في خبر كان ، وألقى أرتابها إلى أهل العداوة منها العنان ، مع أنه في إقامته هناك يستنجد القوم المطلوبين من الأشراف . ويُعمل الحيلة فيما به للعدو عن الشريف الانصراف ، وكان العسكر الذين « بزبيد » قد دبّ في بعضهم داء الخيانة والغدر ، فراسل محمد بن يحيى خفية في المبايعة بتمام الأمر ، هذا مع الاستناد إلى مرقوم الشريف في إطلاق البلاد ، مع (أنه يعلم الخاص والعام أنه)(١) ليست لتلك البطاقة من نفاد ؛ لأن راقمها في حكم المغلوب (عليه فما يسعه غير المساعدة والإسعاد ،)(١) فأعلن في مدينة « زبيد » بالخلاف ، وشوّش (على الرتبة وعلى العامل من الأشراف)(١) ، وساعده على ذلك أهل الأغراض ومن (قلوبهم بالعداوة أمراض)(١) / [ص٣٨١]
ولله القائل :

(إنَّما تنجح المقالة في)(١) المرء ... إذا وافقت هوىً في الفؤاد(٢)

(فلما بلغ الشريف الحسن هذا)(٣) الواقع ، الذي تصطك منه

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .
(٢) البيت من الخفيف ، والقائل : المتنبي ، انظر : الديوان ٢/٣١ .
(٣) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

المسامع ، بعث أخاه (الشريف ناصر في جماعة من الرجال لأجل)[١]
تلافي القضية ، واستخلاص العار الذي هناك (على حالة مرضية ،
فحين وصلوا)[١] تمنع ذلك البائس الغادر ، وطلب هو والعسكر من
(حقوقهم السابقة من الدراهم)[١] شيئًا قاهر ، فبذله أصحاب الشريف
الحسن لأجل استخلاص من هناك ، (فأمَّا الشريف)[١] ناصر فأقام مع
أهل الأدراك ، وأمَّا من كان مقيمًا هناك فخرجوا على ظهور الجمال ،
وتأخرت مع وصولهم إلى البحر بعض الأمور الثقال ، وبلغ الخبر الشريف
الحسن فركب في جماعة من الجند وخلص بمن يريد نجيّا ، [١١٥/أ]
وصح أن ما أراده أهل العداوة من الاعتراض لهم شيئًا فريّاً ، وانفصل
محمد بن يحيى بعساكره إلى « زبيد » بعد أن تم بينه وبين رتبته الكلام ،
ودخل قلعته ، وما وقف أولئك الغادرون على ما التزم به لهم من الحطام ،
ووقعوا في سوء القالة في الدنيا مع ما ينصب لهم من لواء الغدر يوم
القيامة ، وكان الشريف قد خرج إلى طائفة من « ذو حسين » وكان
صحبتهم إلى « زبيد » في السفر ، ولما وصلوا به إلى « البيشية »[٢]
شرقي مدينة « زبيد » كان هناك المستقر ، ومحمد بن يحيى أقام نصف
شهر في المدينة المذكورة ، وطلب من « ذو حسين » إطلاق الشريف عليه ،
[ص٣٨٢] / فوقع منهم الامتناع ، لأجل نيل حقوقهم منه التي كل شهر في ارتفاع ،
ولما أيس من ذلك لما سبق في علم الملك العلام ، ارتحل عنهم إلى قرية
« حيس » والقلب من مخالفتهم في اضطرام ، ووصل « حيس » وعامله
عنه قد ارتحل ، وأصابه ما) أصاب غيره في هذه الحادثة من الوجل ،
(فرتبه ، ومضى إلى بندر « المخا » ، وكان عامله)[٣] الشريف

---

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .
(٢) لم أعثر على معلومات عن هذه القرية فيما لدي من مصادر .
(٣) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

حيدر بن علي ، ولكنه لما هجم هذا الخطب (الجليل ، استخلف غيره مع
الرتبة)[١] وأذن إلى « الحديدة » بالرحيل ، والرتبة لما أن تنحّى عنهم
العامل ، كانت تدور بينهم وبين محمد بن يحيى الرسائل ، فما وصل
إليهم إلا بعد أن صلح (الشأن ، وصاروا له من أخص)[١] الأعوان . وأمَّا
الشريف الأمجد علي بن محمد فهو (العامل « باللحية » ، لكن لما وقع
على الشريف)[١] الحصار ، وتفاوض هو وأخوه الشريف الحسن بن
محمد بالكتابة (فيما يكون به الأخذ بالثأر ، فتمّ)[١] الكلام على مسير
الشريف علي إلى الأمير عائض ليمده بجند حسبما (التزم لأخيه
الشريف الحسن أيام وصوله)[١] إليه ، ولما وصله استحثه ، وعوّل في
دفع هذا الملم (بعد الله - سبحانه - عليه ، فأعرض)[١] عن ذلك المرام
صفحًا ، وطوى لعدم وفائه عن هذا (المطلوب كشحًا)[١] ، وطال بينه
وبين الشريف علي الكلام ، مما تبين له أن يخفي غير ما يظهر لهم
والسلام .

آخر الأمر طلبه أن يفك له الطريق ليسير إلى قبائل يام ، فلم يرض
له بذلك ، فتبين بفعله هذا[٢] عدم صفائه لهم لكل الأنام ، ففارقه
الشريف علي بقلب / مهموم ، وخاطر مكلوم ، وندم على وصوله إليه ولا [ص٣٨٣]
راد لما سبق في علم الحي القيوم ، فوصل إلى « أبي عريش »
[١١٥/ب] وطلب جماعة من « سحار »[٣] لأجل يسيرون معه إلى بلادهم ،
ثُمَّ يرتحل من هناك إلى يام ، واستصحبهم في طريقه قصدًا إلى بلوغ هذا

---

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .
(٢) الأصل : هذه .
(٣) من قبائل خولان بن عمرو بن الحاف ، وأصلها « صحار » ، وبها سميت ناحية سحار في بلاد صعدة باليمن .
انظر : المقحفي ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٠٠ ، الحجري ، مرجع سبق ذكره ٣/٤٧٣ .

المرام ، فانفصل من « فجِّ حرض » حادي عشر شهر صفر ، وبعد وصوله إلى بلاد « سحار » بعث إلى يام ، وتلقاه من تلقاه في أثناء الطريق ، ولما وصل إلى بلادهم تلقوه بالإجلال والإكرام الذي هو به خليق ، ونصبوا له بيتًا في وسط « نجران » ، وأتوه بأنواع الضيافات القاصي منهم والداني .

ولما استقر في بلادهم فتح عليهم الخطاب ، وأنه ما جاءهم لغير النصرة وطلب منهم الجواب ، فأجابوا بالإسعاد داعيه ، ولبّوا بما يهواه مناديه ، ولما كان « المكارمة » بهم الحل والعقد ليام في مثل هذا الأمر ، ارتحل إليهم وقصدهم إلى عقر بيوتهم « ببدر »[1] فتلقوه بالإجلال والتكريم ، وبذلوا له مراده بالرضا والتسليم ، وقام (القاضي عبدالله بن يوسف)[2] المكرمي والقاضي علي بن حسن المكرمي غاية القيام ، وضربتهما (الحمية على الأشراف هم وقبائل)[2] يام ، هذا مع أن في النفوس ما يقع بين الأحباب ، (من الأنكاد ، لكنهم لم يلتفتوا)[2] إلى ذلك وعند الشدائد تذهب الأحقاد ، (فاجتمع من الأجناد جمع)[2] [ص٣٨٤] حافل ، من الخيل والرجل ولم يبق منهم / رجل كامل ، فانفصلوا (من بلادهم بعين)[2] النصر على رؤوس ذلك الخميس العرمرم ، والمكارمة هم رؤوس (الجند ، والشريف علي)[2] هو المقدم ، ولما وصلوا إلى « فج حرض » يوم الجمعة خامس شهر ربيع الثاني (رجفت منهم تهامة)[2] ، ورغمت أنوف أهل الحسد ، وأسرّوا على تفريطهم الندامة ، ولاح بارق (السعد)[2] ، وحلت بالنصر على الأعداء غمامة ، وتوجهوا من « حرض » إلى نحو اليمن الميمون ، وعناية الله تعالى ترعاهم في الحركة

(١) إحدى قرى منطقة نجران ،
انظر : فؤاد حمزة ، مرجع سبق ذكره ، ١٨٦ ؛ الجاسر ، المعجم الجغرافي ٢٦٤/١ .
(٢) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

والسكون ، وهم على ذلك الجمع الكثير متقيدون للشريف الحسن وأخيه الشريف علي في الرأي والتدبير ، ((واجتمع بهم الشريف محمد ابن الحسين مع وصولهم إلى قريب مدينة « الزهراء » ، واتصل مع إخوانه بتلك الكتيبة الخضراء)) وانضم رأي أولئك الأماجد الصناديد ، أنه لا يكون لهم همّ غير استخلاص الشريف والقصد « لزبيد » ، وبرز الشريف الحسن من بروج « الحديدة » ، وطرح بقرية « الدريهمي »[1] ورتب هناك القلعة التي فيه ، وأقام به أمد ما طرح القوم قبلي « بيت الفقيه » ، [١١٦/أ] فلاقاهم بهمة سامية ينال بها - بإذن الله سبحانه - ما يرتجيه . ومِمَّا قلته مكاتبًا به « المكارمة » ويام ، ومستنجدًا لهم في الاهتمام بما هم بصدده برقيق النظام ، فإن النفوس الأبيّات تثير حفائظها[2] الأشعار ، يعرف ذلك من اطلع على أيام الناس في الجاهليّة [ص٣٨٥] والإسلام بلا إنكار : /

لوامع برق في دجى الليل إذ تسري ... أطارت منامًا للذي دمعه يجري
يحدّث ذاك البرق في طيِّ لمعه ... بحادثة تُملى على صفحة الدهر
أصابت مليك العصر غيم سحائب ... ولم تك عن ضعف هناك ولا ذعر
ولكنها الأقدار تجري على الورى ... وليس يرد العبد لله من أمر
بدا من قصور الملك في موعد اللقا ... بجمع وقد شابوا النصيحة بالغدر
فما هو إلا أن تورط في الوغى ... فمالوا وما بالوا بفاقرة الظهر
أصيب وقد أروى القواضب والقنا ... وما هاله ما هال في الموقف الوعر

(١) مدينة تهامية بالغرب الشمالي من بيت الفقيه بمسافة ٣٢ كم ، وبالجنوب من الحديدة بمسافة ٢٢ كم . انظر : المقحفي ، مرجع سبق ذكره ، ١٥٦ ؛ الحجري ، مرجع سبق ذكره ٢٣٠/٢ .
(٢) الأصل و ص : حفاظها .

إلى معقل قد كرّ كالليث إذ دنا ... (إلى غاية يقوى بناب وبالظفر)[1]

أحاطت به الأقوام من كل جانب ... (إحاطة هالات السماء على البدر)[1]

جزوا بجميل الصنع سوءًا وما رعوا ... (له حرمة الإحسان والفضل والبر)[1]

وثارت عليه الحرب في كل ساعة ... وصالى أمورًا (لا تسطر في السطر)[1]

تنادي له بين الورى ببسالة ... ومجد أثيل (مستطيل وبالفخر)[1]

تذكرنا أخبار أيام « خيبر » ... لجدٍّ له تملي له (أحسن الذكر)[1]

تقضّت له في ذاك خمسين ليلة ... ويوم الوغى بين (الخلائق كالشهر)[1]

ومال إلى السلم الذي كان واقفًا ... لديه وأبدى عنده (واضح)[1] العذر

فسلّم والتسليم فرض على الذي ... تيقن فعل الدهر بالعسر واليسر

ولله في طي المقادير حكمة ... وإن خفيت لكن تدق عن الفكر

[ص٣٨٦] وقام بأخذ الثأر أبطال قومه ... وجدّوا بما فيه الصلاح من الأمر/

[١١٦/ب] / فبعضهم قد ضم شمل أمورهم ... ودبرها في السر منه وفي الجهر

وبعضهم قد سار نحو عصابة ... «بنجران» دار العز حلّوا وفي « بدر»

مطاعيم للأضياف في كل حالة ... مطاعين في الهيجاء في الظهر والصدر

((أجابوا مناديه وجاؤوا عصائبًا ... وما جنحوا من بعد ذلك للغدر))

يقودهم أبطال نسلِ مُكرِّم[2] ... بعزم له جدٌّ يؤثر في الصخر

وأعني بهذا نجل يوسف[3] من غدا ... كريم المساعي ثاقب الرأي والفكر

كذاك علي[4] من سَمَا لِمَفاخرٍ ... وفاق على هام السماكين والنسر

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٢) مكرم بن سبأ بن حمير ، الجد الأعلى للمكارمة وإليه ينسبون . انظر نسب المكارمة حسب رواية الداعي حسين بن أحمد في : فؤاد حمزة ، مرجع سبق ذكره ، ١٧٣ .

(٣) عبدالله بن يوسف المكرمي ، شيخ قبائل يام آنذاك كما ذكر المؤلف آنفًا .

(٤) علي بن حسن المكرمي ، من مشايخ المكارمة وزعمائهم كما ذكر المؤلف سابقًا .

وإخوانهم أهل المناقب والعلا ... يطيب بذكراهم لنا نافح النشر

وأيامهم مشهورة في عدوهم ... تضمنها التاريخ في سالف الدهر

وبينهم ليث القتال غضنفر ... مبيد العدا من صار مرتفع القدر

أخو همة علياء تسمو على السما ... مكارمه جلّت عن العدِّ والحصر

فيا راكبًا ظهر المطية مسرعًا ... إلى يام أهل المجد والعز والفخر

(وأعني بهم أولاد «يصبا»[1] ومن لهم)[2] ... مناقب قد تاهت على الأنجم الزهر

([3]هم القوم إن جالوا بيوم كريهة ... أداروا على الأضداد راغية البكر

(وإن نشروا تلك البيارق في الوغى)[2] ... بدا لهم نجم السعادة بالنصر

(وخص كبير القوم من «آل فاطم»)[2] ... و«ذا مانع» المشهور في البر والبحر

(و«آل نصيب» من «مواجد» من لهم)[2] ... وقائع قد شادت لهم أطيب الذكر

(كذا «جشم» أهل العوائد في اللقا)[2] ... فسل عنهم الأيام تنبيك بالأمر / [ص٣٨٧]

(فبلغ سلامي نحوهم متكررًا)[2] ... يفوح كمثل المسك والعود والعطر

وقل (لهم سيروا لنيل مرادكم)[2] ... فألطاف جند الله في جندكم تسري[4]

ونعِّت لهم عند اجتماعٍ وقل لهم ... أمثلكم ممن ينام على وتر

(١) يام : ترجع إلى يام بن يصبا ، وهي فرع من حاشد من همدان . انظر : أحمد النعمي ، مرجع سبق ذكره ، ٢٥١ ؛ الحجري ، مرجع سبق ذكره ٤/٧٧٤ .

(٢) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٣) انظر نهاية القوس ص ٤٥٠ .

(٤) ذكر المؤلف بطون قبيلة يام ، وهم على النحو الآتي :

أ – آل فاطمة : ويرأسها آل مانع بن جابر من آل أبو ساق ، وهم من رفيدة من آل سالم .

ب – المواجد : ويرأسها آل نصيب من شريف من جنب بن سعد العشيرة .

جـ – جشم : ويرأسها آل منيف من الضياغم .

انظر : عسير في مذكرات سليمان الكمالي ، ٢٥١ .

أيهنا لكم عيش وأن مليككم ... ودولتكم قد صار في غاية الحصر

وكم عنده قوم كرام تجرّعوا ... كؤوسًا من البلوى أمرّ من المرِّ

[١١٧/أ] / إذا ذكروا بين الورى في محافل ... أجابت عيون للمحبين بالقطر

تداولهم أيدي الأعادي ومثلهم ... يصان لعمرُ الله عن ذلك الأسر

وكلهم أولاد سبط نبيكم ... فهل أحد في تركهم قام بالعذر

أيصبر عن هذا الذي أقلق الحشا ... وألهب في الأضلاع واقدة الجمر

فلا نام من يغضي لأي مذلةٍ ... ويرضى بضيم وهو يقدح بالصدر(١)

ويا لوم من أضحى عن الأمر غافلاً ... وتاركهم من غير عون ولا نصر

وما الفخر في ربط الخيول وجمعها ... إذا لم تجلّ الهمّ في ساعة العسر

وغاية إعداد السيوف مع القنا ... لدفع الأمور المفضيات إلى الضر

وإلا فإن السيف مخراق لاعب ... (إذا كان لا يروي لدى الحرب)(٢) من نحر

أذيقوا المواضي من لحوم عداكم ... (ومنّوا على عافى الحداة مع النسر)(٢)

وهزوا الردينيات إن ناب حادث ... (فليس ينال المجد إلا مع الصبر)(٢)

[ص٣٨٨] وخوض الفتى حوض المنايا إذا احتمى ... (وطيس الأعادي ليس يقطع للعمر)(٢)/

فجدّوا تولى الله ربي لعونكم ... وصولوا (لإنقاذ الجحاجحة الغرِّ)(٢)

ولا تفتروا عما يجلّي لهمهم ... فذا غاية (المقصود والشرف الدهري)(٢)

فيوم خروج القوم عيد لدى الورى ... وليلته عندي (غدت ليلة القدر)(٢)

ودونكم ذا النظم في سلك مدحكم ... فإن قوافي (الشعر)(٢) تَطْرُبُ للحرِّ

تثير لكم كل الحفاظ لتنجدوا ... أناسًا غدوا في غاية الضيق والضرِّ

(١) في الأصل و ص : يفدح للصدر ، والتعديل من المحقق اجتهادًا .

(٢) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

ولو شئت أبكيت العيون معاتبًا ... لما قد جرى في النظم طورًا وفي النثر

ولكن رأيت الإختصار موافقًا ... وللعتب أيام تطول مدى العمر

وقد وفدت مني لسوح مقامكم ... فقوموا لها بالحق جهرًا مع السر

لها اجتمعوا في محفل طاب جمعه ... وينشد في تلك المحافل بالجهر

وصلِّ إله الخلق ما لاح بارق ... على المصطفى مع آله الأنجم الزهر

/ كذا صحبه ما أُنشدت بين محفل ... لوامع برق في دجى الليل إذ تسري(١) [١١٧/ب]

والمذكورون في النظم مع الشريف فهم جماعة إخوة : الشريف عبدالله وولده الحسن ، وأولاد أخيه عبدالله بن محمد . ومحمد بن أبي طالب ، والشريف محمد بن منصور بن ناصر . وابن عمه الشريف علي بن حيدر بن ناصر .

فأمّا عبدالله بن علي ، وعلي بن حيدر ، فتوفّاهم الله تعالى إلى رحمته أيام مدة الحصار في « القُطَيع » ، وأمّا الباقون فهم ساروا مع الشريف ، وكان إقامتهم في « البيشية » مع الشريف ، وبعد ذلك أُضيف محمد بن منصور ، وعبدالله بن محمد / إلى إخوانهم الشريف عبدالله [ص٣٨٩] ابن محمد بن حسين أبي جعفر ، والشريف ناصر بن محمد ؛ لأنهم مع بيع العسكر لقلعة « زبيد » بقوا(٢) هناك تحت الحفظ .

نعم ، وارتحل الجند إلى « زبيد » واستقر المطرح « بالحمى » ، وكان ذلك خامس وعشرين(٣) شهر ربيع آخر ، ولم (يزل الكلام يدور بين « ذو حسين » والشريف) الحسن ، في استخلاص الشريف من غير

(١) القصيدة من الطويل .

(٢) الأصل : بقيوا .

(٣) الأصل و ص : وعشرون .

شيء (يثير الفتن ، وهم يمدون ذيول الكلام)[1] ، وما أينع زهر ذلك الكمام ، لمقاصدٍ (لا تخفى على عاقل ، مع الميل لمصانعة قائدهم)[1] نظرًا لعواقب الأمور ، وما علموا أنه (قد سبق في علم الله سبحانه أنه قد هبت)[1] عليه بالإدبار ريح الدبور ، فرأى الشريف (الحسن تركهم على ما هم عليه من المجاملة)[1] في الظاهر هو القياس ، ويجعل الهمّ أخذ (المدينة حتى يحصل للراجي اليأس)[1] ، فأشعر الجند بهذا المراد ، فقابلوه بالإسعاف (والإسعاد ، ولبّوا داعيه بقلوب)[1] ثابتة أقسى من الجماد .

ولما كان ليلة الثلوث (غرة جمادى الأولى تقسّم)[1] الجند ثلاثة أقسام ، ونشروا الرايات والأعلام ، وأقدموا (على « زبيد » حاملين الموت)[1] الزؤام ، فلم يمضِ لهم من بعد انفتاح القتال إلا نحو ساعة ، (حتى خرقوا)[1] السور ، واقتحموا الخندق ، وشاركوا في البلد أولئك الجماعة ، وأطلقت / من (بطون البنادق)[1] رعود ، وغنّى على غصن [ص٣٩٠] تلك الرايات طائر السعود ، فأيدهم الله سبحانه (بالمدد)[1] والنصر ، واستولوا على « زبيد » عَنْوة بالغلبة والقهر ، وكان المقدم في ذلك الخميس الشريف علي ، وخاض تلك الغمرة معهم وهو البطل الذي لم يزل قدره يرتفع ويعتلي ، وسالت « بباب سهام »[2] وتلك البقاع ، [١١٨/أ] (وما أباحتها) البنادق والسيف القطّاع ، وكان يوم على أولئك البغاة

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٢) أحد أبواب مدينة زبيد الأربعة ، وهي : باب غلافقة ، وباب سهام ، وباب الشبارق ، وباب القرتب ، وهي أبواب السور الذي بناه طغتكين بن أيوب - الحاكم الأيوبي في اليمن - حول المدينة .
انظر : ابن المجاور ، صفة بلاد اليمن ، ٧٤ .

قمطرير ، وقاسوا من الأهوال ما قاساه الجند الدمشقي ليلة «الهرير »[1] وذهب تحت تلك الأسود الضواري فوق مائة قتيل ، ولم يجئ ظهر يوم الثلوث إلا ولم يكن في أيدي البغاة غير (القلعة الكبيرة)[2] وهم في إعوال وعويل .

وأمّا الشريف الحسن ومعه جماعة من الجند (وأهل الخيل فقابلوا)[2] « ذو حسين » في المصاف ، حَذَرًا أن يحدث منهم ما يحدث ، فانجلت (المعركة)[2] ولم يبدُ منهم خلاف ، بعد أن هالهم ذلك الأمر الواقع ، وتيقنوا أن لا (قبل لهم)[2] بدفع ذلك السيل المتدافع ، ولانت منهم عريكة الإقناع ومن وُعِظ بغيره (فهو السعيد)[2] . وعلموا أنهم إن لم يسلّموا الشريف سِلمًا بددتهم تلك الليوث في فلوات (البيد)[2] ، فوصل بعضهم إلى الشريف الحسن ، ودار الحديث بينهم في استخراج الشريف بالقول (الحسن)[2] ، فما زال الكلام يبدو منهم وإليهم (يعود وهم لم يورق من حديثهم)[2] بالتسليم العود ، طمعًا في الحطام الذي يسبي عقول (الرجال ، وبه/ يبلغ الأماني ويكسر)[2] الجيش قبل القتال ، [ص٣٩١] ولما عثروا على المطلوب (من تلك الدراهم ، كانت)[2] لجرح التعصي والمنع مراهم وأيّ مراهم ، وما البذل للمال (من تلك الأسود الضراغم)[2]، خشية من موج بحر القتال المتلاطم ، كيف وهم قد جعلوا (على قلاع « زبيد »)[2] من جثث القتلى تمائم ، إنّما كون الشريف مقيمًا بين أولئك (القوم ، فرُبَّمَا مع انفتاح)[2] الحرب يحصل منهم ما يكون عاقبته الندامة واللوم ، (فالتقطوا من بينهم ذلك الجوهر)[2] النفيس بيد المال ،

(١) ليلة الهرير هي الليلة الأخيرة في القتال أثناء معركة صفين ، وهي أشد مراحل القتال في تلك المعركة التي استمرت حوالي سبعة أيام عام ٣٧ هـ .
انظر : ابن الأثير ، الكامل ١٦٠/٣ ؛ محمد أبو الفضل والبجاوي ، أيام العرب في الإسلام ، ٣٥١ .

(٢) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

وجعلوا ما أعطوهم من باب (المكافأة)(١) على صيانة ذلك الأسد الصوّال ، فخرج الشريف من عندهم يوم الثلوث ثامن جمادى الأولى كالبدر إذ تجلّى من الكسوف ، وهو بسّام الثغر بين تلك الكتيبة ، وقد عبست من الأعداء وجوه ورغم أُنوف ، وتلقاه الشريف الحسن وإخوانه وجميع الجنود ، تخفق على رؤوسهم بالمسرات البنود ، وكان يومًا مشهودًا تكرر فيه شكر الله سبحانه وهو نعم المحمود ، وأدار الأحباب فيه كأس السرور وأشرقت الأكوان بذلك الأنس والحبور .

[١١٨/ب] وأنشد لسان الحال في ذلك اليوم الأغر المحجل ، مرددًا صوته بين الجحفل :

شفت كمد الإسلام والبغي راغم ... عزائم فتك ساعدتها عزائم

ألا هكذا فليحفظ الملك حافظ ... ألا هكذا فليحزم الدين حازم(٢)

[ص٣٩٢] واستقر بعد ذلك في المخيم المنصور على حال يسر الودود / ويسوء الحساد ، (وبعثت)(٣) البشائر إلى أقطار المملكة حاضرها والباد ، وحين وصل إلينا « بأبي (عريش)(٣) » خبر هذا الفتح المبين ، حمّلت السائر إلى الشريف هذا النظم ولا أقول العقد (الثمين)(٣) :

ما غنت الورق في غصن من الشجر ... إلا تذكرت إلفًا غاب عن (نظري)(٣)

ولا شرى البرق إلا رحت أنشده ... يا ساهر البرق أيقظ راقد (السمر)(٣)

ما قلت (إذ بتُّ بالتسهيد منفردًا)(٣) ... لعل بالجزع أعوانًا على السهر

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .
(٢) البيتان من الطويل .
(٣) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(حسبي من الشوق أني لم أزل دنفًا)(١) ... والبين قد زاد في سقمي وفي فكري

(في القلب قد نزلوا من بعد بُعدهم)(١) ... لذاك أصبح قلبي دائم الشرر

(فليت عصر اللقا تبدو طوالعه)(١) ... ويجتني الصب منه يانع الثمر

(وكيف يصحو الذي ما زال مرتشفًا)(١) ... كأس الغرام ولا ينفك ذا سكر

(وما تعلق قلب بالهوى فسلا)(١) ... وليس يسلو أسير الظبي ذي الحَوَر

(ما هبّ ريح الصبا وهنًا فمر به)(١) ... إلا أذاع هواد نسمة السحر

(يكفيه من لوعة الأشجان أن له)(١) ... طرفًا سفوحًا مدى الآصال والبكر

(يا)(١) حادي العيس يبغي (سفح كاظمة)(١) ... قف الركاب لأملي ساعةً خبري

هل أنت تعلم ما في (القلب)(١) من حُرق ... وقد عدوت عليه غير مصطبر

وليس يطفي لهيب القلب غير لقا ... من وصله في زماني غاية الوطر

فاعمل مطاياك من داري لتعرف ما ... حملته من سلامٍ طيِّبٍ عطر

ومُرَّ «بالبدوي»(٢) واعزم هناك على ... ممسىً بوادٍ لعينٍ أخضر الشجر

وأبكر إلى مربع «الزهراء» منتشيًا ... بالقرب لا تخش من أين ومن ضمر/ [ص٣٩٣]

(٣) وأت «الحديدة» في ممشاك ملتمسًا ... إراحة القلب من وعثاء للسفر

وارحل سحيرًا إلى المقصود في عجل ... تأتي « زبيدًا » مناخ العز والظفر

هناك تلقى خيام القوم بادية ... زهوًا بفخرٍ على بادٍ ومحتضر

وقبلن راحة المولى الشريف لكي ... تحظى بلثم يدٍ سحّاء كالمطر

وثنِّ بالقدم العليا التي ارتفعت ... مجدًا لذاك غدت ميمونة الأثر

وانشر ودائع تسليمي بنادية ... في اللطف تسلب للألباب والفكر

تحيةً بوادٍ نشرها عَطِرٌ ... تفوق في حسنها للتبر والدرر

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .
(٢) قرية على عدوة وادي خلب غربي قرية مختارة . انظر : العقيلي ، المعجم الجغرافي ، ٧٥ .
(٣) من هنا حتى نهاية القوس في ص (٤٤٤) مفقود في الأصل ، وأثبتناه من ص .

تزري بروضٍ نضير في نضارتها … صفت كقلب من أهوى[1] من الكدر

وهنّه جهـرة بالفتح واتل بها … لسورة « النصر » في آي من السور

فهذه نعمـــة لا نستطيع لها … شكرًا ولو مدّ أعمارًا إلى العمر

والأنبياء لهم هـذا المقام غدًا … ومن على نهجهم يمشي على أثر

إن ابن « متّى »[2] غدًا فيه يشاكله … ونعم ذا أسـوة تجري لمدّكر

فيا لها محنـة تدعى بمنحتها … طابت مـَعَ غسلِ أوزارٍ لمعتبر

جرت على يد من غُذي بنعمته … وكان منه محلَّ السمع والبصر

قد كان قدمًا طريدًا عن عشيرته … حتى أتى نحوه يسعى على قدر

فعمّه بجزيل الفضـل مصطنعاً … فيه المكارم فعـل السادة الغرر

[ص٣٩٤] أعان بالنفس في إبلاغ مقصده … وبالنفائس في سر وفي جهر /

/ حتى رقى رتبة في الملك عالية … بسفح «صنعا» على رغم من البشر

من بعد ذا خان للعهد الأكيد ولم … يرع الذمام وهذا شأن كل جري

جازى بإحسانه فعل القبيح وذا … لذي أولي العقل ذنب غير مغتفر

ظن الذي صار فعل الغدر شيمته … أن سوف يأمن صرف الدهر من غيَرِ

فلجَّ فـي بغيه يسعى لمطلبه … فخانه فـي المساعي وارد القدر

(١) ص : أهواها .

(٢) يونس بن متّى عليه السلام ، ويتصل نسبه ببنيامين أحد أولاد يعقوب عليه السلام ، وهو أخو يوسف الشقيق ، والمؤلف هنا يشير إلى محنة الشريف في الأسر مشبهًا لها بابتلاء الله سبحانه وتعالى ليونس بن متى ، وهذا من مبالغة المؤلف في حبه للشريف الحسين وإلا فيونس - عليه السلام - نبي ابتلاه الله لغضبه على قومه ، وعدم صبره في الدعوة ، والشريف طالب ملك دنيوي .
للمزيد من المعلومات عن يونس عليه السلام ، انظر : الصابوني ، النبوة والأنبياء ، ٣٠٢ ، ابن كثير ، قصص الأنبياء ١/٣٨٢ .

والمكرُ ما حيقـه إلا بصاحبه … وإن تطاول عقباه إلى الخسر

لو شاهدت عينه يومي «زبيد» وقد … حامت على قومه خفّاقة النُّسر

ظلت « بباب سهامٍ » من دمائهم … دوافقٌ منه فوق الأرض كالنهر

قد صار أبطال يام يعبثون بهم … حتى كأنهم نوع من الخُزَز[1]

(وأضعف الرعب أيديهم فطعنهم … بالسمهرية مثل الوخز بالإبر)[2]

لقوا مساعير حرب ليس يعطفهم … عما يرومون وقع الصارم الذكر

لظلّ يرعد من خوف ومن فرق … لكنـه فرّ لما سيم بالذعر

ولم ينل غير فعل الغدر منقبة … مَعْ مَخازٍ حواها كل مستطر

وبعد تهنئـة فانشر مناقبه … فإنه قد رقى شأوًا على القمر

فهو الشريف مبيد المعتدين ومن … يروي بيوم اللقا للسمر والبتر

ما للحسين نظير في بسالته … فكم دم للعدا من كفه هدر

إذا اعتلى صهوات الخيل يوم وغى … أردى القرين وألقاه إلى الحفر

يهاب سطوته أسد العرين لذا … يظل يزأر من خوف ومن حذر / [ص٣٩٥]

فلا تقسه بعمرو[3] في شجاعته … فذاك يقصر في ورد وفي صدر

سجية من أمير المؤمنين غدت … إرثا له قد حواها وهو في الصغر

كريم كف فلاتلقـى مُماثلَه … فحاتم[4] الجود أضحى غير محتقر

يبديك بالتبـر آلافًا ويتبعه … بالعذر جودًا بلا مَنٍّ ولا كدر

(١) الخُزَز : ذكر الأرانب وولدها . انظر : المعجم الوسيط ١/٢٣١ .

(٢) هذا البيت للمعري ، وقد ضمنه عاكش قصيدته هذه .

(٣) لعل المؤلف يقصد عمرو بن معدي كرب أو عمرو بن العاص ، وكلاهما من شجعان العرب في الجاهليّة والإسلام .

(٤) حاتم بن عبدالله بن سعد الطائي ، جاهلي يضرب به المثل في الجود (ت/ ٤٦ ق هـ) .
انظر : الزركلي ، الأعلام ٢/١٥١ .

حليم طبع فلا اللأوا تنهنهه … ولا يطيش لدى السَّرّا مع البشر

يعفو مع قدرةٍ حسنًا ومكرمة … فلم يُقس بابن قيس[1] عند ذي النظر

له التواضع خلق وهو مرتفع … وكم تواضع أقوام على غرر

أخلاقه كنسيم الصبح رقتها … على الموالي والأعداء كالشرر

أقام للعدل أركانًا وشيَّده … من غير حيفٍ ولا جور ولا قصر

وساس للملك بالرأي السديد فلا … يقال فيه بإيهام ولا خور

وهلَّ[2] في اليمن الميمون طالعه … فصان حزب التقى والعلم من غِيَرَ

وأصبح الناس في أمن وفي دعة … قد عمّهم بلباس العدل من ضرر

أحيا لنا سير الماضين من ذكروا … من آل بيت رسول الله ذي النذر

جمال ذي الأرض كانوا في الحياة وهم … بعد الممات جمال الكتب والسير

وقد تحقق بالوصف الذي اتصفوا … وصار حقًّا عظيم القدر والخطر

غنت بإطرائه الركبان قاطبة … في سائر الأرض من بدو ومن حضر

[ص٣٩٦] جلّت مناقبه العلياء عن عدد … وكيف يمكن عدّ الأنجم الزهر/

ومن أراد لها حصرًا تخون له … قوافي الشعر في يشط ومختصر

فالله يبقيه ركنًا للعلا أبدًا … مسلمًا فائزًا بالنصر والظفر

يحفه الدهر بالإسعاد مقتبلاً … له الوقاية حرز من أذى الغير

وهاكها من بسيط الشعر وافدة … تزهو بمدحكَ في بُردٍ من الحِبر

نضدتها سلك علياك الذي انتظمت … فيه الفخار بلا شك ولا نكر

ترجو القبول قرىً منكم وتطلبه … فأنت للضعف فيها خير مغتفر

(١) الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين ، سيد تميم ، يضرب به المثل في الحلم (ت/٧٢ هـ) . انظر : موسى ، تهذيب سير أعلام النبلاء ١/٣٣٧ .

(٢) ص : وقل .

ثُمَّ السلام عليكم ما همى مطر … يغشاك في كل وقت غير منحصر

بعد الصلاة على المختار سيدنا … محمد المصطفى المبعوث من مضر

والآل والصحب ما غنت مطوّقة … تشجي اللبيب على غصن من الشجر[1]

ولما استولى على مدينة « زبيد » العساكر المنصورة . واجتاز من كان في قلاع « زبيد » وأبوابه إلى القلعة الكبيرة ، وكان بين عسكر القلعة حسين بن المتوكل[2] ، وعنده الأشراف حسبما ذكرناه سابقًا ، وأقام الشريف علي بن محمد الحرب بالمدفع عليهم على ساق . ولقوا من ذلك أنواع الضيق والمشاق ، ولم يزالوا يصرخون بطلب الأمان . ويمنع الشريف الحسن عن بذل ذلك إلا بشروط عليهم فيها غاية الهوان ، وسيأتي ما آل إليه الأمر من المدّ في القتال والقصر . ومما / قاله بعض أدباء اليمن [ص٣٩٧] مثنيًا على مساعي الشريف علي بن محمد وأخيه الشريف الحسن بن محمد ، ولله درهما :

بالجد يدرك أقصى غاية الأمل … فمن يروم المعالي فليكن كعَلِي

فتى سعى للمعالي سعي مجتهد … حتى رقى رتبة تسمو على زحل

سمت به همم عز النظير لها … لأن أصغرها في القدر كالجبل

دعا فلباه أهل الشرق قاطبة … وأسرع الكل من حافٍ ومنتعل

فضاق صدر الفضا بالجند وامتلأت … قلوب أعدائهم بالرعب والفشل

(١) القصيدة من البسيط .

(٢) حسين بن المتوكل أحمد بن المنصور ، كان مع المتوكل محمد بن يحيى في حملته على تهامة اليمن ثُمَّ عينه بعد الانسحاب عاملاً على « يريم » ، دعا لنفسه بالإمامة في « رخمة » ولقب نفسه بالهادي ، دخل في صراع مع محمد بن يحيى انتهى باستسلامه على أن لا يمس بأذى واشترط أن يسمح له بالإقامة في دار الحجر بوادي ظهر .
انظر : العمري ، مائة عام من تاريخ اليمن ، ٣٣١ .

من كل ندب إلى الهيجاء منتدب ... لديه طعم الردى أحلى من العسل
تقدمتهم أسود الغاب تحملها ... قتب الجياد فتمشي مشية الثمل
تختال من مرح بين الصفوف بهم ... عوابس هن والفرسان في جذل
وكل طرف يفوت الطرف من سبق ... وكل قرم ذكي باسل بطل
هم آل حيدر لا تخفى وقائعهم ... إن كنت تجهل أفعالاً لهم فسل
قد دوّخوا الأرض وانقادت لهم وجبت ... أهل الحجاز وأهل السهل والجبل
تهنَّ واسطة العقد الثمين ويا ... أبا العماد بنصر الله خير ولي
لك السياسة قد ألقت مقالدها ... كذا السعادة في حل ومرتحل
الملك نادى بأعلى الصوت يا حسن ... وقد غدا في يد الباغين والسفل
[ص٣٩٨] أجبته ناصرًا لله محتسبًا ... بلا توان ولا مطل ولا كسل /
مزقت شمل العدا من بعد جمعهم ... فشملهم بعد هذا غير مشتمل
فكم قتلت وكم مَن مات مِن جبن ... وكم أسرت وكم أطلقت من رجل
وبالسماع بِكُم كَمْ فرّ من بطل ... وما أحس بوقع البيض والأسل
وخير ما منَّ مولاك الكريم به ... خروج عمك ذاك الصالح العمل
هو الشريف الذي ما أن يقاس به ... وفضله مشرق كالشمس في الحمل(١)
[١١٩/أ] /إن اعتلى وانقضى في الحرب صارمه ... فظل من بأسه الأبطال في وجل
ولا تخاف الردى والسحب قد طلعت ... من البنادق مثل العارض الهطل
أبقاكم الله في خير وفي دعة ... وفي نعيم وفي أمن من الزلل
بجاه طه عزيز القدر أحمد من ... قد خصَّه الله بالتفضيل في الأزل
صلى الإله عليه دائمًا أبدًا ... والآل والصحب عدّ المدح والغزل(٢)

(١) من بداية القوس ص (٤٣٩) إلى هنا مفقود في الأصل ، وأثبتناه من ص .
(٢) القصيدة من البسيط .

وفي أثناء انشغال أولئك القوم بتلك الأمور المرة المذاق ، بدا للأمير عائض نسخ حديث الوفاق ، مع علمه بفراغ هذه الجهة من العساكر ، فأراد أن يغتنم الفرصة في الموارد والمصادر ، فانفصل من بلاده يوم الجمعة ، رابع شهر جمادى الأولى ، بزي عجيب وجموع متكاثرة ، وكان (أهل « صبيا » ومخلاف)(١) « بيش » ، قد استفزهم بالميل إلى الأمير عائض الطيش ، فلم يزالوا يحثونه (على الوصول إلى هذه الجهات)(١) ، ويلقون إليه أحاديث مفتراة ، فيُصغي إلى تلك المقالات . (وعنده جماعة / من الأشراف كفروا)(١) نعمة الشريف ، وعجزوا عن [ص٣٩٩] مكافأة إحسانه فسعوا فيما يوجب (لهم الملام والتعنيف . وظن عائض)(١) أن الشريف بما وقع عليه أنه في حكم الميؤوس ، أو أنه قد لحق بالملك (القدوس ، فأقبل تتعادى)(١) به خيول الآمال ، عازمًا أنه لا يثنيه عما يروم عذل العذال ، وقد (كان إحياء شريج « مسلية »)(١) وعمارة القلعة فيها لأسباب الفتنة مبادئ ، ولكن حالت بين (الشريف وبين الالتفات)(١) إلى ذلك الخطوب العوادي ، وكان في « المدينة العريشية » الشريف حيدر والشيخ حسين(٢) ، وهما في هذه الجهات للشريف العين ، ومن العجائب أن الرتبة التي (بقلعة)(٣) « صبيا » خالطهم العيب ، فتعللوا بطلب حقوقهم دفعًا للشك فيهم والريب ، وأهل « صبيا » يمنّونهم ببذل الحقوق ، ليتخلوا من القلعة ، وهذا أول العقوق ، فوقع التمالي بين من ذكرنا والشريف حمود ، أن يبذل لهم ما هو بغيتهم من الدراهم والمقصود ، فتولى تسليم ذلك الشريف حمود بن علي ، فخرجوا من القلعة ، وعوِّض كل واحد منهم عن الذم غير خلي ، وخلفهم إلى القلعة رتبة من « سحار »

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .
(٢) الشيخ حسين بن علي مجلي .
(٣) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

مقدمهم رجل اسمه غالب ، ووصل بعد استقرارهم في القلعة الشريف
[ص٤٠٠] [١١٩/ب] حمود ، ورجع إلى « أبي عريش » / بعد ترتيب الأحوال ، وبذل
ما يحتاج إليه الرتبة إن دهمهم ما يكدر البال ، ومع استقرار الأمير عائض
« بمسلية » انفصل الشريف حيدر من « أبي عريش » ، بعد أن وصله من
الشريف الحسن والمكارمة ما به يكون الموافقة على ما يسكن التربيش ،
واشترك هو والشيخ حسين بن علي مجلي في التشاور فيما به يكون دفع
هذا الرجل (العايب)[1] ، وتوخوا ما فيه من الصلاح والحاضر يرى ما لا
يرى الغايب ، ومع وصول الشريف حيدر إليه بَدَرَه بالخطاب ، فبعَّد
وقرَّب ، وكثر بينهم المبادئ والجواب .

فبينما هم في تلك الأحاديث يخوضون ، فاجأهم خبر خروج
الشريف فتقطعت الظنون ، وظهر ما هو في الضمير مكنون ، (وأفصح
الأمير عائض)[1] أنه ما كان يظن أن الشريف في عالم الوجود ، ولانت
(منه العبارة وجنح إلى ما هو الغاية)[1] من نزوله والمقصود ، وتَمّ الصلح
على تسليم (قلعة « صبيا » إليه والمخلاف ، وأنه يكون)[1] به التوافق
والائتلاف ، وشرط عليه أنها (قائمة عن تسليم بعض ما هو في
البلاد)[1] معتاد ، فرضي بذلك لكنه يصرّح بأنه لا يثنيه عن (الوصول
[ص٤٠١] إلى اليمن راد ، وعند وصوله)[1] إلى « صبيا » جعل الشريف /
الحسن[2] بن أحمد بن حمود عاملاً (على « صبيا » والمخلاف ؛ لأنه كان
قد)[3] وصل إليه مستنجداً به لوحشة حصلت بينه (وبين بعض
الأشراف ، فقضت له)[3] تلك العمالة بعض المآرب ، وجنح إلى الميل

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .
(٢) ص : الحسين .
(٣) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

عن ما هو بصدده ((إذ لم يساعد على تلك المطالب ، وهذا الحسن هو
ممن أحيا مآثر أبيه وحده ، وصار في الكلام نسيج وحده ، له نفس تواقه إلى
معالي الأمور ، برجاحة عقل وحسن سياسة للجمهور ، مع شجاعة تقدمه على
أبناء دهره ، وبسالة قضت له أنه فريد عصره ، فأمر في « صبيا » ومخلافها
ونهى ، وبلغ في حسن سياسة الرعايا المنتهى ، وحال رقمه وهو الغرة الشادخة
في بني أبيه ، والعين الناظرة في ذويه ، مع طيب أخلاق ، والتفات إلى العلم
والأدب ، ومحبة أهله ، ومتاحفةٍ للرفاق ، متع الله بحياته)) .

(وارتحل بعد ذلك عائض)[1] ، ونزل بأعلى وادي « ضمد » ،
ووصله الشريف حيدر بن علي (إلى هناك وفاوضه في ترك)[1] العزم
على ذلك المقصد ، وبعد اللتيا والتي رضي بالتأخير (عن الوصول إلى
اليمن)[1] ، وفي الحقيقة ((إنَّما ترك)) حذراً أن تنفتح عليه من أولئك
القوم (الفتن ، وضربوا على ذلك الكلام)[1] القواعد ، ورغم بالصلح أنف
كل باغض وحاسد ، وتوجه إلى طرف بلاد « سفيان »[2] مساعدة للشريف
حيدر ، وبعث في أثناء / إقامته هناك سرية إلى « بني الحرث » قضت [ص٤٠٢]
بعض الوطر ، ووصله مراسيله الذين بعثهم إلى الشريف بالإسعاد لما
صنعه الشريف حيدر من الصلح ، واندمل من الخلاف والشقاق الجرح ،
ورجع قافلاً إلى بلاده ، وقد بلغ مِمَّا يؤمله غاية مراده ، وسكنت من
[١٢٠/أ] الفتنة هذه الجهات ، ووقع الأسف مع أهل الأغراض على تمام
الصلح ؛ لأنهم لم يقفوا على غير الحركات ، وأمَّا محمد بن يحيى

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .
(٢) بنو سفيان : من قبائل الجبال التابعين لمركز العارضة بمنطقة جازان ، يحدهم شرقًا بلاد آل تخيف وبنو درعان والعبادل ، وشمالاً جابر وبنو حريص ، وجنوبًا المسارحة والعبادل ، وغربًا المسارحة .
انظر : العقيلي ، المخلاف السليماني ١/٧٧ ؛ المعجم الجغرافي ، ٢١٨ .

فالحاصل على « زبيد » وهو مستقر (في) « المخا » ، فلما بلغه الأمر أحجم عن الوصول ، وبان له أن نجم مملكته لتهامة في أفول ، (وبقي)[١] فيه أيامًا يضرب الأخماس بالأسداس ، ثُمَّ ترجح له المسير إلى « حيس » وقد صار هو وأصحابه في غاية الإبلاس ، فأقام هناك والحيرة والدهشة مستوليان عليه ، يتوقع صباحًا وعشيّاً وصول القوم إليه ، لكنهم عنه في اشتغال باستخلاص القلعة من أيدي أولئك الأجناد ، ولم يزل الحرب ثائرًا على أهل القلعة كلّ آن ، حتى رقّت عليهم قلوب أولئك الأسود الضارية وبذلوا لهم الأمان ، وكان الإباء والمنع عن بذل الأمان لهم هذه المدة من الشريف الحسن بن محمد ؛ لأنه يرى أن ذنبهم غير مغتفر ، لكنه لطيب [ص٤٠٣] نجاره / سمح تكرمًا وبالعفو أسعد ، ومِمَّا يدونه (من الحكمة أهل السلوك)[١] أن العفو أبقى للملك من الملوك ، وأطلق لهم مراهينهم (وخرج من عندهم من الأشراف)[١] وحفيت منهم القلعة ، وتوجهوا إلى الجبال ، (وكان ذلك منتهى خبرهم وقطع)[١] دابرهم - إن شاء الله تعالى - من هذا الخلاف ، واستصبحوا (عامل « بيت الفقيه » وأصحابه معهم) في ذلك السفر ، وأصبحوا بين الناس بعد ذلك التطاول (حديث سمر .

ولما بلغ مسامع)[١] محمد بن يحيى هذا الخبر ارتحل من « حيس » ولم يبق له عين ولا (أثر ، واكتسب سوء الأحدوثة)[١] بذلك البغي بين الورى ما تعاقب الشمس والقمر ، وعادت (البلاد إلى حماتها الأشراف)[١] الأمجاد ، وأشاد لهم هذا الصنع الفخر البالغ في الأغوار (والأنجاد)[١] ، وتليت أحاديث وقائعهم بحسن الثناء على لسان كل حاضر وباد[٢] ،

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٢) انظر : تفاصيل هذا الصراع في : العمري ، مائة عام من تاريخ اليمن ، ٣٢٠ - ٣٣٠ : الكبسي ، اللطائف السنية ، مخطوط ، ورقة ١٤٣ ، ١٤٤ .

ولما رفع إلى الشريف الحسن بن محمد هذا الحديث المسلسل بالفخر والمجد ، في مرقوم سطوره منها السرور يتجدد ، وذلك بعد أن استقر في بستان « زبيد » ، بعثت إليه هذا الشعر المرتجل ولا أقول انعقد الفريد :

تذكرني ذات الملاحة والدَّل ... عهودًا مضت بالرقمتين وبالرمل / [ص٤٠٤]

وتنشر مطوي الأحاديث بيننا ... على بعدها ما كان في زمن الوصل

/ وتمزج لي كأس الصبابة مترعًا ... بعذلٍ ولكن تهت سكرًا مع العذل [١٢٠/ب]

وقد ساقطت من درٍّ لفظ عتابها ... معاني لن[١] تملى على عاشق قبلي

يفوح لنا من نطقها أطيب الشذا ... وبين اللمى ما جاء في سورة النحل

وترنو بطـرف بابلي إشارة ... بأن شفاء الصبِّ في الأعين النجل

ومرت على روض «العذيب»[٢] عشية ... فأورق ذاوي الروض من ردنها الخضل

وهبت على آثارها نسمة الصبا ... لذاك غدت أنفاسها للشجي تسلي

غنت عن حُليٍّ إذ تحلت بحسنها ... فلم تعن بالخلخال والقلب والحجل

تثنَّت وقد مالت لقصد التفاتة ... فأخجلت الأغصان بالميل والشكل

أعادت لمضناها (زمان شبابه)[٣] ... فباع وقار الشيب في الحب بالجهل

لذاك غدا (ماء السما طرف عينه)[٣] ... وأمَّا حجاه فهو قد صار من ذهل

(على أنه مذ فارق الربع لم يزل)[٣] ... بأهليه بعد البين متصل الحبل

(سميرًا لنجم الأفق في طول ليله)[٣] ... ينوح اشتياقًا بين رامة والأثل

(١) هكذا في الأصل وص ، ولو كانت « لم » لكان أفضل .

(٢) العذيب : ماء بين القادسية والمغنية ، يبعد عن القادسية أربعة أميال ، وقيل : وادٍ لبني تميم ، وقيل : هو حد السواد في العراق ، وهو أيضًا موضع في وادي زبيد من تهامة . انظر : معجم البلدان ٩٢/٤ ؛ المقحفي ، مرجع سبق ذكره ، ٢٨١ .

(٣) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(وذات جناح فوق أغصان بانة)[1] … شجت بغناها كلَّ ذي لوعة مثلي

(ولكنني أودعتها لاعج الهوى)[1] … فمن لحنها عما أترجمه تملي

(وحين شرى برق اللوى طار لبّه)[1] … وعاد فلم أملك فؤادي ولا عقلي

(وما ذاك إلا أنَّ لمع وميضه)[1] … أراد يحاكي سيف منقطع المثل

[ص٤٠٥] (فهمَّت به سكرًا لمن صار ضاربًا)[1] … به هام أهل البغي من غير لا مهل/

هو الحسن (الراقي لأعلى مكانة)[1] … فليس له غير المكارم من شغل

شريف رقى الشأو (العليَّ وقد سما)[1] … على رغم أهل الحسد بالمجد والفضل

إذا نازل الأقران أردى عدوّه … وجرّعه كأس المنية بالنصل

حوى من عليٍّ جدّه لشجاعةٍ … غريزيةٍ[2] غنى بها سابق الأزل

هو الثابت الجأش الكمي إذ تبلّدت … عقول ذوي الأخطار في الموقف الحفل

[١٢١/أ] / كفاه علا يوم «الحديدة» إذ سرت … على الناس من خوف العدا علة الذلِّ

فقام بأعباء الأمور ولم يُبل … بجمع أُهيل البغي والنكث والغلِّ

وساس أمور الملك سرًا وجهرة … وفاز بحسن الذكر في ذلك الفعل

وأربعة من أشهر قد تكاملت … له وهو في أمر يُطيّش للعقل

وما راعه ما راع والناس واحد … كألف وفيه قد أتى محكم النقل

ولولاه أضحى الناس تحت عصابة … يسومونهم سوء العذاب على ذلِّ

وصارت قصور الملك منهم خليَّة … ولكنه قد قام بالعقد والحلِّ

وشدّ له الخلاّق عضدًا بصنوه … فسار إلى (يام الجحاجحة النبل)[3]

علي أخي الهيجاء في موقف الوغى … (ومن لهموم النفس من غرمها يجلي)[3]

فجاء بجيش مستطيل عجاجه … (فدلَّ بأن الليث يثمر بالشبل)[3]

(١) بياض في الأصل، وأثبتناها من ص.
(٢) الأصل و ص : غرزية.
(٣) بياض في الأصل، وأثبتناها من ص.

ولما دنوا منه بدا من « حديدة » … (كليث الشرى مستعمل الجد لا الهزل)[1]

وساروا إلى مغنى « زبيد » وإنهم … (تباهى بهم ماضي الضرائب والأسل)[1]/ [ص٤٠٦]

يقود لهاتيك الجحافل سعده … يلوح (وقد أضحى هو المفرد الكلي)[1]

فصال على أهل العتو بحدّه … وأروى (سيوف الهند بالعلِّ والنهل)[1]

تجاذب ذاك الجمع أبطال جنده … فصار بوقع (السيف مفترق الشمل)[1]

وسالت على أرض «الحصيب»[2] دماؤهم … فيا لنجيع (من دما القوم منهل)[3]

فذلوا وقد نالوا السلامة مغنمًا … على قدرة (والعفو شأن أولي الفضل)[3]

وأخرج من بين العدا حاوي العلا … إمام الهدى (من فاق بالفخر والبذل)[3]

وجلّوا لعارٍ بعد أخذٍ لثأرهم … وغنت طيور السعد في الحزن والسهل

ولما درى ذاك الطريد بما جرى … نجا هاربًا والفر يحسن بالنذل

به اليمن الميمون أصبح عائدًا … إلى ملكهم بعد التنافر والغلِّ

فهل بعد هذا مفخر لمفاخر … فبالله إن أنصفت هل مثله قل لي؟

/ فتى لو سألنا الدهر يأتي بمثله … لقال : دعوا هذا فلن تجهلوا نجلي [١٢١/ب]

له الكرم الهامي فمن ذا يقيسه … بحاتم قد أخطا وما الطلُّ كالوبل

إذا أخلفت غرُّ السحائب للورى … غدا بالسخا وهو الربيع من المحل

لقد حاز أخلاق النبوة يافعًا … ولا غرو إن الفرع من ذلك الأصل

تحلى بوصف المجد عصر شبابه … وفاق لأرباب الرجاحة والعقل

حليم فلا داعي الهوى يستفزه … ويعرض عن قول السفاهة والجهل

(١) بياض في الأصل، وأثبتناها من ص.
(٢) اسم من أسماء مدينة « زبيد »، كانت تسمى به نسبة إلى الحصيب بن عبد شمس بن وائل. انظر: المقحفي، مرجع سبق ذكره، ١٩٠؛ ابن المجاور، مرجع سبق ذكره، ٨٢.
(٣) بياض في الأصل، وأثبتناها من ص.

بأيامه الغـــرا تفيأت الورى ... ظلالاً من الإحسان بورك من ظلِّ
[ص٤٠٧] رعى للرعايا في جميع أمورهم ... وقفّى بهم في نهج خاتمة الرسل /
أقام لهم حسن (التناصف بينهم)(١) ... بلطف ولم يسلك سبيلاً سوى العدل
به (الناس أضحوا في أمان ونعمة)(١) ... فليس يخاف السفر من قاطع السبل
(ففاز بحمد الناس في هذه الدنا)(١) ... ونال لأجر الله في موقف الفصل
(تملى لعرفان ونال مناقبًا)(١) ... يقصِّر عن تعدادها كل من يملي
(له الأدب الغض الذي)(١) زان مجده ... كما افتر ثغر الروض عن لؤلؤ الطلِّ
(تنزه عن فعل القبيح نزاهة)(١) ... وقام بحق الله في الفرض والنفل
(فصفه بأنواع المديح ولا)(١) تخف ... مجاوزةً للحد في فضله الجزل
ومن رام يحكي (مجده قال)(١) دهرُه : ... وما كَحَلُ الأجفان يا قوم كالكُحْل
ويهناك هذا الفتح يا زين عصره ... فهذا هو النصر العزيز الذي يعلي
وليس يُؤدَّى شكره بعبارة ... من الحمد في بَسْطٍ من المنطق الحفل
فأوزعنا الرحمن شكرًا لنعمةٍ ... وحصننا من كل شيء لها يُبلي
ومني سلام الله يغشى رحابكم ... منوعة كالمسك والعطر والفلِّ
ودُم ساحبًا ذيلاً من النِّعَم التي ... حُبيت بها يا كامل الفرع والأصل
ودونك نظمًا قد حوى طيب مدحكم ... وقصّر عن أوصاف هندٍ وعن جُمل
[١٢٢/أ] / فكن ساترًا ما فيه من ضعف لفظه ... فمثلك يا مولاي يغضي عن الخلِّ
وإني بتقصيري مقر ولم أكن ... بلغت معاني ابن النبيه ولا الحلِّي
وصلِّ على المختار والآل دائمًا ... كذا صحبه أهل المكارم والفضل(٢)

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .
(٢) القصيدة من الطويل .

/ وهذا الشريف الحسن واسطة العقد من الأشراف في أبناء [ص٤٠٨] الزمن ، صاحب الهمة التي هي أمضى من الصارم ، والعزيمة التي تسجد لها خاضعة العزائم ، والسطوة التي راعت في آجامها الآساد ، وخلعت قلوب الأعداء من الروع وفتتت (منهم)(١) الأكباد ، مدبّر الممالك ، زين الأسرّة والأرائك ، من صار عضد الملك وأي عاضد ، وسيفًا مسلولاً على أعداء الله أكرمْ به من بطل شهم ماجد ، شجاك الحاسد والمعاند ، الحاوي من المناقب ما يشيّد بين (الأنام ذكره ، ومن المفاخر ما علا)(١) على دراري النجوم قدر آبائه وقدره ، أمَّا النسب (فقد عرفته وهل من جده المصطفى له)(١) من مناسب ، وأمَّا الشجاعة فلعمري إنه لأحد (الوارثين ذلك الوصف من أبيه علي بن)(١) أبي طالب .

مولده في شهر محرم سنة سبعة (وثلاثين بعد المائتين والألف « بأبي عريش »)(١) وقد طلع بدره في برج عمالة « اللحية » بعد (استيلاء الشريف عليها ، ومشى على النهج)(١) السوي مدة إقامته بها ، وانتقل في فلك إمارة (« زبيد » ، وطلع عليها في وقت)(١) سعيد ، واستقر هناك لولاية تلك البلاد والإصدار (فيها والإيراد ، وصار)(١) مسعود الحركات في الأفعال والأقوال (والأحوال ، ولم يصل إلى تلك البلاد)(١) إلا وهي ظامئة الأكباد لوروده إليها / ومحتاجة (إلى إمارته فطلع فيها بدرًا)(١) [ص٤٠٩] زاهرًا ، وينع فيها غصنًا ناضرًا ، وأحيا هناك معالم المفاخر ، وأنعش فيها كرام المآثر ، وجاد حتى تميزت ماهية الجود ، كما يتميز المعرّف بالرسوم والحدود :

وكذا الكريم إذا أقام ببلدة ... سال النضار بها وقام الماء(٢)

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .
(٢) البيت من الكامل ، والقائل المتنبي ، انظر : الديوان ١٩/١ .

وقد هيأ الله على يديه فتح اليمن ((الميمون)) بعد أن كادت تغلق بأيدي البغاة تلك الحصون ، كما وصفنا ذلك في طي هذا التسيير ، ونشرنا من محاسنه ما يزري [١٢٢/ب] بنشر العبير .

وله ميل إلى علم الأدب ، كم نفث بما هو أحلى من الضَّرَب(١) ، ولم يزل يعاطي بكؤوسه الرفاق ، ويجرى معهم في حلبة هذا السباق ، مع أنه إنَّما نقش به صفحات مجده الأثيل ، وحشى به برد عزه المستطيل ، وإنَّما بذلك يعرف أنه حوى أنواع الكمال ، وحاز كل فضيلة غريزية أو كسبية يتصف بها الرجال ، فمما قاله في اقتطاف يانع زهر النسيب والغزل هذه الأبيات التي يعرف بها أن كلام الملوك ملوك الكلام عند من ذاق وعقل :

روح العميد الذائب الولهان ... بين « العذيب » وبانَتَي « نعمان »
أمَّا « العذيب » ففيه غاية مطلبي ... وكذاك « نعمان » الذي أشجاني
[ص٤١٠] فإذا هما اجتمعا لنفس (مرة)(٢) ... بلغا من العلياء كلَّ مكان /
يا (ساكني سفح «العقيق» ترفقًا)(٢) ... فالعنف شرُّ خلائق الإنسان
ما (هكذا شأن الأحبة إن نأوا)(٢) ... تركوا معاهدهم على الأوطان
(تالله أحسب أن منعرج اللوى)(٢) ... مأوى الحسان ومرتع الغزلان
(فإذا المها لم يلتفتن لحسنه)(٢) ... ولبسن عنه ملابس السلوان
(فغدوت من ولهي أقول)(٢) معاتبا ... يا دهر هل أبقيت لي من ثاني
(هيهات ما ردّ الخؤون)(٢) وديعة ... فاصبر وشبِّب باللوى والبانِ
فبذكرها (طربي وسؤلي من بها)(٢) ... سكنوا فيا لله من سكان

(١) الضَّرَب : العسل الأبيض الغليظ . انظر : المعجم الوسيط ٥٣٩/١ .
(٢) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

يا عاذلي إن (كنت)(١) تجهل بالهوى ... فانظر لفاتر طرفه النعسان
وانظر لجسم محبه ونحوله ... يغنيك عن ذكر الفتى الفتان
وإليك عني يا عذول فإنني ... وأبيك لا أصغي (لمن يلحاني)(١)
ما بين عنّاب الخدود ودره ... ماء الحياة لوارد ٍ ظمآن
لم أنس إذ نادمته في سحرة ... وغدا يشنف بالغنى آذاني
لله بيضاء الترائب غادة ... قد خيمت في عقر جوف العاني
/ وغدا لها ربع وإن بَعُد اللقا ... فتراه لا يخلو من الخفقان [١٢٣/أ]
وإذا رماني الدهر عن وصلي إلى ... سفح « العذيب » بعارض ودهاني
ما قلت من جزع ولا وله ٍ له ... يا دهر ألجأني الذي ألجاني
وإذا اعتراني من زماني حادث ... أو عاقني(٢) لم أرعَ من حدثان / [ص٤١١]
لا غرو إن هانت بناة زماني ... عندي فحول من ذرا عجلان
ذي سطوة تذر الأكابر خضعًا ... وتذل كل غضنفر مطعان(٣)

وقد بنى قلعة رفيعة البنيان في وطنه « أبي عريش » سمّاها « الشامخ » ، كانت عصابة على إكليل مجده الباذخ ، مبتدأ عمارتها يوم عشرين من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وستين بعد المائتين والألف .

أحكم بعقله منها الأركان ، ورتبها في حسن البناء على شكل لا يخطر ببال إنسان ، فهي غرة في جبين هذا (الدهر)(٤) الأخير ، ومنقبة اختص بها « أبو عريش » فزها بها زهو العروس بالديباج (النظير)(٤) .

((وفيها أراد أهل قرية « ضمد » من الأشراف الحوازمة وغيرهم عمارة

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .
(٢) غير واضحة في الأصل والتعديل من ص .
(٣) القصيدة من الكامل .
(٤) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

معقم[١] الأرض المسماة « بلد الشام » ، واقتضى الحال أن وقعت منافرة بينهم وبين بعض أهل « الشقيري » في صدر العقم ، فجمع بعض الحوازمة بفرسه بعض الفقهاء « آل النعمان » ، وكان ذلك فاتحة الشر ، ومشى أعيان « ضمد » من الأشراف الحوازمة وغيرهم في طيابة النفوس ، وما أجدى ذلك لما قد حصل في النفوس من الوحشة ، فأعقب ذلك (الترامي)[٢] بالبنادق ، وزهقت أرواح في ذلك اليوم ، ودامت الفتنة قريب سنتين ، وانتهكت فيها المحارم ، واجترح بسبب ذلك ، (مآثم ، وقتل بسبب ذلك من الجانبين نحو العشرين ، منهم)[٢] الشريف [ص٤١٢] أحمد بن محمد بن خالد ، وكان من شجعان / عشيرته ، ورئيس أهل بلدته ، والكلام في مثل هذه الدماء المسفوكة على هذا الوجه يطول بين أهل العلم ، والمجمع القيامة ، وعند الله مرجع الظلامة)) .

(**وفيها توفي شيخنا**)[٢] محمد بن علي العمراني[٣] ، هو خاتمة أهل التحقيق ، والفائق لأقرانه في (أصناف التدقيق ، نشأ « بصنعاء » المحروسة)[٤] مولده كما أخبرني سنة أربع[٥] وتسعين ومائة وألف ، (واشتغل بعد بلوغه سن الطلب)[٦] بالقراءة على مشايخ وقته ؛ كالسيد العلامة حسن بن يحيى الكبسي[١] وغيره ، (ولازم شيخنا البدر

(١) هكذا في الأصل و ص ، والصواب : عقم .
(٢) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .
(٣) انظر أيضًا ترجمته المفصلة في حدائق الزهر للمؤلف ، ١٠٣ - ١١٦ ؛ وفي عقود الدرر للمؤلف أيضًا ، الترجمة رقم (١٧٩) ، وكلا الكتابين بتحقيق د . إسماعيل بن محمد البشري .
(٤) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .
(٥) الأصل و ص : أربعة .
(٦) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

الشوكاني)[٢] ، وبه انتفع ، وله به العناية التامة والملاحظة الكلية ، وبذلك ظهر (صيته وانتشر ذكره)[٢] ، وارتفع بين الناس قدره . له اليد الطولى في جميع الفنون ؛ من نحو (وصرف ، ومنطق ، وأصول)[٢] ، وبيان ، وله الإلمام بعلم المعقول ، واطلاع على مأخذ (كلامهم ، وتوضيح مقولاتهم ، على وجهه مقبول)[٢] .

وأمَّا علم الحديث فهو إمام محرابه ، والذي لا يلزّ[٣] به قرين فيه من (أهل زمنه)[٤] وأترابه ، فهو يستحضر رجال الكتب الستة بحيث لا تخفى عليه من أحوالهم خافية ، تعديلاً وتضعيفًا مع همة سامية ، للاطلاع على العلل المتناهية ، غاية الأمر أنه ساوق المتقدمين في هذا الفن، وبلغ رتبةً في الحفظ يقصر عنها أهل الزمن ، وبه انتفعتُ في هذه الصناعة ، ودخلتُ مع القوم في تلك البضاعة ، أطلعني على مؤلف له سماه [١٢٣/ب] « التعريف بما ليس في / التهذيب من قوي وضعيف » ، [ص٤١٣] فرأيت ما بهرني من الاستدراك ، وهو يأتي في مجلد حافل ، و « التهذيب » هو مؤلف الحافظ المزّي في رجال الكتب الستة ، وهو الذي لخصه الحافظ العسقلاني « بالتقريب » ، وله حاشية على « ابن ماجة » مفيدة جداً سماها « عجالة ذوي الحاجة » ، وقد جاء في تلك التعليقة بأسلوب مخترع ، يورد السند بمتنه ، ويتكلم على رجال السند بما قيل فيهم ، ويجمع الطرق الشاهدة لذلك المتن والاعتبارات ، وبعد ذلك يتكلم عن معنى الحديث ، وله مؤلفات غير ذلك .

(١) حسن بن يحيى بن أحمد الكبسي ، من أعيان علماء صنعاء ، وتولى القضاء بخولان (ت / ١٢٣٨هـ) . انظر : البدر الطالع ١/٢١١ ؛ نيل الوطر ١/٣٥٨ .
(٢) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .
(٣) لزّ الشيء بالشيء : ألزمه إياه ، وجعلت فلانًا لزازًا لفلان أي لا يدعه يخالف ولا يعاند . انظر : لسان العرب ، مادة : لزز ، ومعنى العبارة : ليس له ندٌّ ولا نظير .
(٤) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

اتفقت به في رحلتي إلى « صنعاء » عام ثلاثة وأربعين بعد المائتين والألف ، ولازمته مدة ، وقرأت عليه « شرح الغاية » بتمامه المسمّى « الهداية » للإمام الحسين بن القاسم ، وأخذت عنه في « مسلم » و « ابن ماجة » و « مستدرك الحاكم » ، وغير ذلك من كتب الحديث ، وكنت أحضر القراءة في حلقة شيخنا البدر الشوكاني رحمه الله تعالى ، وهو الحاكم على علماء تلك (الحلقة بإيراد الفوائد)(١) ، والمتولي لإملاء الكتب الحديثية في تلك الموارد ، (وشيخنا المذكور لم أره يلاحظ أحدًا من أهل)(١) حلقته مثله مع أن فيهم العلماء المشاهير ، (والمحققين النحارير ، وفي آخر المدة)(١) وقع منه وحشة من شيخنا البدر الشوكاني ، كما (جرت به العادة بين الأقران)(١) ، ومن اطلع / على « سيرة النبلاء »(٢) للحافظ الذهبي ورأى (ما وقع [ص٤١٤] بين الحافظ محمد بن يحيى الذهلي) وتلميذه البخاري هان عليه الأمر ، وعلم أن العصمة (لغير الأنبياء متعذرة ، والمرجو من)(٣) الله - سبحانه - أن يتجاوز عنهم الجميع ، لسوابقهم في الإسلام ، (وعنايتهم بحفظ شريعة سيد الأنام)(٣) ، وباب التأويل للمؤمن مفتوح والأعمال بالنيات .

نعم)(٣) وبعد حصول الوحشة بينه وبين شيخه المذكور تناقص (الحال ، وانتهى ذلك إلى خروجه)(٣) من « صنعاء » لأسباب صدرت

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .
(٢) اسم الكتاب : سير أعلام النبلاء ، مطبوع ومتداول ، وقد هذبه محمد بن حسن عقيل موسى في ثلاثة مجلدات مطبوعة عام ١٤١١هـ .
(٣) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

عليه من القائم (« بصنعاء » تلك المدة ، وهو)(١) عبدالله بن أحمد الملقب المهدي(٢) ، كلها من حظوظ النفس ، وكان استقراره بعد انفصاله من بلده في(٣) « زبيد » ، ووصوله كان عام خمسين ومائتين وألف ، واتفق وصوله أيام شيخنا الحافظ عبدالرحمن بن سليمان ، فلاحظه بالإجلال ، وقابله بما هو أهل له في البكر والآصال ، وتسبب في توليته لوقف « زبيد » وتولاه .

وما [١٢٤/أ] أعقب ذلك إلا موت شيخنا عبدالرحمن ، وتفاقمت عليه الأمور لبسط ألسنة الحساد ، وقد اتفقت به في « زبيد » عام واحد وخمسين ، وقرأت عليه « شرح المختصر » للقاضي عضد الدين ، من فاتحته إلى خاتمته ، وقرأت عليه بعض كتب النحو ، ((وقرأت عليه شرح ألفية العراقي)) ، وأخذت عليه في « المواقف العضدية » في علم الكلام وشرحها للشريف الجرجاني ، واستفدت / منه كثيرًا جزاه الله خيرًا . [ص٤١٥]

وحين تكدرت عليه صافي الإقامة في « زبيد » ارتحل إلى « مكة المكرمة » وجاور فيها نحو ثلاث سنين ، وبعدُ ترجَّح للشريف مليك القطر اليماني الحسين بن علي استدعاؤه من (مكة ووصل)(٤) ، ونزل « بأبي عريش » ، وأفاض عليه سيب الأنعام ، وقابله بالإجلال (والإكرام ، ومكث)(٤) بالمدينة العريشية نحو سنتين ، وطلب الإذن من الشريف إلى « زبيد » فأذن له في ذلك ، وأجرى عليه ما يكفيه هنالك ، واختار الله له الانتقال إلى رحمته - إن شاء الله تعالى - في هذا العام ، وسبب موته أنه

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .
(٢) إمام صنعاء للفترة من ١٢٣١هـ إلى ١٢٥١هـ . انظر : الجرافي ، المقتطف من تاريخ اليمن، ٢٦١ .
(٣) الزيادة من المحقق لتتضح العبارة .
(٤) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

مع دخول الأجناد إلى « زبيد » كما وصفناه فيما سلف ، دخل عليه في عقر بيته بعض طغام الجند ، وأسقاه كأس الهلاك والتلف ، ففاز بالشهادة في بيته ، ونال - إن شاء الله تعالى - الرحمة والكرامة .

(وبيني وبينه - رحمه الله تعالى - مراسلات)(١) أدبية نظمًا ونثرًا ، وله في النثر اليد الطولى (بفصاحة رائعة ، وبدائع متناسقة)(١) ويسهل عليه غاية السهولة ، ويراعي فيها الجناسات (والمعاني البديعة كثيرًا ، وأمَّا النظم)(١) فهو بالنسبة إلى نثره متوسط الفصاحة مع الإجادة (وجزالة المعاني ، وقد أثبت)(١) شيئًا من ذلك في كتابي « حدائق الزهر » ، ولولا أن الترجمة قد طالت (لأوردت شيئًا من ذلك)(١) .

[ص٤١٦] ثُمَّ إن الشريف الحسين / بعد انقضاء أمر « زبيد » تقدم إلى (« المخا » في جملة من العساكر)(١) لقصد استخلاصه من يد الرتبة الذي فيه من طريق محمد بن يحيى ، (فلما وصل تلك الساحات ، أدار)(١) عليهم كؤوس المنيات ، ونصب لحربهم المدفع في جميع الأحيان ، والتفت عليهم لما شاهدوه حلقتا البطان ، وبعد أن شاهدوا الموت عيانًا من ذلك الحصار طلبوا من الشريف الأمان ، فبذله تكرمًا والكريم يقيل العثار ، وأمَّا عاملهم فالتجأ إلى سفينة وركب ثبج البحر(٢) ، وكان ذلك خاتمة الأمر .

ودخل الشريف في آخر شهر شعبان « المخا » تبرق أسارير وجهه من السرور ، وسكنت بحمد الله تعالى عن جميع مملكته الشرور .

وفي هذه السنة رابع شهر رمضان كان وفاة الشريف إسماعيل بن

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٢) عامل محمد بن يحيى على المخا هو الأمير المملوك فتح محمد ، وقد دافع في المخا حتى بداية شهر رمضان ، ثُمَّ ركب البحر كما ذكر المؤلف وعاد إلى صنعاء عن طريق لحج . انظر : العمري ، مائة عام من تاريخ اليمن ، ٣٢٠ .

حسن القادم إلى جهاتنا عام اثنين وستين بعد المائتين والألف ، ورأيت [١٢٤/ب] بخطه أنه شريف النسب يتصل نسبه بذوي زيد ملوك « مكة » ، وأن سبب خروج جده إلى المغرب لواقعة حصلت عليه من الشريف سرور ابن مساعد ، هذا ما وقفت عليه بخطه ، وحقيقة العلم عند الله تعالى ، وأخبرني بعض من اتفق به من أعيان الجهة أنه أقام « بمكة » و « المدينة » وأنه استعمل الرياضة كثيرًا ، وأنه له مشاركة في علم الفقه ، وعناية بعلم العقائد ، وقد رأيت بعض كلامه في ذلك ، وهو على نمط كلام / [ص٤١٧] المتأخرين لحفظ القواعد الاعتقادية ، من غير نظر وتحصيل .

ورُويت عنه كلمات يتعذر تأويلها ، ولكن طريقه فيها طريق ما يقوله أهل الشطح من المتصوفة ، كما قال الحافظ الذهبي في حقهم : « إن مع كثرة الرياضة يحصل جفاف في الدماغ فيخف فيحصل من الألفاظ ما يحصل ، ومن كان كذلك فهو معذور ، لعدم اتصافه بكمال الشعور »(١)، وقد وصل إلى هذه الجهات منفردًا يطلب النصرة على جهاد الإفرنج الذين « بعدن » .

ولما استقر « بأبي عريش » تلقاه من كان بها من طرف الشريف . وهشَّ إليه الناس من كل جهة ، وقد رفع بمكتوب إلى الشريف ، وهو مستقر « بالحديدة » مضمونه استنهاض الشريف على جهاد من هو في « عدن » ، والقيام بهذا الأمر العظيم الذي يذهب عن عيون أهل الإيمان الوسن ، فأجاب (الشريف بما معناه)(٢) أن هذا الأمر لم نزل نسعى فيه ، وقد تسببنا في القيام (بذلك ، وما أراد الله تعالى ، والأشياء مرهونة)(٢) بأوقاتها (وبعد أن نصلح ما نحن بصدده من فساد الرعايا)(٢) نطلب من العساكر من ينفع الله بهم في هذا (المراد ، ونشعر

(١) هذا العذر يقبل لو كان فقدان الشعور قهريًا ، أما أن يتعمد الإنسان الفعل ليظهر بدعته بادعاء ما لا يصح ، وليقول في الشرع ما لا يجوز فهذا مما لا يقبل فيه الاعتذار وإنما يبين الخطأ ، ولا يتمحل في التماس المعاذير لمن تعمد ارتكاب المخالفة ، والحساب عند الملك العدل سبحانه وتعالى .

(٢) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

في كافة ما تحت أمرنا)(١) بالجهاد ، ونجعل مراكبا في البحر لحمل المحتاج (إليه من الزاد ، ونجعل جماعة فيه مقاتلة)(١) ، ونصحبهم من [ص٤١٨] المدافع وغيرها ما يستعان به على حربهم والإعانة / من الله لنا)(١) حاصلة ، عملاً بقوله تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾(٢) الآية ، (فلما وصله الجواب لم يتلقاه)(٣) بالقبول ، بل دعا الناس إلى الجهاد ، وظن بهم مع عدم (معرفته بهم بلوغ المأمول ، مع أن غالبهم ما هو)(٣) حق جهاد أولئك الكفار ، ولا يقضى بهم في هذه المادة (الأوطار ، وكثيرهم لم يمارس)(٣) القتال ، ولا يدري يوم الوغى كيف مقارعة الأبطال ، فلما (وصل بهم إلى « عدن » ناوشوا الإفرنج)(٣) بالحرب ، وبعد ذلك خذلوه ، وكرّوا راجعين إلى أوطانهم (وتركوه ، وحين رأى)(٣) ذلك انحاز إلى بعض الجهات ، ووصل « صنعاء » وأقام مدة يدعو إلى الجهاد ، ولم يجبه أحد ، ثُمَّ توجّه إلى جهة « قعطبة »(٤) ولبث مدة في القيام بهذا المقصد ، وكان عاقبة أمره في هذا المسير ، أن تمالأ عليه جماعة من أهل «الحُجَرية »(٥) فقتلوه والأمر لله العلي الكبير(٦) .

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .
(٢) سورة الأنفال ، الآية ٦٠ .
(٣) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .
(٤) مدينة بالشرق الجنوبي من مدينة « إب » بمسافة ٦٢ كم .
انظر : المقحفي ، مرجع سبق ذكره ، ٣٣٣ .
(٥) وطن كبير جنوب تعز كان يسمى بلد « المعافر » ، وفيها آثار حميرية كثيرة .
انظر : المقحفي ، مرجع سبق ذكره ، ١٠٩ ؛ الحجري ، مرجع سبق ذكره ٢٣٢/١ .
(٦) تعد محاولة الشريف إسماعيل بن الحسن من أقوى حركات المقاومة العنيفة ضد البريطانيين في عدن ، وقد حاول جمع القوى المختلفة لمناهضة الإنجليز واتصل بإمام صنعاء وسلطان لحج وغيرهم ، وقام بالهجوم على عدن إلا أنه لم يتمكن من دخولها لأسباب عديدة ليس هذا مجال بسطها ، وتشير المراجع الأخرى إلى أنه قتل بيد بدوي من أبين يوم ١٢ أغسطس ١٨٤٨م الموافق ١٣ رمضان ١٢٦٤هـ وليس كما ذكر المؤلف . =

[١٢٥/أ] ودخلت سنة (خمس وستين)(١) بعد المائتين والألف أرّخها بعض أدباء اليمن بقوله الحسن :

ذهب النحس جميعًا وانقضى   وتولى كل شر ومضى
وتبدّى كوكب السعد لنا   نوره في كل أفق وأضا
وحبانا الله عامًا طيبًا   ولما أتلف ربي عوّضا
فأبشروا واستمعوا تاريخه   جاءنا عام أمان ورضى(٢)

/ وكان دخولها والشريف مستقر ببندر « المخا » يصلح أحوال [ص٤١٩] البندر ، لما شابه ممًّا للخواطر قد كدّر . واستدعى ولده محمد بن الحسين ليجعله عاملاً فيه ، وعزمه على تصليح البلاد بعد ذلك من غير تمويه ، والشريف الحسن بن محمد استقر ببندر « الحديدة » ، لأجل إعطاء يام ما لهم من الحقوق القاهرة ، وبذل المجهود بما تكون معه القلوب عامرة ، ولم تزل المطالب على الرعايا في ازدياد لأجل هذا المطلب ، ولم يجد الناس عما هم فيه من مهرب ، والشريف بعد وصول ولده إليه بدا له من الرأي عدم الخروج من « المخا » حتى يرتحل يام من تهامة ، ويتخلى المتحمل لحقوقهم من الملامة .

وقد أسلفنا في غضون هذه الأوراق أن السلطان عبدالمجيد أيّد الشريف على هذا القطر اليماني ، وأنه أذعن بالانتساب إليه ، والإشعار

= انظر : أباظة ، عدن والسياسة البريطانية ، ٢٤٢ - ٢٤٦ ؛
- Playfair , R . L . 167 - 168 .

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .
(٢) الأبيات من الرمل .

بالخطبة له (فيما تحت يديه)[١] ، والشريف رأى أن تهامة اليمن ، وقد ضعفت من كثرة الفتن ، وتتابعت على (أهلها المطالب الدولية)[١] وأفضت بهم إلى الوهن ، مع أن صاحب السراة طامع فيها لما له (فيها من المعتادات ، وصاحب « صنعاء »)[١] راغب أن تدخل تحت يده ؛ لأنها كانت [ص٤٢٠] تحت (آبائه في العصور الماضيات ، ويام ومن)[١] على شاكلتهم / من العساكر كل منهم يريد أن يبلغ فيها غاية (قصده ، وهي مع هذا لم تنتظم أحوال)[١] أهلها من جميع الجهات ، بل كثر فيها الفساد وخربت الطرقات ، (ويرى الشريف أن هذا بالذمة)[١] لما تقلده من أمر هذه الأمة ، وكان الأتراك بعنايتهم تملكه القطر (اليماني له ، وبإطلاقهم ذلك)[١] عليه تمّ له أمله ، فمع هذه الأسباب ترجح له أن يكاتبهم في (المعاونة بحفظ البلاد ، ويكون)[١] له فيها محصول يتم به المراد ، حتى يكونوا أعضادًا له (عند توثب أهل الأغراض عليه)[١] ، وقصده أيضاً قطع يد من يريد معاندته من أهل العداوة (والحسد فيما)[١] تحت يديه ، فلم تزل المكاتبة بين الشريف وبين شريف مكة محمد بن عون في هذا (المقصد)[١] تدور ، ومنه إلى سلطان الروم ولا علم لبشر بما ينتجه المقدور ، وكان في اليمن الحاج يوسف آغا[٢] عينًا للأتراك في اليمن ، فاقتضى الحال ارتحاله إلى « مكة » مع حصول تلك الوقائع ، فاعتنى بهذا الأمر لغرض في نفسه ، فحال دون مقصده الأجل ، وأمر الله ليس له دافع ، وذلك كله من تحت رأي الشريف ، وهو كاتم ذلك الأمر عن البعيد والقريب ، والناس يخوضون في هذا الحديث الغريب .

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٢) يوسف آغا الرومي ، أحد خواص خليل باشا عند حملته على إمارة أبو عريش ثُمَّ استقر في اليمن .
انظر : الشوكاني ، البدر الطالع ٢/٣٦٨ .

[١٢٥/ب] والحقيقة على ما في نفس الأمر لم يقف عليها أحد من الناس ، وإنَّما إنهم يفيضون في أحاديث هذه العجائب بالقياس . ولم يشعر الناس إلا ببلوغ الأخبار أن الشريف محمد بن عون أرسل ولده عبدالله إلى أطراف بلاد الأمير عائض ، وأن عائضًا أرسل بعض خواصه في لقائه ، ومرادهم كف شره بالصلح ، حتى يبلغوا ما يؤملونه من النجح[١] ، وتم الصلح على إجراء / شيء له معلوم من الدراهم . ولما [ص٤٢١] وصلتهم الأخبار بتمام الصلح تجددت لهم بالمضي إلى اليمن العزائم ، فتوجه ابن عون والباشا توفيق[٢] في المراكب على طريق البحر ، والشريف عبدالله بن شرف ، وجملة من الخيّالة على طريق البر . وكان وصول الشريف ابن عون إلى « كمران »[٣] يوم السبت رابع عشر جماد أول ، فأقاموا في « كمران » خمسة أيام ، وتوجهوا إلى « الحديدة » . وكان فيها الشريف الحسن وهو يتلهب غيظًا لهذه الأمور التي تذهب الوسن ، فطلبوا منه الدخول إلى البندر فاعتذر أن الشريف قد استدعيناه للوصول ، ومع وصوله يقع لكم بما تريدون بلوغ المأمول . وكان يود وقوفهم تحت الرأي والمراد ، حتى يصل الشريف ويكون هو المتصدي لهذه الأمور في الإصدار والإيراد ، ولكن رأوا وصولهم إلى هذه البلاد على هذه الصفة من الغنائم ، ويرون التراخي عن ذلك فيه ما فيه ولا يردهم عن متقصدهم لومة لائم ، (فدخلوا البندر يوم الخميس)[٤] من الشهر المذكور . وكانت

(١) هكذا في الأصل و ص ، ولعلها : النجاح .

(٢) مساعد حاكم عام الحجاز .

(٣) جزيرة مشهورة في البحر الأحمر أمام مدينة الصليف ، تمتاز بموقعها الاستراتيجي المهم ، وتبعد حوالي ثلاثة أميال من الساحل اليمني .
انظر : المقحفي ، مرجع سبق ذكره ، ٣٥٠ ؛ لقمان ، تاريخ الجزر اليمنية ، ٧ - ١٢ .

(٤) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

طريقهم إلى القلعة الشامية (التي في البندر ، وبها جملة من الأرتاب ، وكان)[1] من الأتراك التعرض لأهل تلك القلعة بأسباب ، (فوقعت المناوشة بالقتال ، واستولى)[1] الترك على القلعة في أسرع حال ، وقتلوا نحو (العشرين من العسكر وأسروا من بقي)[1] ، وكان ذلك على خلاف [ص٤٢٢] المراد في الظاهر من الشريف (الحسن والشريف محمد بن عون / وكبار العساكر)[1] ، والله أعلم بما تجنّه الضمائر .

وكانت تلك (الوقعة مبادئ انحلال النظام ، ومؤذنة للترك)[1] ببلوغ المرام ، والشريف الحسن لما رأى هذا الحاصل ، (تساعد بالوصول إلى الشريف ابن عون وهكذا)[1] شأن العاقل ، ووقع الاتفاق على ترتيب الأدراك (بالأتراك ، وترك ما كان على ما كان ، حتى يصل)[1] الشريف من « المخا » ، ولما وصل الشريف إلى بندر « الحديدة » (كان مطرحه خارج البلد ، ولم يخرج)[1] إليه في ذلك الوقت منهم أحد ، وبعد خرج توفيق باشا إليه ، وصحبته الشريف الحسن ، ورجع توفيق باشا إلى البندر ، ومع هذا الحال قد (صار القول قولهم فيما تيسر)[1] من القول أو تعسر ، ثُمَّ دار بين الشريف وبين محمد بن عون الخطاب ، (فأبدوا له خلاف ما كان)[1] وصولهم عليه بلا ارتياب ، ولم يقف على شيء من تلك الأمور التي وقعت بينه وبينهم عليها القواعد ، ولكن قد ضاع الحزم بإطلاق البلاد على هذه الصورة في المصادر والموارد ، فساعدهم الشريف على مضض ، وأطلق عليهم البلاد بنادرها وبرورها ، وألقى إليهم زمام أمورها ، وتخلى من تلك الممالك ، ([2]فسبحان من في سابق علمه ذلك ؛ وجعلوا له ولعشيرته مقرراً في « الحديدة » يقوم ببعض الأحوال ، وزالت

---

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٢) من هنا وحتى نهاية القوس في صفحة (٤٧٩) مفقود في الأصل وأثبتناه من ص .

عنه مملكة تلك الجهة بما مثله ليس يخطر في البال ، فسبحان الذي ليس لملكه مشارك وليس له زوال[1] .

ومع وصول الشريف عبدالله / بن شرف إلى « الحديدة » وقع منهم [ص٤٢٣] القسم للبلاد ، وخرجت من يد من قد عانى أمرها ولم ينل منها المراد ، وكان مستقر توفيق باشا في « الحديدة » وانضاف إليه ما والاها من البرور ، وإلى الشريف عبدالله بن شرف « المخا » و « زبيد » وما إليه ، ولله القائل :

عش بجدٍ ولا يضرك حمق	إنَّما عيشة الفتى بالجدود
عش وكن هبنّقةَ العبسي	نوكًا أو شيبة بن الوليد[2]

ورجع الشريف إلى « الزهراء » ، ولعله قد ندم على ما جرى ، ولكن هيهات على ما فات ، وما سبق به قلم القدرة لا تنفع فيه حيلة في جميع الأوقات ، وفي أثناء هذه المدة لم تزل المكاتبة من صاحب « صنعاء » محمد بن يحيى والشريف ابن عون ، وذلك لطلب الصحبة بينه وبينهم ويحبون أنه لهم على مرادهم عون ، فأعْجِب لها قضية مصاحبة من بينه وبين الشريف غاية البون :

إذا صافى صديقك من تعادي	فقد عاداك وانصرم الكلام[3]

وساعد محمد بن يحيى بالوصول إليهم إلى بندر « الحديدة » لما سبق في علم الله تعالى ، وإلا فهو بين بحر من الرجال ، وفي بلاد طالت

---

(١) انظر تفاصيل ذلك في دراستنا بعنوان : الحملة العثمانية على إمارة (أبو عريش) والسواحل اليمنية ، مطبوع .

(٢) البيتان من الخفيف .

(٣) البيت من الوافر .

فليس تنالها الأوعال ، ومثل هؤلاء وأضعافهم من الأتراك لا يستطيعون أن يرفعوا إليها القدم، ولكن لا راد لما سبق في أزلية الله سبحانه وبه قد حكم، مع أنه أشار عليه كبراء المدينة الصنعانية بعدم المساعدة لما له ابن [ص٤٢٤] عون / يقول ، ويرون أن هبوط ذلك البندر من برجه العالي علامة الإدبار والنزول ، فوصل البندر الحديدي في أبهة ترجف لها الأفئدة ، مع استصحاب آلة الملك المشيدة ، وكان وصوله في شهر شعبان ، فرأى الشريف ابن عون أن وصوله إليهم من السعادة ، وكذلك الأمر ، وظنوا أنه قد تسهّل لهم في مملكة « صنعاء » الوعر ، فوقعت المفاوضة بينهم على أمور منها :

أن يقع الانتساب إليهم ، ويطلق أدراك « صنعاء » عليهم ، ويكون من تحت أمر السلطان عبدالمجيد ونهيه ، مع أن البلاد ومحصولها إليه ، وإنَّما المقصود الكلمة يكون للسلطان ، وجلَّ مرادهم هذا الشأن ، فانخدع لما قالوا ، وأقل أن تكون له الغنم في البلاد من غير غرام ، وتمّ فيها بينهم على هذا الكلام ، فانفصل في آخر شعبان من « الحديدة » وصحبته الباشا توفيق ، مستعملين الحزم في تلك الطريق ، فكان وصولهم « صنعاء » سابع شهر رمضان ، فاحتال محمد بن يحيى في إدخالهم إلى القصر المشيّد الأركان ، ولما استقروا في ذلك القصر ، طالبهم مد القدر بالفقر ، وقامت القيامة على محمد بن يحيى من أهل المدينة ، ولم تفد آراؤه الصائبة ولا درعه الحصينة ، وذهبت المملكة من تحت يده من غير ضرب ولا طعان ، وجنى على نفسه وأهل قطره بما صنع وتمنى أن ما كان لا كان ، وكان غايته أنه أمسك في دار الأدب ، وقنع عما هو فيه بذلك ورأى أن فيه سلامته من العطب .

[ص٤٢٥] واستقل بالإمارة / علي بن المهدي وأشعر في البلاد بولايته ، وعاد إليه ما كان سلب عنه بإرادة الله - تعالى - لا بعنايته، وتوفيق باشا لما علم

أن البلاد تَقِدَ عليه نارًا ، استعمل الحزم شعارًا ، وسوء الظن دثارًا ، وانكمش في القصر بمن معه من الأتراك ، وانفتح الشر بينه وبين أهل المدينة الصنعانية من غير فكاك ، وآل أمر توفيق إلى الخروج من القصر سليمًا من الأتعاب ، وقنع هو وجنده من تلك الغنيمة بالإياب ، بعد أن جرح في تلك الواقعة ، ورأى مبادئ الأهوال قبل يوم القارعة ، ورجع إلى « الحديدة » إلى الشريف ابن عون ، وقد لحق الجمع بهذه القصة غاية الهون ، فتعالى العالم بما كان وما يكون(1) .

وعند وصوله إلى البندر قفل ابن عون إلى « مكة المشرفة » . وقد استفاد من تلك البلاد بعد النكرة المعرفة ، واستقر توفيق باشا ينفذ أوامره بما شاء مع أن برور البلاد خراب ، والناس بينهم الأخذ والانتهاب ، والشريف بدا له في أواخر شهر القعدة الخروج ببعض العساكر إلى بلاد « الواعظات » ، بعد أن وصله ثلة من خيالة الأتراك ، وظهرت مبادئ الوحشة بينه وبين (ابن)(2) أخيه الشريف الحسن : لأنه يرى أن إطلاق البلاد على الترك خطأ ، ويود أن يقلب لهم ظهر المجن ، مع ما انضاف إلى ذلك من أسباب ، من أجل انقطاع المقررات التي قعَّدوا عليها الخطاب .

ودخلت **السنة السادسة والستون بعد المائتين والألف** والشريف في تلك البلاد ، لتصليحها ممَّا حدث من الفساد ، وفيها خرج / توفيق باشا [ص٤٢٦] إلى أطراف « الزهراء » ، ولعله لما سمع بين الأشراف بما سمع خشي من

(1) لمزيد من التفاصيل حول علاقة محمد بن يحيى بالأتراك وسيطرتهم على صنعاء ثُمَّ خروجهم فيها انظر : العمري ، مائة عام من تاريخ اليمن ، ٣٣٣ - ٣٤١ ؛ أباظة ، عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ، ٢٧٦ ؛ آل زلفة ، إمارة أبو عريش ، ٨٣ - ١٠٤ .

(2) الزيادة من المحقق حيث سقطت على ما يبدو في ص .

خرق الخلاف أن يتسع ، وانتهى إلى بلاد « بني قيس »[١] في هذا الشهر ، ورجع بعد ذلك إلى « الحديدة » من غير قضاء وطر ، وعند وصوله إليها خطبه الحُمام في بعض تلك الأيام ، وتوسّد التراب إلى يوم المرجع والحساب ، فسبحان الباقي بعد فناء الخلائق ، والقاهر عباده بالموت القاطع للعلائق .

وفي خلال هذه المدة والشريف الحسن يعمل النظر في تمام ما هو بصدده ، ووصله جماعة من العساكر لطلبه لهم عونًا على مقصده ، والأمير عائض يرعد لهم ويبرق بالمواعيد ، ومدّ لهم حبل الأماني على ذلك المطلب من غير تقييد بشكٍّ ولا ترديد وعد أنَّ أمل الناس لذلك الأمر التمام ، وقد انضاف إلى الشريف الحسن جماعة من الأشراف الكرام ، تقاعس عائض عن ذلك الكلام ، وتعلل بمعاذير تفتح بينه وبين الشريف الحسن باب الصد والهجر ، فأضرب الشريف الحسن عن الركون إليه ، وكاتب يام في هذا المطلب الذي هو حريص عليه ، وكان الشريف ترجح له أن بوصوله إلى المدينة العريشية سينفتح الشر ، فأمعن في بلاد الشرق خشية من وقوع المحذور من الأمر ، دفعًا للمفاسد بأخف الحالات ، وتفاديًا من تجاذب أطراف الخلاف بين القرابات ، وتنبه الشريف علي بن محمد بن علي وهو مقيم « بالزهراء » لما به يكون المآل ، فارتحل إلى الشريف وهو طارح بموضع يسمى « المحرّق »[٢] وصلح الحال ، ووصل

(١) يوجد أكثر من موقع بهذا الاسم في اليمن وجنوب المملكة العربيَّة السعودية ، فهناك بلاد « بني قيس » وهي منطقة خصبة غرب حجة على مسيل وادي لاعة ، (المقحفي ، ٣٣٩). وهناك بلاد بني قيس أو بلاد القيوس من قبائل بني مروان على الحدود السعودية اليمنية (انظر : العقيلي ، المخلاف السليماني ٧٣/١) .

(٢) بتشديد الراء وفتحها ، وهذا الاسم يطلق على أربعة مواقع في اليمن ، ولعل أقربها لقصد المؤلف : قرية من بلاد الشرف في حجور .
انظر : المقحفي ، مرجع سبق ذكره ، ٣٦٥ ؛ الحجري ، مرجع سبق ذكره ٦٩٠/٤ .

الشريف علي بن محمد إلى أخيه الحسن ، وعوّل عليه بترك ما هو فيه إذ لم يسعف له بما يحب الزمن ، وبعد ذلك فصل الشريف الحسن إلى الشريف ، وقرّ هذا القطر / من الرجيف ، وسكنت الأحوال بينهم في [ص٤٢٧] الظاهر ، ولا يعلم ما تأتي به الأيام المستقبلة غير الملك الغافر .

وفي محرم هذه السنة لعله الرابع والعشرون منها ، المسفرة عن يوم السبت أمر علي بن المهدي جماعة فدخلوا على محمد بن يحيى وهو في دار الاعتقال ، وأمرهم بضرب عنقه ، وامتثلوا ما أمرهم به وبئس ذلك الفعال ، وكان محمد بن يحيى هذا من أبطال الرجال ، وممن له في تدبير الملك ما لا ينكر من كرم الخصال ، ولكنه خدش في وجه تلك الفضائل ، ما تلبّس به من الرذائل ، وعدم الوقوف على الحدود الشرعية في كل قضية ، ولم يعامل الجند بالوفاء والصدق وحفظ العهود المرعية ، فانقلب عليه الدست في أسرع وقت ، ودار قطب المنية الذي أراد إدارته على غيره عليه ، ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾[١] ، ومرجع الظالم والمظلوم من عباده إليه ، وكان مدة ملكه ثلاث سنوات[٢] وعشرة شهور ، ملأ فيها القطر اليماني بحارًا من الفتن فهي إلى الآن تمور .

وفي سابع عشر شهر صفر منها كانت وفاة السيد العلامة محمد المساوى الأهدل[٣] ، هو علامة لا ينازع ، وأديب لا يدافع ، له اليد الطائلة في فنون المعارف ، وهو إمام البدائع واللطائف ، مولده سنة واحدة بعد المائتين والألف كما أخبرني بذلك ، قرأ على مشايخ جمة من علماء

(١) سورة الكهف ، الآية : ٤٩ .

(٢) في ص : سنة .

(٣) انظر ترجمته المفصّلة في حدائق الزهر للمؤلف ، ١٦٤ - ١٧٣ ، وله ترجمة في عقود الدرر للمؤلف برقم (١٨٠) ، وفي نيل الوطر لزبارة ٣١٥/٢ .

بل صدقـاته جارية في جميع الأوقات ، وأحكامه غالبها على طريق الصلح ، ولم يتحمل عهد قطع الشجار بالحكم ، وهي طريقة تشعر بالورع ، لما في ذلك من الخطر ، وأصل خروج والده من بلاد « آنس »[1] ، عيّنه للحكومة في بندر « المخا » المهدي عباس إمام « صنعاء » ، واستمر (ولده)[2] في الوظيفة بعد موت والده ، إلى أن توفي على ذلك في البندر المذكور ، وقد كان بيني وبينه صحبة أكيدة لأني دخلت مرتين إلى [ص٤٣٠] بندر « المخا » ولم تزل / المذاكرة بيننا دائرة في غالب الأيام ، فالله (يجمعنا به)[2] مع أحبابنا في دار السلام .

(وفي)[2] شهر رجب من هذا العام وصل الشريف الحسين إلى « أبي عريش » ، بعد أن جرى من الرعايا ما جرى من التريبش ، بسبب جماعة من « المسارحة » تمنعوا عن تسليم المطالب الدولية ، فخرج عليهم الشريف الحسن بجماعة من الجند ، ولعله بإذن عمه (وقتل)[2] منهم ثلاثة ، ولاذ الباقون بالهرب ، ورجع إلى المدينة العريشية ولم يقض منهم الأرب ، (وفي أثناء)[2] تلك الأيام رصدوا طريق المارة من « أبي عريش » إلى سوق (البدوي)[2] مع رجوعهم ، واعترضوهم (في الطريق)[2] ، وقتلوا من أهل الأسباب ثلاثة من المدينة (العريشية ظلمًا وعدوانًا ، يرونهم قضاء فيمن)[2] ذهب ، ((وبعد ذلك ألزم الشريف « المسارحة » بتسليم ثلاث ديات ، لكون القاتلين غير معيَّنين ، وسلم البعض منها إلى ورثة المقتولين ومنع بعضهم)) .

(١) قضاء واسع من أعمال ذمار ، وكانت تعرف قديمًا بأرض الهان ومقرى ، ذكرها الهمداني في أكثر من موضع .
انظر : الهمداني ، ١٢١ ، ١٣٣ ، ٢٠٧ ... إلخ ؛ المقحفي ، مرجع سبق ذكره ، ٥ .
(٢) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

ولم يزل الشريف بعد وصوله إلى المدينة العريشية في أحسن (حال ، لم يحدث منه حادث ، ولم يغير)[1] باله كارث ، إنَّما إن معلومه من الدولة السلطانية الذي في (« الحديدة » لم يقع الوفاء بكله ، فلم يزل يكاتب)[1] باشة « الحديدة » ، فتارة يقع الإسعاد بتسليم البعض منه ، (وتارة يقع المنع ؛ وعذرهم أن هذه)[1] الجهات اليمنية واصل لها باشا من طرف السلطان ، ولم (يُمكن إحداث أمر حتى يصل)[1] ، وتؤخذ منه حقيقة ما هو عليه ، ولم يزل الانتظار حاصلاً لوصوله ، (حتى جاءت الأخبار من « مكة)[1] المشرفة » في شهر شوال بوصوله ، وجليَّة حاله ، وأن اسمه (مصطفى صبري ، وكان وصوله منفردًا)[1] عن الأجناد ، ولم يشعر الشريف في بعض الأيام إلا بوصول (بعض أصحابه)[1] / من [ص٤٣١] « مكة » يخبره أن الباشا المذكور قصده التعريج ببندر « جازان » لأجل المفاوضة (للشريف)[1] في أمور يكون بها صلاح (الشأن)[1] ، فتهيأ الشريف لذلك ، وجمع أعيان الأشراف ، ومن حضر من الجند ومن أهل المدينة العريشية (للملاقاة)[1] ثالث عشر من شهر ذي القعدة ، في أبهة عظيمة ، وشارة جسيمة ، تملأ العيون في البندر (المذكور)[1] ، فمع وصول الشريف ألفاه قد نزل في بعض بيوت أهل البندر ، فهاله ما رأى من ذلك الحال ، ولعله داخله الروع وساء ظنه في الشريف ، والأعاجم يحكمون بالوهم والخيال ، ولما استقر [١٢٦/ب] الشريف في بعض الأماكن وصله الباشا المذكور ، ولم يفاوضه في شيء من الأمور ، والشريف في ظنه أنه يستقيم بقية ذلك اليوم ، ويقع الاجتماع الخاص به ، فما شعر إلا بقائل يقول له : إن الباشا قد استقر في المركب الذي جاء فيه ، وسار به نهج البحر ، ولم يقض فيما جاء له أمر ، وقدّم له

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

الشريف ثلاثًا[1] من الخيل الجياد ، ومع ذلك تركها ، وإنّما أن الشريف أرسلها بعده ، والإرادة الربانية تجري بغير المراد ، فرجع الشريف إلى « المدينة العريشية » ، وقد تبين له أنه لا يقف منه على طائل ، وأنه منطوٍ[2] على شر ولما ظهر له من المخايل ، وكأنه وعد الشريف بإرسال بعض المقررات ، فلما وصل « الحديدة » راسله الشريف لهذا المقصد ، وكان جوابه على الشريف طلب ما تحته من البلاد ، وأنها مضافة إلى مملكته من عند السلطان ، ويطلب الحاصل فيها (من جميع المواد ، ويريد)[3] [ص٤٣٢] وصول الشريف إليه ، والمثول بين يديه ، ولم تزل (الرسائل / تدور من الشريف)[3] ولم يقابلها بالقبول ، وآخر الأمر رجع من غير جواب (الرسول ، فحينئذٍ ضاقت على الشريف)[3] المسالك ، لما أن المقرر بحق البلاد اليمنية في الاستيلاء (على ذلك :

ولله فيما ساء للمرء حكمة)[3] ويلزم رب العقل يرضى بما قضى[4]

(وفي ثالث عشر شهر ذي القعدة الحرام دخل)[5] السيد العلامة أحمد بن هاشم[6] « صنعاء » ، وزحلف[7] عليّ بن المهدي (عن ذلك

(١) الأصل و ص : ثلاث .
(٢) الأصل و ص : منطوي .
(٣) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .
(٤) البيت من الطويل .
(٥) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .
(٦) المنصور بالله أحمد بن هاشم بن محسن بن قاسم ، دعا لنفسه بالإمامة في صعدة في شهر شعبان سنة ١٢٦٤هـ ، ودخل صنعاء عام ١٢٦٦هـ بعد هزيمة علي بن المهدي ، واستمر إمامًا إلى شهر صفر ١٢٦٧هـ (ت / ١٢٦٩هـ) . انظر : الجرافي ، المقتطف ، ٢٦٩ ؛ زبارة ، نيل الوطر ٢٣٥/١ .
(٧) قد تكون الكلمة : زحلق ، وكلاهما صحيحان ويؤديان المعنى نفسه . انظر : المعجم الوسيط ٣٩٢/١ .

المقام ، وتلقّب بالمنصور)[1] ، وصلحت أحوال الجمهور ، وقد كان ابتداء دعوته بمدينة (« صعدة » ، واستقر بها مدة على حال جميل ، وجرت عليه من « سحار » قلاقل أوجبت خروجه (من تلك الجهات ، وتوجه إلى بلاد)[1] « عمران » ، وأجابه إلى مطلبه من العسكر جماعات ، ولم يزل يعمل (الحيلة في نيل مقصده حتى)[1] نال ذلك ، وطرح بجنده في « حدّة »[2] غربي صنعاء ، وجرت بينه (وبين أصحاب السيد عباس بن عبدالرحمن)[3] الملقّب « المؤيد »[4] مصافّات ؛ لأن علي بن المهدي لما أن (ارتكب الخطر ، بقتل محمد بن يحيى حصل)[5] عليه الكدر ، فعزل نفسه اختيارًا ، وأقام توابع « صنعاء » (بدله السيد عباس المذكور ، فلم)[5] تطل مدته ، وهجم عليه الإمام أحمد بن هاشم بجنوده إلى عقر « صنعاء » ، واستقل (بالأمر)[5] دونه ، ودخل « صنعاء » عنوة ، وأطاعه أهلها رغبة ورهبة ، وعفا عن أهل الجرائم ، وأخرج من دار الاعتقال غالب بن محمد بن يحيى ، وحسين بن المتوكل ، وجماعة ممن حبسهم علي ابن المهدي .

[١٢٧/أ] وفي هذا العام في شهر القعدة كانت وفاة شيخنا السيد الإمام محسن بن عبدالكريم بن أحمد بن إسحاق المهدي / كان العين [ص٤٣٣] الناظرة في آل الإمام ، والمجلي يوم الرهان في المعارف العلمية بلا كلام ،

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .
(٢) قرية غربي صنعاء بمسافة ٥ كم كثيرة الأشجار خاصة البرقوق والخوخ والجوز .
انظر : المقحفي ، مرجع سبق ذكره ، ١١٢ ؛ الحجري ، مرجع سبق ذكره ٢/ ٢٥٠ .
(٣) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .
(٤) تولى الإمامة في صنعاء فقط فترة قصيرة خلال الفترة من رجب إلى ذي الحجة عام ١٢٦٦هـ .
انظر : الجرافي ، مرجع سبق ذكره ، ٢٧١ ؛ زبارة ، نيل الوطر ١٨/٢ .
(٥) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

أخذ عن مشايخ وقته في جميع العلوم ، واحتسى من كأس معارف المنطوق والمفهوم ، وحضر دروس شيخ الإسلام السيد عبدالقادر بن أحمد ، (ولازم شيخنا البدر)[١] الشوكاني ، والسيد الحافظ عبدالله بن محمد ابن إسماعيل الأمير ، وبلغ النهاية في (تحقيق العلوم الآلية ، ونظم « مغني)[١] اللبيب » وشرحه شرحًا في غاية التدقيق ، وأحيا مآثر أهله (آل إسحاق ، الذين شمخت بهم العلياء)[١] وعزّ (شأوهم)[١] عن اللحاق ، وأمَّا الأدب فما علمت في أهل (الزمن من يدانيه فيه ، ولا يبلغ أحد حسن)[١] ديباجته فيما ينتحيه ، ونظم الشمائل النبوية بقصيدة (من بحر البسيط على قافية اللام ، وشرحها)[١] بشرح كشف عن فرائدها اللِّثام ، وهو أحد (أشياخي الذين لازمتهم ، وأخذت عنهم في علمي)[١] المعقول والمنقول ، وقد أطلت ترجمته وما (دار بيني وبينه من مكاتبة في الأدب في « حدائق)[١] الزهر »[٢] .

مستهل شهر ذي الحجة الحرام : حصل على أهل الحج الوباء الذي وقع في الأعوام السالفة ، وهلك بسببه عالم من الناس ، ورفع الله تعالى في مدة قريبة للبأس ، وفي هذا الشهر تجدد للشريف العزم إلى « مكة المشرفة » لأجل ما حصل عليه من مصطفى باشا / من الأنكاد ، وما [ص٤٣٤] عامله به الدهر مِمَّا لا يكاد يخطر في فؤاد ؛ لأنه شاع أن السلطان أرجع أمر المهمات في هذه الجهات إلى الشريف محمد بن عون شريف « مكة » ، وعبدالعزيز باشة « جدة » فإن انقضى مراده الذي في نفسه اقتصر على ذلك ، وإلا توجّه إلى « إصطنبول » حضرة السلطان ، وليس الخبر كالعيان .

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٢) انظر ترجمته كاملة في حدائق الزهر من ص ١٣٨ إلى ص ١٥٠ ؛ وله ترجمة في البدر الطالع ٢/٧٨ ؛ ونيل الوطر ٢/٢٠١ ؛ والأدب اليمني ٦٤٣ ؛ وعقود الدرر للمؤلف برقم (٢٤٠) .

[١٢٧/ب] **السنة السابعة بعد الستين والمائتين[١] والألف** ؛ في شهر محرم منها ، ثاني وعشرين خلت منه ، يوم الاثنين آخر ساعة من نهاره ، كان انفصال الشريف من « أبي عريش » إلى بندر « جازان » بعد أن هُيئت له المراكب للسفر ، وكان وصوله بندر « جازان » صبيحة يوم الثلوث[٢] ، وأقام فيه سائر يومه ، وبعد صلاة الفجر يوم الربوع[٢] ركب البحر متوجهًا إلى الشام ، فسبحان من هذا بعلمه المكنون ، وهو المحيط تعالى بما كان وبما يكون ، وخلّف أخاه حيدر بن علي عاملاً في البلاد ، وأنه له فيها الإصدار والإيراد .

وبعد انفصال الشريف من هذه الجهات رفع الشريف الحسن بن محمد إلى مصطفى باشا بحقيقة الواقع ، ولم يجئ جوابه إلا بتأييد الشريف الحسن على بلاد الشريف ، وأن له فيها كما يشاء التصريف ، وأرسل جماعة من الأتراك رجالاً وفرسانًا ؛ الرجالة من طريق البحر كبيرهم حسن آغا ، والخيالة ((من البحر)) وقائدهم محمد آغا ، وكان / [ص٤٣٥] وصولهم المدينة العريشية في[٣] شهر صفر ، (وعند وصولهم طلب الشريف الحسن البيعة)[٤] من أهل المدينة العريشية بعد عرض رأي الباشا (عليهم ، فأسعفوا بذلك ، وبايعه سائر مشايخ)[٤] القبائل من حدود « وادي مور » إلى (حدود « وادي ضمد » ، ولم يزل مصطفى يطلب الوصول)[٤] من الشريف الحسن وهو يعتذر منه (ذلك بتصليح أحوال الناس ؛ لأنه مستقبل إلى مملكة)[٤] جديدة ، وتحتاج إلى فضل سداد ، وسياسة (على حسب المراد .

(١) الأصل وص : المائة .

(٢) هكذا في الأصل وص وفي المعاجم ، الثلاثاء ، الأربعاء ... إلخ .

(٣) الزيادة من المحقق .

(٤) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

وفي أثناء ذلك بلغ وصول الشريف)(١) الحسين إلى « مكة المشرفة » ، وكان وصوله (يوم الأحد ثالث الشهر المذكور ، وتلقاه الشريف)(١) ابن عون بالقبول التام ، وأسدى إليه (صنوفًا من الإنعام ، وبعد استقراره « بمكة المشرفة »)(١) وأفاض إلى من قصدهم حديثه ، فجعل (الشريف محمد بن عون والباشا عبدالعزيز خطوطًا إلى)(١) مصطفى صبري ، وكان إرسالها إلى الشريف (حيدر « بأبي عريش » ، ومضمونها الزجر عن التعرض)(١) لبلاد الشريف ، والتنكب عن كلام أهل الحسد والمطاوعة فيه ، حيث وله عند السلطنة سالفة خير بإطلاق البنادر وجهاتها عليه ، فعند وصولها إلى الشريف حيدر بعث بها مرسولاً إلى مصطفى ، فحين وصلته تلك الخطوط قام وقعد ، وأبرق وأرعد ، وقال : إن هذه البلاد أنا المؤيد فيها من عند السلطان ، ولا أسمع فيها قول إنسان ، وكتب إلى الشريف الحسن بمرقوم فيه من الألفاظ الرائقة ، والمعاني [١٢٨/أ] الفائقة ، ما يطرب الفؤاد ، ويهز الجماد ، يتضمن الحث [ص٤٣٦] / على وصول الشريف الحسن إلى حضرته ، والوقوف بعالي عقوته(٢) ، ليخلع عليه خلع الإمارة ، ولا يلتفت إلى هذه الأمور الغرّارة .

وبعد وصول تلك المراقيم ، كان الشريف الحسن عازمًا على الوصول إليه ، فتقاعس عن ذلك ، وبعث مرسولاً إلى الباشا حتى يحيط علمًا بما اتفق بعد وصول المراقيم لديه ، فتلقى كتاب الشريف الحسن بالقبول ، وأخبره أنه غير معول على ما صدر من ابن عون وعبدالعزيز من ذلك المقول ، وأخبره بأنه منتظر له بقرية « باجل » ، وجعل له من العهود الوثيقة ما يطمئن به العاقل ، والسبب في وصوله إلى قرية « باجل » أنه

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .
(٢) العقاة : الموضع المتسع أمام الدار أو المحلة ، وتسمى أيضًا « العقوة » .
انظر : المعجم الوسيط ٢/٦٢٤ .

انفصل من « الحديدة » بأجناده لتصليح الجهات اليمنية وانتهى سفره إلى « زبيد » ، وبلغه خلع أبكر شرف صاحب « الصنيف »(١) لطاعته لأسباب أوجبت ذلك ، فكرّ راجعًا إلى بلدته ، وهجم عليه على حين غرته ، (واستولى على بيت الشيخ)(٢) أبكر واستباح قلاعه ، وكان في تلك الوقعة إزهاق روحه هو (وولده ، وفوق مائة قتيل من قرية)(٢) « الصنيف » ، واستبيح في ذلك ما حرم الله تعالى ، وجرت (أمور ينكرها العقل والشرع ، وكانت الواقعة في ثامن)(٢) ربيع الأول من السنة المذكورة ، وجاءت المراقيم (إلى الشريف بذلك فضرب لذلك المدافع)(٢) ، وأشعر بالفرح لكل سامع .

وفي هذا الشهر (كانت وقعة « أهل الحسيني » و « آل عبس » ، والتفوا في)(٢) مكان جنب « العكوة اليمانية » وانجلت (معركتهم على نيّف وعشرين قتيلاً ، لأضغان سالفة)(٢) وأمور للشرع مخالفة / وبعد [ص٤٣٧] هذا الحادث (نمى الخبر إلى الأمير عائض صاحب السراة ؛ لأنهم من)(٢) رعاياه الجميع ، فاستدعى كبار الفريقين ، (وسكن الدهماء بمراهين ، ورمم أمورهم بما يوجب التسكين)(٢) .

وفي ثامن عشر يوم الاثنين عزم الشريف الحسن (هو ومن ساعده من الأشراف على التوجه إلى مصطفى)(٢) وما وصل مدينة « الزهراء » إلا وقد بلغه وفاة (مصطفى ، وكانت وفاته يوم السبت ، شهر ربيع الأول ، لثلاثة وعشرين)(٢) يومًا خلت منه ، وكان ابتداء مرضه « بباجل » ،

(١) الصنيف = الصليف ، مدينة بالغرب من الزيدية بمسافة ٥٤ كم ، وهي على شكل اللسان في البحر الأحمر في موازاة جزيرة كمران .
انظر : المقحفي ، مرجع سبق ذكره ، ٢٥١ .
(٢) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

وأوصل إلى قرية « الخليفة » ، وحمل إلى « الحديدة » فما وصلها إلا وهو ميت ، فسبحان المتفرد بالبقاء ، القاهر عباده بالفناء ، وكان موته فرجة لأهل اليمن ؛ لأنه صدرت منه أفعال غير معتاد صدورها ممن ولي القطر اليماني ، فعاجلته المنية قبل بلوغ الأمنية ، وكانت مدته نحو أربعة أشهر ، وعند ذلك نفذ الشريف الحسن إلى قرية « باجل » ، ونزل على الشيخ علي حميدة [١٢٨/ب] فقابله ومن معه بالإكرام التام ، وأسدى إليه من مكارمه ما تقصر عن وصفه الأقلام ، ووقع بينه وبين الشريف الحسن المعاهدة والمعاقدة على الصحبة والمعاونة على ما هم بصدده ، وحصلت المصافاة التامة بين الرجلين ، وإن كلاً منهما لا يرضى في الآخر بشين ، وأرسل الشريف الحسن إلى محمد سري - القائم بدل مصطفى في بندر « الحديدة » - برأس من الخيل ، وأخبره بوصوله لطلاب الباشا مصطفى ، وطلب منه التدبير ، فجاءه جواب خال عن الفائدة ، فقفل [ص٤٣٨] راجعا / من حيث أتى ، واستقر في بلاد « عبس » و « الواعظات » ، وفرق عليهم شيئًا من المعونات ، لأجل يسد بها أحوال من معه من الأشراف والأتباع .

وفي أثناء هذه المدة وصل إلى الشريف حيدر كتبٌ من محمد سري يعلن فيها بأن البلاد في الحقيقة هي للشريف الحسين ، وليس لأحد فيها أمر (غير وكيله)[١] الشريف حيدر ، وجعل خطًّا إلى الأغوات « بأبي عريش » بهذا المضمون ، وأن (سوى هذا لا يكون ، فانقادوا)[١] للشريف حيدر في الظاهر ، وأشاع الناس تلك (الأوامر ، ووصل بعد ذلك مراقيم)[١] من شريف « مكة » محمد بن عون ومن الباشا عبدالعزيز .

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

مؤيدة للشريف (حيدر على ما هو عليه ، وإقامته)[١] مقام أخيه ما دام غائبًا ، ولا يرضون بإقامة (الشريف الحسن ؛ لأن المشاق بينه وبين عمه)[١] حاصلة ، ومصطفى ليس له فيما فعل إجازة بل مجرد (مخاتلة ، وكاتب الشريف حيدر مشايخ)[١] القبائل ، وأخبرهم بمضمون تلك الرسائل ، وكان الشريف (الحسن مستقرًا في بلاد « عبس » ، فكاتبه عمه[٢] حيدر)[٣] بهذا المطلب ، وأنه يمتثل[٤] هذا الأمر ، فأجاب (بجواب ظاهره المجاملة ، وطلب الاتفاق)[٥] بينه وبين عمه[٦] حيدر ، ووصل إلى « حرض » بعد ذلك ، وقد كاد أن يسلم الأمر في الظاهر ، فلم يشعر إلا بوصول خطوط من « مكة » تخبر أن الشريف الحسين توجه إلى « إصطنبول » ، ولم يبلغ من ابن عون وباشة « جدة » المأمول ، وذلك رابع عشر شهر ربيع الأول ، قاصدًا لما خرج له وعلى الله المعول .

[ص٤٣٩] فبعد / ذلك اطمأن خاطر الشريف الحسن ، وقلب عن المطاوعة ظهر المجن ، وفي أثناء ذلك المكاتبة دائرة من الشريف حيدر ، وأنه مصمم على أنه الأولى بالقيام ، وسيزحلف الشريف الحسن بما لديه من الأوامر عن ذلك المقام ، والنائب في « الحديدة » كتبه تترى ، [١٢٩/أ] للشريف حيدر ، فحين عزم على المسير إلى « الحديدة » اقتضى الحال أن يقع بينه وبين الشريف الحسن في موضع الاتفاق ، وأنه يعرض عليه ما بيده من الأوراق ، وفي حساب الشريف حيدر وأغلب الناس أن الشريف الحسن

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .
(٢) ص : محمد ، وهو خطأ من الناسخ .
(٣) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .
(٤) الأصل : يتمثل والتعديل من ص .
(٥) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .
(٦) ص : محمد ، وهو خطأ من الناسخ .

بعد عرض تلك المراقيم عليه يسلّم أمر البلاد ، والعقلاء من الناس يرون أن من دون ذلك خرط القتاد ، ويتحققون شدة شكيمة الشريف الحسين ، وأنه لا ينثني عمّا أراد .

فارتحل الشريف حيدر ثامن غرة شهر ربيع آخر ، يوم السبت ، وكان اللقاء بينه وبين الشريف الحسن بقرية « أبي حجر »(1) يوم الاثنين ، فوقعت المفاوضة بين الشريفين في مكان خاص ، فمنع الشريف الحسن من النزول عن مقامه ، فسلّم الشريف حيدر القياد ، وترك المنازعة لئلا يتسع باب الفساد ، وفوّض الأمر إلى الحسن كرهًا ، ورأى أن دفع المفسدتين بأخفهما هو المتعين ، وبذل العهد للشريف الحسن على شروط معلومة ، (وأمور مرسومة ، وقد كان)(2) صدّه عن الوصول إلى « الحديدة » ، ولكن الشريف حيدر عوّل عليه في ذلك (لما سبق من الوعد، ويرجو حصول شيء من الدنيا)(2) ؛ لأنه في الخطوط الواصلة [ص٤٤٠] من «مكة » أن المقرر الذي / للشريف (يتسلمه الشريف حيدر ، هذا ما أبداه في الظاهر ، والله)(2) أعلم بما تجنه الضمائر ، فسار إلى (« الحديدة » وما قضى من تلك الفترة وطر ، وحال رقم هذه الأحرف وهو مقيم هناك ، والعلم عند (الله تعالى بما ينتهي إليه الأمر .

هذا الشهر وصلت)(2) الأخبار من « صنعاء » أن أحمد بن هاشم (حاصره علي)(2) بن المهدي (مقدار عشرة أيام ، بعد أن جمع جموعًا)(2) كثيرة نحو ثمانية آلاف ، ودخل « صنعاء » عنوة (بمساعدة

(1) اسم يطلق على قريتين متقابلتين ، إحداهما تسمى « أبو حجر الأعلى » ، والأخرى « أبو حجر الأسفل » ، على وادي « ليه » ، شرقي قرية « الجاضع » من أعمال صامطة .
انظر : العقلي ، المعجم الجغرافي ، ٦٢ .
(2) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

أعيانها وتوابعها ، وخرج منها أحمد بن هاشم)(1) خائفًا يترقب ومعه عشرة أنفار ، وتحت (جنح الليل وصلوا إلى بلاد « أرحب »(2) ، وتسلم علي بن المهدي)(3) المدينة ، وتكنى بالمتوكل ، واستقل بالإمارة ، (وزالت دولة أحمد بن هاشم ، وكان مدة أيامه بها)(3) أربعة أشهر وثمانية أيام ، فسبحان من بيده (النقض والإبرام)(3) .

وفي مستهل شهر جمادى الأولى وصل جماعة من يام فوق الألف إلى الشريف الحسن ، لموجب طلاب سلف منه لهم ، ولما وصلوا إلى « فجّ حرض » أمرهم من يلقاهم إلى ذلك الموضع ، لأجل التسكين على الرعايا ، وبعد أن(4) استقر مطرحهم في قرية « الجربة »(5) شرقي « أبي عريش » ، وساق الرعايا إليهم بأمر الشريف الحسن الكفايات ، ولم يصدر منهم كعادتهم شيء من النكايات ، ويوم ثامن عشر يوم الجمعة من الشهر المذكور (استدعاهم الشريف الحسن [١٢٩/ب] لحضرته)(6) ، وضبطهم بالقلم فجاء عددهم ألف ومائتين ونيف ، ومع استقرار الشريف حيدر « بالحديدة » بلغ أنه ألقى إلى الباشا محمد سري أمره ، وطلب منه الإعانة على العود إلى « أبي عريش » ، وإرشاد الحسن إلى ترك

(1) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .
(2) قبيلة كبيرة من همدان تنسب إلى أرحب بن الدعام ، وهي ناحية تابعة للواء صنعاء في الشمال الشرقي منها بمسافة ٥ كم .
انظر : المقحفي ، مرجع سبق ذكره ، ١٧ ؛ الحجري ، مرجع سبق ذكره ٦٤/١ .
(3) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .
(4) الزيادة من المحقق ليستقيم السياق .
(5) توجد ثلاثة مواضع بهذا الاسم في المنطقة .
انظر : العقيلي ، المعجم الجغرافي ، ١١٩ .
(6) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

[ص٤٤١] المعارضة ، خلاف ما أبداه للشريف الحسن من عدم فتح باب / الخلاف ، والسلوك على منهج ما بينهم من الائتلاف ، فأصغى الباشا السمع إلى ذلك المقال ، وانقدحت منه في لوح الخيال ، فلم يزل يكرر الطلاب إلى الشريف الحسن يريد منه الوصول إليه ، ويعتذر بأن ما سلف من التأييدات للشريف حيدر إنَّما هي مساعدة للشريف الحسين وشريف « مكة » وباشة « جدة » ، وإلا فهو يعلم أن الشريف الحسن هو الأحق بهذا المقام ، وإنه آخذ من طاعة الدولة العلية بالزمام ، ولكن الشريف الحسن لكمال حزمه لم يلتفت إلى تلك (الأمور)(١) ، ويراها شبكة لاصطياده ومبنية على غرور ، والباشا محمد سري مع ما بلغه من وصول يام إليه ، تأكدت الوحشة في قلبه ويرى أن (الحسن مضمر للخلاف)(١) ، والشريف الحسن متكتم بما هو منطوٍ عليه .

ولم يشعر إلا (بوصول كبير الكُتَّاب في « الحديدة »)(١) محمد رها أفندي بيده من محمد سري مكتوب ، يعول عليه في (الوصول ، ولعله يكشف له الحقيقة عما)(١) الشريف الحسن مخفيه ، وكان وصوله ليلة الأحد لعله (عشرون في شهر جماد آخر ، وكان)(١) إقامته يومين ، وأجاب عليه الشريف الحسن (بجوابات مطيبة للخاطر في الظاهر)(١) ، ولم يقف على ما في نفسه ذلك المرسول ، ونفذ بالجوابات (إلى صاحب [ص٤٤٢] « الحديدة » ، وعند وصوله)(١) إلى محمد سري / ظهرت منه مبادئ الشر بإرسال الأجناد (من الترك الذين [هم] متفرقون في البلاد اليمنية)(١) ، واستدعاهم إلى حضرته ، وسيَّر بعضهم إلى (قرية « الزيدية » مع آغا يقال له : « البرج » واستقر)(١) هناك ، وأرسل « بيرم آغا » مع جملة من الخيالة إلى حفظ الأطراف من بلاد « مور » ، وقد كان محمد

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

آغا كبير الخيالة الذين في « أبي عريش » ضاقت نفسه وارتحل من « أبي عريش » .

وأمَّا حسن آغا فبقي على حاله ، وما أعقب وصول محمد آغا إلا الطلاب له بالوصول ، فكلف لهم الشريف الحسن الجمال ، وساروا إلى بندر « جازان » ، وبعد وصول السواعي لهم أقاموا رتبة في « جازان » ، فتأكدت الوحشة من الشريف الحسن ، ولما بلغ الشريف الحسن الأمور الصادرة من محمد سري ، وزحف القوم إلى أطراف « مور » ، خشي على أخيه الشريف علي بن محمد ؛ لأنه مقيم في [١٣٠/أ] قلعته على مزارعه في أطراف وادي « مور » ، فاستقر بحضرته في المدينة العريشية .

سابع عشر من شهر رجب يوم السبت ، كان وفاة الأخ القاضي العلاّمة محمد بن يحيى بن عبدالله ، كان - رحمه الله تعالى - من العلماء العاملين ، والفضلاء الخيّرين ، اشتغل في صباه بالطلب في قريته هجرة « ضمد » ، وأخذ عن والدي ، والشريف العلامة حسن بن خالد ، وتلك الطبقة ، وارتحل إلى مدينة « صعدة » وقرأ بها علم الفروع ، وبعد ذلك ارتحل إلى « زبيد » ، ولازم مشايخ ذلك العصر ؛ السيد عبدالرحمن بن سليمان ، والسيد عبدالرحمن / الشرفي ، والشيخ الزين بن عبدالخالق [ص٤٤٣] المزجاجي ، وأكثر أخذه على السيد عبدالرحمن الشرفي ، واتخذ « زبيد » دار وطن ، وتزوج هناك وأولد ، ولم يزل مثابرًا على تحصيل العلوم ، والدرس والتدريس ، حتى كان وصول الأتراك إلى اليمن صحبة خليل باشا كما مضى خبرهم في هذا التاريخ ، فلم يطب له المقام « بزبيد » ، ودخل « صنعاء » واستجاز من السيد عبدالله بن محمد الأمير ، واستقر بوطنه قرية « ضمد » مدة ، وبعد ذلك استقر في بلاد « رجال ألمع » (في قرية

« الصليل »(١) ، وتزوج)(٢) هناك ، وطاب له الحال ، وأجلّه أمير السراة علي بن مجثل ، وقام (بوظائف ما يحتاج ، فعكف)(٢) هناك على الدفاتر، وكان متاخم تلك الجهة قرية « رجال » وبها العلاّمة (الفاضل إبراهيم بن أحمد الزمزمي(٣) وعشيرته)(٤) ، فاتخذهم أهل مودته ، وما زالت المذاكرة منهم تدور ، وكان (الأمير علي بن مجثل يستصحبه إذا جاهد)(٤) ، ومع وصوله إلى اليمن ، واستيلائه عليه ، نصبه (قاضيًا في مدينة « زبيد » فبقي هناك أيام دولة عسير)(٤) ، وأوائل دولة الأتراك ، وبعدُ رجع إلى قرية « الصليل » ، واستدعاه الشريف الحسين بن علي حيدر)(٤) وأسند إليه وظيفة القضاء « بأبي عريش » (وحمدت سيرته ، وكان من القضاة العدول ، وفي)(٤) آخر مدته أقعده مرض ، فلبث نحو سنتين ، وذلك (من توفير الأجر له بالتمحيص ، وتوفي في التاريخ)(٤) [ص٤٤٤] المذكور بمدينة « أبي عريش » / وكان له - رحمه الله تعالى - (ميل إلى)(٤) الأدب ، ونظم « متن الدُّرر »(٥) لشيخنا البدر الشوكاني في علم الفقه ، وبيني وبينه مشاعرات ، وقد أثبت شيئًا من ذلك في « حدائق الزهر »(٦) .

(١) قرية تقع على إحدى ضفتي وادي كسان جنوب بلدة رجال ، وهي تتبع إمارة حسوة إداريًا . انظر موقعها الجغرافي في : أطلس منطقة عسير ، خارطة إمارة عسير رقم ٢٨ ، ص ٣٩ .

(٢) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٣) من ذرية الشيخ بكري بن محمد بن موسى ، عالم زاهد من علماء آل الحفظي في رجال ألمع (ت / ١٢٥٧هـ) . انظر تفاصيل ترجمته في : حدائق الزهر لعاكش ، ٢٠١ ؛ نفحات من عسير للحفظي ، ١١٥ ؛ أبجد العلوم ١٨٦ .

(٤) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٥) الدرر البهية في المسائل الفقهية ، طبع في القاهرة بإشراف الأستاذ قاسم غالب .

(٦) انظر الترجمة صفحة ١٩٤ - ٢٠٠ ؛ وله ترجمة في عقود الدرر للمؤلف برقم (١٩٧) ؛ ونيل الوطر لزبارة ٢/٣٤١ .

وفي العشر الأول من شهر شعبان وصل الشيخ مانع بن جابر وصحبته نحو ثلاثة آلاف من يام ، مجيبين لطلاب الشريف الحسن ، واستقروا في مدينة « حرض » ، ووصل مانع بن جابر وكافة عُقّال يام إلى الشريف الحسن ، وصلحت أمورهم على أحسن ما يراد ، واتفقت كلمتهم على المباينة للأتراك حيث قد أعلنوا [١٣٠/ب] له بالعداوة على رؤوس الأشهاد .

((وأمَّا الرتبة الذين في « جازان » استدعاهم الباشا « بالحديدة » وخرجوا منه بعد أن همّ الشريف الحسن بالارتحال إليهم لأخذهم ، فخرجوا على هذا الحال ، وكفى الله المؤمنين القتال)) .

وفي يوم الخميس ثامن وعشرين من الشهر المذكور ، انفصل الشريف علي بن محمد بن علي من « أبي عريش » ، وصحبته مانع بن جابر وكافة عُقّال يام ، ولحقوا بالمطرح في « حرض » ، وساروا منه يوم الاثنين غرة شهر رمضان ، والشريف الحسن ثبّت أموره ، وشدّ بمن عنده من الجند والخيالة من الأشراف وغيرهم صُبح يوم الخميس ، وعند أن وقع الاتصال بالمطرح واجتماع الشريف علي بن محمد بأخيه الشريف الحسن توجّهوا إلى نحو « اللحية » ، وكان بيرم آغا طارحًا(١) على الحوالي في جملة من الخيالة والرجّالة ، فبكر الشريف الحسن بأجناده يوم الجمعة ثاني عشر شهر رمضان ، ووقّعت المصافّ بينهم ، وخرج الأتراك طرف مطرحهم من شرق ، وقذفوا ما في بطون / [ص٤٤٥] البنادق ، وأصدق الشريف ومن معه الحملة عليهم ، فولوا الأدبار ، وحق عليهم (الفرار)(٢) ، فاقتفى آثارهم الأجناد بالقتل (والأسر ،

(١) الأصل و ص : طارح .

(٢) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

وانهزموا)[1] هزيمة فاضحة ، حين شاهدوا (تلك الأمور القادحة ، واستولى الشريف على مطرحهم بخيامه وآلاته)[1] وجماله ، ووقع الطرد (لهم إلى أن دخلوا البندر ، وجملة القتلى فيهم نحو)[1] خمسين نفسًا ، والخيل المستفادة فوق (الأربعين الرأس ، وجميع ما فيه ، واستقر الشريف بسفح « نعمان »[2] ، بعد)[3] أن أروى منهم قضيبة والسنان ، (ووصل الخبر بذلك إلى « أبي عريش » يوم الاثنين ووقع الأشعار)[3] بالمدافع ، وكان يومًا مشهودًا سروره (لدى كل سامع .

ورابع الوقعة لعله يوم الاثنين شدّ)[3] الشريف الحسن بالأجناد إلى « اللحية » ، فطرح (جنب الجبل المطل عليها ، وجعل سلاليم كبارًا ليرقوا)[3] فوق السور إليها ، فحملوا قبيل الفجر (الليلة المسفرة عن يوم الثلوث ، ولم يصدّق جملتهم)[3] أن الترك الذين في البندر جدّوا في القتال ، (وتابعوا عليهم المدافع والبنادق في ذلك الحال ، فرجع)[3] يام إلى مطرحهم بعد أن ذبح منهم خمسة أنفار ، وقطعت (رؤوسهم وأرسلت إلى الباشا « بالحديدة »)[3] وما رجعوا إلا ولوائح الخذلان عليهم لائحة ، [ص٤٤٦] وقد عرف ذلك الشريف الحسن / وبلغ أنه همّ بالارتحال عن ذلك المكان ، ليدبر أمره في ذلك الشأن ، وكان أهل المطرح آمنين من أن يحصل للأتراك الذين بالبندر المدد ، وغير مستعملين الحزم في بعث العيون ، لأمر قد قضاه الملك الصمد ، فلم يشعروا صبيحة يوم الخميس إلا وقد

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٢) اسم يطلق على مواقع عديدة في اليمن ، ولم يتضح لي إلى أي منها يشير المؤلف ، وقد عدد الأكوع في حاشية صفة جزيرة العرب عشرة مواضع في اليمن تحمل هذا الاسم ، وقال : وما يحمل اسم نعمان في اليمن كثير .
انظر : الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، حاشية المحقق ، ١٢١ ؛ المقحفي ، مرجع سبق ذكره ، ٤٣٥ .

(٣) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

أقبل الآغا الذي في قرية « الزيدية » مقيم ، المسمى « عبدالبرج » في ثلة من « المبندقة » نحو ثلاثمائة ، ونحو خمسين خيالاً ، (ومعهم قنبرة وقبس)[1] فما فاجأ أهل المطرح إلا وصولهم والشمس في رابعة النهار ، فأرسلوا ثلاث [١٣١/أ] قلل ، فقامت مقام الجيش ، وكأن فيها لهم الفشل الذي لا يخطر ببال ، وحل بهم من الخوف ما (ينكر)[1] على مثلهم من الرجال ، فما لاذوا بغير الفرار ، وتركوا المطرح على ما هو عليه ، وخرج الشريف الحسن بالخيل في ملاقاة أولئك لأجل الدفاع ، ولكن هيهات أن يرد الجند اليامي شيء لما قد سكن قلوبهم من الأفزاع ، وقاتلوا نفوسهم من غير أن يصدر عليهم من الأتراك قتال ، فماتوا في تلك السبخة نحو مائة نفر من الظمأ ، والشريف الحسن لما رأى ما حلّ بهم أخذ ساقتهم ، وسار هو ومن بقي من أهل المطرح ليصون الجيش من اللحاق بعدهم ، وليحمل من عجز عن المشي ، وكان ذلك حاله حتى وصل قلعة أخيه الشريف علي بن محمد التي على وادي « مور » ، المسماة « المعترض » ، خشية ممّا يحصل كونه طرفًا في ذلك المكان ، فجمع ما حواه البيت ممّا عز وهان ، وحمله على ظهور الجمال وأرسله إلى المدينة العريشية / [ص٤٤٧] ، وأهل تلك القرية تفرقوا في القرى المتاخمة لهم ، وبقيت القلعة فارغة ، وأصبحت القرى خاوية على عروشها :

أضحت خلاءً وأضحى أهلها احتملوا   أخنى عليها الذي أخنى على لبد[2]

وأمّا يام فتفرقوا في تلك الفلوات ، (وذهب من ذهب منهم قتلاً من)[3] القبائل ؛ لأنهم من وجدوه أخذوه ، وكان منتهى سيرهم إلى مدينة « حرض » ، (فاجتمع بقية المنهزمين هناك)[3] ، وتوجهوا إلى « فجّ

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٢) البيت من البسيط .

(٣) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

حرض » ، ومن هناك إلى جهة « نجران » ، وقد (تقمصوا ثوب العار ، وزرعوا)[1] للشريف الحسن العداوة في قلوب الأتراك ، والشريف الحبيبن ومن معه (من خيّالة الأشراف وأتباعهم توجهوا إلى المدينة)[1] العريشية ، والعين فيها قذى ، والحلق فيه شجى ، وكان وصول (الحسن إلى « أبي عريش » يوم الربوع)[1] رابع وعشرين شهر رمضان المذكور ، وعند الله (تعالى علم عاقبة الدار .

وبعد استقرار الشريف)[1] الحسن « بأبي عريش » أرسل أخاه علي بن محمد إلى الأمير عائض (مستنجدًا ، ولم يصل إليه إلا وهو في حركة جهاد إلى)[1] أطراف بلاده الشامية[2] ، فجعله عذرًا عن قبول الخطاب ، ولم يقف منه على طائل ، وقد كان محمد سري وصل بأجناده إلى مدينة « الزهراء » ، وخيم هناك مدة وفي صحبته الشريف حيدر ، وعيّد الباشا عيد الإفطار في « الزهراء » ، وأشاع الناس بوصوله إلى المدينة العريشية ، وحصل القلق على الناس ، ولم نشعر إلا بوصول [ص٤٤٨] الأخبار بأن / الباشا المذكور قوّض[3] خيامه إلى بندر « الحديدة » ، فكان في ذلك للناس فرجة ، وصادف وصول الأخبار بذلك وصول الشريف (علي بن محمد من)[4] السراة .

وأمَّا الشريف حيدر فهو لم يزل بعد استقراره (في « الزهراء » يكاتب الشريف الحسن)[4] [١٣١/ب] في تسليمه الطاعة ، والانقياد لما

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٢) يذكر النعمي أن عائض بن مرعي قام في شوال عام ١٢٦٧هـ بحملة على بيشة وطرد الحامية الحجازية منها وضمها إلى إمارته ، ثُمَّ عطف على قبائل بلقرن وما تبعها من السراة فأدخلهم في طاعته وكانوا تابعين لإمارة مكة ، ثُمَّ عاد في ذي الحجة ١٢٦٧هـ .

انظر : تاريخ عسير ، ٢٠٠ .

(٣) في الأصل : قيض .

(٤) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

أمر به محمد سري باشا ، وآخر الأمر وصل سعيد أفندي من طرف الباشا المذكور ، وبيده مرقوم منه إلى كافة الأشراف وأعيان البلاد ومشايخ الجهة ، يقضي بأن الشريف حيدر هو العامل في الجهة ، فمن امتثل أجاب ، ومن لم يمتثل عرف أمره ، وقرأت تلك الصحيفة على الناس، وأعلنوا بالمساعدة لما قد أصابهم من الذعر من الأتراك ، وأمَّا الشريف الحسن فلم ينقد لذلك ، وأراد فتح باب الفتنة ، ولكنه لما خذله الأشراف فمن دونهم لم يرَ له سبيلاً لغير المساعدة ، ورضي بالموافقة بعد أن شرط لنفسه شروطًا من جملتها إرجاع الترك الواصلين إلى « أبي عريش » من أثناء الطريق ، وطلب الاجتماع من الشريف حيدر قبل الوصول إلى المدينة العريشية لتقرير الأمور .

ودخلت سنة ثمانية وستين بعد المائتين والألف : في محرمها برز الشريف الحسن بأصحابه ، وكان اللقاء بينه وبين عمه الشريف (حيدر بموضع يسمى)[1] « الحصَّامة »[2] ، ووقعت المفاوضة بينهم في تمام الأحوال ، وانسد أمرهم (وكفى الله المؤمنين)[3] القتال ، وتم الصلح على مقرر في بندر « جازان » وسَوّق (مُحصّل « خبت المسارحة » إليه ، وتحمل)[3] حقوق العسكر الذين لديه ، / وبَذْل الطاعة (لعمه ، وتأخر [ص٤٤٩] عن مقامه ، وصفيت العمالة للشريف)[3] حيدر ، ودخل الشريف حيدر رابع وعشرين (من شهر المحرم المدينة العريشية ، بأبهة عظيمة وبشارة جسيمة)[3] ، وضربت المدافع للأفراح ، وبرئ الناس (مِمَّا أصابهم من ألم الجراح ، واستقرت أحوال)[3] الناس من كل جانب .

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٢) اسم يطلق على ثلاثة مواضع في المنطقة ؛ قرية شمال عدوة وادي خلب ؛ قريتان قرب قرية العريش تسميان الحصّامة السفلى والحصّامة العليا ، والأخيرة بقعة في جبل العبادل من أعمال العارضة .

انظر : العقيلي ، المعجم الجغرافي ، ١٤٩ .

(٣) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

وفي هذا الشهر تحرك (غالب بن محمد بن يحيى[١] صاحب « صنعاء » إلى جهة « حراز » واستقر في موضع يسمى ...)[٢] وناوش داعي يام ، حسن بن إسماعيل شبام ، (وضايقه في تلك الآكام ، فبعث الداعي إلى « نجران » رسالة)[٢] يستنجد من هناك من الرجل والخيالة ، (فبعد أيام وصل من « فجّ حرض » ثلة من يام ، ومشوا)[٢] البلاد ولم يعترضهم أحد ، حتى حاذوا (قرية « الزيدية » ، فتعرض لهم بعض قبائل تلك الجهات)[٢] وبعض خيّالة الترك ، فوقعت المصافّة بينهم (وانهزم الأتراك بعد جراحات ، وقتل في القبائل)[٢] ، ومضى يام إلى نحو قرية « باجل » بالسلامة ، واتصلوا بداعيهم وانقضى بوصولهم مرامه .

وفي ثاني شهر صفر عصر يوم الاثنين توفي الشيخ حسين بن علي مجلي ، كان في مبادئ أمره مصحبًا[٣] للشريف الحسن بن خالد ، ولاحظته السعادة ببركته ، وبعد موت السيد الحسن ، وصل إلى وطنه وتعلّق (بخدمة)[٤] الشريف علي بن حيدر ، وكان مسددًا في (أموره ، جاريًا على نهج الصواب)[٤] في أغلب شؤونه ، مع لطافة أخلاق ، وله صبر على (الرعايا)[٤] [١٣٢/أ] في شكاياتهم ، والتوسط في فصل أمورهم .

(١) هو ابن المتوكل محمد بن يحيى ، دعا لنفسه بالإمامة في عام ١٢٦٧هـ ، وتلقب بالهادي ، وحاصر علي بن المهدي في دار الحجر بوادي ظهر ، وأراد أخذ الثار لوالده ، ولكن تم الصلح بينهما وصفح الإمام غالب عن قاتل والده .
انظر : الجرافي ، المقتطف ، ٢٧٢ ؛ الحداد ، تاريخ اليمن السياسي ٢/ ٢٤٠ .

(٢) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٣) هكذا في الأصل وص ، والصواب : مصاحبًا .

(٤) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

وبعد وفاة / الشريف علي بن حيدر ، واستقام ولده الشريف [ص٤٥٠] الحسين ، قلّده جلائل الأعمال ، فضخمت سيادته ، وتنوعت سعادته ، وكان فيه وظيفة[١] دين ، ، محافظًا على الجمعة والجماعات ، وصيام الأيام الفاضلات ، ومحبة لأهل العلم والفضل والتعلق بهم .

وفي سابع شهر صفر وصلت خطوط من الشريف الحسين من « إصطنبول » ، تاريخ رقمها سابع وعشرين شهر محرم ، محققة بوصوله « إصطنبول » رابع وعشرين شهر رجب منه ، سنة ١٢٦٧هـ ، وإنه اتفق بالسلطان عبدالمجيد ثاني عيد النحر من شهر ذي الحجة ، وتلقاه بالإجلال والإكرام ، وضاعف عليه صنوف الإنعام ، ورافقه مرارًا ، وأنزله من الرفعة حيث يستحقه ، ومن الجلالة ما يليق بمجده ، وأعطاه (حُقّة)[٢] ذهب عند اتفاقه به مرصعة بالماسات تساوي قيمتها ثلاثة آلاف ريال ، وأعطاه (من الذهب)[٢] ما يزيد قيمته على ثلاثة آلاف ريال ، وتمت له الأمور على ما يحب وزيادة ، ونال ما يطلبه في تلك السفرة المستجادة ، وعين له مركب دخان وباشة ، وعسكرًا وآلات ومهمات ، وأشعر خطه أنه متوجه عقيب رقم الخط ، (وعند وصول تلك الخطوط)[٢] أعلن بالسرور ، ودخل على الناس ما لا يستطاع)[٢] التعبير (عنه من الحبور ، وضربت المدافع وأنواع الأفراح ، وحصل)[٢] للرعايا بذلك غاية الانشراح .

(وفي ثامن شهر ربيع أول توجه الشريف حيدر ومن معه من الأشراف إلى جهة « حرض »)[٢] ، والسبب في ذلك أن (الشريف

(١) هكذا في الأصل و ص .

(٢) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

الحسن بن الحسين وصل هو وكبار « ذو حسين » الذين في « الواعظات »[1]
[ص٤٥١] قصدهم فصل الخطاب ؛ لأنه / تولى (طلابهم من بلدهم لتصليح البلاد
بأمر الباشا محمد سري ، فتمت)[1] أمورهم على أحسنها ، وزلَّجوا من
عنده ، (وزلَّج من في صحبته من الأشراف ، ورجع إلى قريته « نعمان »)[1] ،
وأيام استقرار الشريف حيدر (« بأبي عريش » لم يشعر إلا بوصول
« أحمد آغا » من طريق الباشا مأمورًا)[1] أن يتولى قبض متحصل بندر
جازان (من الطالع والنازل ، فساعد الشريف حيدر واستقر هناك)[1] ،
وتسلّم جميع المتحصل ، ولم يصل (إلى أحد من الأشراف ، وأهل
الوظائف من المقررات بعد ذلك شيء)[1] ، وعذره أن ذلك موقوف إلى
(وصول الشريف الحسين ، وبلغ أن ذلك من غير رضًا من الشريف
حيدر)[1] وعند الله علم حقائق الأمور .

(وفي هذا العام)[1] وصلت الخطوط مخبرة بوفاة الشيخ علي
حميدة في بلدة « باجل » ، وذكروا أن وفاته (رابع وعشرين)[1] شهر
صفر من السنة المذكورة ، وكان هذا الشيخ رأسًا في مشايخ اليمن ،
وناطح الملوك فمن دونهم ، وساعده المقدور فيما أراد .

وفي شهر جمادى الأولى ثالث وعشرين مضين منه كانت وفاة
الشيخ العلامة علي زين العابدين بن محمد بن أحمد الحفظي ، علامة
تلك الجهات ، ومسكنه ومسكن آبائه قرية « رجال » من بلاد «رجال ألمع » ،
أخذ عن عمه الشيخ إبراهيم بن أحمد ، ولازمه وتخلّق بأخلاقه ،
واستثمر معارفه ، وكان على جانب عظيم [١٣٢/ب] من التقوى ،
والاشتغال بالعلم ، اتفقت به أيام وصولي إلى عمه المذكور ، فوجدته
لطيف الأخلاق (وله)[1] على منظومة جده الشيخ أحمد في علم

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

[ص٤٥٢] الطريقة شرح ضخم رحمه الله تعالى[1] / .

وفي شهر جمادى الآخرة وصل إلى بندر « جازان » مصطفى باشا
متوليًا على اليمن ، ورافعًا للباشا محمد سري عن اليمن ، وكان في
خروجه من حضرة السلطان مصحبًا للشريف الحسين بن علي ، وكان
خروجهم من حضرة السلطان ثاني عشر شهر ربيع آخر ، وسافر بهم
مركب الدخان من الروم[2] إلى « الإسكندرية » ستة أيام ، وبعد أن[3]
وصل إلى مصر تقدم قبل الشريف الحسين ، وفي يوم الثلوث غرة شهر
رجب الحرام وصل « خليل » خَدَّام الشريف الحسين بن علي بكتب مبشرة
بوصول الشريف مصر القاهرة ، ومُعلنة بأنه اختار السكنى في « مكة
المشرفة » ، ورأى أن ذلك خير له ((في الدنيا والآخرة)) وقلَّد إمارة
الجهة من وادي « مور » إلى حدود « بيش » أخاه الشريف حيدر ، وأنه
قائم مقامه في ذلك ، وذكر في تلك المراقيم أن السلطان عرض عليه
اليمن كله ، وأنه يرجع على الحالة التي كان بها نافذ النواهي والأوامر ،
في الموارد (والمصادر)[4] ، وأنه منع من ذلك ، وجنح إلى الترك أيسر
المسالك ، (وروى أن السلطان قرر له في كل شهر في بندر)[4] « جدة »
ستين كيسًا من الدراهم ، عبارة عن اثنتي[5] عشرة مائة ريال (وأضاف

(١) لم أجد ما يشير إلى وجود هذه المنظومة ، ويوجد لها شرح مخطوط بعنوان « ذخيرة المآل في شرح جواهر اللآلي في فضل الآل » ، (ولعله الشرح الذي يشير إليه المؤلف) ، المكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء تحت رقم ١٣٠٤ ، ونسخة في مكتبة الحبشي برقم ٢٥٠ ق .
انظر : الحبشي ، مصادر ، ١٣٩ .
(٢) هكذا في الأصل وهو يقصد : تركيا .
(٣) الإضافة من المحقق ليستقيم السياق .
(٤) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .
(٥) الأصل وص : اثنا .

وكان قد حصل من قبائل القريشية[1] على العامل « بالنخل » مصاولة أفضت إلى إزهاق (روحه ، وانضاف)[2] إلى هذا ما فعله « عبدالبرج » القائم في مدينة « بيت الفقيه » ، وكان فيه طيش ، وذلك (أنه طلب بعض مشايخ)[2] « الزرانيق » ، فضيق عليه في بعض المطالب ، فبذل بعضًا وطلب في الباقي الإنظار ، (فلم يقبل منه ذلك)[2] الاعتذار ، فناله بطرف من الإهانة من الصفع بالنعال ، فتكدر منه البال ، [ص٤٥٥] (وثارت منه الحفيظة / ، وسار إلى قبائله « الزرانيق »)[2] ، ووصف لهم ما وقع فيه من الهوان ، فأجمع رأيهم على قتال (الترك ، وعدم المسالمة في هذا الشأن فتفرقوا)[2] في الجهات يوم حادي وعشرين في شهر رمضان ، وقتلوا من (وجدوه منهم في كل مكان ، حتى بلغ أن القتل)[2] انتهى إلى فوق عشرين إنسان ، فخرج عبدالبرج (بأصحابه ثاني يوم)[2] من هذه (الحادثة)[2] ، واتصل بقرية « الجاح »[3] ، وعند وصوله قامت الحرب على ساق ، (فكانت)[4] الدائرة عليه ، وانتهى بهم الفرار إلى « بيت الفقيه » بعد أن ذهب منهم جماعة بعضهم من تحت السيف ، وبعضهم بالظمأ .

ولما طرق مسامع الباشا مصطفى[5] هذا الخبر ، وهو في « زبيد » مستقر ، خرج قاصدًا « بيت الفقيه » ، وقد بلغه تجمع القبائل في

---

(١) قبائل القريشية : من قبائل قيفه في بلاد رداع ، وقد أوردها ناسخ ص : القرشية . انظر : المقحفي ، مرجع سبق ذكره ، ٣٢٩ ؛ الحجري ، مرجع سبق ذكره ٦٥٢/٤ .

(٢) بياض في الأصل ، وأثبتناه من ص .

(٣) قرية على ساحل البحر الأحمر من ناحية بيت الفقيه بن عجيل فيها نخيل لبعض قبائل الزرانيق .

انظر : المقحفي ، مرجع سبق ذكره ، ٧٧ ؛ الحجري ، مرجع سبق ذكره ١٧١/١ .

(٤) بياض في الأصل ، وأثبتناه من ص .

(٥) كتب المؤلف فوقها : محمد .

« القصرة » ، واستصحب مدفعين ، وانفصل من « زبيد » يوم سابع وعشرين من شهر رمضان ، فلما توسط « القصرة » وقع في لهوات الأسود ، وتداعت عليه القبائل من كل جهة ، وعصفت عليه رياح المنايا السود ، فدارت عليه وعلى عسكره الدوائر ، وذهب من الفريقين قتل كثير ، وكان يومًا على الترك قمطريرًا ، وانتهت هزيمة الباشا إلى « بيت الفقيه » ومات هناك ، واختلف في سبب موته ؛ فقيل [١٣٣/ب] (إنه تصوّب)[1] ، وقيل : بالظمأ ، وغنمت القبائل المدافع والخيام / وخزنة [ص٤٥٦] دراهم ، وجميع ما حواه معسكرهم ، (فسبحان)[1] القادر على كل شيء ، العالم بمآل كل حيٍّ ، وقد وقع الجزاء لهم بما فعلوا مِمَّا خفي وبدا ، ولا يظلم ربك أحدًا :

لو أنصفوا أُنصفوا لكن بغوا فبغى ... عليهم الدهـر بالآفات والمحن

فأصبحوا ولسان الحال ينشدهم ... هذا بذاك ولا عتبى على الزمن[2]

وكانت مدة باشويته في اليمن شهرين وثمانية عشر يومًا ؛ لأن استقراره في « الحديدة » يوم تاسع (في شهر)[3] رجب .

وفي يوم الخميس ثامن وعشرين من شهر رمضان كانت وفاة الشريف الماجد (زيد بن علي بن)[3] حيدر في زمن شبيبته ، ودفن بين مقابر أهله في الدارة التي شرقي « المعترض »[4] ، رحمه الله تعالى وإيانا وكافة المسلمين .

---

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناه من ص .

(٢) البيتان من البسيط .

(٣) بياض في الأصل ، وأثبتناه من ص .

(٤) قرية صغيرة قرب قرية الحسيني ، وهناك موقع آخر بهذا الاسم في وادي دهوان شمالي قرية قايم الكعوب في بلاد بني الحرث .

انظر : العقيلي ، المعجم الجغرافي ، ٢٩٣ .

« مكة » وباشـــة « جدة » ، من تحت رأي ســلطاني ، واســتقر في « الحديدة » .

وفي هذه السنة ظهر من الشريف الحسن بن محمد التجرّم على عمه الشريف حيدر ، من أنه لم يفِ⁽١⁾ بالقواعد ، ولم يمضِ على ما بينهما من العهود ، وترك المقررات ، واستبدّ بما يحصل من البلاد ، ومع ذلك طلب جماعة من العساكر ، وهو⁽٢⁾ في ذلك يرفع إلى الشريف حيدر بطلب ما التزم به ، ولم يقف منه على طائل ، فبعد ذلك ترجح له أن يخرج أخاه الشريف علي بن محمد ، وينضم إلى من طلب من العسكر ، فخرج في شهر صفر ، وطرح بمكان في بلاد « المسارحة » ، واستصفى جميع الزكوات من « المسارحة » ، وبني « شبيل »⁽٣⁾ ، وكان الشريف أبو طالب عاملاً في ذلك المخلاف من طريق أبيه ، ومستقراً في قلعة « أبي حجر » ، ولم يزل الخطاب يدور من الشريف علي بن محمد والعسكر الذي (مع الشريف)⁽٤⁾ أبي طالب ، ولم يتمخض بينهما كلام ، والشريف علي بن [ص٤٥٩] محمد مشتغل بما هو بصدده ، فلما تم (مراده من الرعايا ؛ شدّ إلى / قرية)⁽٤⁾ غربي « أبي حجر » تسمى « المنصورة »⁽٥⁾ ولم يزل يسارحهم

(١) الأصل : يفي .

(٢) الأصل وص : وهي .

(٣) قبيلة بني شبيل إحدى قبائل منطقة جازان ، وتمتد من الجبل إلى ساحل البحر ، ويحدها من الشرق قبائل الحرث ، ومن الجنوب قبائل بني حمد والموسم وبني مروان ، وشمالاً قبائل المسارحة .
انظر : العقيلي ، المخلاف السليماني ١/٧٤ .

(٤) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٥) لم أعثر على قرية بهذا الاسم ، وفي المعجم الجغرافي للعقيلي : المنصورية ، من قرى المسارحة بين قرية العبادية والمرابي ، انظر : صفحة ٤٠٠ .

بالحرابة غدواً وعشيّاً ، آخر (الأمر سلموا القياد وتركوا المقاتلة⁽١⁾)⁽٢⁾ بعد أن اتسع الخرق على الراقع .

وفي آخر شهر ربيع الأول (خرج العسكر من القلعة على حال غير مُرضٍ ، وتوجّه)⁽٢⁾ البعض إلى بلادهم ، والبعض إلى الشريف حيدر ؛ لأنه مقيم (« بالزهراء » ، واستولى الشريف علي بن محمد)⁽٢⁾ على القلعة ، وهدمها ، وألحقها بأمس الدابر ، وأحرق مساكنها ، (ودارت على من بها الدوائر ، وتفرق أهل القلعة)⁽٢⁾ في القرى ، وأضحوا بين الأنام خبرًا .

وفي تاسع شهر ربيع الآخر (يوم الخميس ، وصل عبدالله المكرمي بجيش)⁽٢⁾ يملأ الفضاء من يام إلى « حرض » (طالبًا بالثأر لما وقع من الأتراك حسبما سبق تفصيله)⁽٢⁾ ، وانفصل من « حرض » ثامن عشر شهر ربيع الآخر يوم السبت ، (وفي يوم الخميس وصل إلى وادي « عين »)⁽٢⁾ وبث سرية ركاب وخيل ، وشدّ في أثرهم ، واستقر هو (في « بجيلة بني إسماعيل » والسرية وصلت)⁽٢⁾ إلى مطرحة الترك ، وطعنت خيلهم فيه ، (وقد حصلوا الكمناء في شعب)⁽٢⁾ هناك يسمى « شعب حطب » قريبًا من قرية « الزيدية » ، فاندفع الأتراك (مسابقين في أثر يام)⁽٢⁾ ، فلما وصلوا إلى الكمناء⁽٣⁾ أطلقوا عليهم البنادق ، فلا ترى إلا جريحًا أو قتيلاً ، وتلفت جملة من الخيل ، والباشا شدّ بجنوده وطرح قريبًا من مطرح يام ، وعند تخالط الظلام هجم المكرمي ومن معه من يام على الأتراك ، وطال القتال والعراك ، ومضى من الجانبين كثير ، وكلا من

(١) في ص : المقابلة .

(٢) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٣) الأصل : الكمنى .

الجيشين رجع إلى مكانه ، ثُمَّ بدا للمكرمي أن يتقدم[1] إلى « المعروفية »[2] [ص٤٦٠] شرقي « الزيدية » ، والباشا / مع علمه بذلك ارتحل في الأثر خشية من أن يسبقوهم إلى قرية « الزيدية » ، وأقام فيها .

[١٣٤/ب] (ثُمَّ إن عبدالله بدا له الارتحال إلى جهة)[3] « صعفان »[4] ، وطال بينه وبين يام النزاع في الرجوع على هذا (الوجه من غير الظفر بعدوهم ، مع أنهم)[5] قد أمكنتهم الفرصة في زعمهم ، واستقر مطرحه في موضع يقال (له « البُحيح »[6] شرقي « باجل ») فارتحل الباشا محمود في أثره ، وطرح قبلي قرية « باجل » بحيث أن كلا (الجيشين)[7] يشاهد الآخر ، وفي ثامن جمادى الأولى استقر الشريف علي بن محمد في قلعة « حرض » ، ودخلها (من غير مكروه)[7] ، وقد كان فيها جماعة من العسكر بنظر عبدالله المكرمي ، ومعهم الشريف هزاع ، فمع ما وقع بين يام والترك حدّثته نفسه الأمّارة بالخداع ، ومالأ المشايخ « بني مروان »[8] ، واقتضى الحال أن سار إلى « بني مروان » ، وأظهر ((من الخديعة)) ما أظهر .

---

(١) غير واضحة في الأصل وهي أقرب ما يكون أن تكون هكذا ، وفي ص : نفذ .

(٢) من قرى وادي سردد في بلاد الزيدية من تهامة .
انظر : المقحفي ، مرجع سبق ذكره ، ٣٩٥ ؛ الحجري ، مرجع سبق ذكره ٧١٢/٤ .

(٣) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٤) جبل غربي مسار من أعمال مناخة ، ومناخة مدينة في الغرب من صنعاء تتوسط بينها وبين الحديدة . انظر : المقحفي ، مرجع سبق ذكره ، ٢٤٩ ، ٤٠٩ ؛ الحجري ، مرجع سبق ذكره ٤٨٠/٣ .

(٥) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٦) قرية تهامية بالجنوب من الحديدة . انظر : المقحفي ، مرجع سبق ذكره ، ٤٤ .

(٧) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٨) قبائل بني مروان ، وموطنهم حاليًا الموسم الذي مازالت أطلال مدينة الشرجة التاريخية ماثلة في ساحله ، وقبائل بني مروان قسمان : قسم تابع للملكة العربيّة السعودية ، وقسم عائد إلى اليمن .
انظر : العقيلي ، المخلاف السليماني ٧٣/١ ؛ المقحفي ، مرجع سبق ذكره ، ٣٨٠ .

وفي أثناء ذلك ليلة الأحد نصف الليل لم تشعر الرتبة إلا بدخول الشريف علي بن محمد القلعة ، وخمدت الفتنة ، وبطل تدبير هزاع ، ودخل الرعايا تحت طاعته ، واستقرت الإمارة للشريف الحسن في هذا المخلاف ، وجميع المخاليف الشامية التي تحت مملكة الشريف حيدر ، وساق الرعايا الفرق والزكوات ، ونفذت أوامره فيها ، مع هذا (وعامل الشريف حيدر)[1] - وهو أخوه حمود - بالمدينة العريشية ، والأمر والنهي للشريف الحسن ، (وموجب استقلال الشريف الحسن : أن الشريف)[1] حيدر لما وصل إلى بندر « الحديدة » سار إليه [أي إلى الباشا] (الشريف حيدر وطلب منه المعونة / على صلاح)[1] الرعايا ، إمَّا بمالٍ أو رجال ، [ص٤٦١] ولم يقف (منه على طائل ، بل لاقاه بأسوأ الأخلاق)[1] وكافحه بما لا يليق بجنابه ، مِمَّا يشعر بقبح (طوية ذلك الباشا بما عاقبته تمضي إلى شقاق)[1] ، فرجع إلى مدينة « الزهراء » وقد قنعت (نفسه من جلب مصلحة من الباشا محمود)[1] ، وأعلن بالتخلي عن الإمارة ، وأرسل لمشايخ بلاد « الواعظات » ، و « بني حسن » ، و « قطبة » ، وأمرهم ببذل العهد للشريف الحسن بن الحسين ، (والسمع والطاعة له ، ثُمَّ إن الشريف الحسن)[1] بن محمد أرسل لأخيه الشريف علي بن محمد ، ومع (استقراره بالمدينة العريشية ارتحل الشريف)[1] الحسن صبح يوم الخميس لعله سابع عشر (جمادى الأولى ، ولبث في « بلاد المسارحة » تسعة)[1] أيام ، ثُمَّ ارتحل يوم السبت خامس وعشرين (في الشهر المذكور إلى « حرض » ، ووصل يوم الأحد)[1] إلى « حرض » ، والقبائل من « بني مروان » بعد (أن بذلوا العهود وسلموا الطاعة وصلتهم) خطوط من الشريف حيدر مصرحة (لهم بعدم الطاعة للشريف الحسن ،

---

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

ومقابلته بالمنع)(١) من تسليم الفروق والواجبات ، (ويدفعون عن أنفسهم بالقتال ، فما زال)(١) الخطاب يدور بينهم وبين الشريف الحسن بن محمد لقصد الخداع والمكر ، وهم في أثناء ذلك يتجمعون لقصد الشريف الحسن بن محمد في « حرض » .

فلما كان يوم الاثنين لم يشعر الشريف الحسن عصر ذلك اليوم إلا والصريخ ، فاستكشف الخبر ، فإذا هم القبائل قد صاروا بجانب القرية فوق الألفين ، وبيارقهم منشورة ؛ (٢) وكان عنده من خيالة الأشراف [ص٤٦٢] السادة / والمشيعين فوق المائة ، وعنده طائفة من عسير جملة مستكثرة من العساكر ، فبرز وثبّت القوم ، وتقدم في الخيل ، وقامت الحرب ، فحمل الشريف الحسن بمن معه من الخيل حملة صادقة ، فولى « بنو مروان » الأدبار ، وحق عليهم الفرار ، وصاروا زاد السيوف وشراب الرماح ، وقتل منهم في المعركة من دارت عليه منية القدر المتاح ، ولم يحل بينهم وبين النجاة غير الليل ، فذهبوا في تلك الفلوات ، وتجمع الشتات ، وبعد رجوعهم من القتال وقع من أولئك البغاة كمين في جانب « المعمال »(٣) ، فأرسلوا ثلاث رصاصات من أجواف البنادق على أهل الخيالة ، فأصابت الشريف محمد بن حيدر بن علي رصاصة في رأسه فسقط منها من على جواده ، ونزل الشريف الحسن وأركبه على جواده ورجع إلى « حرض » ، واستمر على ذلك إلى وقت السحر ، وفاضت روحه ، ولله در القائل :

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .
(٢) من هنا وحتى نهاية القوس في ص (٥١٨) مفقود في الأصل وأثبتناها من ص .
(٣) بقعة في الجنوب من بلدة العارضة بسبعة أكيال ، (وإن كنت أعتقد أن هذا الموقع لا يتفق مع مسار الأحداث) . انظر : العقيلي ، المعجم الجغرافي ، ٣٩٤ .

ومن ظن ممن يلاقي الحروب ... بأن لا يصاب فقد ظن عجزا(١)

وفاز بالشهادة ، وحاز أسباب السعادة ، فلقد كان من الأبطال ، وممن بلغ مع حداثة سنة درجة الكمال :

وما كان قيس هلكه هلك واحد ... ولكنه بنيان قوم تهدّما(٢)

ولم يصب أصحاب الشريف الحسن شيء غير ثلاثة أصيبوا وسلموا، وقتل واحد من عسير ، ولم يُمسِ الشريف تلك الليلة إلا والقبائل تطلب الأمان ، وتبذل الرهان ، ورأيت في خطه المخبر بوفاة الشريف محمد بن حيدر مستشهدًا بقول إبراهيم بن عبدالله / بن الحسين المثنى ؛ [ص٤٦٣] قالها لما قُتل أخوه النفس الزكية محمد بن عبدالله رضوان الله عليهم :

سأبكيك بالبيض الرقاق وبالقنا ... فإن بها ما يدرك الطالب الوترا

ولست كمن يبكي أخاه بعبرة ... يعصّرها من جفن مقلته عصرا(٣)

ولما انقضى ما انقضى ، ذلّت القبائل ، واستغاثوا إلى الشريف بالوسائل ، وعوّلوا على القاضي عبدالله بن صديق قاضي مدينة « حرض » ، والشريف ناصر بن محمد حوذان ، وكافة كبار المدينة المذكورة في قبول الاعتذار ، وإقالة العثار ، وأنه ما أوجبهم على ذلك غير خطوط من الشريف حيدر فيها التأليب لهم ، والتحريض لهم في قتال الشريف الحسن وجنوده ، فجنح مع هذا الواقع وقيام المرجح إلى القبول ، والتزم كبراؤهم(٤) ببذل ما عليهم من الحقوق ومن الأعراف المعتادة ، وتلقوا بعد غلبتهم والنكال بالقفول ، وما غنموا

(١) البيت من المتقارب ، وهو للخنساء ، انظر : الديوان ، ١١٦ .
(٢) البيت من الطويل ، والقائل : عبدة بن الطبيب ، انظر : أبو تمام ، الحماسة ٢٨٧/١ .
(٣) البيتان من الطويل .
(٤) ص : كبراهم .

بغير الفضيحة وإهدار دمهم ، وهكذا عاقبة البغي بلا إشكال ، والعاقل من اعتبر واعترف بتغير الأحوال ، ولم يغتر بشيء من الدنيا في الحال والمآل ، هكذا رأيته في خط الشريف الحسن إلى أخيه الشريف علي بن محمد ، وأمَّا يام فانتهى أمرهم إلى إخراجهم من البلاد ، « وذهبوا أيدي سبأ »[1] ، وتفرقوا في السهال والجبال ، وأصبحوا حديث سمر ، ولله عاقبة الأمور .

وفي شهر رجب وصلت خطوط من الباشا محمود ، مؤذنة بالتأييد للشريف الحسن على هذه الجهات ، بشرط الوصول إليه ، والمثول بين يديه ، وذلك لما تبين له غدر الشريف حيدر عن الاستقامة / [ص٤٦٤] ، وتلقى ذلك بالقبول ، وأشعر من « حرض » إلى « أبي عريش » بالقفول ، وكان قد وصل رأي من الباشا إلى « بني مروان » في بذل الطاعة للشريف الحسن ، فسلموا الطاعة في الظاهر ، ولم يردوا من المطالب شيئًا ، فقنع منهم بالسمع والطاعة على هذا الوجه ، ورأى أن النقض عليهم مع عدم قيام المقتضيات لذلك من الرأي السديد ، وكان وصوله إلى « أبي عريش » يوم الاثنين خامس عشر شهر شعبان ، وتلقاه أخوه الشريف علي بن محمد إلى ظاهر البلد ، وضربت للفرح المدافع .

وفي شهر رمضان جاءت الأخبار بموت السيد الإمام أحمد بن هاشم ، وكانت وفاته في أول رمضان في بلاد « أرحب » ، وقد كان من العلماء النظّار ، ومن أهل الفضل الذين تتزين بهم الأعصار ، نشأ في

(١) وأصل المثل أن سبأ بن يشجب لما أنذروا بسيل العرم خرجوا من اليمن متفرقين في البلاد فقيل لكل جماعة تفرقوا : ذهبوا أيدي سبأ ، والمراد بالأيدي : الأنفس . انظر : الزمخشري ، المستقصى ٢/٨٨ ؛ الميداني ، معجم الأمثال ١/٢٧٥ .

مدينة « صنعاء » ، وقرأ على علمائها حتى بلغ النهاية في المعارف العلمية ، أصولاً وفروعا ، وقدّمنا حديث نشره للدعوة في « المدينة الصعدية » ، واستقلاله بالأمر ، وزحلفة محسن بن عباس[1] عن مقامه ، وأطاعه [أهل] تلك الجهات ، وأمر فيها بالمعروف وأزال منكرات ، وفي أثناء ذلك جاءنا منه مكاتبات جوابًا عن مرقوم أرسلته إليه ، وجاء منه جواب نظمًا ونثرًا قد أثبته في غير هذا الموضع[2] ، وهو يدل على غزارة مادته في الأدب ، وأنه بلغ فيه أعلى الرتب .

وفيها كانت وفاة الشريف عبدالله بن شرف العبدلي ، رابع عشر شهر رمضان ، ببلدة « بيش » ، وكان مؤيدًا في « المخا » وتلك الجهات من جهة السلطان ، وقد قدمنا زمن وصوله إلى هذه الجهة ، وقد استفاد أموالاً ، وكان مع ذلك في غاية الشح ، والناس يبالغون في وصف ما اكتسبه من الأموال .

وفي شهر رمضان كانت وفاة الشيخ العلامة إسماعيل بن حسن بن عثمان العلفي ، هو من أهل الوزارة « بصنعاء » ، وممن ضخم قدر آبائه ؛ ومشى على طريق الطهارة ، وبذل مجهوده في الطلب ، فبرع في علم العربيَّة ، واطلع على خباياها في الأحوال الكلية والجزئية ، وكان له العناية « بشرح الرضي / على الكافية » ، وشاركني في القراءة على [ص٤٦٥]

(١) هكذا في ص ، والصواب أن الذي كان إمامًا لصنعاء قبل دخول أحمد بن هاشم هو الإمام المؤيد بالله العباسي بن عبدالرحمن بن محمد ، والذي حكم لمدة خمسة أشهر فقط من رجب إلى ذي الحجة ١٢٦٦هـ ، ثُمَّ تنحّى عن الإمامة للإمام المنصور بالله أحمد ابن هاشم .

انظر : زبارة ، نيل الوطر ٢/١٨ ؛ الجرافي ، المقتطف من تاريخ اليمن ، ٢٧١ .

(٢) أشار إلى تلك المراسلات زبارة في ترجمة الإمام أحمد بن هاشم .

انظر : نيل الوطر ١/٢٣٨ .

شيخنا السيد العلامة قاسم بن محمد الأمير في كثير من العلوم ، وكان متقيدًا بالدليل ، مؤثرًا للخمول ، ذا سمت حسن ، وخلق لأهل الزمن ، وكان لا تمل مجالسته)[١] [١٣٥/أ] ولا تضجر مفاكهته .

وفي (العشر الأواخر من رمضان ؛ بعث الشريف الحسن إلى الباشا بمكتوب يتضمن)[٢] الاعتذار من الوصول إليه لأسباب قد أبداها ، وأنه سيرسل (بعض إخوانه للمفاوضة في انتظام)[٢] الأحوال ، والمذاكرة فيما يصلح به أمر المملكة ، فجاء جوابه (بالإسعاد ، وطلب منه حصانه المشهور)[٢] المسمى « زعير » ، وهو من جياد الخيل ، وأرسل أخاه الشريف (عبدالله بن محمد ، وتوجه وصحبته) الحصان المذكور عشية السبت رابع شهر شوال ، وكان طريقه (إلى «باجل» بتدبير من أخيه)[٢] ، واتفق بالشيخ يحيى بن علي حميدة ، واستصحبه في الدخول إلى الباشا ؛ وكان (وصولهما إلى)[٢] بندر « الحديدة » يوم الثلوث رابع عشر في الشهر المذكور ، فتلقاه الباشا (بالقبول ، وقبل الهدية ، وأسعف الشريف الحسن بمراده ، وجعل له)[٢] رأيًا في الولاية (على هذه الجهات ، والاستقلال فيها بالأمر والنهي)[٢] مع رفع المعارضات ، (وخلع الباشا على الشريف عبدالله كسوة فاخرة ، وأنعم)[٢] عليه بسيف ، وأقام في حضرته (على فائض الأنعام ، والإجلال والاحترام ، وتوجه من)[٢] حضرته بعد انقضاء (الثلاثة الأيام ، تبرق أسارير وجهه بالفرح بإسعاف أخيه)[٢] بالمطلوب ، وتمام (الأمر على يديه ، وبذلك انجلت عنه وعن إخوانه الكروب .

وفي)[٢] يوم الربوع ثاني وعشرين (من الشهر المذكور ، وصل من الشريف الحسن وهو بجهة « سامطة »)[٢] مكتوب يتضمن (الإشعار

(١) من بداية القوس في ص (٥١٤) إلى هنا مفقود في الأصل ، وأثبتناه من ص .

(٢) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

بالبشائر ، ووصول الشريف عبدالله بما يسر)[١] الخاطر / ، وكان مقيمًا [ص٤٦٦] (بالمدينة العريشية أخوه الشريف علي بن محمد ، فأشعر)[١] بالمدافع ، وأعلن بالفرح (لكل سامع .

وفي هذه المدة والشريف حيدر مقيم بقرية « بجيلة »)[١] ، ووقعت بينه وبين ابن أخيه (الشريف الحسن مكاتبات لقصد الاجتماع ، والنظر) لما يصلح من أحوال الرعايا ، (وما تم شيء بعد طول المراسلة ، واقتضى نظر الشريف حيدر)[١] لما يئس من إعانة الترك (بأجناد على تصليح البلاد أن يلقي الإمارة إلى ولد أخيه)[١] الشريف الحسن بن الحسين ، فجعل له (مرقومًا بذلك ، وأرسله إلى الباشا محمود ، وابتدأ)[١] الشريف الحسن بن الحسين في (طلاب عساكر لتصليح البلاد ، وصادف انبرام هذا الأمر من)[١] الشريف حيدر وصول (أخيه الشريف حمود لموجب طلابه ، فما وسعه غير الموافقة)[١] للشريف الحسن بن الحسين ، وضربوا (بينهم قواعد)[١] معلومة ، (على شروط)[١] مفهومة ، والتزم في تحصيل العساكر (والتشييد)[١] لابن أخيه الشريف الحسن ابن الحسين في (النواهي)[١] والأوامر ، واتفقت كلمتهما على هذا المطلوب ، (ورأى الشريف حمود أن هذه الحاجة)[١] التي في نفس يعقوب ، (فخرج الشريف الحسن بن الحسين من « الزهراء » ثامن عشر شهر ذي القعدة إلى بلاد « الواعظات » ، لانتظار العساكر التي وقعت لهم الطلابات ، وما زالوا يصلون قومًا بعد قوم من « حاشد » وأشراف الجوف وغيرهم ، حتى اجتمع لديه حصة وافرة [١٣٥/ب] ، ولم يزل يصلح بهم أحوال من هناك من الرعايا ، حتى دخلت **سنة)[١] سبعين بعد المائتين والألف** .

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

وفي محرم منها توجه (إلى هذه الجهات الشامية لأجل الاستقرار)[١] « بأبي عريش » ، ووصل إلى مدينة « حرض » ، وكان فيها العامل (الشريف حسن بن يحيى بن علي فارس)[١] من طريق الشريف الحسن بن محمد ، وقد كان الشريف الحسن بن محمد غير ملتفت إلى [ص٤٦٧] شيء من تثبيت الأمور / وما كان يظن أن الشريف الحسن بن الحسين (يجاوز بلاد « بني حسن » ولا)[١] يتعدى على ما قد امتدت يده إليه ، فلما تيقن لديه أن الحسن بن الحسين غير (منصرف عما تحته من البلاد)[١] ، وأن قصده أن يستقل بمملكة هذه الجهة على طريق الاستبداد ، بعث طلابات (للعساكر ، ولكن سبق)[١] طلابه هجوم الحسن بن الحسين على « حرض » ، ووقعت منه المناوشة للقلعة ، (فأحرق القرية المتدير بها)[١] ، وجرّ المدفع على القلعة ، واستمر الحرب عليها ثمانية أيام ، وبعد (ذلك خرج العامل)[١] المذكور منها ، ولمّا وصل الشريف الحسن بن الحسين أطراف « بلاد المسارحة » اقتضى الرأي أن الشريف محمد بن الحسين (يلقى أخاه ؛ لأنه كان قبل ذلك وقع)[١] التواطؤ بينه (وبين الشريف الحسن)[١] بن محمد ، وأنه يخلع له الإمارة ، وحضر (لديه الأشراف ، وكافة مشايخ البلاد ، وبايعوه بإذن الشريف)[١] الحسن بن محمد ، وأشعر في الجهة بأنه المتولي ، (ولكن قد سبق القضاء بولاية الشريف الحسن بن الحسين)[١] .

وبعد أن وقع الاتفاق بينه وبين أخيه (ترمم الأمر بينهما أن الإمارة للشريف الحسن بن الحسين ، وأنه يكون للشريف الحسن بن محمد بلاد « المسارحة » (خالصة له من دون الأشراف)[١] وسلّم محمد ابن الحسين لأخيه الأمر ، ولما وصل الشريف (الحسن بن الحسين إلى قرية « الجربة » ، استشعر)[١] الشريف الحسن بن محمد أن الأمر فيما

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

بين[١] له على خلاف (ظاهره ، فأشعر)[٢] بالخلاف ، ولكن تدارك الشريف محمد القضية ، وتدارك[٣] بتمام ما في (نفسه)[٤] ، ودخل الشريف الحسن بن الحسين يوم الثلوث سادس وعشرين شهر صفر (واستقر)[٤] في بيت أبيه « نجران » ، ووقع الاتفاق يوم الربوع – ثاني وصوله – بينه وبين الشريف الحسن بن محمد ، وصلح بينهما الشأن ، واستقر في المدينة العريشية مدة شهرين ، وتوجه إلى قرية « حرض » لمخارجة العساكر لما قد تحمل بها من الحقوق ، ومكث مدة هناك ، وبعد أن زلَّج العسكر استقر في مدينة « الزهراء » ، والأحوال غير مستقيمة من تقسيم الرعايا ، فإن كل واحد من الأشراف صارت إليه رعية من القبائل ، واستقر الشريف حيدر في قريته « نعمان » / بعد أن (عامله الشريف [ص٤٦٨] الحسن)[٤] بن الحسين بغير ما كان يظنه فيه ، واستبدّ برأيه ، وأضرب (عنه صفحًا في صباحه ومسائه .

وفي هذه المدة نجم الخلاف ، بين أهل المدينة العريشية وبين « المسارحة » ، وتقطعت الطرقات وانتهكت المحرمات ، وضاقت على الناس الأمور ، وكان في أثناء هذه المدة الشريف محمد بن الحسين مقيمًا في قرية « البدوي » لتصليح أحوال « بني شبيل » ؛ لأن نظرهم إليه ، وهو القائم من تحت أخيه بالمدينة العريشية ، فاقتضى الأمر أن جماعة من « المسارحة » يوم « سوق البدوي » تجمعوا)[٤] [١٣٦/أ] قصدهم (في الظاهر الملاقاة « لبني مروان » لموعد بينهم هناك فلما رآهم الشريف

(١) ص : بني .
(٢) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .
(٣) الأصل و ص : وتدرك .
(٤) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

محمد)[1] خطر بباله أن ما مرادهم (إلا الشر ، فأرسل بعض أصحابه ليأخذ الحقيقة ، فوقعت)[1] المناوشة بالبنادق (أن ضرب بعض الأشراف بعض القبائل ، فأنفت)[1] نفوس « المسارحة » من ذلك ، وطاح (رجلان من « بني شبيل » من رمي البنادق ، ولما بلغ)[1] الشريف الحسن بن محمد توجّه من « أبي عريش » إلى « جحا »[2] ووقع (بينه وبين الشريف محمد بن الحسين الاجتماع)[3] ووقع بينهم كلام في صلح ينسدُّ به باب الفتنة بين الفريقين ، وتندفع به المحنة بين القبيلتين ؛ لأنهم متحادُّون في البلاد ، (وجعلوا)[3] ذمَّة ، ولكن في نفس الشريف محمد بن الحسين من ذلك غير قليل ، وطلب (من الشريف الحسن بن محمد)[3] أن يحل العقوبة « بالمسارحة » وما أسعد ، وارتحل إلى المدينة (العريشية ، ولما انفتحت الفتنة)[3] بين « العراشية » و « المسارحة » رأى ذلك من السعادة له ، ظنّاً أن يقضي مراده من (« المسارحة » على ما فعلوا)[3] ، وكان « العراشية » تحت يده؛ لأنه عاملهم، وكانت (السعاة تمشي بين « العراشية » و « المسارحة »)[3] ، ولم يتم بينهم أمر ؛ لأن « المسارحة » يعلقون (أمرهم بالشريف الحسن بن محمد ، وأهل « أبي عريش »)[3] يعلقونها بالشريف محمد بن الحسين ، وما زال الشر (بين الفئتين والشريفين يتزايد ، حتى دخل)[3] شهر رمضان ، وفي أثنائه قتل (« العراشية » رجلاً من «المسارحة » في أطراف وادي « مَقَاب »[4] /[5]

---

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٢) جحا ، بضم الجيم وفتح الحاء المهملة ، من قرى الشرفاء على وادي خلب من أعمال جازان ، انظر : الجاسر ، المعجم الجغرافي ٣٥٢/١ .

(٣) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٤)-مقاب ، بفتح الميم والقاف ، واد مأهول من أعمال أبو عريش بمنطقة جازان . انظر : الجاسر ، المعجم الجغرافي ١٣٩٥/٢ .

(٥) انتهى مخطوط ص .

ووقع ذلك مبدأ الشر ، وانتهى الحال أن كاد الحرب يثور بين الشريف ... الحسن ؛ لأن الحسن قد ضمنه أهل « أبي عريش » « للمسارحة » ، إن جرى خلاف منهم على « المسارحة » في أثناء مدة الذمة أنه هو المخاطب لهم ، فقام سبب الرجل المقتول من « المسارحة » يريد ببقية وجهه من القبائل ، ولم يزل الحال على هذا حتى أذعن « العراشية » بواسطة الشريف محمد بن الحسين ..... ستمائة ريال للحسن بن محمد ، ونفي القاتلين من « أبي عريش » ، ووقع الرضا بذلك في مدة مضروبة .... انقضاء المدة سعى بعض الناس في تجديد ذمة أخرى بين « العراشية » و « المسارحة » وكان محمد بن الحسين قد استدعى أخاه الحسن بن الحسين لهذا المهم ، فكلما توسط المتوسط ... . الأمر ظنّاً أن أخاه الحسن سيصل بجند ليشفي غليله [١٣٦/ب] .... الثالث الجنود ..... الحسن بن الحسين ..... معه العراشية لقصد الأخذ بالثأر ، فما ..... والمراد أن يصرفه عن ما هو بصدده ..... الفريقان ، وسعر بين الفريقين الحرب العوان ..... يقض الشريف الحسن بن الحسين والعراشية الأوطار ، تراجعوا بقلوب من « العراشية » غير طيبة ، يرون أن ..... لم ينصحوا معهم في القتال ، وخلوا ..... « المسارحة » وكل قد عرف ...... ولما عرف الشريف الحسن بن محمد أنه لا سبيل .... المساعدة ، فروا مع ما قد وقع أن ذلك .... في توثيق الصلح من الجانبين ..... الحسن بن الحسين في رابع شهر الحجة إلى مدينة .... لم يساعده عليها أخوه الحسن ..... له على « أبي عريش » الشريف حمود .

وبعد .... بأن الباشا محمود قد وصلته الشكايات ...... وأدلوا بحجج في وقوع ظلامات ..... فيما بلغ أن الباشا المذكور أرسل ...... لم يساعد على ذلك جعل من طرفه قائمًا ...... وهي مضافة في الانتساب .... السلطان ، فبعد أن صلح الأمر بينه وبين الشريف الحسن بن محمد

اجتمع ..... المساعدة في القيام خشية من أن يقوم فيها أحد من الأروام وتخرج من أيديهم فأجابوا على الباشا محمود بالإذعان ، ورأوا أن طاعته من طاعة السلطان .... .

سنة إحدى وسبعين بعد المائتين والألف فيها خرج الشريف الحسن ابن الحسين من « الزهراء » ....

انتهى المخطوط

الكشافات